



2272

7457

.349

V.3

2272.7457.349

V.3

al-Qabunji

Al-Jawahir al-ruhiyah

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library



32101 074487784



الحمد لله رب العالمين



al-Qabānī, Hasan 'Alī

al-Jawāhir al-rubū'iyah

# الجمال والبرق والسموات

تأليف

حسن الفياض النجفي

الجزء الثالث

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطبعة الآداب

الجبلة الاشرف - بيروت - ١٩٨٠

١٣٨١ - ١٩٦١ م

2272

7457

1349

v. 3

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



رب أوزعني أن أشكر  
نعمتك التي أنعمت علي



## صحيفة بيضاء

تفضل بها سماحة الحجة السيد  
محمد صادق خراهورم دام حفظه .

أحى الأستاذ الفاضل الخطيب السيد حسن القاسبي دام . أيده  
تسلمت بمريد التحية والاحترام هديتك ثمرة ( الجزء الثاني ) من  
كتابك ( الجوهر الروحية ) وهما هو من يدي أصفح قصوله بدقة فصلا  
فصلا ودأباً بآه فإزداد إكباري له . وليس ذلك لكثير منك وأنت من أعرفه  
فصلا وأدأباً حمداً وأنت من أعرفه جاهد أليل بهار ( بمكتبتك عامرة ) في  
التأليف وتتميد كل شاردة وواردة . ولقد دلت في سبيل تأليف كتابك  
جهوداً حارة وأوقاتاً طويلاً حتى جاء كما يرام غاية المراد . وبمجة المرئاد .  
وحير سبيل إلى الإرشاد . حقائق باصمة . لأن مضادة . ( جواهر روحية )  
درارى مسقة . وأعتقد - أنها الأح - أن غير معال أو محارف مثل كثير  
من المقرطين في هذا العصر أدى أصحاب المقاييس فيه مفسدة . والحقائق  
منكرة .

أحى ( الحسن ) لا أكيل لك المدح جراه . وأطرى كتابك مدافع  
الأحرار والصدافة كما فعل الكثير من في عصرنا هذا . فإن الصداقة شيء  
والصراحة شيء آخر . والمجاملة شيء . وبيان الحقيقة شيء آخر . والرأى  
لا يكذب أهله . إن صدقت ( الصادق ) وأحلك تخيم من لا يحسن ولا يحامل

(وقليل ما هم) في هذا العصر الذي ملؤه المخائلات والمخاملات . وقد أصبحت  
(بالأسف) الحقيقة مقبولة . والواقع مهجوراً . والصدق منكراً . والكذب  
معروفاً . والصراحة لا عن لها ولا أثر . فاما الله وإنا إليه راجعون .  
لا . لا . أيها الأخ اخبر لا أريد هذا ولا ذاك . أريد - كما ترغبت أنت -  
أن أكون (صادق) في إطرأتي وتقر بطل قد جهدي كما يفعله الصادقون .  
فلا أكيل لك سرى الحقيقة . ولا أفرط كتابات إلا بما يحويه من الواقع .  
وليس الواقع فيه إلا (الخبر، هو الروحية) هست - وأيم الحق - عمال أو  
بحارف اذا قلت به قد كان كثير آ من المؤلفات الروحية التي اطعت عليها من  
بعض المؤلفين . وكما نجد (بالأسف) في هذا العصر من المؤلفات ما لا ثم  
إلا لوقها لتضع . حبرها ليراق . وأعلمتها المدقة لا و - ها . لا سم  
ولا تنى من حبر . فهي كالشجر بلا ثمر . واستجاب بلا مصر . من (كسر  
تقية) ولعمري إن من هذه المؤلفات صرنا على مجتمع الإسلامى لا يحتاج  
الى تدليل وبرهان لمن أنصف . وعدمها خير من وجودها . إذ ليست الغاية  
من التأليف ترويق الألفاظ . وتنسيق الكلمات . وتنسيق العبارات . ورم  
لغة من تأليف ما يصلح المجتمع ويثله من هوة الجهل الى مرمى الكمال .  
هذه هي الصالة المشودة لطلاب الحقيقة ورواد الإصلاح . هذا هو رأى  
نصيب أم أخطأ . والعصمة منه وحده .

وختاماً . ثنى (أيها الأخ) لاني لم أكتب - بهذه العناية - هذه الكلمات  
الإدافع بيان الحقيقة والإصحاح بواقع لا بد مع الأخوة والصدافة (كما قلت)  
فأهنت هذه السفر الجليل والمؤلف الثمين . وحقق رواد القصيدة  
بقدر هذه الجهود مث . وإصافك عية الصف . ولكن (أين المصفون)  
يا ترى .

أرجو لك ( أيها الأخ ) دوام التوفيق لإصدار بقية أجزاء الكتاب  
مأرب وقت . راجياً من الله سبحانه أن يساعدك لشرها كي ينتفع بها العالم  
الإسلامي . واقبل أيها الأخ ( الحسن ) من أحييت ( الصادق ) هذا النور من  
التقريط - وإن لم تطلبه مي - ولكنه الواجب ، ولا أنفي من وراء ذلك  
الشكر لي ، فانه ( لا شكر على الواجب ) كما يقولون .  
والله يوفقك لمراضيه ويجعل مستقلاً أمرك خيراً من ماضيه ، وهو  
ولي التوفيق ؟

أحورك اعلم

محمد صادق بحر العلوم

١٧ ربيع الأول ١٣٧٧ هـ

## الكلمة الأولى

هــ بقول بوجه منه إلى انفصال التي يربها دسه . وتصلحها دياه  
وأحراره حريماً درساهها في مراحل ثقافتها ، وأعماها فيها من فكر عميق .  
وليس للحقيقة ، واستشراى للمثل العليا .

ولساعتها فصل "جد شد الخير للناس واحمدى إدارة اسل أمامهم .  
يدأما سلف أنظار المصنفين إلى أساليب التربية "ساحه" ، والأحلاق  
الأمعة التي جاء بها صاحب الرسالة الخاتمة ، ونقلها العالم من التي إلى الرشاد .  
وسوف يرون أن في الإسلام كنورا حافلة بالتهاش ، دوها ما ورث  
الناس من فلسفة اليونان والرومان

فيل لعالم منه . هل قرأت أدب النفس ، لأرسطو ، ؟ فقال . بن قرأت  
أدب النفس لمحمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .. !!  
لقد قرأنا أدب النفس لأرسطو ولأمثاله من الفلاسفة . وفرأنا أدب  
النفس لمحمد بن عبد الله ﷺ . فوجدنا ما تحببه الأولون . واصطغروا له  
- بعد الصاء - صوراً بعضها كامل وبعضها مقصور .

وجدناه قد تنحور إلى حقائق حية تجسد فيها الكمال ، وأصحى سيرة  
رجل ، وأدب أمة ، وشعائر دين ضخم .

ذلك هو أدب النفس لمحمد بن عبد الله ﷺ

محمد الله يا وقتنا الأندلس الميمونة لدراسة بعض معالنه . وإناحه  
عرصها في إطار حديد .

وهذا الكتاب يعتبر الحلقة الثالثة من كتابنا - الحواهر الروحية - وه  
ينه الكتاب ولم يدل جهداً يذكر فيه أكثر من أننا استفدنا كتابة الخير ،  
ويسرناه للمطالعين .

تدوى في افاقين دوبا	حكم هذه رفعت بها صوت
ولتطوى نشر العواية طيا	واتمى بالرشد توليه بسطاً
هر يصبوا اليه من كان حيا	وسبق هذا الكتاب لقاء الد
حولة ألسنه عبلاً جديا	جاء في كل ما العباد عبه
شد رشداً والى جلاه عيا	وعى ما-أى أن هبان الر
صار سهلاً وكان صعباً عصيا	ك جلا عامضاً وأدناه حتى
ت لحكم الإصاف تعورصيا	بيان يخلو لديك يد كذ
أمياً فهامة عبقريا	ونخر في كل بحث ترى مه
ليقيد المعلوه عصاً قويا	وحين اى الدليس صرخ
تهوى له الحبال هوبا	وهجوم على تمرد هذا العصر
لحجب يراه برأ نقيا	ولطف بما أجيلاه لطفاً
مله هذا الوجود محمداً ركيا	ذلك طلى به وأحمد - في

## في بدء الطريق

صحب أشد العجب إذ قرأ بعض أعداء الاسلام اليوم ، ولبعض أعدائه بالأمس القريب ، العيد ، تهجاً عليه و تهاماً له بأنه دين التعصب الماحق للحرية ، والإكراه لقاصي عني الاحياء ، و حرد المانع من التطور . هكذا افترى على الاسلام و عني أتباعه شرمة من أعدائه . ومارال هذه الشرمة أواق يرددون ، اسقوا به و يرددون عليه أناطيل من عدم ، طامعها الإفتراء ، والإدعاء ، والتجاهل والنحى ، و بمصرها يستحلب الصلح كما يحمل من جهل وسفسطة وهذيان .

و أغلب الظن إذا كنا ننس بعض "مدن هؤلاء المتهمين" ، لو أنهم عفووا في تكفيرهم وفي تعييرهم ، و تنصروا على السديد بحال المسلمين وضعفهم في الأمس القريب ، و لم يتجاوزوا أن الاسلام نفسه ، من حيث هو عقيدة وتشريع وعادة وسياسة ومعاملة . لكسبهم حظوا حلصاً قيحاً بين الاسلام وأتباعه ، و رعموا أن ضعف المسلمين سبحة لديهم ، متعافلين عما كان للمسلمين من قوة ومجد وحصانة وسلطان ، أيام استمسكهم بدينهم و عتراتهم بتعاليمه ، ومتجاهلين أن مارل بالمسلمين من كوارث الضعف والإستسلام والتخلف والإلنقسام ، إنما كان عاقبة وجزاء وفقاً لاجرامهم عن الصراط السوى الذى شرعه الله لهم ، فقامس أعداؤهم ديارهم وحذرهم تحديراً ، ليسخترجوا أوطانهم



باسم الاستعزاز ، وباسم الاحتلال ، وباسم الوصاية ، وباسم الانتداب  
 من لقد كان المستعمرون على يقين من أن قوة المسلمين وعزيمتهم دينهم .  
 فجعلوا يحملون معاوهم في حق وقوة . وهاجمون بها على حصون الاسلام  
 ليقتلوه ، فيزلزلوا ثقة المسلمين بأنفسهم ودينهم ، لكن طال عليهم الأمد ،  
 وأرهقهم الكد والجهد ، لم ييئسوا عما أرادوا ، إلا أن ثلثت معاوهم ، وكانت  
 سواعدهم ، وأصم دوى الصخور الصلبة آذانهم ، وبقي الإسلام كما كان أشم  
 الحصون أرسح من الطود ، متعاليًا في عره ، متأبياً على القوى المجتمعة أن  
 تنال منه . إلا ما بال الوعل يظل يططح الصخرة حتى يهي قرنه ، ويدي رأسه ،  
 فيرد كسير القرن ، حسيه النفس ، ضليح الحسد

وممن شك في أن الإسلام ينتصا أن رده صعيد الكائدين ،  
 لا بالساب والأباطيل كما صبح أعدوه . من يدرس والاحتكام إلى البحث  
 العلمي ، والتدليل المين .

ولاشك أن الاسلام يقتضيا أيضاً أن يكشف عن بعض مرياه لينسين  
 لجاهلين من أنواعه بعض ما في دينهم من سم ، وحكمة ، وسماحة ، وصلاحية  
 للتطبيق . ومروية في مساهمة الرمن . فيشد حمرصهم على دينهم ، ويعطاهم  
 اعتزاهم بتشريعه . ينسلحون بسلاحه . يقصون به على ما يوجه الى دينهم  
 من أكاذيب وأباطيل .

أما هذا الكتاب فهو على عرار أحويه - الأول - والثاني - استعرضت  
 به عدة جرات من الإسلام تحيرها أعداؤه للتقص من قدره والتهجم عليه .  
 وراعت فيه التجرد من الهوى ما استطعت . وإن احتكم إلى النصوص القرآنية  
 والنبوة . وفي التطبيق الأولى للشريعة ، لينجلي الحكم الإسلامي الصحيح ،  
 غير مشرب بالرام السياسة وأهواء الحاكمين

وكان لزاماً على أن أستعرض موارد شتى من الاسلام وما سبقه من  
أديان سماوية وعبر سماوية . وموارد من الاسلام وما سبقه من مذاهب وآراء  
يتحلى تساميه وتعاليه . وإغماره للنشر أن يلحقوا بخضه .  
ولذلك يظن أن الاسلام دين يجمع ولا يفرق ، ويوحد ولا يشتت ،  
ويقوى ولا يضعف ، ويناسج ولا يتعصب ، وينساق ولا يهبط ، ويجارى  
الأعصار والأحداث ولا يتحلف ويحمد .  
هكذا كان الإسلام ، وهكذا يكون الإسلام  
وهذا يستحق أن يكون حاتم الأديان ، وخير دين أتى به الله للناس ،  
ليصنع منهم خير أمة أخرجت للناس .

## حديث الراهب

ومولد النبي ﷺ

يتحدث الراهب لي رفاقه : بأن كانت لي غارة الهند ، هذه البلاد التي يسكنها البدو ، والتي تسير بها القوافل فتحترق الصحراء على ظهور الإبل والتي يسمونها بلاد العرب ، وكانت التجارة واسعة تقطع إلى عمق دقيق بأمور الناس على اختلاف طبقاتهم وممارتهم ، وبأمور الأقاليم والأقطار ، وما يستطيع أن تعطى وما تستطيع أن تأخذ . وكان هذا الأمر يدفعني إلى شغل شديد عند حال الماء والزراع ، وإلى اتصال شديد برجال الدين والسياسة والحكم . فركبت البحر مرة متوجهاً ببلاد اليمن ففقتبت البحر أياماً طويلاً لا تطيب لي الريح أحياناً ، وتسكر لي فيها أحياناً أخرى ، وأنا على كل حال مستريح مستنشر استمع مما أرى من جمال الطبيعة في هذا البحر الذي يألفه إليه ناس ، ولم يفلوه لسفنهم بعد .

وما هي إلا أيام حتى حصلت الطريق إلى صنعاء فدخلتها ولم ألق كيداً ، وإذا بها رفيعة العباد ، شاهقة السياب معمورة بالناس . كأن الدهر لم يتلها بمكرهه ، ومهما نكر من شيء فقد أحاطت أحسن حاضره الأرض الحديثة . وميلا إلى البقاء فيها ، فأنمت فيها على حير ما يقام . وصادقت صروف الحياة أن دفعني دفعا إلى أرهة - ملك صنعاء - وإذا بي أسمعته يتحدث لي رفاقه : على أننا مرغما قبل كل شيء لأمر اليسر . فجددنا من عماراتها لمتداعية



قرشاً ، والذي يتجر بين بلادنا وبلاد الشام .

فلما سمع الملك ذلك غضب أشد الغضب ، وأقدم ليهدم هذا البيت  
وليحرق العرب على أن يحجروا إلى كعبته بالسيوف ، بعد أن أعياه حلمهم  
على ذلك بالرفق واللين . ولم يكذبوا أنهم يتقدم حتى رفعت الأبناء إلى أبرهة  
بأن أهل هامة قد قتلوا ذلك الرجل الذي أرسله إليهم ملكاً فطار طائره ،  
وثار ثائره ، وأذن من فرره بالتجهر للحرب والاستعداد للرحيل ، وأرس  
إلى انجاشي بيته بذلك . وسأله أن يمدد بالجنود والقبيلة . وما هي إلا أيام حتى  
هبأ له جيش ضخم قوى ، وحتى هضبا عن صعاء غلظت الأمن وترد هبنا  
المكر ياء . وكنت أنمذت إلى أبرهة أنا ستمطع هذه طريق على طولها في غير  
مشقة ولا جهد . وبأنا - حصن بين الشام واليمن . وكان جيشنا يعظم ويصحم  
كلما تقدمنا في الطريق من كان يصم إليها من أدواء اليمن وأقيائها . ولكن طريقنا  
لم يحل مع ذلك من عقاب ، ولم تكن أمماً كلها . وقد هب لنا الحرب جماعة  
من أقيال اليمن على رأسهم . حل يقال له - ذو نفر - . غيره على وثيتهم ،  
وحديثة لبيتهم . لك ، ودفاعاً عن حطاعتهم من قرش ، ولكننا هزمناهم في غير  
مشقة ، وأخذنا رؤسهم أسيراً . وهم الملك أن يقتله ، ثم رقى له وعفا عنه ،  
واستنقاه في سره . ومضياً أمامنا لالقي كيداً حتى كدنا سلع هامة اليمن ،  
وإداحي من حياتها قوى عظيم المأس مسلط على الأرض ، متحكم في الطريق  
وفي القوافل التي تقطعها ، يقال له - حثعم - . قد جمع خربنا ، وعره عدده  
خيل إليه أنه سيقهر ما كما تعود أن يقهر الناس من قبل . ولكننا هزمناه في  
أقصر وقت وأيسر جهد . وأحدنا رئيسه رجلاً يقال له - نقيل بن حبيش - أسيراً  
وهم الملك أن يقتله ولكنه استعطى وغلا في الاستعطاف حتى طهر بفقو  
الملك ، وتقدم مع الأدلاء اسلكوا بنا طريق هذا البيت الذي كنا نقصد إليه ،

ومضى في صريقالا لطفى كيداً . وقد هاندا العرب وحلت لنا الطريق ، وأعظمت  
أسرماً إعظاماً حتى إذا دنوا من مكة . ولعننا مدينة عظيمة هالك يقال لها  
الطائف ، تقوم على مرتفع من الأرض عظيم ، ومن حولها النخيل والكروم  
والحدائق فيها أروع العاكية والشم . كأنها مدينة من مدن الساحل الشامي قد  
نقلت إلى ملك الأرض المقعرة المجدية فأقامت فيها مشرفة رابية كأنها الانسامة  
الخميلة في لوحه الظلم الكثيف ، خرج إليها هالك أهل هذه المدينة فقدموا  
الطاعة وأظهروا الحضور . وبنوا معارحاً لهم يسلك بها إلى مكة أقرب  
طريق . ومضى أماماً حتى سمع مكة ، فبيح الجيش ليستريح قبل أن يأخذ في  
المنحوم . وقاتل السراة القاتل إلى الملك في كل مكان يقدمون إليه طاعتهم  
ويعرضون عليه ثلث أموالهم ، ويطلبون إليه أن يدع بينهم هذا لايمسه بسوء .  
فلا سمع الملك منهم ولا يحفل بهم ثم يرسل الملك طلائعه فتغير على ما حول  
مكة من الأرض ونساء كل ما يد فيه من مال . حتى إذا كان العدا أرسل الملك  
جماعة من أصحابه إلى مكة وكأهمهم أن يسألوا عن سيدها وعظيمها ، فإذا لقوه  
أبأوه أن الملك لا يريد قتالهم ولا حرهم وأغاريد أن يهدم هذا البيت ، فإن  
حلوا منه وبين البيت فهم قتل . وإلا فليأدوا بحرب تصحبهم سحقاً . وأمر  
الملك سمرأه أن يأبوا عظيم فريش إن أضربوا دعة والميل إلى السلم . ومضى  
السمرأه ثم يعبرون ومعهم رجل عظيم ، وسيم جسيم ، لم أر قط أجمل منه ، ولا  
أملأ للعين . ولا أوقع في القلب . وأشد مهابة وجلالا . حتى إذا بلغوا سرائق  
الملك دخلوا يستأذنون له . ويسأل الملك عنه فيقال له : هذا عبد المطلب سيد  
فريش وصاحب غيرها . أعظمها شرفاً ، وأعلاها مكانة . وكرمها بهياً .  
وأسخاها يداً . يطعم الناس في السهل ، ويطعم الوحوش في رؤوس الجبال .  
وكنت عند الملك حين أدخل عليه هذا الرجل . ورأيت الملك ينظر إليه فيكبره

ويعطيه . ويلقاه بالتحلة والكرامة . ويهم أن يحمله معه على السرير . ولكنه يشفق أن تنكر الحدة ذلك . فيرل عن سريره ويجلس مع هذا الرجل على البساط . ثم يكلف الترحمان أن يسأله حاجته . فما أشد ما عجب الملك حين فسر الترحمان له جواب سيد فريش . قال : حاجتي أن ترد إلى مائتين من الإبل أحدها طلائعك فيما أحدث أمس من المسال . قال الملك مستهزأ : لقد أعطمتك حين رأيته . فاني لأصغر من شأنك الآن . لقد كنت أظن أنك ستحدثني في بنتك هذا الذي أريد أن أهديه . والذي هو ديت ودس آتاتك . وشرفك وآتاتك . فإذا أنت تحدثني في مائتين من الإبل . قال سيد فريش في صوت هادئ الواثق المضمحل : أما رب لأن هذا حدثك فيها . فأما البيت فإن له رأسي معه . قال الملك : لن يجمعه مني . قال سيد فريش . فب ودك . وأمر الملك أن ترد إلى الشيع بإبله فردت إليه .

وسكنى نعمة لأرى ما يكون من شأنه . هذا هو لا يقص هذه الإبل إلا ليرسلها هديا إلى هذا البيت . لدى لم يرد أن يتحدث إلى الملك فيه . وبصى هذا الشيخ إلى قومه من فريش . فبأمرهم أن ينفر قوافل الشعاب وعلى رؤوس الحبال هربا من الملك وإشفاقا من معرة الجيش . ويقوم أمام بيته هذا لدى يعطيه وقد أخذ بحلقة يابه . ومن حوله نفر من قومه ويقول كلاما حسن الاستحسان . شديد الوقع في النفس . سمعته فأحسته ولكي لم أهمه . على أني كنت قد أحدث أحسن هذه اللغة . ثم يرسل حلقة الباب وبصى مع من كان يصحبه من قومه فيحضر في شعب من الشعاب . وأنظر أما إلى هذه المدينة فإداهي قد حدث من أهمها . وقامت بيوتها هادئة ساكنة يظنها حزن عميق فيه هبة وجلال . قامت يظنها هذا الحزن . ولكي لم أكرأرى

في هذا الحرم حوفاً ولا إشفاقاً من معاول الهادمين ، وأصحا وقد أمر الملك بدحول المدينة ، فيهم الخيش أن يتحرك وفي مقدمته فيل عظيم ، ولكي أرى دليلاً ففيل برحبت الخنمى - يدنو من الفيل فيأخذ أذنه ويسرف فيها كلاماً ، ثم يرسلها ويستند هارماً في الحبل

وتثير حركة هذا الرجز في نفسي شتاً من العجب ، فما علمت به يعرف متطق الفيل ، وما عدت أن الفيلة تعرف مطلق العرب . عجبت ، وليت عني لم يتجاوز هذه لقصة ، ولكي رأيت بعد ذلك ما يقص على كل عجب . رأيت بعد ذلك أشياء ما قدرت قط أني سأرى بعضها . أت بعد ذلك أشياء وجدت لو لم أرها قط .

والى على ذلك لسعيد أشد العدة ، معبط أشد العطة لأنى رأيتها فهي لى هدتى لى الحق . وهى لى شفت عن نفسى لعطاء . رأيت الفيل قد رك ، حتى إذا دامه ساسته ليصهروه بهض معهم ، حتى إذا وجهوه لى مكة رك من حديد . وبعد ساسته بعد ذلك فى إباحه فلا يعلمون منه شيئاً يحشوه ويؤدونه ويصبرونه . ويعلمون به أقصى ما يبيح الميل فلا يهض ولا يهض بهم بالهوص . حتى إذا أداروا رأسه نحو اشمام أو نحو ليس أو نحو الشرى بهض ومضى مهر ولا . فإذا أداروا رأسه نحو مكة رك ولم يتقدم أمامه يصعباً . ونحن ننظر الى هذا وقد ملأنا العجب ، وأحد الدهش فى نعوسا كل مأخذ ، وبدأ أخوف يعب ، قلوسا ، وبدأ الدعر يطبق بعض الألسنة بالعمة عن دخول المدينة والانصراف عن هذا البيت . وإلى ذلك ننظر الى الساسة وهم يعالجون الفيل . وإذا الخو يظلم شيئاً وشيئاً ، وإذا سحاب كثيف يبدو لنا من بعيد ، قد أقلل الياسرعاً من ناحية البحر . فلا تكاد نطيل النظر إليه حتى نثنين . ويأهول ما نثنين : لسان نرى سحاما كالسحاب



ولا عماما كما همام ، وإنما يرى سبحانه حياً يحقق حاجته حقاً ، ويدع  
مطره في نفوسنا روعاً يجرنا عن أطوارنا وينتهي بنا إلى شيء يشبه الدهول  
إلى لآري الآن السحاب حين كان يقبل علينا أسراباً من طير صغار  
لها مناقير الطير وكمف الكلاب ، حتى إذا دبت منا أحدث تحصب الجش  
بمحارة دقاو كانت تحملها في مناقيرها وأرجلها . ولم تكن هذه الحجارة تلعب  
دقة المدسة ولا عظم المحصة ، وإنما كانت شئ من بين ، وكانت على دقتها  
لا تمس شيئاً إلا هشمته تهشياً ، ولا تمس رجلاً إلا أفتته صريعاً . وسلوا  
ماشئهم عن خوف الخائفين وذعر المدعربين ، وانصراف أصحاب القيل  
عن انهيل ، ونحور الحيش عن مكة إلى غيرها من أرجوه جداً في الحرب ،  
وهذه الأسراب من طير تدمه ، تحبسه به الأخحارة ، وتغلق الحور من  
حواله بصياح مخيف .

ولست أدري كيف انتهى أمره ، لا كيف يحور من هذا الطير .  
ولكني أرى مجدأ في الحرب ، ومن حولي قوم يحدون مثلي في الحرب وقد  
حملوا جلاً مريضاً سيء الحال حتى إذا انقطع أصوات الطير ، ونظرنا  
فهم في السماء شيئاً أحزن أسأل عن نفسي وعن حولي وعن الحيش  
وأخذت أسأل عن هذا المريض الذي أراد أن يحملوا يتأذى ، فإذا هو أرملة  
قد مسه حجر من تلك الحجارة فصرع وطم على جسمه بلاء عظيم ، وأخذت  
أجراه جسمه تساقط قليلاً قليلاً ، لا يقط جرحه منها إلا تبعه صديد مكر  
قيسح . كم تأذى هذا الرجل . وكذا احتس من ألم في نفسه وجسمه وكم  
ذاق من مرارة الدم ولدغ الحشرة والذوغة إلى لآراء حين سنا صعاء  
وأدخل إلى قصره يمرض فيه وقد هزل ومسه انصر ، حتى الكناه فرح  
من أمه أح الطير على أن حياته لم تمتد في قصره ، وإنما تلح لآل عليه إلحاحاً

شديداً وأقرب أحد إليه صاح يوم فعاه إلى فلما سأل كيف مات ،  
علبت أن صدره انفجر عن قلبه انفجاراً .

وكان حديث (أهب قد ملك على الرضا بفرسهم وبلوهم ، فأغرقوا  
في شيء من الوحوش لم يحسوا معه أن صاحبهم قد قطع الحديث وابتدع في  
تفكير عميق بعيد . ولست أدري كم أبقوا من الوقت في هذا الوحوم  
الصامت ، والكنى أعلم أن رجلاً منهم شاماً لم تنكر قد تقدمت به الس بعد ،  
خرج من هذا الصمت وأخرجهم منه حين قال . نصوت متهدح نقصعه  
امبراب تقطيعاً ، إن لهذا البت في مكة شأنأ ! قال له هب . نعم إن  
هذا البت في مكة شأنأ ، وإن هذا الشأن هو لدى أحجم عه القيس ،  
وحتمه من أباين . ثم عدوه بحداة من سجيل . فإذا هو كعصف مأكل

\* \* \*

فضى أهل مكة رجالاً ونساء أشبه كحولاً وشباباً قصوا أيامهم فرحين  
متهمين عائلهم المحر ويزدهيم النصر وهو يتحدثون بحديث القيل والبرام  
الحشة وتلك الآية المكري التي أطهر الله تعالى بها كرامة هذا البت ورفع  
بها مكانة الدين يقيمون حوله من قريش .

ولكن شيئاً عظيماً من قريش لم تشعله هذا المحر ولم يردى منها النصر  
بل بقي ما كفاً على مكبره السحيق وحره العميق . كان ذلك عند المطلب  
ابن هاشم اس عند صاف سيد قريش ورعيها المحبوب المسجون .

وكذلك كانت امرأة من قريش فانها لم تشارك نساء قريش في هذا  
العجب والنيه ولا فيما كن يتخذنه من زينة في الحياء ولا فيما ينصرفن إليه من  
سعادة وهناء بل كانت تؤثر العزلة وترغب في الوحدة مفردة نفسها بمفكرة  
في أمرها بعمر قلها حزن مرير وبأس لادع تلك هي أمة بنت وهب وروحة

عبد الله بن عبد المطلب .

أما عبد المطلب فإنه لم يشارك فرثاً بهذا الفجار بل كان يسحر منهم في نفسه لأنهم لم يصنعوا شيئاً ولم يدلو أجوداً حتى يفجر وأهذا الفجار بل لا دوا  
تشمات الحال وفروا الى حيث تهيم الوحوش وحلوا من طائفة الخيشة  
وبين البيت الحرام بهم إذ لم يدفعوا عن المكعبة عدوها بل دفعه الله ولم  
يحطموه بل حطمه الله .

أجل لقد دومت عن الكعبة عدوها وقهرته وحطته تلك القوة لقادرة  
اقاهرة لتي تقهر ولا تقهر والتي تلب ولا تلب والتي تحطم ولا تحطم والتي  
لا تريد شيئاً إلا سعت ما تريد . تلك القوة التي أخرجت من البحر طيراً لم ير  
الباس مثلاً من قبل وسلطتها على جيش عظيم لم ير الباس مثله من قبل فما هي  
لا أن حومت فوقه ساعة من الدهر ترميه بحجارة من سجيل فتحطم مقهوراً  
وتساقط مدحوراً وأصبح كعصف مأكول . فلم يلبث من عدو من المعتدى  
وأمر الحرم من طغيان الطاعى من أجل هذا لم يشارك عبد المطلب قریشاً في  
خارجه هذا بل بقي عاكفاً على تفكيره السحيق وحرره العميق

أما حرره فقد كان على أنه عبد الله الذي حل له أنه قد استغفره من ورث  
المنية وحماه من مخالف الميرت فطمس له الحياة حين أغلأ له أهداه وحين صارع  
الموت عنه صراعاً وجالد القضاء جلاداً حتى تم له الانتصار فكان الانتصار  
لقريش والعطلة والسرور لبني هاشم بانتصار الحياة على الموت واستتقاد  
الشباب من مدينة المصحى ولكنه لم يثبت أن حات طوبه وتلاشت آمله حين  
تخلف ولده عبد الله عن القاطنة مريضاً في يثرب ثم قضى بحبه عبد أحواله من  
من التجار فأصبح عبد المطلب في حاله أو شكت أن يكون يتأسأ مهدياً أو ثورة  
جائعة ولا أنه كان ذا قلب نعم كيف يصبر على الديات وكيف يدعى للخطوب

فهذا كان مصدر حرته

وأما تفكيره فكان يفكر تارة في عرو - قريش وطهها ان الله تعالى قد رد عنهم وعن الكعبة طاعة الحشمة اكراما لهم ورحمة بهم  
ويفكر تارة في محادثة الله وطهها ان الله تعالى قد أبقده من الموت وغداه بمادة من الإبل نكرا بما له ولولده عبد الله ورحمة به ، ثم كان يسبح في نفسه من داوداك ويقول في سره كلام يهرم الفيل وحب الفيل اكراما لقريش وإما هي آية أجزاها الله تعالى لأمر يعمله ويديه ولا يعم الناس منه شيئا ، وكذلك لم يبق الله عبد الله من الموت ولم يفده بمادة من الإبل اكراما لعبد المطلب ولا لعبد الله نفسه وإما هي آية أجزاها الله تعالى لأمر يعمله ويريد ولا يعم الناس منه شيئا ولا يفدها عبد الله من الموت في مكسة ثم مات بعد قليل في يثرب ناسا عيا أن ينجز عبد الله من الموت فيتحده روحا لا يقيم معها لا قتيلا فيحملها ثمة تضطرب بين حوائجها وبين دهرها وديعة تحتلج في أحشائها ثم يفارها كما يفارق الناس أرواحهم ليعود إليها كما يعود الناس لأرواحهم وأمكن دفته يعرودون هو يقضي بحه في يثرب ولا يعود فكأن عبد الله لم يخلق ولم يوجد في هذا السكون إلا ليردع هذه الوديعة عند روحه ثمة ، وكذلك ثمة فكأنها لم تخلق ولم يوجد إلا لتسلم هذه الإهابة من روحها عبد الله ثم تؤدى بسنة رحمة بهم وهدية خم - ما كان من أمر عبد المطلب وحرته وتفكيره

وأما أمانة فقد شملت عن كل شيء في هذه الحياة سوى التفكير في أمرها ولاهتمام بنفسها فلقد كانت تفكر تارة في هذا الحين الذي يضطرب بين أحشائها ، وتارة تفكر في روحها الذي حره السعادة بهذه النعمة نعمة الآخرة نعمة لا تستمتع بالولد التي هي مشتركة بين الآب والأم ، هذا كان مصدر

### شقاتها وآلامها .

ولكن بسببها كانت مدعة لأمر الله وقد ، تقطر قلبها على الرضا بقضاء الله فكانت تنفق بهارها داهله أو كالداهية وتنفق ليلها في يوم هادئ . حدو الاحلام وما أكثر ما كان يورها من حلم وما أكثر ما كان يلم بها من طيف وما أكثر ما كان يقبى اليها من حديث حتى اذا كانت ذات ليله وهي تنهي . للخروج من دهر ليلتها والندحور في هدوء الليل

إذ أحسب بعض ما تحسن به النساء حين ما يدبر منهن اعراض هالك دعت اليها من حصرها من نساء بني هاشم فقصين معها ايلة ولحسها لا كالتالي الى أكبرن فيها كل شيء . وأعجب فيها كل شيء . فترى ما لا يرى وتصور ما لا ينصر ولم تكن آمنة أظهن إكباراً وإغما فاتها كانت ترى وهي يقصانه غير نائمة كأن بوراً يملأ الارض من حوها ويريل الخصب عن عيبيها فتري ما لا يرى وتصور ما لا ينصر فكانت اسوة من حوها لا تمد طرفها الى شيء . لا رآته بوراً كأنه لا طلة فيه ولا طلام وإنما هو مشرق مصى . أو هو الإشراف الخالص .

ثم ترى آمنة وترى صاحباتها كأن بوراً أبعث منها فتسطر آمنة فادابها قد من الأرض يتقيها بيديه رافعاً رأسه نحو السماء مخدقاً بصره فيما كأنه يتمس بعدها شيئاً ففسرع به من صاحباتها اليه تؤدي له بعض ما يحتاجه الأمن حين يستقبل الحياة فاذا هو لا يحتاج الى شيء وإنما هو صاهر مطهر مخزون .

وقب الكون فاهدني لانسيري	يدهوراً تنكر نور دهور
أى نور هذا لدى شعبي الأفق	سحياً على الطلام الصرير
فعللا الأرض دفقة من جمال	ومن الخو موجة من عطور
وتهادى الناريح يرهو بطفل	ينقد الأرض من مهاوى الشرور

والشاعر القروي رشيد سيم الخوري يقول في مولده ( ص )

عيد البرية عيد المولد السوي في المشرق له والمغرب دوى  
عيد النبي برعد الله من طلعت شمس الهداية من قرآه العلو  
بدا من القصر نوراً للورى وهدى بالتمدن عم الكون من دوى  
بفاتح الارض ميداناً تقوته صارت بلادك ميداناً لكل قوى  
وصاحب السيف لم تغلل مصاربه اليوم بندى حياء سيفك الدموى  
أين اللواء الذى فاق السهى شرفاً اليوم قد طويت أعلامه وطوى  
يا قوم هذا مسيحي يبؤكم لا يهضر الشرق إلا حنا الأحمى

ولم انتق الفجر وارتفع النهار من صحبة تلك الليلة مشى الناس الى  
أعمامهم وقد قصروا ليلة جامعين عظيمين لم يشعروا فيها شيء ولم يطلعوا من  
أمرها على شيء. وكان لم يحدث فيها شيء ولو كشف لهم لغطاء وأرسل عن أعينهم  
الحجاب لرأوا ما كان ولعلوا بما جرى ولإضلعوا على ما حدث ولعلوا أن  
الارض حدثاً وأن وراء العيب عجباً وأن الله تعالى أمرأ ولرأوا محوم لسماء  
راهية راهرة لم ترك ذلك مثلها قبل اليوم وكأنها تريد أن تدبوا من الارض  
وهي ترسل اليها أشعة ساحرة كأنها تريد أن تصاح الارض كأنها تريد أن  
تعبطها وتهنئها على هذا المولود الجديد .

أحق لو كشف لهم العضاء وأرسل عنهم الحجاب لرأوا ذلك كله ولإطلعوا  
على ذلك كله ولكن الله تعالى قد جعل لكل شيء قدراً  
ثم بعد أيام وبدا بالأحار تنتشر وإذا بالحوادث تترى وإذا بأهل مكة  
وعبرهم يتسامعون بأن يوان كسرى قد اضطرب ومادت به الارض فسقطت  
بعض شرفاته وتهدم بنيانه وإذا بهم يتسامعون أيضاً بأن ناز العرس قد حلت  
وحدثت فجأة لأول مرة منذ ألف عام وإذا بهم يتسامعون أيضاً بأن بحيرة

ساوى قد حمت ونصب مأذنها وعهد الناس بها عزيرة حجة المياه .  
ولم ارتفع اصحى من صبيحة تلك الليلة أقل عبد المطلب على عادته  
في المسجد يحف به أساؤه وعشيرته ، أقل وهو لم يعلم بعد مولد حفيده حتى  
أخذ مكانه بين سادة قريش من حبه اسماعيل فاحد مع قريش فيما كانوا  
يأحدون به من أحاديث المال والأعمال ودياريج الافداز من الرجال فقبل  
عليهم عبد المطلب مصره وسمعه وأعرض عنهم بقلبه وروحه لأنه كان  
في شغل عنهم

لأنه كان يفكر بأنه وفقيد عبد الله الذي لم يكن ولن يدساه ولن  
يستطيع أن يدساه .

كيف يدساه أو يدهل عنه وهو في حال الحطة نصب عنه وملا حياته  
كان يتصوره مرة في ساعة وداء عند السهر وراه عظيم النشاط شديد القوة  
رائع اشباب بارع أعمال يستل سهر شهر باسم وينظر الى المستقبل بأمل  
عظيم ، وتارة يتصوره على فراش الموت عند أخواله من بني النجار يثرب  
ويراه حزياً كئيباً عربياً ثانياً حزيناً سقيماً خيلاً شاحاً

ثم يعضى عبد المطلب في التصور فيرى أنه وقد دق منه شبح الموت  
فاحد عبد الله يصارع القضاء والقضاء يصارع ويمالذ الموت والموت بمالذه  
ويدفع المية والمنية تجده ثم يرى عبد المطلب وإذا بالموت منصرفاً وإذا به قد  
سكن الله من الحياة ثم يستل الحياة منه فيبدا عبد المطلب عاتق في بحر من  
هذه الأفكار وداء يشبه بحية ويقول يا عبد المطلب ولداك غلام هل ينظر  
اليه فيسأل قائلاً هو بن عبد الله ؟ فيحيد البشير فدم فيحس عبد المطلب كأن الله  
تعالى قد ادخر له عرامة عن مصيته وهماً له سلوة عن فقيدته فقام مسرعاً الى  
بيت أمة فتناول الطفل وظلمه الى صدره ثم أعاده إلى أمه

## بذور من حياة محمد ﷺ

ولد نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بمكة - بلاد المعجزات - أشرف  
 على الله وأكرمهم : - كانت مامية ، وموارد فضائله طامية ، وأركان  
 بيته بالأمس مأهولة ، ودعوة الطائف مكنته مقبولة . نشأ يسما ككفاله حده  
 عبد المطلب ، فعمه أبو طالب .

فلما هوى ساعده كان يرعى الغر في البادية مع أحوبه من الرصاعة ،  
 ثم عمل في التجارة ، وذهب إلى الشام يتجر لخدمته بنت حويلد - أنرى إمرأه  
 في الجزيرة العربية - .

لا أحاول في هذه الكلمة أن ألم بتاريخ محمد ﷺ .

ولا أحاول في هذه الكلمة أن أحلل زمامه وأثرها في حياته .

ولا أحاول أن أرى أثر إينيس في هذه التربية سواء حين ولادته يتيماً  
 أو حين ماتت أمه وهو لا يزال في حاجة إلى عطفها ورعايتها . وفي حاجة  
 إلى قلبها وهدايتها بعد أن حرم قلب والده وهدايته . شكر الله تعالى عوضه  
 هداية أي هداية ، وردقه بوفيقاً أي توفيق ، فرباه الله على تقوى منه ورضوان  
 نشأ وهو دعوه أبيه إبراهيم ، ونشارة عيسى . وصفوة سلالة قريش  
 وصميمها ، ومحبة بنى هاشم راحلها ومقيمها ، وأشرف العرب بدواً وحضراً  
 وأفضلهم بيتاً . وأعزم نفراً . لم يزل ﷺ يتقل من حير الآباء إلى حير



الأبناء ، حتى سبى إلى كبر مكة وقريش في الجاهلية ، - عبد المطلب بن هاشم -  
ثم إلى أبيه عبد الله ولد المصطفى أشرف الناس نبأ ، عمها وعمها ، فهو ذو  
نسب زكى : إبراهيم خليل الله دعاه ، وإسماعيل سامه ، وكنانة رماه  
وقريش نظامه ، وهاشم تمامه .

إختره الله من أرفع البيوت والمنازل ، لأنه تعالى لمصطفى من ولد  
إبراهيم الخليل - رافع قواعد البيت - إسماعيل ، ومصطفى من ولد إسماعيل بن  
كسائه ، ومن بن كنانة قريشاً - المعروفة بالشرف والمكانة ، ومصطفى  
من قريش بن هاشم ، ومن بن هاشم سر السراة أما القاسم - وإلى ذلك  
شير قوله ﷺ : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى  
من إسماعيل كسائه ، واصطفى من كسائه قريشاً ، واصطفى من قريش بن  
هاشم ، واصطفاه من بن هاشم ، فها حيار من حيار من حيار ، وقول  
عمه أبي طالب (ره) :

إذا اختتمت يوماً قريش بمشر	بعد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت أساب عد ما بها	في هاشم أشرافها وقديمها
ولاب حبيب يوماً فان محمداً	هو المصطفى من سرها وكرامها

خلق الله روح محمد ﷺ وأودع فيه كتابات شريعته الكاملة كما أودع  
في نواة الحبة كل مراد وخواص التي تمت بحه مثلها إدارعت في الأرض  
الصالحة لها ، ثم كان الوحي لإلهي له كالماء الذي يمد النخلة ويغذيها بعد أن  
نبت إلى أن تكمل وتؤتي أكابها بارعاماً طيباً - يعني أن الوحي كان تعليمياً شارحاً  
لعقائد وآداب وأحكام أفعاله لها بمصه الركيزة فكانت مظهرته تطلبها باستعدادها  
ودليل ذلك سورها في الرسالة من عقائد الوثنية وأعمالها .

هذا ما أومر به واعتقد ، وإلا ما أمسى عصم محمداً ﷺ من كل

شروا الخهلية ، كعباده الأصنام و الأوثان ، وكالما وشرب الخمر ولعب  
المسر والآنصاب والأزلام وقل نفس التي حرم الله قتلها ؛ لا بالحق ، ثم  
من ادى أثراً محمداً على الصدق والأمانة والوفاء وعنده الله على مله إبراهيم عليه السلام  
والخلوة بعار حمراء للتعبد واتهموا . وعلى أى وجه أردت أن توجه هذه  
سيره الطيبة وهذه المصروفات على العقائد الفاسدة ، وعلى العادات الفاسدة  
من قوم هم عماد هذا كله يرون في الخروج على شيء من هذه العادات وهذه  
العقائد ندعاً لا يعترف لى جاءه مال وسبب فمالك بمحمد النبي المقيم  
الذى حمله كل شيء في بلادهم حتى أهلها واعتبر به ، ولم يصبره  
ولا الحق وحده

من هذه العقائد وورق آدمها أعرض محمد عنها صميراً ، وحاربها  
كبيراً . وما محمد هذا إلا بشر . غير أن الله حدثه سليم الفطارة ولخطه بالعقائد  
الإلهية وتبع الحق وثار على الباطل ثوراً أرعاه . ثم مالئت أن هدمته  
وعند الناس ربه ، وأقلعوا عن شئ العادات الكاذبة والمنافرات  
للسحيفة . وهوا عن وأد السات وعن خمر والمسر وأمروا بالمعروف  
وانتاعون على البر والتقوى واحترام حقوق الناس وحقق دعاتهم وحرم  
عليهم أكل مال اليتيم . وأكل أموال الناس بالباطل ، وما أهل به لعير الله  
وأحل لهم الطيبات من الرزق ليأكلوا ويشربوا من غير إسراف ، وأحل  
لهم البر من ثياب من غير إسراف ولا كبير ولا جلاء . ثم فرصت عليهم  
مادى اجتماعية لتدعيم الوحدة وجمع الكلمة فأمروا بالزكاة ، وورق هذا  
أمروا بصله الرحم وذوى القربى وقول المعروف وعن الخيرات في سبيل  
الله . ومنها الجهاد دفاعاً عن الحق منها يكن شفاؤهم بها بعد شقته  
هذه الذى أريد أن أتكلم عليه في هذا المقام . وأريد أن أتكلّم عن المشقة

التي احتدمها رسول الله ﷺ في علاء كلمة الحق . أنها مشقة جادة كاهته  
جهداً كبيراً وعناء أعظم ، ومهما لأعية لها كما يقول الشاعر .  
له همم لا مسمى لكوارها . ومعه الصبرى أجل من الدهر  
غير أنه ﷺ كان كلما تقدم به السن قوى فيه حب العزلة . والإنقطاع  
إلى مرآة الله تعالى ، والتصدى لمناجاته . فاحـ حـو نعال حراء متعبداً فيه  
النبأى دوات العدد : لوجه روحه الشربف إلى عالم المعاني ويستعد لتلق  
الوحي الإلهى .

وحراء جبين مكة في علاء عا . ياؤ . اليه محمد ﷺ يتيم فيه شهر  
رمضان في كل عام بمصافيا شمس به يسه من مكبر عميق في هذا العالم . وتأمل  
دقيق في هذا الماكروب . مكرباً سبيل من الراد . ياتس الحقيقة الناصحة  
وكان كثر أ ما يفرق في التفكير حو يبنى نفسه ويمسى طعامه وشرابه  
كان يفكر تارة فيما حوله من "ناس فيرام من باطل الحياة وحرف  
عرورها . ومن العي والخيالة في صلال مبين

ويفكر تارة في هذا الكون المحيط به يلمس فيه الحقيقة الراهمة التي  
كانت صاته المشودة . فكان تارة يتمسها في "سما في شمسها وقد ها والجوم  
وفي نظام هذا لفلك الدائر . وتارة يلمسها في الأرض . في الوهاد والودمة  
والأكام . وفي لطيف حياها اعرف ، وتحت صبره شمسها لباهر بهاراً ، وفي  
صفاتها ابديع حين يكسوها أشعة القمر أو أوار الجوم ليلا . وتارة  
يتمسها في تلك البحار الخائفة . بمواجهها المتلاطمه وسفها الساحره ،  
وفي كل ما وراء ذلك مما يصل بهذا التوحيد ، كما محمد يلمس  
الحقيقة الناصحة .

كان يمسو نفسه في سبيل إدراكها . يريد أن يعلو في هذا الفضاء

الواسع ، يريد أن يفصل بهذا الملكوت الأدنى ، يريد أن يحترق هذه الحب الكثيفة ، يريد بذلك أنه يعلم مكسور هذا السر العظيم .  
أجل لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم يفكر في هذا كله وهو بعيد عن الشر مقطوع عن الناس منزول في غار حراء .

في ذلك الغار الموحش المظلم ، في ذلك لظلام الدمار كان محمد يتلمس النور ، وفي تلك الوحشة يتلمس الأنس

ثم من ظلام ذلك الغار الداخلي ، "غار المهمل" الغار الحامل الذكر من ذلك الغار والظلام . سمع هذا المصباح لوفاة ، وأشرق هذا النور العظيم ، نور الإيمان واليقين ، نور العصبية والأحلاق ، ومن خلال ذلك الصخر الأسود يخرج هذا لمعان الصاغر معن الحصاد الإنسانية ، معين سعادة البشر وهناك .

لقد أتى على هذا العبد حين من الدهر لم تكن شيئاً مذكوراً .

لقد بقي هذا العبد عصوراً طويلة ، حامل الذكر ، مقطوع الأثر لا يذكره لسان ولا يسمى إليه إنسان . أمكن لما سطعت فيه أوار الرسالة وأشرقت منه شمس النبوة ، سررت فيه روح الحياة ، فتحرك بعد السكون والجمود ، وطلق بعد السكون والجمود ، قام من حيث يتنبأ أحاديث العظمة والحلال ، وبدا آيات النصحية والإفداء ، قام بصدق من على قمة ذلك العلم لشامخ بصوت يسمعه كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد قام ينادي بلسان درب صريح أشهد ألا إله إلا الله . وأشهد أن محمداً رسول الله . حرح محمد صلى الله عليه وسلم من غار حراء . وهو يحمل تلك الشعبة المقدسة - شعبة الإيمان التي هي من نور الله - ويرفع ذلك القوس المبارك ، قوس الإسلام الذي هو من كلمة الله

خرج محمد من هذا العار وهو يدعو الناس إلى وجهه الخير ويهديهم الطريق القويم والصراط المستقيم .

قام محمد يدعو قريش وعير قريش إلى ما فيه حيرهم وصلاحهم ، قام ينهائهم عن عبادة الأصنام ، ويدعوهم إلى طاعة الرحمن . فصار ضته قريش بالحدود والامكار وقاطنته بالابداء والعدوان . ( أريد حياته ويريد قتلى ) .

لقد جدت قريش واحتجبت وسعت السعي الخبيث ، وهدأت كلها في وسعها في مقاومة النبي ﷺ وصدته عن نشر دعوته حتى اضطار لرسول لأعظم إلى الهجرة إلى المدينة ، فخرج مهاجراً يترقب أن قد كان ، لذكر كذلك ، ولم تكن الأمور بحوائيمها ، والعبارة والعظة بنتائج الأعمال لا بمقدماتها .

لقد فعلت في كل ما في استطاعتها للقضاء على الاسلام وبنيه وهذا لاسلام قد عم سكرة الارضية شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً . وهذا انقرآن كتاب الاسلام يداع من أعظم مدن أوروبا وحواضرها . وهذه المساجد معاد الاسلام تشيد في أكبر عواصم أوروبا . وهذه ذكرى ميلاد الرسول تتحدد في جميع الأقطار الاسلامية عاماً بعد عام ، وجيلاً بعد جيل .

وهذا محمد بنى الاسلام يشاد بذكره على رؤوس الأشهاد . وفي كل يوم ينادى باسمه من فوق الشواهد ما بين المشرق والمغرب خمس مرات أشهد أن محمداً رسول الله ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . .

لم يكن محمد ﷺ سكرة في قومه . وإنما كان فيهم المرفد العلم .

كانت قرش قبل السيرة تلقبه بالصادق الأمين ان محمداً ﷺ  
نصفه وأمانته من حب قرش وعظمهم ، وبحكمته وسديد رأيه وعقليته  
العظيمة الفذة ملك شعورهم واستولى على عواطفهم .

أجر ان محمداً ملك شعور القوم واستولى على عواطفهم تلك العقلية  
لعدة انى حققت دعاء قرش ، وأثقت على شجعانهم وأبطالهم ، وحفظت  
سادتهم وقادتهم يوم كاد السيف يكون هو الحكم العدل ، فتطيح لرؤوس  
ونظير الأبدى .

يوم كاد نشب بين قرش حرب أهلية طروس ونزرة داخلية  
عظيمة . فتقصى عليهم طريق الدماء ، ونزل الداء ، وتيمم الأطفال  
يوم دعى ثل رعيم من رعايتهم ، وكل سيد من ساداتهم ، حق الأولوية  
يوضع الحجر الأسود في مكانه من بناء الكعبة عند تكميده لينال بذلك  
"أرف البادح والامحر لعظيم والسيادة القومية العامة . فتراصد لزعماء  
وتناكر الرؤساء ، وتحالفت القبائل ، وساند العشائر ، وحضت مكة  
يومئذ عمالة سوداء حالكة تدمر بحكمة هي الخطر الويل ، وفيها  
الويل واليبور .

فتقدم أحد رعايتهم - هو أبو أمية المحروم - وكان غافلاً بصيراً  
حكماً دارئاً وتدير ونصيره من اف الأمور ، فأشار عليهم بالتحكيم .  
وأن يكون الحكم أول داخل عليهم من باب الصفا فقل اسمح ذلك ،  
ثم انجبت الأنظار وضلعت الأنص نحو باب الصفا يترقبون أول داخل منه .  
وفي تلك الساعة الرهبة ، وفي ذلك الموقف الخطير ، وإذا بهم جميعاً وقد  
تهللت وجوههم ، واطمأنت نفوسهم ، حين أشرقت عليهم طلعة محمد الهبة  
وأطل عليهم ذلك الوجه الأغر الميمون المبارك . فرحب هذا الجمع المحفشد

بالصادق الأمين وحكمه في الأمر . فتقدم الحكيم العظيم . والحكم العدل  
برأيه وإخلاص . فسطر دأته على الأرض ، ووضع الحجر الأسود  
عليه ، ثم أمر الرؤساء والرعايا أن يمسك كل واحد منهم بطرف من  
الرداء ، فلما أمسكوا جميعاً أمرهم أن يرفعوه . فرفقوه . فلما حاذوا موضعه  
من البناء تقدم ﷺ ووضع الحجر بيده الكريمة في مكانه من السماء ، فعم  
السرور ، واطمأنت النفوس . وأدركوا جميعاً أن محمداً بحكته السامية ورأيه  
السديد ، قد أيقظهم من شر هذا الخطر الويل . الذي كان يهددهم بالفناء  
والدمار . لقد أراد الله لمحمد ﷺ أن يكون داعية الإصلاح وصاحب  
القول الفصل والشرف الأسمى . وراذه هذا إجلالا في نظر قومه وتقديراً  
لأصالته رأيه وعظيم حكيمته . وإن كانوا يولونه الأمر عليهم لولا إعراسه  
عن ذلك بما كان مشغولاً به من التوجه إلى الله والتهوي لددعه إليه .

عاش محمد ﷺ أربعين سنة قبل الرسالة . كان فيها محروماً مجاهداً ،  
ولعلك نسألي ما هذا الحزن . وما هذا الجهاد . ومحمد لم يكن بعد رسولاً ؟ ومحمد  
في هذا الدور ينعم بحياة بين أهله وعشيرته

نعم وأنه كان ينعم بين أهله وعشيرته بحياة فيها رعاية له . وعناية  
بشأنه . ولكن فقد أبويه من شأنه أن يجد ألماً نفسياً يتجدد بتجدد  
الظروف . وتتجدد حاجته إلى ذلك العطف الذي فقده صغيراً . وقد تقول  
إن شأنه يتما وتربته يتما لم يفتق طعم عطف الأبوبن تساعد على سيار  
هذا العطف ، ولكن مات من يرون هذا الإنسان يرى عطف الناس على أولادهم  
فيحسن ذلك قياساً يذكره أبويه ويجعله يحس إلى ذلك العطف ويشتاقه . بل  
ويكي لفقدانه إياه . أما جهاده فقد كان نفسياً ، وكان ذلك الجهاد حاداً  
وعنيفاً لأنه ينظر حواله فيرى ويسمع ما يخالف فطرته ، ويظل يفكر في

أمر هؤلاء القوم يعبدون الأصنام ؟ وكيف تحمل لهم عوائدهم وعقوبهم  
الموتقات وهذه الصفائر فهو من هذه الناحية في حرب نفسية ، يرى ما لا يجب  
أن يرى ، ويسمع ما لا يجب أن يسمع ، ولكنه مرغم على أن يرى  
ما يكره ، وأن يسمع ما لا تشتهي نفسه ، فهذا الجهاد لنفسى المزمع  
الى سن الأربعين .

هذا الجهاد النفسى "سرى" أعد رسول الله للجهاد العلوى ، لأن الذى  
يصبر على ما يكره وما يخالف عقيدته وصيغته أربعين عاماً لا بد أن يصبر على  
محاربه ، ولا بد أن يكون صبره حميلاً ، لأن الله أعد هذا الصبر . ولله  
أعد هذه هذا الصبر ، أعد هذا الجهاد لمؤمنين لمؤثرين .

إذن فلا عرلة أن يرسله الله رسلاً ثم يبقى عليه حملاً ثقيلاً بل  
لأنه إذا قلنا إن الله سبحانه وتعالى كان يقصو على بيه الى حد يذهب بحمل الحليم  
وصبر الصبور . ألم ترى الى قوله تعالى : « ولولا أن نقتلك لقد كدت تركى  
إليهم شتاً قليلاً إذا لأذناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك  
علينا نصيراً »

ثم انظر الى قوله تعالى : « فان استطعت أن تتنقى بقاء فى الأرض  
أو سلباً فى السماء فتأتينهم بآية ولو شاء الله لطمهم على الهدى فلا تكون  
من الجاهلين »

ثم انظر الى قوله تعالى : « استغفر لهم أولاً تستغفر لهم إن تستغفر لهم  
لهم سبعين مرة فلى يصبر الله لهم »

هذا الخطاب الشديد وأمثاله ، واللوم فى مسألة عداقة ابن أم مكتوم  
الضرب : وفى إحضاره أمر الله له بزواج امرأة محترقة - ريد - فى قوله  
تعالى : « وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك



واتق الله ونحو في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس ، الله أحق أن تخشاه ، وقوله تعالى : ، إنك لانتهدى من أحبب والكر الله يهدي من يشاء ، فهذه الذر وهذه العظاات كال يحصن النبي وقعها عليه

وقد سقت هذه الآيات ليعلم أن النبي ﷺ فوق ما كان يلاقه من إبداء قومه وعداوتهم له عداوة شديدة ، واعتدااتهم على داته الشريفة حتى الأطفال كانوا يرمونه بالحجارة في استهزاء ومن غير أن يحدوا راجراً ولا رادعاً من آباءهم وأمهاتهم .

سقت هذه الآيات لأرهم على أن وقعها في نفس النبي كان شديداً ، وأنه كالك صبراً أجداً على هذه لدر الإهنية غير أن الصبر على هذا وذاك كان صبراً حميلاً على نفسه ، وكان حلواً عداً على نفسه يقله رصياً ، بل يقله معتبطاً لماداهل هذا ، لأن الله ، حل كان يعمل عن عقيدته صادقة وإيمان صادق

وهذه العقيدة وهذا الإيمان يدفعان النفوس الكريمة إلى ركوب الأخطار والأهول والشدائد والرياح عاصفة والأفصار قليلون والأعداء كثيرون . بل هذه العقيدة وهذا الإيمان يدفعان النفوس الكريمة إلى استعداد الموت واستعداد الإهانة والإهانة حتمية في سبيل نصره المبدأ .

هكذا صرنا محمد ﷺ الأمثال العالية حتى جنى النصر بعد ما دنا ألوان الكبد - وأبراع الختل . ولما كان الله يكتب النصر في النهاية للحق ، وينصره نصرأ مؤزراً يكون له حلاوة ونعمة بعد الجهاد الممر بالطويل بسعد الناس رسالة محمد ﷺ وبفصحت القلوب هديه بعد طرد العناء ، وطول لشقاء مدعاهم إلى معرفة الله وهدى ودين الحق ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور . وكتاب أنزلناه إليك لنخرج الناس من الظلمات إلى النور

بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد .

نعت الرسول الأعظم للناس كافة فوجود في الكون ما لم يراه أحد من قومه وأسير مجرى الاحلاق والعادات والمشاريع العمرانية فهو من بناء الكون على أساسه حصيلاً متبداً . وعمد هذا البرهان جميع مرافق الحياة . ثم دعى الناس للدين بالدليل والبرهان لا بالسبب كما يدعون . ولا بالناس . أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة .

على هذا الأساس وعلى هذا المحر من الاستدلال العقلي اعتمد رسول الله ﷺ في دعوته الخلق إلى دينه الخالق وإلى الإيمان به مرها عن شوائب الاتحاد والحلول .

ولم يكن لله سبحانه وتعالى . - وقد أراد أن يقيم الحجة على خلقه بما يعقلون ويعتبرون - أن يلويهم عن طريق الرهائن الذي يملأ النفس بالعقيدة إلى معاجلتهم بآيات القهر والالقاء التي تسد عليهم مسالك التفكير والظن بل رد على من يفترحون أمثال تلك الآيات ويقولون لو لا أرسل عليه آيات من ربه نقوله : ( أولم يكفهم أنا أرسلنا علىٰ الكتاب يتلىٰ عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرىٰ لقوم يؤمنون ) وإن أمثال هذه الآية التي تقرر بوضوح كسفاية القرآن الكريم في إثبات الدعوة المحمدية . وفي اثباتها على التدبر والاستدلال وتأتي أخذ الناس من طريق الخوارق الكونية . إن أمثال هذه الآيات أكثر من أن نحصى وما على طالب الحق إلا أن يصح كتاب الله بين يديه ليرى أن السلاح الوحيد لذلك النبي الكريم بما هو التحاكم إلى العقل والتدبر فيما يحيط به من دلائل وآيات كلها بطفة بما يدعو إليه . شهادة بأن لهذا العالم حلقاً له السلطان المطلق والإرادة العامة ، والقدرة لتأديته ، وإله على كل شيء قدير وبكل شيء عليم .

هذه دعوة الإسلام . ولو أن هذه الدعوة كانت مما يتعاضى على العقول  
 فيها أو كانت مما يقف العقل أمامه تصور حادثاً آتياً ، لصح في نظر الحكمة  
 أن يقهر الناس على اعتناقها . ولصح إذن أن تحدث تلك الخوارق التي  
 يثبت العقل أمامها ، ثم لا يسعه إلا أن يقول : يا أيها المؤمنون : ؟ ولطل  
 العقل بعد ذلك في ديجور من الظلام الخالك . ولكن جاءت تلك الدعوة  
 كما ترى بسيطة سهلة لا تعجز العقول عن إسماعها ولا تصعب قلوب عن  
 فهمها . وإذا ليس صاحبها في حاجة ور . تنبيه العقول ، وحث مطايا  
 الفكر إلى النظر في ملكوت السماوات ، الأرض ( فن انظروا ماذا السماوات  
 والأرض ) ( إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار  
 لآيات لأولي الألباب ) ( إن الله فائق الحب والدرى يخرج الحى من الميت  
 ويخرج الميت من الحى ذلكم الله فأبى مؤفكير ) ( فائق الاصباح وحمل  
 الليل سكتاً والشمس والقمر حساباً ذلك تقدير العزيز العليم ) وهو الذى أنشأكم  
 من نفس واحدة مستقر ومسودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ) ( وهو  
 الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثياب كل شئ . فأخرجنا منه حضرأ عرج  
 منه حياً متراكماً ومن النحل من طلعها قنوان دابة وجأت من أعين والربوت  
 والرمال مشتبهاً وغير متشابه أنظر إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلك لآيات  
 لقوم يؤمنون ) . ( وجعلوا لله شركاء ألحقوا به خلقهم وحرقوا له بنين وبنات  
 وغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ) ( يدبغ السماوات والأرض أى يكون  
 له ولد ولم تكن له صاحبة وحق كل شئ . وهو بكل شئ عليم ) ( ذلكم الله  
 ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل . لا تدركه  
 الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير . قد جائكم نصائر من  
 ربكم فمن أنصر فليفسد ومن عصى فليعذب وما أنا بعبكم بحفيظ . وكذلك

نصرّف الآيات ولقولوا درست وليفته اقواء يمدون . . . إنسمع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين . . . ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً وما أنت عليهم بوكير .

اقرأ هذه الآيات ودع تسمى في فرارة قلبك وبفسك يرنم فيها أولاً بساطة الدعة المحمدية . وأنها لم تكلف الناس اعتقاد ألوهية المخلوق ولا حلول أحوال في المخلوق . ولا اعتقاد صبب الحزم الإلهوتي . وإنما طلست أن يقول الناس . . . لا إله إلا هو يديع السماوات والأرض لا تشركه الا بها وه يدرك الأنصار وهو للطف خير . . .

ثانياً : إن سلاح ليس في تلك الدعة كما قلنا - لا يتجاوز بسية لعقول إلى النظر في ملكوت سماوات والآلهة - وإن الله الذي هو خاصة الإنسان والعقل الذي سرته كافيان في إيمانه بتلك الدعة . إيماناً يقمه طيبة الشرك وصلان الوثنية .

ثالثاً : إن الإبرون - صاحب الدعة - ليس حفيظاً على أساس ولا وكيلاً عنهم حتى يؤخذ بحجرتهم . ويستل عن ديبهم بقدمه ذلك - إن كان - إلى أخدكم عن طريق العنف والإرهاب .

رابعاً . إن هذه الآيات تصدر من أنصر طبعه ومن عني فعبثها . هذه هي طبيعة الدعة المحمدية وه سبب . وسيمر بك ذلك تفصيلاً في محث - الجهاد في الإسلام - وإن دعوة هذه طبعيتها وتلك سبيلها لا يمكن أن يصق عاقل أنها محم في عبثها . ذكره أحد من اخلق على اعتنائها أو الإيمان بها .

وعني الرغم من جلاء هذا أحداً من طبيعة تلك الدعوة فالقرآن الكريم جده نصر مع الآيات التي تقطع على المؤمنين أطاعهم في محاولة اتخاذ الإكراه

كطريق من طرق الدعوة ، أو كسبيل من سبل إيمان الناس بها . « استمع الى قوله تعالى : « لا إكراه في الدين » .

واستمع اليه جل شأنه يقول لنبه . « فذكر إماماً أنت مذكر لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر فبعده الله العذاب الأكبر إن إلينا إيمانهم ثم إن علينا حسابهم » ، وقوله له : « أفأنت نكراه الناس حتى يَكُونُوا مَوْضِعاً » ، وقوله : « إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين » .

وإذا ادحر ما آيات القرآن ونصوصه الصريحة في تقرير مبدأ حرية الإعتقاد ، ونظرنا الى طبيعة الإكراه عليها . ولو أن الإكراه على العقيدة بما تتطلبه الشريعة ، لسكان وحده في نظر العقل لدى يتحاكم اليه القرآن ديبلاً كافياً لخصوم هذه الشريعة في مبادئها وعدده ملائمتها لمنطق العقل والنظر .

والإكراه هو إلحاح الإنسان الى ما لا يحب ويرضى . ولا ريب في أن هذا لاسلطاً له على العقيدة التي تملك القلب والتي من شأنها أن تستقر فيه أثر البر هي التي لا يجد القلب عنها مغيصاً . وإنما سلطانها على الجوارح في أن تفعل أو تدع ، أما أن الصل والترك يكن وفق العقيدة فهذا مما لا سبيل اليه بالإكراه . فنتيجة الإكراه تكثير سواد المناوئين الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم . وكما رأيت أن طريق الصل لا يزيد الإنسان إلا تمسكاً بعقيدته ، بل وكثيراً ما يكون الصل مغرياً بعدم التفكير بصحة العقيدة أو بطلانها . وبذلك يكون سبباً في التهاذي على الباطل الذي يستمر الإكراه على صاحبه طرق . البحث والنظر .

نعم قد يكون ظروف الصل سلطان . ولكن فيما ذا ؟؟ في إحقاق العقيدة وعدم التصريح بها اتقاء نتائج الإكراه في النفس والمال ، ولكن

لا تستطيع تلك الظروف معها اشتدت وطأتها أن تخمد نار العقيدة في القلوب  
فإن العقيدة لا تزال تحت مظاهير الحروف حتى إذا ما هبت عاصفة أثارت ما عليها  
من ستر رقيق وبدت تتأجج من طول ما احتست في الصدور .

هذا ، وإذا ما عدنا إلى ما أدرنا من كتاب الله تعالى في هذه المسألة  
نجد أنه يقرر أصلاً وصحاً في قول الإيمان وإهداره : فاقراً إن شئت قوله  
تعالى : . هل يظن أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض  
آيات ربك . يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت  
من قبل أو كسبت في إيمانها حيراً قل انتظروا ، منتظرون . وقوله لفرعون  
حيثما أدركه العرق : . آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به نوا إسرائيل  
وأنا من المسلمين ، الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . « اليوم  
نجيك بيدك لتكون لمن حلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون ،  
وقوله . . وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت  
قال إني تبت الآن . .

اقرأ كل هذا لعلم أن الله أهدى إيمان الأخاء عن طريق معاية العذاب .  
فهذا أصل ترجع إليه في إهدار الإيمان عن طريق الأكره والقلب مطمئن .  
« الكفر » ومنه ينبى أن الاحتيار الصحيح أساس عند الله للإيمان الصحيح  
ولا شك أن الأكره على المؤمن لا يمكن أن يوجد منه الإيمان . وإنما الذي  
يوجد معه أعمال الإيمان ومظاهره لا يفسد الإيمان . ولم يقر أحد أن أعمال  
الإيمان ومظاهره تحت ضغط السيف . هذه لقوة إيمان يقيم الله له ورناً ،  
أو يجعل الله لصاحبه كرامة . بل ترى « عكس » آيات القرآن الكريم تنبى  
بصراحة وقوة حقيقة الإيمان عن لم تملأ العقيدة منه . فيقول جل شأنه :  
« ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ، وما هم بمؤمنين ، يخادعون

« والله الذين آمنوا وما يحدعون ، لا اتقهم وما يشعرون » . ويقول لرسوله  
« إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله والله  
يشهد إن المنافقين لكاذبون » .

من هذا يتضح ما قلنا سابقاً أن طبيعة الدعوة المحمدية ، وكتابتها الكريم  
يأتين الإيلاء كله إكراماً على الدخول فيها أو إيجتها ، ولهذا أمر الله  
رسوله في الدعوة إليه بقوله : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة  
وجادلهم بالتى هي أحسن » ، وما كان الإكرام على قبول الدعوة بواحد من  
هذه الطرق الثلاث - الحكمة - الموعظة الحسنة - المجادلة بالتى هي أحسن  
واقدم كان هذا شأن الدعوة إلى الله على لسان جميع الأنبياء والرسل ،  
أنظر ما أمر الله به موسى وهارون حينما أرسلهما إلى فرعون ، وقولاً له  
قولاً لئلا نلعه يتذكر أو يحشى .

وانظر كيف كان إبراهيم الصلوات يعاج أمه - أي عمه - في الدعوة  
إلى ربه .

• يَا أَيْتُ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَمْلِكُ وَلَا يَنْصُرُ وَلَا يَنْجِي عَمَّا شِئْنَا ؟  
 • يَا أَيْتُ إِنْ قَدْ جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا يَأْتِيكَ فَاتَّبِعْ أَهْدُكَ صِرَاطًا سَوِيًّا :  
 • يَا أَيْتُ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا : ؟  
 • يَا أَيْتُ إِنْ خَافَ أَنْ يَمْلِكَ عَذَابُ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ؟  
 • قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ أَخَذَ آبُكَ عَنْ تَعْتِي بِالْإِسْرَافِ لَمْ يَنْتَهِ لَأَرْحَمَكَ وَأَهْيَرُ فِى مَلِيًّا  
 • قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ مَا سَتَعْفِرُ لَكَ رُبِّي إِيَّاهُ كَانَ بِي حَمِيًّا ، وَأَعْتَزَّلَكُمْ وَمَا  
 تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَا أَكُونُ بِدَعَاكُمْ شَقِيًّا ، .  
 • هَكَذَا كَانَ سَبِيلُ الْأَنْبِيَاءِ فِي دَعْوَتِهِمْ الْخَلْقَ إِلَى تَوْحِيدِ الْخَالِقِ .  
 • وَهَكَذَا كَانَ هَدَاهُمْ فِي التَّبْلِيغِ عَنْ رَبِّهِمْ ، وَفِي تَوْهِيهِ اللَّهِ بِشَأْنِهِمْ فِي كِتَابِهِ

وقال فيه لرسوله ﷺ : « أو أملك الدين هدى الله فبهدهم إقده » .  
وما كان لمحمد ﷺ وعند نصر الله عليه في كتابه هداية الأنبياء  
المتقدمين وأمره فيه باقتفاء أثرهم . ما كاره له أن يحيد عن سنتهم قيد شعرة  
ويفتح على نفسه نافذة يصل إليه بها سهام الأعداء والخصوم .

• • •

### شخصية محمد ﷺ

أحب أن أحدث عن شخصية محمد ﷺ صاحب التعاليم والأظمة  
الإسلامية لا ماعماره نبياً مرسل من السماء . ولكن بحلا حقيقه وحلقه ،  
وقوله وفعبه ، ليتبين القارئ مدى ثبات شخصيته تفردت عن شخصيات التاريخ  
كله بميزات لم يلحق بها أحد من شخصيات التاريخ على خلاف جواب  
العظمة فيها .

وهو تحليل لهذه الشخصية العظيمة ، حب على منكرى سونه أن يعترفوا  
بالوهمته ، فإن تعاليمه وشرعيته ليست آثاراً إنسانية  
وإذا قلنا إن محمداً ﷺ هو بحج درجن عظيم محض ، وحاولنا دراسة  
شخصيته على ضوء ما وضعه من نظم وتعاليم ، وما قال وما فعل ، يثبت  
لدينا أن النبي محمداً ﷺ أعظم شخصية في التاريخ وأولى بكثرة الإتياع



من كل رعيم سواه ، فيها دمية تقيد لتابع الذي يشد السكالات الإجتماعية والإرتقاء النفسى والذهنى

نشأ محمد ﷺ على ما ذكرنا فرداً أماً بينهما من أنويه ، فقيراً وحيداً فى أمة سكيره تسجد للإصنام ويسبوا أشرفها ، وتعيشي بجمعها عمرة من الفساد والإحلال والعصية والجاهلية .

وكانت الكتب السماوية اسابقة نشر من نوره مستجيء ، وكانت كل أمة تنمى أن تنجى السيرة لرجل منها ، وكان كل عظيم فى قومه يرجو أن يكون هو الذى الموعود . كان يرجوها من العرب أمة من أنى الصلت . وأبو سفيان بن حرب وعمر بن عبد مناف وعبد مناف وغيرهم . معاصروه وأهل جيله جميعاً ليس منهم إلا من اجترح موقفاً ، أكثر من مواقف بجمعهم أمما هو فقره والتاريخ وأكده به ياعد كل بجمعهم جيله واعكف فى المعارك - عار حرام - يفكر ويأمر ، وفكر والأهل عنوان صفاء النفس . وشفافية الروح .

ومع هذا الشير الروحى عن كانه معاصره ، ومع أن كهان العرب - بحيرى النصرانى - وورثة من رفس - نبت له بالسوة ، فإنه لم يتطلع اليه ولا انتظرها ، من مزع من السكيف . شكاً أمره الى خديجة . فامتحت هى الوحى الدال عليه . فهو إذن لم يضع الى السيرة ، ولا سارع الى فرصتها حين واثته بل تربث ونوقف

قال حصومه . إنه مصاب بمرض نفسى . وغم النفس الحديث يقول : وإن الأمراض النفسية تنشأ دائماً من عدم إمكان التوفيق بين مطالب الحياة ورغبات النفس . وهو لم يكن صاحب مطالب فى الحياة . ولا رغبات نفسية كما يقرر ذلك دأعنه المعروف . فتدبب به نشأ راهاذا لمن ، راهاذا العرب . راهاذا الحاد ، راهاذا ما عليه قومه من التماطر والماخرة .

وقالوا جحوداً وحسداً : إنه مجنون . وقد قال في حديثه الصحيح :  
 « محمداً قرئش برعمه انى مجنون وأما أركم في الشهر مرتين ، والمجنون يشأ  
 عاده عن الجفاف الدماغي أو يقتل به . ويشأ الركام عن الرطوبة الدماغية  
 فامجنون لا يركم . والرحل الذي يركم في الشهر مرتين لا يكون مجنوناً هذه  
 ناحية طيبة تنبئ عنه أكسوبة الجنون . ومن الناحية النفسية يقول العلامة  
 - فرويد - : « إن المجنون يرى كل شيء في الداخل ولا يرى ما هو خارج نفسه  
 وحياة محمد صلى الله عليه وسلم ونعاليمه وشرايعه وجهاده وتعليمه أصحابه وقومه  
 وعنايته بكل شيء شخصي واجتماعي وسياسي وحرقي ، كل ذلك يدل قطعاً  
 على أنه لم يكن يرى كل شيء في الداخل ، بل كانت عنايته بكل شيء في الخارج . .  
 ولقد قال - ويبر - الكاتب الإنكليزي المعاصر . « إن محمداً كان مريض  
 النفس ، ونسب أن يقول : لسبب مرض نفسه دأله العرب ، وسبب حصارهم  
 على حصانات الدنيا ، وأحضنوا في عهده وعهد خلفائه من بعده بمالك  
 الأرض . سيما قال الإنكليزي المصنف - توماس كارليل - في كتابه -  
 الأبطال - عند الكلام عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم : الحقيقة الكبرى هي أنه رجل  
 صادق ونبي مرسى . . ونسب - ويلز - أيضاً أن يقول : إن من قواعد  
 علم الاجتماع أن يصنع مجنون من مجتمع متحارب ، أمم واهمة مصابة بالكفر  
 والبلاء والخير ، وجيل هو أشبه بالخصم "يا من الميت مجتمعاً فاصلاً وأمة  
 موحدة متماسكة مؤمنة مجاهدة ، فلسفتها تعلق على مفلسفات وحضاراتها تكسف  
 الحضارات ، ويصنع من أخطأ الرذائل والوثنية نوراً وطهر آ وتقوى  
 الواقع أن من الظلم للقارئ ، ومن القصور في حق شخصية النبي محمد  
صلى الله عليه وسلم أن يكتب أن مقال عن شخصيته ذات الجوانب المتعددة الغنية سمات  
 العظمة ودلائل اسمر . لكنه توجيه يحمي علياً لاطلاع واتوسع في قراءة

حديثه وسيرته .

وقد أثبت التاريخ ، وكتب السيرة محمدية إن النبي محمداً ﷺ بعد أن دأبت له الحزيرة وأحل الله له المعام والمي ، ظل هو هو محمد ، لم تتغير أخلاقه ، المتواضع الخون المظوف المواسي لعشيرته الرقيق الوجدان والمشاعر ، الوفاء الروح ، الجائع تعفناً ، المحدث الفك ، الممارح لأصحابه وأهله الشجاع . . . الشجاع أدى يكره سفك الدماء ، فانه مع شجاعته التي ندل عليها مواقفه الحربية ومواقفه الاجتماعية ، وبوصفه التشريعية ، لم يقتل في حروبه بيده سوى رجل واحد هو - أنى بن حلف - لأن أياً أصر أن يقتل محمداً قطعته النبي محمد طعنة فارس حير . طعنه في ترقوته من خلال درعه ومغفره فقتله ، وهي فروسية أروع فروسية .

كان أول المتقيدين بتعاليم شريعته وبصور رسالته ، ولم يكن بفرضا على قلبه ويحبس منها هو ، بل كان في شرعه من التعاليم ما ألزم به وحده كقيام الليل - النهج - فقد كان فرصة على النبي محمد وبه لساير المسلمين ، وذكر خصومه السكادون أنه <sup>عليه السلام</sup> كان شهوا : فبدا عرفا انه تزوج حديجة وهو في الخامسة والعشرين ، وهي في الأربعين عجز لانصلح لشاب وطل معها إلى أن توفيت في الخامسة والستين من عمرها . ثم تزوج سودة بنت زمعة ، تزوجها أرملة للسكران بن عمرو بن عبد شمس وسنها خمسة وخمسين سنة ، ثم تزوج عائشة وهي البكر الوحيدة في روجاته ، ثم أم سلمة تزوجها ذات صبيان بعد ما مات زوجها أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، وتزوج أيضاً رين بنت حريمه . - روجة الشهيد عبيدة ابن الحارث - وهي في الستين من عمرها . فكل مصف يدرك أن روجاته <sup>عليه السلام</sup> لم تكن - وتلك هي أعمار أكثرهم وظروفهم - لشه ، أو غة في النساء ، وانكن كانت ترصية

لهم ، ومواساه عن فقد أزواجهم ، وإيواء وإعالة لمن لا عائش هاهن ،  
ونعصر روحاته ~~في~~ كانت لتوثيق الروابط بين القبائل المتنافرة ، وتأليف  
القلوب بالمصاهرة . وهي سياسة الداعي الرشيد . وقد استوفينا هذا الموضوع  
وأعطيناه حقه كما يرام في كتابنا - زهرة الخاطر - .

• • •

عناصر الشخصية ومقوماتها ثلاثة :

الخلق ، والخلق ، والذهنية .

كل عظيم من عظماء التاريخ تمكن لنا دراسته - مهما بعد زمده عن  
زماننا - متى عرفنا صفة خلقه ، وأخلاقه ، ودهنته ، وهذه كلها تعرف  
من أقوال أعظم وأفعاله ، وما وصفه به معاصروه

## خلق النبي محمد

روت الكتب المعتمدة أحاديث كثيرة من طرق مختلفة عن خمسة عشر  
صحلياً في وصف خلقه ~~في~~ .

فأرواه أنس بن مالك : أنه كان ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير  
وكان إذا مشى لطوال ضلهم ، ~~في~~ إن جالسهم كانت كتفه أعلى من حميمهم ،  
وأنه كان لا يبالئص الأملق - أي الشديد البياض الخالي من احمره والور  
- ولا بالأم - أي الشديد السمرة - ، أنه كان أنصأ من أمش بأمحه ،

ولا ملجعد القلط ولا بالسط . .

ومن حديث أنس ومطابقة لرواد الصحابين لروايته . ومنهم من  
 من أنى هالة - وهو ريب النى - وكان وصافاً مشهوراً ، يعلم أن  
 النى محمداً ﷺ : كان صحيح البدن مكمل القوة لم تصه أعرص الشيخوخة  
 فقد سبغ الثالثة والستين وما في رأسه من الشعر الأبيض غير عشرين شعرة ،  
 حيوية عده  $\frac{1}{2}$  بقيت على قوتها .

ومن وصف همد بن أنى هالة وغيره المشية النى محمد ﷺ : يعلم أنه نصبه  
 الشيخوخة في أى مظهر من مظاهر حيويته . فقد أحصوا على أن النى محمداً  
 ﷺ كان إذا مشى يتكفأ - أى يمشى إلى فداء كالفنية في حريها - كأنها  
 يسبط من صب - واه إذا زال - أى خطا - زال فداً يحطوا تكفوفاً ويمشى  
 هوياً ذريع المشية حين يمشى - أى واسع الخصر ، والتقعع هو رفع الرجل  
 من الأرض بقوة وهمة - ومن صفة مشته بعدائه لم تكن فيه خيلاء ولم يكن  
 به ضعف ، فصاحب الخيلاء إذا مشى يهاب كالغص وهوأ ، أو يصرب  
 الأرض قدمه عتواً ويرفعها بطة تعالي . أو يحرها على الأرض صلفاً ،  
 وصاحب الضعف والخيلاء كلاهما يجر رجليه على الأرض جرأ . وليس هذا  
 ومثله من صفات النى محمد ﷺ .

وكان . حب الصدر عريض الكتفين ، وما صفتان يفرد بهما الرجل  
 الخليم القادر على صبط نفسه ، وإذا كان الرجل عريض الكتفين وغضوباً  
 فهو غير رحب الصدر أبدأ ، فما احتمعنا إلا توافر لصاحبهما الخلم  
 وصبط النفس

وعن على  $\frac{1}{2}$  . لم يكن  $\frac{1}{2}$  بالمضيم - أى المتفطح الوجه -  
 وكان سهل الخدين غير مرتفع الوجنتين ، ولا بالمكلم - أى المستدير الوجه

وفي حبر هدير أن هالة . إذا انتصب إلى أحد التفت معاً - أي التفت بكلمة - بين الإلتفات ناحية من لوجه أو الجسم فيه معنى قلة الإهتمام . ولم يكن من خلقه ~~من~~ عدم الإهتمام محدثه أي كانت مكانته . وجاء عن ابنه الحسن ~~عليه السلام~~ ، أنه ~~كان~~ كان خافضاً يتدلاً وجهه تدلاً القمر ليلة البدر ، أرتاح أحواجب ، سواسع في غير فرق ، بينهما عرق يدره العصب ، أفنى العريين ، مادن متماسك ، معتدل الخلق ، سواء الصدر والبطن .

من هذه الصفات الشكليه لى محمد ~~عليه السلام~~ ينسب أنه كان مترفعاً رفيعاً جميل الطلعة مهيباً يتألف الناس شكله ووسامه . فيه جدية شخصية ، يرى من التناظر الذي تنبؤه عيون ناظرين ، وفيه تأسق وناسب تركيب تستلحه مشاعر الناس ويحتذب إليه من يلاقيه ، فإذا سمعه اطمأنت نفسه بإيمان صوته وثبات نطقه ونساجة مظهره وصدق عبارته وأدائه .

وكان ~~يقول~~ يكثر دهر رأسه وتسريح لحيته وكان لا يعارفه في حصر ولا سفر سواكه ومشطه ، وأنه كان ينظر في المرأة إذا سرح لحيته ورأى رجلاً أشعث الشعر فقال : ما كان يجد هذا ما ينظم به رأسه . ورأى رجلاً عليه ثياب وسجة فقال : ما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه . وهذا لحرص منه ~~عليه السلام~~ على أن يكون القدوة لاتساعه في تعليم الطائفة والمحافظة على حسن المظهر ولياقة الخدماء مع ما تبين من تناسق تكوينه الجسماني يعطى أروع صورة يجب أن تكون الرعيم أو ربس القوم . فإن أحداً لا يتصور رعيماً أعور أو أعرج أو ماز البطن أو منحى الظهر أو صغير الرأس قصير القامة صامراً أو صبيح الصدر عريض الأكتاف أو متهدل اللحم حشيش المظهر مهبل أو متأنقاً مسرفاً . إلى آخر الصفات التي نطعن على شخصية

صاحبها الشكيلة .

من هذا نستعرض الصفات الخلقية للمحمد ﷺ فنعلم من كتب السيرة ومن كتب الحديث أنه اجتمع له من الأخلاق الإنسانية العالية ما لم يجتمع لسواه من عطاء التاريخ . فان عظمة رجال التاريخ تقوم دائماً على جانب بعينه ، فالطش والتهود الذي يسمى شجاعة ، والقسوة والاسراف في القتل كانت أساس عظمة هولاء ، وتيمورلك ، و نابليون ، والحب والشفقة كانت أساس عظمة بouda الهندي . أما أن نجد عظمة تقوم على البطولة والشجاعة والحب والشفقة والنفو والحرم والتكليف والتيسير مثل ما ستقرأون فلا . نعم لا .

لقد كان من خلقه ﷺ أن لا يشق على أصحابه . حتى انه حين يتحدث كان حديثه لوعده انما لأحصاء - أي انه لم يكن يدعم الحروف ولا الكلمات ولا يسرع في قوله - وكان يكرر ما يقول ثلاثاً حتى يستطيعوا أن يفهموا ويحفظوا ما قال . وكان ينهائهم أن يشقوا على أنفسهم بالعبادات ، أو يجرموا على أنفسهم ما أحس الله هم معالجة منهم في الدين . وكان يأمر قواد جيوشه بالرفق في السير بحيث يقدر عليه أضعفهم ويحفظ به قوا أقوامهم . وكان رحيماً بأصحابه ، باراً بالإنسانية كلها ، صبوراً على الأذى .

روى أنه لما تولى ﷺ وقف عمر بن الخطاب يبكي ويقول : . . . أناي وأمي يا رسول الله لقد دعا بوح على فرمه فقال : . . . رب لا تدر على الأرض من الكافرين دياراً ، ولو دعوت مثلها عليها لهلكا من عند آخرها ، فقد وطئ طهرك وأدى وجهك وكسرت رباعيتك فأنت أن تقول لا خير آفقت : . . . اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون . . .

فهذا غاية الحلم بل فوق غاياته ، حلم وسعة صدر ، وعظمة نفس على

قد حط العظيم أو الزعيم منها ، تكون رعامته وعظمته . وأما رفقته بالإنسانية وره بها فقد أصابت قريشاً سنة قحط ، وكانوا في حرب معه بني قريظة جمع الأقوات وأرسلها إلى رعيهم أنى سفيان ، فهل سمع أحد بمش هذا من محارب لمحاربه .

ويتجلى رفقته بالإنسانية في شريعته فيما يتعلق بالرق ، فإنه وصى بالرفيق جميعاً لافرق بين مصدق به ومكذب ، وجعل عتق الرفيق غير قاصر على المسلمين من الأرقاء بل حق شايع لكل مرقوق .

وهذا الذي جمع الأقوات فأرسلها إلى قريش وهو على إبادتهم أو تركهم تقتلهم الجماعة فدير . هو نعيه الذي مع القرشيون عنه القوت قل ذلك ، وهو مع أصحابه وأهله في شعاب مكة ، وتعاهدوا - العهد المعروف في التاريخ - على أن يتركوه وأهله وأصحابه يموتون جوعاً ، وعلقوا معاهدتهم بالسكبة ، ومع ذلك لم يجرم على سيئاتهم نسوة بل أحسن إليهم . وهو الذي جاءه قاتل عمه حمزة ليسم - حمزة الذي كان أعر شاب قريش وأسماءهم مكانة ولا صريب له فيهم - والذي قيل له وهو عائد من صيده إن أما جهل لطم محمداً فضى إلى السكبة لفوره فطعم أما جهل واستعد للحرب تقوم يده وأناعه من الشباب الذين يتزعمهم ، وبين قوم أن جهل ، وحى الرسول ونصره وأعر كلمته - جاءه قاتل حمزة معروف النصب في وجهه ، ولكنه لم يرد على أن حول وجهه عنه ، وقال أعرب عني لأتربى وجهك ، وكان على أن يقتله فدير ، وصاحب حق شرعى وعرفى

ويروى من وجوه عديدة أنه بني قريظة عاد مع أصحابه من عروة فأدركتهم القائلة في واد كثير العصاة ، فنزلوا ليستريحوا ونام رسول الله ﷺ تحت شجرة علق بها سيفه ، وبام أصحابه متفرقين ، وإذا عنده أعرابي مشرك



اختلط سيف النبي وقام على رأسه وهو قائم ، فالتفت النبي وإذا الأعرازي على رأسه وقد أخذ سيفه وهو يقول من يملك مني ، فقال له النبي الله ثلاثاً فسقط السيف من يده فأخذه النبي وقال من يملك مني فقال الأعرازي ، كن خير أحد ، فعرض عليه الإيمان بنوته فأبى فحلى النبي مع ذلك سيده ولو قتله لما كان إلا جازياله بفعله .

ولا يحفل أحد قرأ تاريخ عمته محمد ﷺ ، وتاريخ العرب ما فعل به أهل مكة ، وما صبروا عليه وعلى أصحابه من أنواع الإيذاء ، وأنه كان يتحرق المساء لما يصيب أصحابه ، صابراً على ما يصيبه هو ، فدادامل بعد أن قدر على القصاص منهم ، وصار فيهم أميرهم وسلطانهم والقائد الطاهر بهم فتح مكة في حرب التأديب التي أعلنها على قريش حين نقضت حلفتها - نوكر - عهدهما مع خزاعة حلفاء النبي فوقف فيهم خطيباً قال : . ما تظنون أرى فاعل بكم - وكان طبعياً أن يظنوا أنه معق لهم المشاق . وموص بالسيوف البواتر تحر أعناقهم جراء ما قدموا له من إساءات ولرسائله من عقبات ، ولكنهم وهم أعلم بحلقه وعلو نفسه - قالوا نضل حبراً . أح كريم وابن أخ كريم ظهرت وقدرت فإن عاقبت فتح أحق بالعقوبة وإن عفوت فأت أهل العفو قال ادعوا فأتهم الضعفاء . وعنى عنهم بهذه القولة دعوا شاملاً أفرادهم جميعاً ، وجرائمهم جميعاً .

وكان محمد كريماً زاهداً ولم يكن فقيراً ، فهو في مطلع شبابه يتحر في أموال السيدة خديجة ، ثم هو روحها المصروف فيما تملك ، ثم ورثها ، ثم صاحب الفقه في الحرب ، وكم غم عائم كثيرة ، ولكنه مع ذلك كان يجوع يوماً ويشبع يوماً . وكان يرتاح إلى هذه الحياة حتى يصرع إلى الله إذا جاع ، ويشكره إذا شبع .

أما كرمه فعليه آلاف من الدلائل ، وحسبك أنه ربح من غنائم الحرب خمس أسلاب الأمم التي غزاها وانتصر عليها ، وهي كثيرة : ثم لم يشع من حزن الشيعر كما اتفق الرواة عليه .

وهذا الخسر يساوى ثروة أعظم عرش في عصره <sup>يبلغ</sup> أو يريد كثير أ .  
وصفة الكرم فيه ضرورة للنبوة ، لأن النفس التي تميل الى أسباب الترف - وهي ما يعرفه المال والثراء - نفس دليّة أسيرة الأمانى الكواذب الدنية ، والمطامع الحقيرة المادية .

أما نفس الراهدة القوية على مطالب الحياة والمستعينة عن ضروراتها فهي النفس التي لا تقهر ولا تعب ولا يعرها شيء من عيانات العبد .

فعل هذا النهج ، وبمثل هذه العمة أداها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يصوغ المسلمين فما أنعم المسلم الذي تستعده شهوة المال ويتهرب حب الثروة ، وما أشدّ تخلفه لميرة بيه وبعده عن أصل من أصول الإسلام ، وإن حج وصلى وصام وهذا الى الذي له في قومه وأصحابه وأتباعه مرله التقديس . كان يحصف نعله ويحيط ثوبه بيده ، ويحب شأنه ويعمل ما يعمل الرجل في بيوتهم وذلك لتواضعه ورهده وعلو نفسه ، وكان لا يستكف أن يمشى مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضى لهم حاجاتهم : وكان يزور الأيتام ويسلم على صبيانهم .

أما دليل شجاعته فهو مقاتل في حرب الفجار وعمره عشرون سنة وقوله : . وددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحييت ثم أقتل ثم أحييت ثم أقتل . .  
واليك دليل على شجاعته يفوق كل دليل . حين لقي المسلمون وكفار قريش في غزوة حنين ، كان المسلمون يفرقون خصومهم عدداً ، ففل المسلمون أمهم عالون وأعنتهم كثرتهم . فوقعوا في كس عامر مواتت النبي

محمد ﷺ في عشرة فقط من أصحابه ، ومن الطبيعي انه ثبت محارباً يقوم  
عملة جيش كامل ولم يثبت منفرداً ولا ثبت ليأخذ أسيراً أو يقتل ، وكان  
ثباته وإهاتته بالمسلمين أن يجمعوا اليه ، داعياً الى تجمعهم ثم انتصارهم . وفي  
هذه الواقعة أصابه ﷺ اذى كثير هو أسع الأدلة على شجاعته الحربية  
وعظمة قيادته ، وهو موقف لو تعرض لثله غيره من أبطال العالم لما ثبت  
دقيقة كاملة بعده أو يقتل أو يؤسر

والحلقة يمكن لمن شاء معرفة الى ﷺ أن يراجع القرآن . فقد كان  
حلقة . رضاه يرضى وسخطه يسخط . عليه ربه كيف يشئ ، وكيف ينام ،  
وكيف يحارب ، وكيف يسالم ، وكيفية سائر الآداب الاجتماعية كما زحر القرآن  
بتفصيلها وتوصيحها

## ذهنية النبي محمد ﷺ

رأى القراء من عرض صفاته الخلقية والأخلاقية ، كيف انه يسمو  
على كل شخصيات التاريخ .

ومحب قبل أن تتكلم عن ذهنه العظيمة المبيرة أن نقول استطراداً كلمة  
لا بد منها . هي أن النبي محمد ﷺ لافضل لمجتمعه في تكوين ذهنه . ولا  
في أي صفة من صفاته النفسية الممتازة ، فان محمداً لم يخرج من مجتمع قوم

فلاسفة كان فيهم نظراء أرسطو وأفلاطون ، ولا نعت من مجتمع قوم مؤمنين  
ولا من بين قوم أهل كتاب ، ولا من مجتمع كانت فيه بطولية كبطولة  
الإسكندر ، فتكون بنته قد منحت تلك الصفات ، ولم يكن له معلم ولا  
مرشد ، فكل عيراته إذن كانت له بالعصرة لا بالكسب ، وعطرته هي التي  
عزلته عن شرك العرب وباعدت بينه وبين عاداتهم الوثنية ، وعكفت به في  
عاز حراء ليكشف ويتأمل . وما أحسن قول - كارليل الإنكليزي فيه - .  
« كان عصره وقومه خطأً يائساً ميتاً أصابه هذا الشهاب فأحبه وأشعبه وأضاء  
به ناراً مقدسة هادية » .

لم يخلق الخطب الياس الشهاب المحمدي . ولكن الشهاب خلق من  
الخطب ناراً وطهراً وتقوى . وما أحسن قول - كارليل - أيضاً فيه .  
« الحقيقة الكبرى هي أنه رجل صادق ونبي مرسل » . وما أصدق قول  
فيلسوف الألمان ، وشاعرهم الأكبر - حوت - عن شريعة محمد . « إذا  
كان هذا هو الإسلام فكنا مسلمون » .

ويعلن لنا تاريخ النبي محمد ﷺ إنه لم يتأثر حتى أحد قبله ، ولا  
انتزع مساجاً لعظيم سبقه ، ولا مصت شريعته على نسق الشرايع القديمة  
فيكون مقلداً أو ناقلاً ، بل جاء لمجتمع متحرب فأفاد قواعده على مادي .  
الحق والخير والفضيلة ، « لفوس محطمة » ، فساد في جوارها محد الإنسانية  
النييلة .

واعجباً للذين يطعنون على النبي محمد ﷺ ، رجل محق من المجتمع الذي  
نعت إليه مفاصد الرق ، ومفاصد الخمر والزنا ، ومفاصد الوثنية ، ومع  
قومه وكل المؤمنين رسالته - من غير قومه - محمد الدولي ، والكرامة  
الشخصية ، ونشر العدالة الصحيحة ، وإفناء مكابم الأخلاق ما تحمل ما تصورهما

أحلام الفلاسفة وجاء كتابه تمجيد الله والتحرير على التعاون الإنساني والترعيب في الإحسان ، وترقية الروح ، وتحريم ما يؤذي البشر في أجسامهم أو معيشتهم ، وبيان أحكام سياسة الانسانية ، ومدح الأسياء جميعاً بلا تفرق بين أحد منهم ، وحدث الناس عن العيب الآخر : القيامة والحشر والجزاء ، ودعا الى الكرم والسخاء - وكان قدوة فيها لقومه - والرفق والعفو ، ومقاومة الإساءة بالاحسان ، ومحبة الله مع إجلاله .

هذه هي مطالب القرآن ومقاصده ، أفلا تشهد للداعي اليها بالهبة .  
 يعود الى الكلام عن العنصر الثالث من عناصر الشخصية المحمدية ، وهو ذهنية انبي محمد ﷺ وكان يكفينا أن نقول في إثبات تفوقها على الأدهان جميعاً انها قاومت كيد العرب لدعوته ، وعظمت وسائلهم وذكائهم اللامع المدبر لقله . وساست دولة لإسلام في عشرين سنة حتى مات ﷺ بعد ما حج معه في حجة الوداع ما فو أرملة عشر الأمان المسلمين . ولمكننا سذكر وقايع معينة من وقايعه الذهنية لعدة بحيث لا نطيق .

حين اشتد أذى قريش لأصحابه أمرهم بالهجرة الى الحبشة . لأن  
 ذهنيته رأت أن لقوة الإحتمال النفسية والجسدية حداً ، وإن أذى قريش  
 هؤلاء المسلمين المستضعفين يترايد . فأمروهم بالهجرة حتى لا يفتنهم المشركون  
 عن دينهم . واحتار عقله لقوى مملكة الحبشة لأن ملكها كان من فريق  
 البصاري المؤمنين بنبوه عيسى عليه السلام ولم يكن من المؤهلين له ، وذلك التوافق  
 في المعتقد بين رأس الحبشة وبين العارفين اليه بعقائدهم كفيل راحتهم وأمهم ،  
 وذلك هو الذي كان عذما كالم رعناء المشركين الحاشي في أن يسلم هؤلاء  
 المهاجرين فافهمهم . فلما علم بأمر دعوة النبي محمد وآله بقي ألوهة عيسى فأس  
 على صدقه في هذه صدقه في غيرها ، وعلم أنه الذي بشرت به الأنجيل ،

فأوسع هم من رحابه ، وأرسل الى النبي الكريم رسالة كريمة . وآمن به ،  
ولقد صلى عليه النبي صلاة جنازة العائب يوم مات .

حين انتشرت قريش عماكرها أبو جهل ، وهو أن يجمعوا من كل  
قبيلة شاما ، فيجمعون ماءه يقفون على دار النبي ﷺ فإذا ماخرج قتلوه  
قتلة رجل واحد ، أو يهجموا عليه وهو نائم في فراشه فيقتلوه فيتفرق دمه  
في القبائل فترضى قومه بنو عبد مناف بقبول الدية علم ﷺ عماكروا  
إذ أوحاه الله تعالى اليه فأمر علياً ﷺ بالبقاء في فراشه ملتفاً برده ، ليطمئنا  
على وجوده في شته ، وانهم مصبحوه بمكرم السوء ، وحرص عليهم في الليل  
وقد عموا عنه . فلما لم يسهف ذهنه فكرة الحجرة ، ثم أحكمها ترك بديل  
ملتف برده ، لانتبهوا وهم رقبوه في يومه الى عدم وجوده ، فلاحقوا به  
قبل أن يخرج من طرقات مكة .

وفي سيرة النبي محمد ﷺ أروع من هذا الذي ذكرت وأبعد ، ولكننا  
أمثلة نحضرنى ، ولعلها نكنى الى التوجيه الى قراءة سيرته ﷺ ونكوس  
الملك لدى لقائه التي يستطيع بها دراسة مايقرا من السيرة ، دراسة  
فلسفية ، واستخراج دلالات ماحررت به الكسب وبدأ بدون أن  
تستخرج دلالاته منه .

أو تجمع الوقائع والحوادث ومسية الى تحيل الشخصية وتعليل فلسفة  
محمد وعقريته في تطبيق ما أوحى به اليه . فان من مزايا الرسالة المحمدية ،  
ان الرسول الأعظم عليها لأصحابه وحرصهم فيها أساتذة فاهمين .  
وصفوة القول يمكن لمن شاء معرفة النبي محمد ﷺ أن يراجع القرآن  
فقد كان حلقه برصاء يرضى ، وبسطة يسقط ، عليه ربه كيفية سائر الآداب  
الاجتماعية والتحرير على التعاون الانساني ، والترغيب في الإحسان ،

وترقية الروح ، ونحرهم ما يؤدى البشر في أجسامهم أو معنوياتهم ، ويسان  
أحكام سياسة الإنسانية ، والكرم والسجاء ، والرفق والعفو ، ومقابلة  
الإساءة بالاحسان .

وإني لأدعو كل إنسان يريد المجد ويطمع اليه ، أن يقرأ ويدرس  
ما وضعه النبي محمد ﷺ من نظم ومثل عيا ، لتأثر بها مشاعره وحلائقه  
وها هي بين يدي القارئ رسم خطوطها في فصول من كتابنا هذا ( الثالث  
من الجواهر الروحية ) للتدليل على خطر قدره ، وسوء شرعه

## محمد ﷺ على أنه إن الأولوية

من من الناس لا ينقلب الحرية وسمى لها ؟ ومن من الناس يرضى أن يوصف بصفة العبودية - وفيها منتهى الدلة - لمولى يتصرف فيه كما يشاء ويحرمه لم يريد ؟ فلا عرو إذا ما نهر منها كل من له شيء من الشعور بالذات والإحساس بالكرامة .

والواقع أن الناس جميعاً مسعبدون لشهواتهم . مسحرون لتحقيق ما تأمله عليهم بعوسهم المظلمة على "شر وهم لا يشعرون أجل : من الناس من هو مولع بحب حباً يأخذ عليه مشاعره فيجده في طاله ويعمل على جمعه "أي وسية مهم كفه" لأمم ، وبها صادفه في صريقه من خاطر أن يسمح بدائق منه في وجهه أو عن حيز . وهو في النيحة سيطرة إذا مات من يأخذ منه منه شيئاً ولو عن أمان هؤلاء لا أدركوا أنهم قد أصاعوا الوقت في غير مصلحة وطلعوا من الحياة بغير كسب ، وهكذا كل من يصرف أوقاته في اتاع هواه وما عليه عليه منه من أنواع الملهيات ، يعمون في السير وراء غرائضهم وإشباع شهواتهم التي لا تدعوهم إلا إلى لذة موقته ، ونعيم قصير الأمد .

والناس كأنهم عبيد لله لئدي خلقهم وورقهم ودعاهم إلى طاعته ووعدهم بجنه . ولكنهم لا يشعرون بهذه العبودية ولا يحسون بمبلغ نعم الله عليهم



وحاجتهم اليه فلا يحاولون الإتصال به وأداء واجب طاعته ، بل ربما نفروا من الإتصاف بها . والشعور بالعددية لله وحده في الواقع هو الحرية الداتية التي يتطعمها كل عاقل كشف عن باطنه حجاب العقل فأدرك أنه لا بافع ولا صار إلا الله تعالى ، فلا يسعى أن يكون لأحد سلطان عليه سواء . وأن النفس إنما تدعو الى لذة فانية والله يدعو الى جنة ع صها السماوات والأرض أعدت للمتقين . وأن الناس كلهم سواء لا تفاصل بينهم في الحياة إلا بقدر ما يقدمونه من عمل صالح ينبي ذكره ويطل أثره ويدوم نفعه . هذه الحقيقة إذا تمت بمعاقل لا بسعه إلا أن يسمع عن كاهله بين الإستعداد لأي إنسان بل حتى لنفسه التي بين جنبه . ويحه بكليه الى الله يفقد أوامره ، ويسعى لرصاه فلا يست أن يدوق طعم حبه ، ويحد أثر هديه ، ويحس بالعناية الإلهية وهي توبده في كل عمل ونعبه على كل صعب .

وهذا ما حصل لخليل الله إبراهيم ﷺ عندما أسكر على قومه عبادة الأوثان التي لا تسمع ولا تشفع ولا تن من الله شئاً ، وأحد يبحث عن الله حتى عرفه ، فوجد عنده اليقين والإطمئنان فلم يعبأ بما ساءه وعذبت وحد البرد والسلام في بابه بدلا من الآلام وشبه نعمة الراحة في الهجرة والسياسة ، وأكرمه ربه وأجر له الصاء وهذا ما حصل أيضاً لخليفته من بعده محمد بن عبد الله ﷺ فقد أدت عليه نفسه المكريمة أن تدب لعير إله واحد أحسنه في نفسه وعرفه بآلائه ، فتوجه اليه بفكره ، وبالغ في حبه فهجر الناس من أجله . وضحي ملذات الحياة في سبيله ، وآثر الرصاء بما لاقيه من أدى قومه على ما عرصوا عليه من المال والجاه ، فأبده الله وبصره وأمله برفيقه ، فكان حاتم النبیین ، وإماماً للناس أجمعين .

فلا عرو إذا فاجر ﷺ بعد دينه لمولاه وعمل بما تقتضيه تلك

المعروية من الضاعة . وأمر أصحابه ألا يتجاوزوها في مديحهم له حيث قال :  
 « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، وإنما أنا عبد فقولوا عبد الله » .  
 حسناً ما أعظم هذه الكلمة التي يدل على كمال المعرفة والإعتراف بمتهى الدل  
 والخضوع لله رب العالمين .

وكيفاه خير آمنا ، وما عسانا أن نمدحه ماكثر من هذا . أنهم إلا  
 أنه رسول الله . والرسالة من الملوك تعطى للرسول قيمة المرس ، وتقرص  
 تقديره واحترامه . فما بالك بالرسالة من قاهر الملوك ومالك السموات والأرض  
 رب العالمين للباس أحميم ، أهد هذا من غير وشرف . عبودية صادقة  
 سالمة لله ، وسالمة من جن وعلا للباس كافة ما أسعده صلى الله عليه وسلم من  
 الشرفين المعينين والمقامين الرفيعين . ولا محل له مادة على هذا . غير أنها  
 ونحن نصدق ذكر مقامه وفصله . رى من وأحدنا أن نذكر بعض ما وصفه  
 الله به ، أو ما وصف به نفسه من ما لا يحدث نعمة الله عليه ، فانه يؤتى  
 فصله من يشاء .

لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم رسولا من الله الى الناس لمجرد التبليغ حسب ،  
 بل لقد عهد الله اليه أمر هداية الناس إلى ما ينفعهم في أمر دينهم ودنياهم .  
 قال تعالى : « وإليك لنهدين الى صراط مستقيم ، وهداية اناس يستمالهم » .  
 البشير ، من هي مهمة شاقة يعجز عنها فطحت لرجال وأكار الحكماء .  
 ولقد حول الله رسوله أن يجاهد في هذا السبيل بكل ما آتاه من مال وجاه  
 وسلاح : « يا أيها الذي جاهد الكفار والمنافقين واعظ عليهم » .  
 ولقد صدق رسول الله بهذه المهمة محكمة وثقة وشجاعة مادرة ، تجاهد في  
 الله حتى جهاده ، مؤثراً في ذلك الحسى والنطق على الشدة والقوة ومتدرباً  
 بالصبر وحلم ومكارم الأخلاق حتى منع عاقبه وأدى مهمته ، ونشر دينه في

الخافقين ، ولم يلجأ إلى استعمال القوة في فرض هدايته على الناس ، بل كان يقول عند إيداء قومه له : « اللهم إهد قري فإبهم لا يعلمون ، ولم يلجأ إلى الحرب إلا دفاعاً عن دينه ورد الأذى عن قومه ، عملاً بقول الله تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، ولقد أطرى الله رسوله وأثنى عليه بذكر فضائله من عدة نواح يحصرها ما يأتي . أولاً : من الناحية الخلقية ، إذ هي البقطة الأساسية في مقومات الإنسان . فقال له تعالى : « وإنك لعل خلق عظيم ، وهذه شهادة من الله لرسوله بأنه دل منتهى الكمال الشرى في هذا الباب الذي شمس جميع الخلال الحميدة . وهي شهادة مانعها شهادة . ولم يسبق أن تفصل الله بملها على أحد من رسله السابقين .

ثانياً : من الناحية لعليه حيث شهد له جل وعلا بأنه هو المعلم الذي مسح العلم بطريقة غير مكتسبة ولا مألوفة . من فصلاته وكر ما حيث قال : « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم . وكان فصل الله عليك عطياً . ولم يكنف بهذا العلم الذي منحه ليه بل به صرح جل وعلا بأن رسوله قد منع في هذا الشأن مكافأة تؤهله لأن في النفوس ويثقف العقول ويعلموها علماً لم تكن تعلم به حيث قال : « كما أرسلنا فيكم رسولاً مما شئتم عليكم آياتنا وبركيتكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ، ثالثاً : من الناحية التهديدية الروحية ، حيث شهد له تعالى بالقدرة على التأثير في سامعيه وإنذاره طريقهم في الحياة حيث قال : « وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم .

رابعاً : من الناحية الدبية ، حيث أحرر الله رسوله بعظمة المهمة الملقاة على عاتقه ، وهي انتشال الناس من ظلمات الجهل بحقائق الأمور

وأصول الأشياء، مما يؤدي إلى الكفر بالله تعالى وإشراك غيره معه . ويدد بور اليقين بخالق جميع الموجودات المهيمن على كافة القوى الباطنية وما فوق مستوى العقول البشرية حيث قال . « كتاب أنزلناه إليك لتفجر الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » .

خامساً . من الناحية العملية ، حيث أخبر الله رسوله بأنه لم يكن يريد من رسالته إلا مجرد إيصال الرحمة إلى عباده . ولذا فمن واجبه أن لا يصيق درعا في هدايتهم . ولا يكل من دعوتهم فيتعجز الدعاء عليهم بالحرب والدمار إدهم حالهم وأبوا اتباع هديه كما حصل من سبقه من الأنبياء . بل عليه أن يعمل بكل الوسائل والطرق على إصلاح شأن العالم ، واستحقاق جميع الرحمة والرصوان حيث قال : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

سادساً : من الناحية الشخصية . حيث « من الله عليه بأنه تعالى هو الذي شرح صدره للإيمان فلا يعلق أبدأ » . وأعانه على تحمل أعباء الرسالة فلا يفشل أبدأ . ورفع ذكره في الخاضعين فلم يزل مالياً تدرده الألسن ، وتحقق له القلوب إلى أن تقوم الساعة .

ولمع من سمر مبرلة هذا الرسول عند الله أن احنضه جن وعلا نعدة مزاي جعلته بين الناس في أعلى مقام . وأهلته لأن يقرب ﷺ . أنه سيد ولد آدم يوم القيامة ولا آخر ، وإذا كان هو سيدهم يوم القيامة فهو سيدهم في الدنيا من باب أولى . . . وكان من أهم تلك المزاي ما يأتي .

١ - أن الله تبارك وتعالى جعل أول أركان الاسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، بحيث لا يعد مؤمناً بالله من لم يؤمن برسالته عن ربه فقال تعالى : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون » . وقال تعالى :

- ١ . ومن لم يؤمن بالله ورسوله فلأنا أعداء للكافرين معيرون .
- ٢ - أن الله تبارك وتعالى قد اعتبر طاعة هذا الرسول طاعة له جن وعلا وبعثه ببعثه الله حيث قال تعالى . . من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيفاً ، وقال تعالى : « إن الدين يابعونك إنما يابعون الله ، يد الله فوق أيديهم » .
- ٣ - أن الله تبارك وتعالى قد قرن بين طاعته وطاعة رسوله ، وأخبر العباد أنها على حد سواء . ثم أكد لهم أن طاعة هذا الرسول ﷺ هي سبيل الهداية وسبيل الرحمة ، ومن موجبات دخول الجنة حيث قال تعالى : « قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، فإن تولوا فاعلموا عليه ما حمل وعبيكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين » ، وقال أيضاً : « وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون » ، وقال : « ومن يطع الله ورسوله يدفع عنه جنات تجري من تحتها الأنهار ، ومن يتولى بعد ذلك عذاباً أليماً ، بل انه تعالى أوجب على العباد الخضوع لأحكامه والرضا بها سرّاً وجهراً ، وعدم التمر منها حيث يقول تعالى . « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم فلا يجفوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » .
- ٤ - أن الله تبارك وتعالى قد أوجب على الناس أجمعين اتباعه في أعماله واقتفاء سيرته حيث قال . « قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً ، الذى له ملك السماوات والأرض لا اله إلا هو يحيى ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله الذى لا اله الا هو الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » .
- ٥ - أن الله تبارك وتعالى قد جعل من أدلة محبة الناس له واستحقاقهم لمحبهه وغفرانه تعالى لهم - اتباعهم لرسوله حيث قال : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » .

٦ - أن الله تبارك وتعالى أشار إلى منبع عظمته وعلو شأنه ، حيث أقسم بعمره عليه السلام دون باقي الأنبياء الكرام فقال : « لعمرك إني لو سكرتهم يعمهون » .

٧ - أن الله تبارك وتعالى قد قصي نبوته منذ خلق آدم كما ورد عنه عليه السلام : « كنت نبياً و آدم بين الماء والطير » ، وأحد الله الميثاق على جميع الأنبياء الذين سبقوه أن يوصوا أقوامهم بالإيمان به ونصرته . حيث قال تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال : أقررتم وأحدتكم على ذلكم فصرى ؟ قالوا أقرربا ، قال فاشهدوا وأما معكم من الشاهدين ، فملا أيدت الرسل كلها هذا الميثاق بما أحبر الله به في القرآن عن لسان عيسى في قوله تعالى : « وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ، ومشرأ رسول يأتي من بعدى اسمه أحمد » ، وقوله تعالى أيضاً : « الذين يتبعون الرسول أسى الأذى الذى يحدوه مكتوما عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحبهم لطيات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » ، وأحبر حل جلاله بأن النصارى واليهود لا يحددون رسالته ، لأنهم يعرفون هذا من كتبهم ، غير أن كثير منهم يكفر به ويكتم هذا المرض في قلبه حيث قال : « الذين آتيناكم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أسماءهم » . وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » .

٨ - أن الله تبارك وتعالى الذى احتار أن يحاطب رسوله موسى في الوادى المقدس من الأرض ، قد تفضل فخير عن عظمة رسوله محمد عليه السلام

إذ أسرى بروحه وجسده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي بارك حوله ، ثم عرج به إلى السماء حيث عين موضع خطابه فوق السموات السبع ، عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، وهالك رأى الرسول الأعظم من آيات ربه الكبرى ما رأى ، وإذ ذاك فرض الله عليه الصلاة فما أحله من مقام لم يبلغه أبه أحد من الناس : وفيه دلالة عظمى على ما ناله النبي ﷺ من مكانة سامية فاقت الأولين والآخرين .

٩ - أن الله تبارك وتعالى قد جعل دينه هو الدين الحق المعصوم من الكذب والذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حيث قال تعالى : **وإنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ، وقال أيضاً : ، إنا نحن نزلنا الذكر وإنزاله حاطرون . وقال أيضاً . . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه نرين من حكيم حميد . .**

١٠ - أنه تبارك وتعالى قد أكن سيده شريعة إبراهيم ، وجعله ناسخاً لما سبقه من الديانات ، وهو المرحوم لوحي الذي يهتدى به ولا يعون على سواه حيث قال . **ليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً . ، إن الدين عند الله الإسلام . . ومن يتبع غير الإسلام ديناً هن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين .**

وكان من عظيم تقديره تعالى لمكانة عبده ورسوله أن أحاطه بسياح من العظمة والجلال ، وأوجب له من مظاهر التبجيل والاحترام ما يتيق بمقامه كرسول من قبله للناس أجمعين وكان من أهم ذلك ما يأتي :

١ - أنه تعالى أوجب على الناس أن يتأدبوا في حضرته ولا يرفعوا أصواتهم فوق صوته ﷺ وأبدرهم بأن ذلك يستدعي حرمانهم من ثواب أعمالهم ، حيث قال : **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت**

النبي ولا تحمروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ، أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون . إن الذين يعصون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم .

٢ - أنه تعالى أمر الناس بعدم بدائه باسمه مجرداً عن اللقب كإني الناس مراعاة لواجب الاجلال والاحترام في مخاطبته عليه السلام حيث قال : . لا تجعلوا دعاة الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً . وكذلك لم يخاطبه ربه في القرآن إلا بقوله : يا أيها الرسول ، يا أيها النبي . . . وجرى على هذا الصحابة (رضوان الله عليهم ) فلم يدعه أحد منهم إلا بمثل ذلك .

٣ - أنه تعالى أوحى على الناس استئذانه في مهام الأمور وعدم الخروج عن طاعته ، والبرول عند إرادته . حيث قال : . إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه . إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله . فإذا استأذونك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستعفر لهم الله . إن الله غفور رحيم .  
٤ - أن الله تبارك وتعالى حكم دلب عقول جماعة من الناس حاوياً لمقابلة رسول الله عليه السلام ، ولم يكن قد جلس في مجلسه العام ، فعمدوا إلى استعجانه ومادوه من خارج الخدار ، فأرسل الله على نبيه ما يدنو إلى عدم الإكتراث بهم ، حيث قال له : . إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون . ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم .

٥ - أن الله تبارك وتعالى ندب لرائرى هذا النبي الكريم أن يطهرها ونفسهم ويذكوها من القائص بأن يتقربوا إلى الله بالصدقات قبل الخطوة بالمشول بين يدي رسول الله ، حيث قال : . يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول



فقدموا بين يدي بحواكم صدقة ذلك حير لكم وأطهر ، فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم .

٦ - أن الله تبارك وتعالى قد انتزع الحروف من قلب رسوله ﷺ وبشره في كتابه العزيز أنه تعالى سيتولى حفظه وعصمته عما يدبره خصومه له من القتل حيث قال : « والله يعصمك من الناس » .

٧ - أن الله تبارك وتعالى بالبع في تهديد خصومه وكل من يأتي بأمر أو يصدر منه في حقه قولاً يؤديه ، أو يدبر له المكائد ، حيث قال : « إن الذين يؤدون لله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيباً » .  
٨ - أن الله تبارك وتعالى قد أرسل أشد غضبه على جماعة من الناس لمعوا في حقه ﷺ وقالوا عنه : إنه أذن - أي سماع لكل ما يقال له - فجعل الله حل حلاله هذا إماماً لرسوله وقال في كتابه : « ومنهم الذين يؤدون الله ويقولون هو أذن ، قل أذن حير لكم ، إذ من الله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا معكم » ولذين يؤدون رسول الله لهم عذاب أليم .

٩ - أن الله تبارك وتعالى قد مالمع في إجلال نبيه حتى حرم على الناس الروح بسائه ، واعتبر هذا من إيثاره . حيث قال : « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ، ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ، إن ذلكم كان عند الله عظيماً » .

١٠ - أن الله تبارك وتعالى خص المسلمين على القيام بواجب نصرته ، وهدد المتقاعسين منهم عن مؤازرته ، وصرب لهم مثلاً بنصر الله له بقوله : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثلثي اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها » وحمل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله

عزيز حكيم . .

١١ - أن الله تبارك وتعالى أدى حتى على نساءه أن يسيطرن عليه بدلائل وكيدهم حيث قال . . إن تنوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما . وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه إن طفقن أن يدلنه أو واجاً حيراً منك . مسلمات مؤمنات قانتات تاتيات عائدات سائمات ثبات وأكرا .

١٢ - أن الله تبارك وتعالى قد حفظه من حذاع أعدته حيث قال : . وإن يريدوا أن يحدثوك من حديث الله . هو الذي أهلك مصره . المؤمنين .

١٣ - أن الله تبارك وتعالى قد بشره بدوام رضائه عليه . وعدم التحلي عنه في الدنيا ، وأن آخرته خير من دبره . وأنه سيعطيه فيها ما يريد حتى يرضى حيث قال . . والصحي ولين إذا سجي ماودعت بك وما قلى . ولا حرة خير لك من الأولى وسوف يمطي بك فترصى . .

وصفوة القول حسه خراً وشرفاً أن الله عز وجل قد أعس للملا أنه تعالى قد صلى عليه هو وملائكته . والصلاد منه رحمة وصا . وأمر المؤمنين أن يكثرُوا من الصلاة والسلام عليه . فإن من صلى عليه صلاة صلى الله عليه بها عشراً حيث يقول تعالى . إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً .

## اسلوب نشر الدعوة عند محمد

لقد تم لرسول الله ﷺ بعد فتح مكة ما به يد من تكبر من دولة إسلامية مهابة الخائب ، موفورة الكرامة . ومن تطهير القلب الخرم من الأوثان التي كانت منصوبة بداخله وعي حوايه والتي من أجلها كان يؤمنه اساس من مختلف الجهات ليؤدوا شعائر العدة لتلك الالهة التي يشركونها مع الله ، ويؤمنون أنها تقربهم اليه زلفى ، وهى موحدة وقائمة هالك فلما هدمها الرسول ﷺ وهى المؤمنين عن عبادة غير الله لم يده غيرهم من ان يناد تلك الاماكن لإقامة طقوسهم المعتادة فيها ، وفى هذا ما فيه من التحدى لرسول الله ودينه الحق فانه جل وعلا عندما انحدر له فى تلك البقعة المشرفة بيتاً يتجه اليه من أراد عبادته ، وجعله مثابة لقاصديه وأمساً . عهد الى إبراهيم وإسماعيل أن يطهرا ما حوله للطائفين والعاكفين والركع اسجود . ثم جاء المشركون فأقاموا لهم فى ذلك البيت أصناماً عبدوها من دونه وكان هذا منهم شركا ينافى التوحيد فهدا هدمت الأصنام فلا معنى لبقاء عبادتها من دون الله فى ذلك المكان .

ولما كتب رساله الى بني النضير إماما تقوم على أساس محاربة الوثنية وعبادة الله وحده . ففسر من المعقول أن يقر الشرك بالله بأى صورة من الصور ، وفى أى حجة من الجهات التي يسطع عليها سلطانها . فكيف تهضم نفسه أن

يرى المشركين يحجون الى مكة ويقيمون طقوسهم على مرأى ومسمع منه ، وما هو السبيل الى معيهم من ذلك وقد أحد على نفسه عهداً عاماً أن لا يصد عن البيت أحداً جاءه . وأن لا يجعل أحداً يخاف في الشهر الحرام كما كان بينه وبين بعض القبائل من لعرب عهداً خاصة لى آجال مسماة .

وغير هذا فانه صلى الله عليه وسلم إنما أرسل للناس كافة ، ومن أهم مبادئ شريعته حرية الرأي . وعدم التعرض للناس بالأذى في عقائدهم وشعورهم فكيف يكره الناس على الإيمان به وهو الى جانب هذا أيضاً منمور أن يعد ما أمر به حده إبراهيم عليه السلام - مؤسس الشريعة الإسلامية - من تطوير ربه من كل مالا يصلح أن يكون تدواره من لحي الحصى - كالأصاء - . وقد حصل وأبلى والرجس المعصوى كعبادة غير الله وهذا ما يجب أن يكون تنحيص مكة لمن أمر به تعالى من الطائفتين والعاكفين والركع السجود . وله كامل الحق في هذا من عدة وجوه ينحصر ما يصوره منها فيما يأتي .

١ - لأن عبادة غير الله أمام بيت الله وعلى مرأى ومسمع من المؤمنين الذين لا يدينون لغيره يعد تحدياً لهم وحرماً لإحساسهم ومصايفة لحرمتهم ، وربما كان هذا سبباً لتشكيك المسلمين في دينهم وتذكيرهم بدين آياتهم

٢ - لأن النبي صلى الله عليه وسلم تصفته رسولا من ممالك اسما والأرض - التي نعيش فيها - من حقه أن يحضر منها ما يشاء لمن يريد وفيما يراه .

٣ - لأن النبي صلى الله عليه وسلم موصفه رسولا من الله للناس كافة من واجبه أن يرفع عن شعور من آمن به ويحمي عقائدهم ويتخذ ما يراه من الوسائل هداية غيرهم الى ما فيه مصدحتهم من سعادة الدين وحير الحياتين

٤ - لأن النبي صلى الله عليه وسلم لكونه رسولا من قبل الله - الم في لعاده - من وجهه أن يستعمل جميع وسائل التربية لتقوم اعوجاج الناس وإحصاعهم

لأحكام ربهم ، والعمل وفق ما أزل الله عليه في كتابه الكريم .  
 ه - لأن شريعة النبي ﷺ لا تقتصر على مجرد الشرائع الدينية بل  
 إنها مجموعة من الأحكام الإلهية التي تأتي ما كان عليه المشركون من عادات  
 وتقاليد يجب القضاء عليها كزاد البلبات وارتكاب الموبقات  
 كل هذه أفكار لم تعرب عن رسول الله ﷺ وقد تكون هي التي  
 حالت دونه ودون أداء فريضة الحج في عام تسع لم يبه وبين مشركين من  
 اليهود لعامة والخاصة ولا يمكنه أن يجيد عنها ويفهمها . ي أنزل عليه  
 الرحي بما ير حاطه . ويهديه بالله ، ويجعله في حل مما كان بينه وبين  
 المشركين عامة وخاصة بعد موعد محمد ، وبأمره تعالى بمنع المشركين من  
 دخول الحرم بعد ذلك العام حيث أنزلت عليه آيات من أوائل سورة التوبة  
 هذا نصه :

ه راءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض  
 أربعة أشهر واعتبرا أنكم غير معجزى الله وأن الله يخزي الكافرين ، وأذان  
 من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله يرى من المشركين ،  
 ورسوله فإن تنتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعتبرا أنكم غير معجزى الله ونشر  
 الدين كفرو بعذاب أليم ، إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً  
 ولم يظهروا عليكم أحداً فآمنوا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين ،  
 فإذا أسلحوا الأشهر الحرم فاقتدوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم  
 واقعدوا لهم كل مرصد فإن تبوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم  
 إن الله غفور رحيم ، وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع  
 كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ، كيف يكون للمشركين  
 عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا

أحكم فاستقيموا لله إن الله يحب المقفين . كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولأدمة يرصدكم بأفواههم وناني قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون ، لا يرقبون في مؤمن إلا ولأدمة أولئك هم المعتدون . فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاحملوا في الدين وبمصل الآيات لقوم يعدون . وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم نعمهم ينتهون ، ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإحراص الرسول وهم بئس الأوفاء مرة تنكثونهم فأنه أحق أن عشنوه إن كنتم مؤمنين ، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من نشاء والله عليم حكيم ، أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتحدوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وايعة والله خير مما يعملون . ما كان مشركين أبى يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم في المآل هم خالدون ، أما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ، أجمعتم سقاية الخياض وعمارة المساجد لآخر أم كنتم آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستويون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ، يشكرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات هم فيها نعيم مقيم ، خالدون فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم ، يا أيها الذين آمنوا لا تتحدوا آماءكم وإخوانكم أوبياء أن استخبروا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منهم فأولئك هم الظالمون ، قل أن كان آباؤكم وأندادكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالكم

أقترعتوها وتجارة تحشون كسادها ومساكن ترصونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترصوا حتى يأتي الله أمره والله لا يهدي القوم المغاسين ، لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجنتكم كثير تكلم فلم تكن عنكم شيئاً وضاعت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ، ثم أنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين وأرسل جنوداً لم تزوها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ، ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم ، يا أيها الذين آمنوا إنما للمشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن حفرتم عيلة موف بعينكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم ، قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاعرون ، وقالت اليهود عرير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك فوههم بأفواههم يصاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أي يؤفكوا ، يخذلوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون . يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأتى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عنها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأفسسكم فدوقوا ما كنتم تكنزون ، إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك

الدين القيم فلا تطلبوا فيه أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين ، إنا الذي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ليس لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين ، يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم افرؤا في سبيل الله إننا قلتم إلى الأرض أروصتم الحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ، إلا تفرؤا بعدكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضره شيئاً والله على كل شيء قدير . إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفى وكلمة الله هي العليا والله عز حكيم ، افرؤا حذافاً وثقالاً وجهوداً بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . . . وعندما رلت هذه الآيات المباركة بادر رسول الله ﷺ ودعا عبداً أمير المؤمنين عليه السلام وأمره أن يخرج إلى مكة ويتوها على الناس يوم الحرة إذا اجتمعوا بمي ، فخرج عبي عليه السلام على كافة رسول الله العشاء وأذن في الناس بما أمره الرسول . وتلا عليهم ما أمر به من سورة التوبة . ولم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطوفه عريان

فلما إن إلى ﷺ قد امتنع عن الحج في عام تسع لأن المشركين لا يزالون يؤمنون تلك الأماكن ويقيمون فيها طقوسهم الباطلة المنافية لما جاء به من عبادة الله وحده ، ولا يستطيع أن يجمعهم من ذلك لما ذكرناه من العهود التي بينته وبينهم إلى أن أنزل الله هذه الآيات من أوائل سورة التوبة فبادر بإرسال علي عليه السلام إلى مكة وأمره أن يعلن ذلك على الناس في يوم الحرة .

ولما كان القرآن في جملة بلاء للناس ، وكانت تلك الآيات من سورة



الثوبة على الخصوص إنما أزيلت فاتحة لعهد جديد من الدعوة الإسلامية التي بدأت في مكة بالوعظ والإرشاد ثلاثة عشر عاماً ، ثم تطورت في المدينة إلى تنفيذ أوامر الله بالحكم بين الناس والدفاع عن كيان تلك الدولة الإسلامية الناشئة ، ومعالجة الأمور بسياسة واللين تارة والحزم طوراً والشدة تارة أخرى .

ولما أن الأولان لنشر الدعوة العامة على الشراكة بعث الرسول السكت والرسائل إلى الملوك والأمراء الذين هم زعماء الأمم وقادتها ودعاهم إلى الإسلام وجعله الركن الأساسي في رسائله .

### « كتابه إلى هرقل »

وكان في مقدمة الملوك الذين وجه الرسول إليهم دعوته - هرقل - أميراطور الروم - باعتباره ملك دولة من أكبر الدول في ذلك الحين ، وكان على جانب من التدبر والصفاء على دين المسيح حتى أنه تدر في حربه مع الفرس أن يجمع إلى بيت المقدس ماشياً على قدميه شكر الله إذا هو غلب الفرس وأخرجهم من بلاده . ولذلك كتب له لرسول خطاباً اكتفى فيه بمجرد دعوته إلى الإسلام ووعدته شواب الله وحدره من تضاعف الإثم عليه في حالة الرضا حيث قال : « بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى . أما بعد أسلم تسلم يؤثك الله أجرك مرتين وإن تتول فإنما عليك أثم البرسين . وبأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتحد بعضنا بعضاً . أ. ب. م. »

من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأما مسلمون . .

وبعث هذه الرسالة مع - دحية بن خليفة الكلبي - إلى عامر هرقل في بصرى  
- الخارث بن أبي شمر العسائي - وعندما وصل إليه أرسله بخطابه إلى هرقل  
ليسلمه له بيده ، وكان قد حرج من محض في طريقه إلى القدس فوافاه دحية في  
مدينة - إيليا - ( بيت المقدس ) وسلم إليه الخطاب وترجم له فلم يجد فيه  
غير دعوة منه حالصة فأكره الرسول ورد عليه ردأ حساً ، ثم أحد يستقصي  
عن أمره ويسأل عن حصومه حتى هدى إلى أبي سفيان وكان إيداك في تلك  
المدينة في حاجة له فآخاه وسأله أن يقول لصدقته ثم وجهه إليه الأسئلة  
الآتية : -

هرقل : إبحر في عن هذا الرجل الذي حرج بين أظهركم يدعي ما يدعي .  
أبو سفيان : أيها الملك ما يهلك من أمره ، إن شأبه دون ما يدعيك .  
هرقل : أئت عما أسئلك من شأنه ولا ترد . أبو سفيان : بل  
مادناك . هرقل : كيف كان نسبه فيكم . أبو سفيان : هو فيمادو  
نسب هرقل : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ، . أبو سفيان :  
لا . هرقل : فهل كان من آباءه من ملك ، أبو سفيان : لا . هرقل :  
فأشرف الناس يتبعونه أم صغفائهم ، أبو سفيان : صغفائهم . هرقل :  
أيزيدون أم ينقصون ، أبو سفيان : بل يزيدون . هرقل : هل يرتد  
أحد منهم لحظة لدينه بعد أن يدخل فيه ، أبو سفيان : لا . هرقل :  
فهل كسبتم ثمنهم بالكذب قبل أن يقول ما قال ، أبو سفيان : لا . هرقل :  
هل يعدر . أبو سفيان : لا . ونحن منه في مده لا ندري ما هو فاعل فيها  
قال أبو سفيان : ولم أتمكن من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة ،  
هرقل : فهل قالتموه . أبو سفيان : نعم . هرقل : فكيف كان قتلكم

إياه . أبو سفيان : الحرب يناسجال ينال ما وبال منه . هرقل : ماذا يأمركم به . أبو سفيان . يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة

قال هرقل : للترجمان قل له سألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل نعت في نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد مسكم هذا القول فذكرت أن لا فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول غير فيه ، وسألتك هل كان من آثانه من ملك فذكرت أن لا فهو كان من آثانه من ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل كنتم تهموه بالكذب قل أن يقول ما قال فذكرت أن لا فقد أعرف انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك أشراف الناس تبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه وهم أنباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم ، وسألتك أيرتد أحد سحطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك أصحاب الرسل لا تعذر وسألتك هم يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فان كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم فلو أني أعلم أني أخضر اليه لتجشمت لقائه ولو كنت عنده لفعلت قدميه انطلق لشأنك .

قال أبو سفيان . خرجت من عنده وأنا أصرب إحدى يدي بالأخرى وأقول لقد بلغ من أمر هذا الرجل حتى أصبح ملوك بني الأصفر يهابونه في سبائهم بالشام وما زلت مرعوباً من محمد حتى أسلمت . ثم كتب - هرقل - الى صاحب له في رومية وكان نظيره في العلم بحججه فأمر

الكتاب الذي جاءه من النبي محمد ، وسار هو الى حمص وهاك وافاه الرد من صاحبه يوافقه فيه على رأيه . فجمع عظماء الروم في مقصورة له وقال لهم يامعشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتابعوا هذا النبي . ففروا منه وهرعوا الى الآباء فدعاهم أن يفصحوا بالحوار فقالوا له أتدعينا أن نترك النصرانية ونصير عبيدا لأعرابي فلما رأى نفرتهم وأيس من إيمانهم قال اني قلت مقالتي احتير بها شدتكم على دينكم فمجدوا له ورصوا عنه . فبقى على دينه ولكنه لم يقف موقفاً معاديا للإسلام إذ انه عندما كتب اليه - الحارث بن أبي شمر العسائي - عامه دمشق - بعد ذلك يستأذنه بحرب رسول الله ﷺ لم يأذن له بذلك وأمره أن يتغاض عنه .

وكذلك عندما بلغه ان الجاشي قد أسلم ورخص أن يدفع له ما كان يدفعه له من الخراج لم يعضبه ذلك حتى قال له - الناق - : أتدع عبدك لا يخرج لك حرجاً ويدين بدين غيرك دينا محدثاً ، فأحابه هرقل بقوله : رجل رعب في دين فاحتاره لنفسه ما أصنع به والله لولا الطل ملكي لصنعت كما صنع .

### « كتابه الى الحارث العسائي »

لم يكتب الرسول الأعظم بالكتابه الى - قيص الروم - فحسب بن وجه دعوته في نفس الوقت الى - الحارث العسائي - أمير قيصر على دمشق الشام إذ ذاك - يدعو فيه الى الإيمان بالله لينبؤم له ملكه لما عليه من عدم تدينه ، وأن همه في الحياة لم يكن غير دوام ملكه وسلطانه على بني قومه وهذا نص الخطاب .

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله فإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى ملكك ، وحتم الكتاب وأرسله مع - شجاع بن وهب الأسدي - فلما بلغه وسليه الخطاب وقرأه ألقى به في الأرض ثم قال من ينتزع ملكي مي أنا سائر إليه ولو كان باليمن جنته . وكتب إلى قيصر يحبره بحبره ويستأذنه بالسفر إليه فأحس به بقوله لا تقص وانته عنه واتي بإيلياء - أي بيت المقدس - ولما بلغ النبي ﷺ مقاله الحارث قال : « باد ملكك »

### « كتابه إلى كسرى »

لما كان الفرس من لا يؤمنون بالله ورسله ويرعون أنه لم يرسل لهم بهي وكان كسرى ملكهم متعظراً متأطفاً كتب له رسول الله ﷺ خطاباً يدعوهم فيه إلى الإيمان بالله ورسله ورسالاته عن ربه إليه وإلى قومه ويلقاه الشهادة ويلقى عليه نعمة عدم إسلام قومه حيث قال :

« بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسله وأشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلى الناس كافة ليسدر من كان حياً ، أسلم تسلم فإن أينت فعليتك إثم الجحوس ، - أي أتباعه - وحتم الكتاب ونعمته مع - عبد الله بن حذافة السهمي - فلما وصل إليه الكتاب أصابه العرور فمرق الكتاب وكتب إلى ماذان - أميره باليمن - أن أبعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين يأتيانه به ، فأطاع الأمر وأرسل من قبله رجلين من خيرة رجاله هما

- بايويه وحو حمره - فلما قدما على رسول الله ﷺ كله بايويه وقال : يا إن شاهنشاه ملك الملوك - كسرى - قد كتب الى الملك مادان يأمره أن يبعث اليك من يأييه بك وقد بعثني اليك لتطلق معي فإن فعلت كتب فيك الى ملك الملوك يمتعك ويكف عك ، وإن أبيت فهو من قد علمت فهو مهلكك ومهلك قومك ومحرب بلادك . فأخبرهما رسول الله ﷺ إن الله قد سلط على منكم الله - شيرويه - فقتله في ليلة كدام شهر كذا بعد ماضى من الليل كذا وكذا ساعة ، قال الو فدى . وهو ما يوافق ليلة لثلاثاء عشرة من جمادى الأولى في سنة سبع في الساعة لسادسة بعد غروب الشمس . فقال له هل تدري ما تقول إما قد بقما عليك ما هو أسر من هذا أم كتب عنك وعبر بأذن بهذا قال : هم أخبراه ذلك عني وقولا له إن دبي وسطاني سمع ما يدع ملك كسرى وينتهي الى منتهى الحف والخافر ، وقولا له إنك إن أسلبت أعطيتك ماتحت يديك وملكككك على قومك من الألقاع فعادا الى بادان وأخبراه الخبر فقال : سطر ما قال فليس كان حقاً فلا شك انه لبي مرسل وان لم يكن كسرى رأيا فيه . وما لبث غير ميل حتى جاءه كتاب شيرويه وهذا نصه : يا أما بعد فإن قد قتلت كسرى ولم أقتله إلا عصباً لئلا كان يستحل من قتل أشه أهم وتحميرهم في شعورهم فإذا جاءك كتابي هذا فخذ الى الطاعة من قبلك ، وانظر الرحمن الذي كان كسرى كتب فيه اليك فلا تبعه حتى يأتك أمرى فيه ، وما انتهى بادان من نلاوه الكتاب حتى اعترف ل محمد بالرسالة وأسلم معه جم غفير من القرس . ودعا بايويه وقال له من اشترط محمد غير الإسلام فقال له لا . فكتب الى رسول الله ﷺ بالسلامة فولاه رسول الله ﷺ محاليف اليمن وكانت عاصمة ملكه صنعاء . وبقي حتى مات بعد حجة الوداع فولى رسول الله ﷺ - شهر بن مادن - بدله على صنعاء ثم حقق الله قول الرسول ﷺ ملك الله المسلمين ملك كسرى وخزائهم وأموالهم .

### « كتابه الى المقوقس »

لقد كان من ضمن من وجه اليهم رسول الله ﷺ الدعوة الى الاسلام - المقوقس - عظيم القبط في مصر واسمه - ( حريش بن مينا ) وبالنظر لما توسمه الرسول ﷺ في شعبه من لدكاه ، ونور النصيرة ، وانهم نافرون من حكم الفرق لما قاسوه من عنث الاسر الفرعونية التي استعبدتهم أعواماً طويلة . لم يكتب دعوة عظيمهم الى الاسلام بل وجه الدعوة الى قومه ، وفصل لهم الاسلام ، وجوهه الدين الذي يدعو اليه ، وأن لا تحالف بينه وبين سائر الأديان السجاية في مدأ التوحيد اخاص لله والعمور من تأليه غيره من العشر وهذا نص كتابه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله ورسوله محمد الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإن أدعوك بدعاية الى اسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فعليك إثم كل قبط ، يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بينا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً أم من دور الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ، وبعد حتم الكتاب أرسله مع - حاطب ابن أبي بلعنة - ، فلما بلغ حاطب الإسكندرية قابل المقوقس وسلمه الخطاب أكرمه وأحسن مواده وسكبه لم يسلم بالرسالة ولم ينفها غير انه عمداً الى استرضاء الرسول حيث كتب له جواباً يقول فيه : « ولحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك أما بعد

: فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعوا اليه وقد علمت أن نبياً قد نطق وقد كُتبت أظن أنه يحرج بالشام . . وسلم الجواب الى حاطب وروده بآرامه خاصة له وهديّة أخرى الى رسول الله ﷺ هي جريتان من أجمل نبات مصر - مارية وأحتها سيرين - ونعته شهاب ومقدار من عمل الحبل ولما عاد حاطب الى رسول الله وأخبره الخبر وقدم له الهدية . سر لأنه قد أدى واجبه من تبليغ الدعوة وكأنه أدرك من نعم الهدية ما يشر به بالحاج ، فاحضن بمارية لنفسه وأسليت ودخل بها وولدت له إبراهيم ، وأعطى أحتها سيرين الى حسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن

« كتابه الى صاحب اليمامة »

وكان ممن كتبهم رسول الله ﷺ من الأعرام - هودة بن عبيد الحنفى - أمير اليمامة - وهى بلاد على بعد سنة عشر مرحلة من مكة - وكان رجلاً محملاً لعنه مكأ على الملك والباطل فوجه اليه رسول الله الكتاب الآتى :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هودة بن عبيد . سلام على من اتبع الهدى فاعلم أن ديني سيطر الى منتهى الخلف والظاهر فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يدك ، وأرسله اليه بعد حتمه يد - سليط بن عمرو العامرى - فلما بلغه وقدمه اليه حسب النبي شاعراً أو سلطاناً فأخذ يساومه في أمر إسلامه ويريد منه أن يشاركه معه في النبوة أو الحكم ، فكتب اليه ما يأتى :



« ما أحسن ما تدعوا اليه وأحله وأنا شاعر قوى وخطيبهم والعرب تهافت  
مكانى فاحملنى بعض الأمر أتبعك ، فلما عاد سليط إلى الرسول ﷺ  
وأبلغه الرد قال ﷺ : « ما دام ما فى يده ، وما لك أن أباده الله  
وأسلم أهل البقعة . »

### « كتابه لأمير البحرين »

وكان من وجه اليهم الرسول ﷺ الدعوة إلى الإسلام . المنذر من  
ساوى التمييز . أمير البحرين . فاستجاب لدعوته واعتنق الإسلام ، وأكسبه  
كتب إلى رسول الله ﷺ يستفتيه فيما يصعبه فومه وهم حليط من الجوس  
واسم . د . ويسأله الرحمة به . فكسب اليه ﷺ ما نصه : « بسم الله  
الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى المسكين ساوى سلام عليك .  
أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً  
عبده ورسوله أما بعد : فاذا أدركك الله عز وجل فانه من ينصح فاعلم ينصح  
نفسه . به من نطق رسلى ويتبع أمرهم فند أطاعنى ومن نصح لهم فقد نصح  
لى . وأن رسلى قد أثوا عليك حيراً وأنى قد شققتك فى قومك فاترك للسليلين  
ما أسلوا عليه . وعفوت عن أهل الديوت فاقبل منهم . وانك مهما تصلح فل  
بم لك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية . ودعت  
بهذا الخطاب . مع العلاء بن الحضرمى . فبدا عليه اليه دعاء فومه وعرض عليهم  
الإسلام فدخل فيه من أحب ومنهم من كرهه ونفى على ديه ولكنه  
دفع الجزية .

## « كتابه الى ملكي عمان »

وكان ممن كتب لهم رسول الله ﷺ الدعوة الى الإسلام بصورة  
حرمة . وقوة متناهية . جعفر وعبد الله الخليلي . ملكي بلاد عمان في  
البحر الفارسي . حيث كتب لها كتاباً مفصلاً عن العنود معه مع - عمرو  
بن العاص - هذا نصه :

« أما بعد : في أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسليما فان رسول الله الى  
الناس كافة لا يترك من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، وإني ان أقررتما  
بالإسلام وليتكما وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام فان ملككما رائن عنكما وخبي  
تعمل لساحتكما وتظهر نبوتى على ملككما ، فلما سم عمرو بن العاص ان كتاب  
ايهما لم يترددا في قبول الاسلام وسألا عمرو أن يعلمهما الاسلام ، وأسلم معهما  
خفق كثير ووصفت الجرية على من لم يسلم .

فما تم محمد ﷺ إرسال امكتب الى الملوك والأمراء الذين هم قادة  
الأمم . لم يبق إلا أن يتبع القول بالفعل ويضع حداً لجهل الجاهلين ووجود  
الجاحدين ويعطى قدسية بيت ربه ، ويصد المشركين عنه ، يعلن راية التوحيد  
ويصرب بيد من حديد على من يأتى الانصواء تحت طغيان . فالتاس كلهم عبيد  
الله الذين خلقهم وسواهم ومحمهم دعة الحق ليهتدوا بهديته ، وأرس هم  
الرسال للدلالة عليه . وأرسل لهم القرآن دستراً عالمياً كاملاً جامعاً لكل  
ما هم في حاجة اليه ، فمن واجبه أن يتصاعوا جميعاً اليه ، ويقادوا طواغية

له ، ومن شد منهم عن ذلك طبق عليه حكم الله ، ومن واجب كل مسلم يؤمن بالله ورسوله أن يتلو كتابه ويتبع أحكامه ، ويحاهد نفسه وعاله في سبيل إعلاء كلمته ، وإقامة شرعه ، وحماية دينه

لقد صدق ﷺ ببليغ الرسالة ، وانتقل بالهجرة الى المدينة لقيادة الأمة العربية ، وسياسة الدولة الإسلامية ، وجاء دور إحصاع العالم أجمع الى عبادة الله تعالى . فأوحى الله اليه بأوائل سورة التوبة . فهو إذ يعلنها على الناس لا يقصد بها إخضاعهم الى دينه الخاص ، أو النزول على حكمه ، وإنما يأمرهم باستعمال مواهبهم في تناسل الحقائق والإتصال بالله خالقهم ، والرجوع اليه جل شأنه ليصنع أمرهم ، ويحسن أحوالهم . هو لا يريد أن يستعبد الناس أو يعلى عليهم سلطاناً وإنما يريد أن يخلصهم من رقة العبودية لعير الله من تلك الآلهة التي لا تنفع ولا تشفع ، ولا تنقذ من الله شيئاً . يريد أن يحررهم من تلك القيود التي فرضها عليهم كمرأوم ليموا عليهم إرادتهم ، وليجعلهم حاصعين لسلطانهم ، ورحمتهم في جميع الأحوال . وهو الى جانب هذا لا يريد إلا أن يعرّس روح المحبة بين كافة البشر ويخلصهم جميعاً أحوة لا تفاصيل بينهم ولا تحاسد ولا تناقض .

حقاً إن الناس أحرار ، والاسلام قد كفّل حرية الفرد الى أقصى درجات الحرية المعقولة ، ولكن ليس معنى الحرية الشخصية أن يذهب الفرد فيتعدي على حقوق الغير ويخرج لإحساس الآخرين ، بل لابد أن تكون تلك الحرية ضمن حدود قانون خاص ، وإلا انقضت الحرية الشخصية الى فوضى عامة تؤدي الى إهلاك الناس بعضهم بعضاً ، ومن أجل هذا أنزل الله القرآن دستوراً عاماً للبشر وجعل من أوائل سوره التوبة مواد أساسية لرجوع الناس الى الله وقواعد إيجابية يبنى عليها طرق التعامل بين المؤمنين المؤمنين وغيرهم من

المشركين لهذا فان من الواجب دراسة هذه المواد دراسة واسعة . لتكون على بينة من أمرنا ، وما جاء من عبده في هذا الخصوص . وهذا يقتضيه شرح هذه الآيات الكريمة من سورة التوبة التي افتتحت براءة الله ورسوله من العهد الذي تم بين الرسول والمشركين لكث المشركين فيه إلا أساساً فليس فامر المسلمين بهذه الى الفاكثين . وقد نظم ذلك بتشريع حكيم تلخص مراده فيما يأتي :

١ - « فسيحوا في الأرض ، أيها المشركون ، أربعة أشهر ، هي شوال ، ودو القعدة ، ودو الحجة ، ومحرم - آمين على أنفسكم لا تهرص لكم المؤمنون حلالها قتال ولا أدى . وأنه في حلال هذه لمدة بالحج بين الدخول في الاسلام أو التمس من بعض واتكبن إذا » . أصرتم على الشرك والعدوان .

٢ - « واعدوا أسلحتكم غير معجوزة الله . فإنه لا يستطيع أن يفتنوا من بين أرضه وسماؤه ، وهو سبحانه القادر على أن يفتنهم . وإذا أراد من غير حاجة أي كبير عزم . واسكنه تلك لكم حرية الاحياء لتحكموا عقولكم وتدوا . أيكم في جميع الدخول في السلم أم إيتار القتال في الدنيا ودخول النار في الآخرة فتجدهم في بالله . أن به محرم الكافرين . في الدنيا والآخرة .

٣ - « وأدان ، بقاء بصوت جهوري يخترق الآذان بما يدعى أن يعلم من الله ورسوله الى الناس ، أجمعين في يوم الحج الأكبر ، أي اجتمع فيه الناس إذ ذاك على اختلاف عقائدهم ودياناتهم ليعلم جميع . أن الله يرى من المشركين ورسوله . أي من عهدهم وكل «إساق التوحيد في أعمالهم ومعتقداتهم وسائر الخرافات والمأثورات الخرافية ولصلال وغير ذلك . فإن

ستم ، عن ذلك واعسقتم دين الاسلام الذى جاء به آخر الرسل من عند الله . فهو خير لكم ، فى لذي والاحرة لأن هداية الاسلام هى سبيل السعادة . وبن توليتم ، وأعرضتم عن التوبة . فاعلموا أنكم غير معجزي الله ، فهو انقاد على أن يتليكم بالمصائب . ويحببكم من النقم فى هذه الحياة الدنيا مالا قبل لكمه سواء أيدى لمسيين أم بسبب نعضكم على بعض وإيقاع بأسمكم بكم . ونشر . يا محمد . أى نوعه . الذين كفروا بعدد الأليم ، سبأهم منه عما قريب . إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم يقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً . من أعدائكم هؤلاء لا سبيل لكم عليهم ولا حق سكة فى قتالهم ماداموا على عهدكم مدكم . فأنموا اليهم عهدهم إلى مدتهم . التى أعطيتهم العهد عيسيا . إن الله يحب المتقين . الذين يراقبون الله فى المحافظة على العهد وعدم حصر الدم . ومراعاة النظام والعدل الباء .

٤ . - - - - - دمع الأشهر الحرم . الأربع التى تركتم هم فيها حرية الاختيار ولم يدخلوا فى الاسلام عن عقيدة وإساع عداً واستمسكا بالباطل ولم يرضوا بأخرة كرهية . هم إدا عافون متمردون لا يسأل إل إحصاءهم لأوامر حالقهم إلا عن ط. يوقوة وأنهم فى حق من دماهم ويجب أن تغذوا من الرسول شو عهدهم من لعاب الأليم . فافلوا المشركين حيث وحدتمهم . سوء فى حق أم فى الحرم . وحذوهم . أسرى إدارأيهم ذلك . واحصروهم . اضربوا عليهم نضافاً من اخصار حتى ينزلوا على حكم الله ورسوله . واتخذوا لهم كل مرصد . وتقمروا جميع حركاتهم ثلاً يبتسطوا فى البلاد واستعملوا كل الوسائل لإزعاجهم على اتباع دين الله . فان تابوا ، عن الشرك وذلك بالبطق باشهادتين . وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، الذين هم من أهم فرائض الاسلام . غلوا سبيهم . وانزكوا هم حريتهم بالكف عن القتال والحصار

وغير ذلك ، إن الله غفور ، لما سقى من الشرك ، رحيم ، لا يؤاخذ الناس بما كسبوا متى تابوا إليه وأنابوا

هـ - ، وإن أحد من المشركين استجارك ، طلب منك أن تؤمه على نفسه حتى يأتاك ويصحبك حقيقة ما تدعو إليه لعله يقتنع بدينك ، فأجره ، واسمع له بالحضور أما على حياته ، حتى ، يحضر ، و ، يسمع كلام الله ثم ألبه مأمنه ، ليتدرج في أمره ويختار ما يراه ولا تحاول أن تفرض عليه الإسلام فرضاً أو تستخلص منه الاعتراف تحت تأثير الصعط والخوف وهو في بلادك ، ذلك ، الأمر بإجارة المستجير من المشركين وتبنيهم مأمنهم ، بأنهم قوم لا يؤمنون ، لا يدرون ما هو الإيمان ومن حقهم أن يعلموا حقيقة معتقده عن عقيدة ويقين إذ لا يكتفى فيه مجرد التقليد والمحاكاة وبعد أن أتم الله سرد هذه الأحكام شرع في ذكر الأسباب الموجبة لها فقال :

(أ) ، كيف يكون للمشركين عهد عند الله ، ، ، ، وعد رسوله ، ولا يكشونه مع غرة صدورهم ، ولا وارع يحرمهم على الوفاء بالعهود وقد كانوا على الدوام حراً على عصمهم والمعاهدات التي بينهم إما تحتزم بعبء القوة والضعف ومبايعة القوى للضعيف ، كما حصل من يهود المدينة ومن نقص بني نكر ومن باعهم من أكار قريش لعهد الحديبية ، لا الدين عاهدتم عند المسجد الحرام ، عهد خاص لم يقضوه ، فما استقاموا لكم فاستقيموا هم ، إذ لا يجوز أن يكون لعذر ونقض العهد من قبلك ، إن الله يحب المتقين ، الذين يراقبون الله في حفظ عهودهم .

(ب) ، كيف يكون للمشركين ، - غير هؤلاء الذين جرتهم وءاههم ، عهد مشروع عند الله وهو سبحانه يعلم ما في نفوسهم والحال المعروف من أخلاقهم وأعمالهم ، وإن يطهروا عليكم ، نفوتهم ، لا يرقبوا فيكم إلا ولا

دعة ، ولا تأخذهم فيكم شفقة ، لا رحمة ، لا لراطة ولا علاقة بكم تحميمهم على حكمهم والعطف عليكم وكل ما هالك أنتم ، برصوبكم بأفواههم ، بحاله وحدا في حال صعبهم ، وثاني قلوبهم ، أن تحصل لكم الود أو تحفظ لكم أي عهد ، ويقولون بأنفسهم ، ما يحكمكم ترصون به عنهم ، ما ليس في قلوبهم ، فهم إذا أعطوا لكم العهود لم يقصدوا أبرها ، وأكثروا فسقون ، لا ينزعون عن ارتكاب الموفقات واستحلال المحرمات عساً فكيف ينتظر منهم أن يراقبوا الله في أنفسهم حتى يفرو بعهودهم ، اشقروا بآيات الله ، الدالة على وجوب توحيد الله ، ثمناً قليلاً ، من منافع هذه الدنيا الفانية ثما عند أعي هؤلاء قليل ، لا صفة إلى ما وعد الله به عباد المؤمنين ، فصدوا ، غيرهم ، عن سبيله ، ولم يراعوا ماله عليه من فصل عظيم عنكم وتكويهم وما مسحهم من سائر أعمالهم التي يتقبضون فيها ولا يشعرون بها فهذه الموحودات جميعها حتى هذه المحرمات التي يصعب بها أيديهم ويعلمون بها ، خرج عن حلقه لأنه الخالق لسائر المود الأولية فيها ، إلههم ساء ما كانوا يعملون ، لأنه كسر بالله ، ووجود الإحسان ، وهذا مالا يدق أن يصدر من دى عقل رشيد ومن أجل هذا راحم ، لا يرقون في مؤمن ولا ولا دعة ، إذا لا قرأه بقصى الود ولا دعة توجب الوفاء ، ودب المؤمنين في بطرهم كونه مؤمناً يخالف ما هم عليه من صلات وهدا كان هذا شأنهم مع المؤمنين فلا شك أنهم يظهر وأعليكم ، لعبة واسمهم لا يرقبون فيكم إلا ولا دعة ، ولا يتحاشون عن طاعتكم واصطهادكم وأهلك نكم ، وأولئك هم المعتدون ، على حدود الله الخارجون عن النظام العام ، وما دامت العلة في اعتدائهم وتجاوزهم عنكم هي رسوخهم في الشرك ، وكرهتهم للإيمان وأهله فلا سبيل إلى انقضاء أدامهم إلا بإجتماعهم عن كفرهم ، وإدماجهم فيكم ، وحبهم على الإعتقاد معكم بضرورة الإيمان بوحداية الله

، وإخلاص العبادة له في السر والظهر ، فإن تابوا ، إلى الله عن شركهم ،  
وآمنا بوحداية الله ، وأقاموا الصلاة ، التي تعبر عن تمام الطاعة والخضوع  
لله والتي من شأنها أن تردع النفوس عن العجشاء والمنكر ، وآتوا الزكاة ،  
انتقاء مرصاة الله لأرسلها من دوى الحاجة ، فإخوانكم في الدين ، أي  
مصدور هذين الأمرين وعمما : إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة منهم دليل قائم  
على أنهم حقاً أصبحوا حرة لكم لاتخاذهم معكم في الخضوع وإخلاص  
العبادة لله التي تعبر عن إخلاص وفي رقة القلب والبر بالفقراء التي تعبر عنها  
الزكاة فيجب تمام هذا أو بادلوه الحب والإخلاص ، وبمصل الآيات ،  
وبوردها ، يقوم يعدون ، ما وراء ذلك من حكم وعقوبات ، وإن نكثوا  
أيمانهم من بعد عهدهم ، فانتهوا إلى دخولوا بها في الإسلام ، ووطنوا في  
دينكم ، أما بالاعتراض على شيء من أحكام الله التي وردت في القرآن ،  
أو اسم الرسول أو الطعن في رسالته وما شاكل ذلك ، فقاتلوا أئمة الكفر ،  
قاده أهله ، وحمه لوأته ، منهم لا إيمان لهم ولا حرمة معبودهم التي أبرموها  
على عريضة النكت فيها وحصل رؤسائهم بالذكر أدهم بلا شك المروحون مثل  
هذه الدعايات السيئة ضد الإسلام أما غيرهم من الذبح والعوام فلا رأى لهم  
وهم في الغالب يذهبون وراء كل صانع ، لعينهم يفتنون ، من دسائسهم  
وخرصاتهم وحادرات أن توجهوا جميع غصبكم على محرد العوام والعوام من  
طعن في دينكم وتركوا القادة والعظماء الذين يعملون من وراء السار اما خوفا  
منهم أو لأنكم استعصم منهم شيئا مع أنهم رأس الفساد الذين يجب قتالهم ، ألا  
تقاتلون قوماً ، هم رعاة المشركين وقد كان من شأنهم وشأن أمثالهم أنهم  
يكنوا أيمانهم ، التي حلفوها مع الرسول والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم  
فعاونوا بني بكر على حراقة إذ كان من طبعهم نكت اليهود ، وهما بإخراج



الرسول . حين تشاوروا بمكة بدار الندوة في أمره . وقيل هم اليهود هروا  
بحراجه من المدينة . وهم بدأوكم . ماقتل . أول مرة . في بدر اذ قالوا  
بعد العلم سحابة العير التي كانوا قد خرجوا لانقادها لا ينصرف حتى نستأص  
محمداً وأصحابه . وتقيم في بدر أياماً نشرب الخمر . وتعزف على رؤوسنا  
القيان . وكذلك الحال في أحد والخندق وغيرها فكل هذه الحروب لم تكن  
إلا بفعل القادة والرعاة . وفي كلها كانوا هم البادئين فيها . يقتال المؤمنين فما يمنعكم  
أن تعارضوهم وتصادموهم . أتحشونهم . أتحاشون قتال إقادة خشية منهم  
لأنهم دبووا شوكة وقوة . والله أحق أن تحشوه . اذ هو مصدر جميع القوى  
وصاحب الشوكة والسططة الذي لا يعيب . إن كنتم مؤمنين . حقاً فقد رتبته  
تعالى على كل شيء . وأنه سبحانه وحده الذي يمسح اللصم لمن يشاء من عباده  
ويبدع بقوته من يريد فلتكنوا أشجع الناس في لقاء أعداء الله . وأقدرهم  
على بصرة دين الحق . فقاتلوهم بعذبهم لله . يديهم العذاب الذي قدره عليهم  
حرام كرههم . بأيديكم . أمر وقد كانوا يهرؤن بكم ويستصغفونكم  
ويبرلون بكم أشد الأذى ولعدائ . ويعرهم . بدل الأسر أو القم . لمن  
لم يقتل . ويصركم عليهم . بحضاعتهم الإيمان الذي لم تقايلوا إلا من أجله  
و يشف صدور قوم مؤمنين . بعز الاسلام وما ملوه من نصر شامل هو  
غاية أمانيهم في حياة . ويرد غلط قلوبهم . لما كان من أولئك من  
غدر وحلم ابن سبطانهم وعظمتهم . ويتوب الله على من يشاء . التوبة  
منهم . والله عليم . بهم من قبل . حكم . في ترك الاختيار لارادتهم  
د أم حسنت أم تركوا . أي وثم أمر آخر يجب أن تتدروا فيه وتحسبوا له  
حسابه ذلك أنه من يضمن لكم عودتهم إلى فالككم . وبكث عودكم  
واظن في دينكم . وهذا الناس عنه كما . دأبهم منذ ظهور الاسلام فلا

لأن تقاتلوا وتجاهدوا ، وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، في الله حق جهاده ، ولم يجهدوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ، أي دون أن يكون لهم نطفة أو صفة قوية بالمشركين - أعداء الله ورسوله والمؤمنين - وهذا ما يجب أن تتجرد نفوسكم منه من الحكمة قول من قال :

إدري صديقك من تعادى فقد عاداك وادقطع الكلام  
 ، والله خير مما تعملون ، أي بجميع أعمالكم الظاهرة والخفية فلا ينسب عنه من انصالاتكم بأعدائه حتى ولو كانت عن حسنة وهو أدري بما ينشأ عن تلك الصلة من أضرار .

ح - ما كان المشركين أن يعمروا مساجد الله ، أي أن أسبب الثالث لعدم احتساب عهد المشركين هوانه ليس من حقهم وهم على شرك أن يجمعوا في المساجد أي حصص لعبادة الله فضلا عن المسجد الآخر من حال كرههم ، شاهدين على أنفسهم بالكفر ، بشرك غيره معه وتكذيب الرسول فهذا تافس بين الأمر له ، أولئك ، ليس يعبدون غير الله ، حبطت أعمالهم ، التي لم تكن حادثة لوجه الله فلا يجب أن يكونوا أممها ( و ) قد حكم عليهم من الله بأنهم ، في أنارهم فيها حائدون ، جراء على كفرهم وشركهم ، إمام ، الذي ينبغي أن يعمر مساجد الله ، من اتصف بحمس صفات الأولى هم : من آمن بالله ، ولم يشرك به شيئاً فهو في حاجة لأن يكثر دعاؤه في مساجده حيث قال تعالى : وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ، . الصفة الثانية : ، واليوم الآخر ، أي الذي آمن بصحة البعث وأن هنالك حياة أخرى فهم أحق بعبادة المساجد طلباً للنجاة في ذلك اليوم . الصفة الثالثة : ، وأقام للصلاة ، في أوقاتها المكفرة فلا يجوز أن يصايقهم أحد ممن لا يقيمها الصفة الرابعة : ، وآتى الزكاة ، لمستحقها هناك يتعرف بهم ويوصلها إليهم

الصفة الخامسة . « ولم يحش إلا الله » . باعتقاده أنه وحده السامع والشارع  
ولذلك يخصص له الحب . ويحصر فيه الرجاء من حقه أن يعتكف في ما جده  
ويديم صلته الروحية به . « فعلى أولئك » الخامعون هذه الصفات الخمس  
« أن يكونوا من المهتدين » . يهدي القرآن ، المذيعين لسنة سيد الآلام  
« أجمعتم سقاية الحاج » بالماء . وعمارته المسجد الحرام ، بالحراسة والأعمال  
الطاهرة أسماها تحول لكم حق الإقامة إلى جوار بيته . « كمن آمن بالله واليوم  
الآخر » واجهد في سبيل الله . عن خلوص نية ، وصفاء سريرة . ونوحه  
إلى الله وحده فهذا خطأ منك في التصور فهم « لا يستوون عند الله » . فتلک  
أعمال اخترعتموها لما حرو بها الناس وهذه أعمال أمر الله بها ، ووعد  
بتقبلها . والله لا يهدي . إلى الحق . تقوم الطالبين ، لأنفسهم بعدم تطلبهم  
له أو بإعراضهم عن الإصغاء إليه لعدم رغبتهم فيه . ثم بين ذلك بقوله تعالى .  
« الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة  
عند الله » . مما تكبدوا ابتغاء مرضاة الله من آلام المحنة والنضحية بالمال  
والنفس « وأولئك هم الفائزون » . عند الله ماثوبات وبيل الحسى دوكم . يشرم  
رهبهم . منذ الآن . برحمة منه ورضوان . في الدنيا عن أعمالهم . وجنات  
في الآخرة . لهم فيها نعيم مقيم . دائم لا يندل . حادين فيها أبداً . غير  
مهددين بالزوال . إن الله عنده . لأمثال هؤلاء . أجر عظيم . لا يبصر  
إليه تصور الناس بعد فهمك في الآخرة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا  
خطر على قلب بشر . « بل إن هالكاً من الآخر المعنوى ما يكون أعظم لذة  
للفس عند العقلاء من جميع الأجور التي يتعتع بها الناس بأجسامهم » . ذلك  
هو شرف القرب والرصا من مالك الملك الله رب العالمين . في ذلك من اللذة  
العظمى مالا يتصوره في الناس إلا من حظي بعطف الملوك والأمراء في هذه

الحياة فما بالك برضا الخالق العظيم في الدار الآخرة يوم لا مال ينفع ولا ولد يشفع إلا من أتى الله بقلب سليم .

وبعد أن انتهى التشريع الإلهي المشتمل على الأوامر الخاصة بعدم احترام عهد المشركين . وضرورة إخضاعهم للإيمان وذكر الأسباب الموحدة لذلك أحدي على المؤمنين من النصائح ما يضمن لهم متابعة العزة والسيادة وهي تتلخص فيما يأتي :

١ - عدم الثقة بالمشركون مطلقاً ولو كانوا من أقرب بشرين هم حيث قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ، بالله ورسوله . لا تتخفوا آياته وحوادثها ، وهم بلا شك من أحب الناس إليكم ، أولياء . تستصرون بهم ، وتعتمدون عليهم في الشدائد ، إن استجواب الكفر على الإيمان ، أي مداموا بحالهم في الدين ، لأن روابط الود الشخصية معها كانت قوية ، لا تحسن الإنسان على تغيير مداه أي يدين به . ولا تسرع له أن ينصر مخالفاً له في العقيدة على نفسه التي يعتز بها . ومن يتوهم منكم ، يستنصر بهم بعد هذه الحقيقة الثالثة ، فأولئك هم الظالمون ، لأنفسهم يركبونهم إلى من لا ينفعي الركون إليه فقد ينصر الرجل أنه على أحبه وأكبه لا يمكن أن ينصر أحداً على نفسه .

٢ - تجريد القلب عن محبة غير الله ورسوله ، وإيثار وحوب طاعتها على كل شيء حيث قال تعالى : « قل ، يا محمد لمن آمن بك وصدق برسالتك عن ربك إذ كنتم قد عرفتم الله حقاً ، وأيقنتم أنه وحده الذي خلقكم ورزقكم فمن واجبكم أن تشعروا نحوه بحب صادق لا يدان ، وتخلصوا في طاعة أوامره إخلاصاً لا يقف في طريقه أي عائق . وقد أمر ربنا أن أسعكم بأنه ، إن كان آباؤكم وأساؤكم وإخوانكم وأرواحكم وعشيرتكم ومواريق اقترتموها وتجارة تحشون كمسأداها ومساكن ترصونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد

في سبيله فتركوا حتى يأتي الله بأمره ، فيكم جزاء ، على عدم تصديقكم لآلائه وجودكم لإحسانه ، والله لا يهدي ، إلى معرفة مزايأ إيمان حبه وحب رسوله والجهاد في سبيله عن كل شيء وما يترتب على ذلك من التآخي والتناصر وقوة الاتحاد ، القوم العاسقين ، المنمردين عن قبول هداية الله ، المتجاوزين حدود الشريعة

٣ - الثقة الكاملة بالله : وترقب النصر من عنده دون أن يداخلكم شيء من القنوط بقوتكم حيث قال تعالى : • لقد نصركم الله في مواطن كثيرة • ، أي اذكروا أن ولاية الله للمؤمنين أعظم بكثير من ولاية غيره من الأقربين ، وتأنيده تعالى لرسوله وللمؤمنين بالقوى المعنوية أعظم شأنًا وأصبر للصبر من القوى المادية كالكثرة العددية وما شاكلها فهو كتب لكم النصر في مواقع لم تكونوا تأملون النصر فيها ، ويوم حين إذ أغبىكم كثرتكم ، التي هي أعظم من نصره لأبائكم والإخوان والأبناء التي تعلقون عليها نص الأمل في النصر إذ قلتم لن نعب اليوم عن قوة أعدائكم وتقهقرتم • فلم نصر عكم • تلك الكثرة ، شأنًا • لا تنصارك ولم يقدرك ولم ينفعكم إذ ذلك مال ولا ولد • وصافت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين • لا تلوون على شيء • ثم أرسل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين • فلم يحافوا من عدوهم بل نبتوا ثوب الراسيات • وأرسل • الله جنودًا • روحانية • لم ترها • ولكنكم وجدتم أثرها في نيل النصر في الموقعة الأمر الذي يصور لكم كيف يؤيد الله نصره من يشاء من عباده المتبعين هديه الواثقين بنصره المتوكلين عليه • وعذب • الله • الذين كفروا • في تلك المعركة بالقتل والأسر والسبي • وذلك جزاء الكافرين • بالله المعتمدين على محض قوتهم من دون الله وكان من رحمة الله تعالى بحلقه أنه بعد أن أمر بيه بأن يندبرهم

بالتربص إدا هم لم يؤثروا بحبه ومحبة رسوله والجهاد في سبيله على كل شيء . وبعد أن ذكرهم بما كان من نصرة لهم عند اعتمادهم عليه ، وحدلائهم عند ما اعتمدوا على الكثرة أحبر رسوله بأنه تعالى قد تجاوز عما يكون من تفاوت في درجات الحب والنصح في سبيل الله والثقة به فقال : « ثم يتوب الله من بعد ذلك ، الإمداد ، على من يشاء ، من عباده الذين قصر استعدادهم العظمى عن بلوغ مستوى الكمال النفسى والطاعة التامة ، والله عفوور ، لما يصدر من الذنوب ، رحيم ، لعباده الذين يرجون رحمته ويخافون عذابه ،

٤ - إقصاء كل من لا يؤمن بالله عن بيته الحرام ولو كان في هذا الإقصاء أضرار مادية حيث قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ، بالله ، إنما المشركون نجس ، في عقائدهم المأخذه وعبادتهم الداسدة شأنهم كشأن النجاسات من حيث أنها تؤدي براحتهم من يديهم ، يحشون أن تلوثهم نجاستهم ، فلا يترهبوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، أى فلا يمسكونهم من دخول أرض الحرم سواء للعبادة أو لسبب آخر كالتجارة التي تعود بعضهم أن يأتيكم بها ، وإن حرم عيلة ، لقلة مواد المعيشة التي كانوا يصحبونها لكم معهم ، فسوف يعينكم الله ، في المسكن ، من فضله ، لتوسع ، إن شاء ، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، فمن واجبكم أن تنصروا أممكم فيه واتكالكم عليه دون مجرد الكسب والأسباب الظاهرة ، إن الله عليم بما أنتم في حاجة إليه ، حكيم ، فيما امره عليكم من منع المشركين من دخول المسجد الحرام فلو لم تكن في ذلك مصلحة لما أمر الله بذلك وهو القادر على أن يوفر رزقكم من طريق آخر .

٥ - عدم إكراه أهل الكتاب من اليهود والنصارى على الإيمان والإكتفاء منهم في حالة الرخص بذهب الجزية للمؤمنين حيث قال تعالى : « قاتلوا الذين

لا يؤمنون بالله ، أى إيماناً حاصلاً من الشرك ، وعبادة غيره معه . ولا  
باليوم الآخر ، الذى يبعث الله فيه الناس بشراً بأجسامهم كما كانوا لياسوا  
نوابغ وعقابهم . ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله . فى شرعهم أى لا يلتزمون  
للعمل بكل ما جاء به رسلكم ، وما ثبت فى كتبكم فإن الله حرم عليهم الشحوم  
فأدباوها وباعوها وأكلوا أثمانها الى غير ذلك من التحريف والتأويل  
وتقليد الأحبار والرهبان الذين اتخذوهم آرباءاً من دون الله . . ولا يدينون  
دين الحق . المكامل الأخير الذى جاء به خاتم النبيين مبداً لما اختلفوا فيه  
من قبل . من الدين أو تواتر الكتاب . الإلهى وهو ما يشمل التوراة والإنجيل  
والإنوار وغيرها . حتى يعطوا الجزية . وهى نوع من الخراج يضرب على  
الأشخاص مقاس حق دمايتهم وحمايتهم والدفاع عنهم من غير تكليفهم بالتجند  
للقتال فى صفوف المؤمنين . عريد . أى فدية وسعة فلا يطلبون ولا  
يرهبون فيها . وهم صاعرون . أى خاضعون لسيادتك وحكمك . . . . .  
هؤلاء أهل الدمة وهم يتساوون فى العدل ، وكافة الحقوق التى تكون لهم  
بمقتضى دمة لله ورسوله الى أن يسلبوا مخرج عنهم هذه الجزية . ويصحبوا لهم  
مالا وعليهم ماعسيا . ويتساوون معساي الحقوق . والواجبات . أما  
الذين بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق يعترف به كل منهم باستقلال الآخر  
فيسمون أهل العهد والمعاهدين هؤلاء يجب احترام عهودهم ، وتحريم حياتهم  
سراً وجهرآ حتى أن الله تعالى لم يسمح لـ أن ينصر إخواننا المسلمين غير  
إخضاعهم لحكما على المعاهدين من الكفار حيث قال : . وإن استصروكم فى  
الدين فعبيكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ، وإما اكتفى من أهل  
الدمة بأخذ الجزية فى حال رفضهم الإسلام دون المشركين لأنهم أهل كتاب من  
الله لو رجعوا اليه قبل تحريفه ، وتبديله ، وتدبروه ، ونجدوا عن

العصية لآمروا بما جاء به رسول الله ﷺ فهم أقرب إلى الإيمان ، وأدى أن ينصاعوا إليه إذ هم يعترفون بوجود الله وإنما جالفون المسلمين في مسألتين : أنتن لا تألتن لها لا يقرها عبيد ديسه من الأساس وقد وصحها الله فيما يأتي :

الأولى : زعمهم أن الله ولدأ حيث قال تعالى : ، وقالت اليهود عير ابن الله ، ، وقالت النصارى لمسيح ابن الله ، استندأ إلى أن المسيح كان يدعو الله بقوله : ، أو ، ، يقررون هذه الأبوة بأنه من طبيعته وأنه ابنه الوحيد الأكرلى هو جرمه ، و لإسلام لا يقر هذا بل يقول : إن الله تعالى واحد أحد ، صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، وإن عيراً عبد الله ، وإن عيسى بن مريم عبد لله وكلهم ألقها إلى مريم : روح منه ، حقه الله من غير أب ، كما خلق آدم من غير أب ، مجرد أمره على غير سنه في البشر التي تقتضى اساس والوالد من احتياج ماء الرجل والمرأة وفي هذا يقول القرآن : ، إن مثل عيسى عند الله كمن آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، ، ونه لم يخرج عن كونه من طقة البشر كما قال تعالى : ، ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كآء يا كلال الطعام ، والمسبون وليه د والنصارى مدقون جميعاً على أن الله هو المتصرف في انعام وهو حاقه ، ومديره وهو الذى أرسل الرسل ليعرفوا اساس بما يرضيه وما لا يرضيه من الاعمال وبما لا حداد فيه أن المسيح ﷺ لم يدع لنفسه الألوهية وأنه كان يعترف بوحداية الله ورسالته عنه حيث يقول في الإنجيل ( يوحنا ) : ، وهذه الحياة الأبدية بعرفوك أنتم الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح لدى أرسلته ، ، ولم يدع لمسيح ﷺ لباس إلى عبادته وعبادة أمه قط ، ولم ينكر أحد أنه كان يدعو إلى عبادة الله ، والإخلاص له نصريح القول فالقول بأن محاطة عيسى لله بلفظ ، أى ، تقتضى أن تكون من طبيعة الآلهة



أمر لا يقره المنطق الصحيح أمام الواقع . وأمام ما اعترف به نفسه من وحدانية الله ورسالته عنه . ولا ينبغي أن يقف في طريق الاتحاد مع المسلمين على الإيمان بوحديّة الله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ، من يجب اعتقاد بطلان تلك الدعوة وأنه تعالى لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، من يجب اعتقاد بطلان تلك الدعوة الرافقة التي لا تسلم بها لعقل السلف . بل لو كان المسيح إنشأ الله من طبيعة الإلهية كما يعمون لما انتابته أحول المحلوفين . ذلك قوله . الذي قالوه في عرب ، والمسيح . ذقواهم . فلا يمكن لهم أن يتصووا منه وهو قول محمد عن الرهان أشبه بالمهل الذي يمر في الآلة ، بصامثون . به . و قول الدين كفروا . بالله . من قبل . من مشركا العرب الذين قالوا . إن الملائكة ساء الله . فالهم الله أية فكر . أن كيف يصرفون الناس عن حقيقة التوحيد والتبره لمخالق الذي جاء به . من الرسل التي أنشأ الله الذي لا رهان عليه

لثانية . إعتقادهم أن لعير الله سلطاناً مع الله ، وهذا أمر لم يأت في إعتقادهم أنصاً . والإسلام ما جاء إلا بغير . من في لعبودية غير الله . من لا يصير . ولا يسمع . لا يشفع . لا يعي من الله شيئاً . والحرية هي أقصى أمان الإنسان في الحياة . فلو بدر أيها ذوو البصائر ، وعرفوا حقيقة الإسلام لما ترددوا لحظة واحدة في بد تلك الخرافات التي عليها عيهم قساوتهم . وذهابهم عما لا يقبله العقل . ولا يقره المنطق السليم . وقد أشار الله تعالى في هذه القصص بقوله : . أنحدوا أخبارهم وذهبهم أرباباً ، يطمونهم كعتظيمه . ويخبرونه كحبه . ويسبون إليهم من التصرفات ما لا يقدر عليه غير الله ، ويطيعونهم في كل حين . منهم به . من دون الله فإذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه . وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموا . وإذا أمرهم بدعاء

غير الله استجابوا لهم ، وأطاعوهم ، والمسيح بن مريم ، بأن جعلوه  
 إنساناً لله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ولما كانت الربوبية تستلزم الألوهية  
 بالذات . إذ الرب هو الذى يحب أن يعبد وحده قال تعالى : . وما أمروا  
 إلا ليعبدوا إلهاً واحداً ، لا يطيعون فى الدين سواه إذ هو وحده الذى يملك  
 حق التحجيل والتحرّم ، لا إله إلا هو سبحانه ، برهه وبقدره ، عما  
 يشركون ، معه أو من دونه من الأنبياء ، والأحبار والرهبان ، يريدون ،  
 أى النصارى واليهود ، أن يطفئوا نور الله ، حجته الدالة على دعوة التوحيد  
 التى جاءت بها جميع الأنبياء والمرسلين من عباده ، وعلى أنه ليس كمثل شئ .  
 لا ولد له ولا والد ، فأقراهم ، بما يقولون من أفرال من شأنها أن تعدهم  
 عن الله ، وتصدّم عن سبيله ، ويأذنه إلا أن يتم بربه ، ويظهره بوضوح  
 بعثة حاتم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى اخنوخ عليه السلام ، الذين فصّح أمرهم ، وقد  
 أقراهم ، وبين حقيقة ما دلت اليه من سبقه من المرسلين من وجوب إحلاص  
 العبادة لله ، وبه الأفكار ، وحاطب الوجدان ، وجاء بشريعة مدعمة بالدلائل  
 والبرهان تمنع الإنسان من الحصرع بالإسبال فصلاً عن الاعتصام والأوثان ،  
 وعبادات تزكى القوس وتطهرها ، وتفق قيدها وتحررها ، وتجعلها تدرك  
 ما لها وما عليها ، وتطبع فيها مسكات الفصائل ، وتسمو بها عن كل عرض  
 زائل ، ولو كره الكافرون ، ذلك لأنه أظهر كدبهم ، وقصى على سلطنة  
 أحبارهم ورهبانهم وحرّمهم من منح العفو والمغفرة التى كانوا يمنحونها لهم ،  
 ويتقلّبونها منهم بأفكارهم الصيقة ثم قال تعالى : . هو الذى أرسل رسوله  
 محمداً ، بالهدى ، وهو القرآن ، ودين الحق ، وهو الإسلام ، ليظهره  
 على الدين كله ، جميع الأديان المخالفة له بنسخه بها ، ولو كره المشركون ،  
 ذلك ، بأنّها الذين آمنوا ، هل علمهم لمّا إذا يريد أولئك القوم أن يطفئوا

بورد الله بأفراحهم . إن كثير آمن الأحبار والرهبان ، كانوا يزعمون لأنفسهم سلطة روحية يتحكمون بمقتضاها في رقاب السطاء . ويومئهم أن في استطاعتهم قبول الاعتراضات بالدب ، ومنع الشعاعة لمن يريدون ، مقاس أموال يثرونها منهم ، وإلهم بذلك ، ليأكلوا أموال الناس بالباطل . بطريق غير مشروع ، هم لا يملكون الغفران حتى يمنوا به عليهم ، ولا نفوذ لهم في الآخرة حتى يستطيعوا أن يمنحوا الجنة أو نار . وهم يعلمون هذا يسكون مسلكا غير شريف . وصدون عن سبيل الله . واتساع شريعة حاتم انبيى عما يدخلوه في روع من صدقهم بأنهم قد كفوه ما أهمه من قبل الله بما أحدوه من مال . والدر بكمرون الذهب والعصاة ولا ينفقونها في سبيل الله فشرهم بعد ب أليم . أى في حين أن كبر الذهب والعصاة في ذاته ، وعدم إيفاقها في سبيله جريمة يستحق مرتكبها شدة العذاب فما بالك من يجمعها بغير طريق مشروع . ويعقها في الصد عن سبيل الله . يوم يحصى عليها . على تلك الأموال التي كثرت ، ولم تنفق في أوجه الخير . والأموال التي جمعت من حرام . وأعقت في الصد عن سبيل الله من باب أولى . في نار جهنم . التي أعدت للعذاب الأليم . فتكرى بها جباههم وجنوبهم وطهورهم . ويقال لهم . هذا . المال . ما كبرتم لأنفسكم ، وافردتم بمتاعه في الدنيا حتى عليكم اليوم ، وأعد لعذابكم . فنوقروا ، وبال . ما كنتم تكفرون . .

٦ - المحافظة على ماسنه الله لشهور من أحكام وعدم تجاوز ذلك بتدليل أو تغيير في أحكامه حيث قال . . إن عدة الشهور ، التي تألف منها السنة القمرية . إثنا عشر شهراً ، يبدأ كل شهر بمولد هلاله الذي يمكن العلم به بالرؤية البصرية للأيام والمتعبد في البدو والحضر على السواء . في كتاب الله . الذي أثبت فيه نظام سير القمر وتقديره منازل ، ليعلم بذلك عدد السنين

والحساب ، يوم خلق السماوات والأرض ، فلا يمكن أن تختلف الأشهر ، ولا تتغير أعمارها ، ومواعيدها ، وقصص ربك أن يكون ، منها أربعة ، ثلاثة منها سرد وهي : ذو القعدة ، و ذو الحجة ، والمحرم . وواحد فرد وهو رجب ، حرم ، أى حرم الله انقال فيها على لسان إبراهيم ، واسماعيل ( عليهما السلام ) ، ذلك ، أى تقسيمها الى حرم وغير حرم وعدد الحرم منها ، هو الدين القيم ، الذى يداين الله ، فلا تطغوا فيه ، أى فى الأشهر الحرم ، أنفسكم ، تعبير أو تدبير فى أحكامها أو ناسك حرمتها ، وقالوا المشركين . الذين لا يعترفون بحرمتها . كافة ، أى جميعاً فى جميع أشهر العام الاثنى عشر ، كما يقانلو ذلك كافة ، أى كما يقانلو ، كم جميعاً فيها مقدسة بالمثل ، واعلموا أن الله مع المتقين . الذين يحافظون عادات الخروح عن أحكام الله ، إيماناً ، أى تأخير حرمة بعض الأشهر الحرم الى غيرها مما كانت تفعله العرب فى الجاهلية إذا جاءهم شهر حرام وهم يحاربون أهلوه وحرموا مكانه شهر آخر ، ربه ، وإيمانهم ، فى الكفر ، لأنه تحريم ما أحله الله ، وتحليل ما حرمة الله فهو كفر آخر صمد ، أى شركهم ، وأيضاً قد علم القوم أنهم لو رتبوا حسابهم على السنة القمرية لوقع حجهم تارة فى الصيف ، وتارة فى الشتاء وفى هـا مشقة عليهم ، وحلال بمصالحهم لديوية لأنه يؤدى الى إحصاء الناس عن بارئهم بالتجارة إذا كان الحج فى موسم الصيف فمعدوا الى اعتبار لسنة الشمسية ولم كانت السنة الشمسية دائمة على السنة القمرية بمقدار معين احتاجوا الى الكفاية وحصل لهم بذلك أمران . أحدهما - أنهم كانوا يجعلون بعض السنين ثلاثة عشر شهر أسبب إحصاء تلك الترددات - الثانى - إنه كان يتنقح الحج فى بعض الشهور - التدبيرة فى غير ه فكان الحج يقع فى بعض السنين فى ذى الحجة ، وبعضه فى المحرم ، وبعضه فى صفر وهكذا فى الدور حتى ينتهى بعد

بحو ست وثلاثين سنة مرة أخرى الى دى الحجة ، وترتب عليه أمران .  
لزيادة في عدد الشهور . وتأخير الحرمة الخاصة لشهر الى شهر آخر . وفي  
هذا ما فيه من الاثبات على الله والعدوان على حقوق الربوبية . إذ هم بمذهبهم  
هذا شرعوا في الدين بأهوائهم ما لم يأذن به الله

وهو وحده الذي يملك حق التحليل والتحريم وتحديد أوقات العبادات  
وهم في بنائهم العبادات على حساب الشمس قد راعوا مصالحهم الدنيوية ،  
ولم يلاحظوا ما في مراعاة احساب القمرى من حكمة إلهية . هي أن تدور  
جميع الفصول على ثلاث الأشهر الحرم فتؤدى العبادات بهذا الدوران في كل  
أجزاء السنة من صام رمضان في ثلاثين سنة يكون قد صام في كل أجزاء السنة  
وكذلك الحال في تكرار الحج ، ويترب على هذا أن يجد المؤمن لذة الصوم  
في الشتاء ويصبر على آلامه في الصيف . وينال الخساح من أجره على تحمله  
آلام البرد في حال الإحرام في شتاء كما يبال الأجر على الصبر على حرارة  
الشمس في الصيف . وسوف يقدر الله له الأجر في العبادات على قدر المشقة  
نظرا به ، أى بالعمل الذي يصبر به لئلا يسهو عنه في الكفر . الذين كفروا ،  
تأنيبهم والأخذ بأقوالهم . يحلوه عاما ويحرمونه عاما ، أى يجعلهم يتلاعبون  
في مواعيد قتال وتحريمه بحسب تقديرهم . ليواطئوا عدة ما حرم الله ،  
أى حتى يحلوا عدد الأشهر الحرم أربعة مضاعفة لما كان عليه الحال في عهد  
إبراهيم . ريس لهم سوء أعمالهم ، هذه حيث ظفوها صواباً وحكمة . والله ،  
من شأنه تعالى أحكامه . لا يهدى . الى الحق والخير الصحيح ، القوم الكافرين ،  
به من لا يستلمون الهدى منه متأثرين بأرائهم متعين شهوراتهم

٧ - التهيب للقتال دائماً . والاستعداد في كل وقت لاجبة داعي الله .  
وقد علم الله أن بعضهم في غروة تبوك كان غير مبال في سيره الى القتال ، متباطئاً

في السير فأراد الله جل وعلا أن ينتزع من قلوبهم ذلك ، وأمرهم بعدم التردد لحظة في إجابة الأمر حيث قال : « يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله إن أنقمتم إلى الأرض ، أي اعلبوا أي لا أوصى بذلك منكم ، أوصيتم بالحياة الدنيا ، ولدتها الفانية الباطنة ، من الآخرة ، بدلا من سعادتها الكاملة الدائمة ، فامتناع الحياة الدنيا ، الذي تعحسون به ، في الآخرة إلا قليل . لا يوصى به عاقل يؤمن بالله واليوم الآخر ، وقد شبه رسول الله ﷺ نعيم الدنيا بالاصافة إلى نعيم الآخرة في قلته في نفسه ورمته من وصع أصعبه في اليم ثم أخرجها منه وقال . فانظروا ثم ترجع . » إلا تنفروا ، إذا دعاكم داعي الله إلى الجهاد في سبيله . بعدكم ، الله . عدا أليها ، في الآخرة وفي الدنيا حيث يجعلكم ضعفاء أذلاء . مستعدين ، لحكام مستبدين ، أو شعوب مستعمرين . ويستبدل ، بكم ، قوماً غيركم ، خيراً منكم ، ولا تنصروه شيئاً ، تناقلكم عن طاعته ونصرة ديه ، لأن الذي سيكوى نار الذل إنما هو أنتم ، أما دينه فهو قادر على تأييده وشره بمختلف الوسائل . والله على كل شيء قدير . فلا يعجزه أن يرسل عليكم من الوباء ما يقضى به عليكم عن أحركم متى أراد . » إلا تنصروه ، أي الرسول الذي استنفركم في سبيله . فقد نصره الله . كتب له تعالى النصر . إذا أخرجه الذين كفروا . تسبوا في حروجه من مكة ، وألجؤوه إليه لما بيتوا في دار الندوة قتله أو حسسه أو فيه فأذن الله له بالهجرة ، مهاجر ، ولم يكن معه غير أبي بكر وكان هو . ثانياً إثنين إدهما في العار ، ولم يكن معه شيء من الرجال والعتاد . إذا يقول . من عظم ثقته بربه ، ونصره له . لصاحبه . وهو أبو بكر . حين رأى منه شيئاً من الخوف والفرع والقلق . لا تخزن إن الله معنا ، بنصره . ومعوته ، وتأيدته ، وحفظه ومن كان الله معه بنصرته التي

لا تعب ، وقوته اتى لانقهر ، فما يكون له أن يستسلم لحزن وقلق . فأزل الله سكينة عليه ، أى على رسوله . وأيده ، فى كل موضع . بجنود لم تروها . أى بقوة غيبية غير ظاهرة لكم . وجعل ، الله ، كلمة الدين كعروا ، اتى اجتمعوا عليها واعتقدوا بضرورة تنفيذها . السفلى ، الحقيرة التى لا قيمة لها . وكلمة الله ، التى يريدونها ، وبأمرها ، العليا ، التى يجب أن تكون . والله عزيز . ذو سلطان واسع . حكيم ذو تدبير عظيم .

٨ - إجابة داعى الله الى الجهاد فى سبيله بالنفس ، والمال حيث قال تعالى :  **« إفرؤا ، عندما يعلى لغير العام ، حصفاً وثقالا ، أى سواء كنتم على الصفة التى يحب عليكم الجهاد ، أو على الصفة التى يثقل عليكم الجهاد من الأسباب الشخصية ، والموانع فلا عذر لمن خف ، أو ثقل . ألهم إلا أمراً قاهراً من الله كالمرص . وجاهدوا ، أعدائكم الذين يقاثلونكم فى سبيل الطاغوت . أموالكم وأنفسكم ، عند القدرة عليها . ومن قدر على أحدهما دون الآخر أوجب الله عليه ما كان قدرته منها . فى سبيل ، عية مشتركة هى إعلاء كلمة . الله . ونصرو ديه وإقامة شرعه ، والعمل لما يرضيه . دلكم ، الاستجابة لما أمرتم به من الفر والجهاد . خير لكم ، فى الدنيا والآخرة ، أما فى الدنيا فلأن داء ما يرهب أعدائكم ، ويحلمهم على احترامكم ويجعلكم موضع المهانة ، والعزة فى جميع الأوقات . وأما فى الآخرة فلا لكم نغتم أو امر الله ، وأهلت أنفسكم ليسل امرأة التى كتبها الله لكم ، أو التى يريدكم أن تتلسوا بها . إن كنتم تعلمون ، حقائق الأمور ، وأن الله لا يعرض عليكم أمراً إلا إذا كان فيه خيركم ، وسعادكم . والله سبحانه وتعالى أعلم**

## « تعليق على براءة »

لئن كانت معاهدة الحديبية فتحاً مهنياً سياسياً من الله لنبيه ﷺ فإن ما أوحى به تعالى إليه من سورة راءة ليدبر به المشركين يوم الجمع الأكبر ليمد فصلاً عظيماً منه على عبده ، و وضع له الأسس التي يجب أن تقوم عليها دولته ، ونصان بها شريعته ، وتعلو في الحقائق دعوته ، وتسود بين الأمم أمته . فأنه سبحانه قد أراد بالناس حيراً فاحتار من بينهم رسلاً يبلونهم عليه ويحببونهم إليه ويدعونهم لطاعته لينالوا حسن رضاه وعظيم ثوابه . وكان آخر أولئك الرسل - محمد بن عبد الله - ﷺ الذي جاء بالحق بشيراً وبنذيراً . وكانت مهمة هذا الرسول متجهة الى دعوة الناس الى معرفة الله ، والإعتراف بوحدانيته ، والتصديق برسالاته عنه للعمل بما يدعونه اليه من طاعته ، وفق دستور خاص أوحى به إليه رب العزة وهو « القرآن » ، نظام كامل وصحه الله على وفق ما يعلبه أرلا من أحوال خلقه بما يصلح شؤونهم ويضمن سعادتهم ، وهبهم في هذه الحياة الدنيا ، وفي الآخرة التي عميت عليهم أجارها وهو تعالى أعلم بما وما أعده فيها من نعيم مقيم للطائعين ، وعذاب أليم للكافرين .

ولقد كان حجر الراوية فيما يدعو اليه الرسول هو العقيدة بوجود الله والإيمان الكامل بما جاء من عنده عن طريق رسله من أمور محسوسة وغير محسوسة ، وأحكام واضحة العاية أو غير واضحة . ومن أجل هذا عمل رسول الله



ﷺ على تثبيت العقيدة في قلب كل من آمن به بمختلف الوسائل حتى أشربت بها نفوسهم واحتللت بدمائهم . وأصبحوا ولا قوة في العالم تستطيع أن تزحزحهم عنها

لقد آمن المؤمنون بوجود الله فأتجهوا إليه وأدركوا مبلغ فضله وكرمه عليهم فأحسوه وصدقوا برسالة رسوله فاتبعوه ووجدوا الخير في تعاليمه فرغبوا أن يعلم الناس أجمعين . والإسلام عقيدة ثابتة في قلوب المؤمنين بأنهم على حق وإنهم قد اكتشفوا العلاج الوحيد لصلاح العالم . وتبقيته من الشرور والآثام والسموم إلى أن في درجات الكمال فلا بد لهم من أن يتمسكوا بهذه العقيدة وأن يـأقروا عنها وأن يعملوا على نشرها لأصلحتهم الشخصية من ليعم النور وتود انفصله ، ويعيش الناس في هاء دائم . وتمهيداً لذلك أمر رسول الله ﷺ علياً أمير المؤمنين عليه السلام أن يذيع على الناس ما يأتي :

١ . لا يدخل الجنة كافر ، ومعنى هذا أن يعلم أجمع أن رضا الله لا ينال بعد اليوم إلا بتبائع دين الإسلام من أراد أن ينال رضا الله هو وسيلة لدخول الجنة فعليه «داع رسوله ( محمد ر عبد الله ) ﷺ» .

٢ . لا ينجح بعد العام مشرك ، ومعنى هذا أن مكة قد خصت من الأوائل وحصت للمؤمنين فيجب أن لا يدنو منها كل من يعبد غير الله .

٣ . لا يظوف بالبيت عريان ، ومعنى هذا : القضاء على عادات الجاهلية وأن انفصلية هي التي يجب أن تسود بعد اليوم في تلك البقعة المقدسة

٤ . من كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو إلى مدته ، ومعنى هذا أنه لا هودة في دين الله وإنما تحترم العهد اليهود إلى مدتها .

وأيد الله رسوله على هذه الأسس بأمرال سورة برائة فسارع بالتدابير على ﷺ لإعلامها على الناس أجمعين . فقبحا يأمر الله عباده المؤمنين بأن

يدافعوا عن عقيدتهم التي تقوم عليها دولتهم بكل ما أوتوا من قوة ، وأن يقاتلوا كل من يقف في وجه تلك العقيدة تزييعاً أو الطعن فيها أو محاربتها من أولئك المشركين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر حتى نحصل للإسلام ويعتقوا مبادئه ولا يفتن منهم غير ذلك لعدة أسباب يحصر بعضها ما يأتي .

١ - لأن الشرك الذي كان عليه الناس عند قيام رسول الله ﷺ بالدعوة إلى الله كان يعبر عن منتهى الجهل والضلال ويتناقض مع كرامة الإنسانية وشرها فلا ينبغي أن يترك أنصاره وشأهم ، يهدون من دون الله أحداً ألا تعقل ولا تعي ولا تفكر ولا تدبر .

٢ - لأنه كان إلى جانب الشرك مجموعة من العادات والتقاليد التي تنفر منها الإنسانية ، وتنبذها النفوس وتقتصر منها الأبدان كالظهور أمام الناس عراة في الطواف بالبيت ، وكوأة البسات ، وهضم حقوق المرأة ومساواتها بسقط المتاع ، وإبشار الموبقات والاستحقاق بالأرواح ، والاعتماد على الحريات وأكل الأموال الباطل ، والعرور بالنفس والتبطل إلى غير ذلك من الأمور التي يجب على كل عاقل أن يحاربها ويزيل أثرها من الوجود

٣ - لأن معارضة هؤلاء للإسلام إنما هي مرحلة إلى جوهر العقيدة التي هي أغلى شيء عند المؤمنين .

٤ - لأن وجودهم خطر يهدد الإسلام بفتنة الناس فيه وثورتهم عليه في يوم من الأيام .

٥ - لأن الله تعالى العليم بالسرائر قد أحضر فيه في القرآن بأنهم قوم لا عهد لهم ولا ميثاق وأنهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا دعة ، وقد بدأ منهم فعلاً في معاستهم للمؤمنين من قتل مراراً

أما غير هؤلاء من أهل الكتاب الذين آمنوا بالله وكتبه المنزل على موسى وعيسى ولم يعترفوا برسالة محمد ﷺ ، وأبوا أن يتقبلوا هداية الاسلام ، وما جاء به من تصحيح لما أدخل على كتبهم من تحريف وتبديل ، فقد أوجب الله قتالهم حتى يعترفوا بالاسلام ديناً من عند الله ، وعندئذ يسمع منهم بالاقامة بين المسلمين في ديار الاسلام ، لأنهم أقرب الى الاسلام من غيرهم على أن يدفعوا للدولة الاسلامية الجزية لمستطاعة بقاء عفاثهم من تكاليف الجهاد معهم في سبيل الله . وقد أرسل الله تعالى في شأنهم وفي مراعاة البر بهم والقسط معهم ومع أممهم من الكفار الذين لم يتعرضوا للإسلام بحرب ولا بدسائس ، قوله تعالى : . عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ، لا يهاكم الله عن يدين لم يقابلوكم في الدس ولم يحرجوكم من دياركم أن تروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين لما يهاكم الله عن الدين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتوهم فإِنَّهُم الظالمون . .

وقدس الله باب الحرم في وجوه كلا الفريقين إحتراماً لشعور المؤمنين ، وصيانة لهم من أدى تلك العقائد الفاسدة ، والعبادات الممكرة ، والعادات المستقحة . فكانت تلك الآيات من براءة ثورة على المبادئ الهدامة والظلم والفساد ، وستاراً حديدياً وضع دون تسرب الفحش والصلال الى أشرف البقاع ، فكان له أثره المحمود في صدر الاسلام .

ولم يكذب داع ذلك المنشور الإلهي على الناس حتى امتنع المشركون والكفار من ارتياد تلك البقعة الطاهرة من تلقاء أنفسهم ، ومن غير حاجة الى صدمتها بالقوة . وانتشر الخبر في الآفاق فأقبل الوفود على رسول الله ﷺ من كل حدب ، يعنون دحوهم في الإسلام ، ويطلبون من يهتد بهم

في دين الله ، ومن بين أولئك وهود من المشركين . وهود من أهل الكتاب فلا يجدون من رسول الله ﷺ إلا ما يزيدهم إيماناً تماماً بالله ، وتصديقاً برسالته . وقد أقر الرسول كل من جاءه من الأمراء في إمارته على قومه ، وقد سمى ذلك العام عام الوفود لتهافتهم على الدخول في دين الإسلام . وأوفد رسول الله ﷺ - معاذ بن جبل - إلى أهل اليمن ليعلّمهم الدين ، ويفقههم فيه . وكانت وصيته له قوله ﷺ : « يسر ولا تعسر ، نشر ولا تنفر » وإليك مستقدم على قوم بسألوك مفتاح الجنة ، فقل شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

كما أوفد ﷺ - خالد بن الوليد - إلى قبائل نجد أن - وهي مقاطعة من اليمن - يدعوها إلى الإسلام ، فلما بلغهم دعاهم إلى الإسلام فأسلموا . وبعثوا وفداً إلى رسول الله ﷺ يعرضون إسلامهم وهكذا انتشر الإسلام في الجزيرة العربية . وخضع المشركون للدين الحق من غير إراقة دماء دون أن يجد الرسول حاجة إلى تعيد ماتو عدهم به من القتال في سورة راءه

هذا هو العدل ، وهذا هو المطلق الصحيح . ولا اعتراض على هذا . فالأديان التي سقت لم تأت بمثل هذا الحكم والرسول السابقون إنما جاؤا لشعوبهم فقط ولم يؤمروا من الله بتعميم الدعوة إلى الناس كافة بخلاف دين الإسلام فقد جاء به حاتم الرسل للناس كافة . وأمر بالتباعد ما جاء في أول راءة فلم يقصد الرسول ذلك ولم يحاول قط أن يكره الناس على أن يكونوا مؤمنين .

ومن الغريب أن نسمع في عصرنا هذا من يتهم الإسلام بالتعصب الأعمى ومصادرة الحرية الشخصية ، ويحد من هذه الآيات دليلاً على القسوة وأنه فرض على الناس بالقوة . وهو كما قدمنا وكما سنقر أعيد عن ذلك كل لعدداد التعصب

الذى عليه المسلمون ماهر إلا نصب داني في العقيدة لما يرونه حقاً لاشك فيه ، ولا شرمه . كالدير ، والمعضائل الاساية ، ورغبة صادقة في هداية الناس اليه بالحسنة والموعظة الحسنة . وليس معنى هذا أن المسلم يكره غير المسلم لأنه على غير دينه بل إنه يرجو له الهداية ، ويتحدث كل الوسائل لإتارة طريقه في الحياة لما يقربه الى ربه ، ويضعه في الحياة الدنيا والآخرة . وهذه سيرة الرسول كما ناطقة بأنه ﷺ لم يهاجم فوماً في ديارهم سلاحه لدعوتهم الى الاسلام بل إنه فرق في المعاملة بين المشرك الذي لايعترف بوجود الله خالق الارض والسماء ، وبين الكافر من أهل الكتاب الذي يزعم أنه يؤمن بالله ، ويحمد في اعتقاده عندما اتصل بعده من أحكام دينه عن طرق أولئك الذين يقوه اليه بعد مئات السنين محرفاً مشوشاً ، وقد بدلوا فيه وغيروا . وأدخلوا فيه ما ليس منه .

وعند ما جاءهم الرسول ( محمد ) ﷺ من عند الله مصححاً لما ورد في كتبهم . وهاذيا الى الحق أعرضوا عنه . وسدوا آذانهم عن سماع ما جاء به ولذلك ستمهم كفاراً أى جاحدين معاندين لأنهم لا يبحثون عن الدليل فيما قدم اليهم ، ولا يدعون للحجة إذا قامت عندهم . مدفعين الى هذا بمجرد التمسك بما كان عليه آؤهم . وتقليدهم في ذلك تقليداً أعمى . وحسبهم في ذلك أن يقولوا إن تؤمن بالله كما تؤمنون ، ونوحده كما توحّدون . واصلوا كما تصلون ، وكل ما هالك أنا نقّس عيسى وأمه . وتحدثوا شفعاء لآلديه ، وعظم أوليائه من رجال الدين . وتوسل اليهم ليتوسلوا اليه . وقد أمر الله رسوله أن يحاطب هؤلاء بقوله : « قس يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أتم عابدون ما أعبد ، أى أن الإله الذي تزعمون أمكم تعبدونه ليس هو الذي أعبده لأنكم إنما تعبدون إلهاً له ولد وأنا أعبد إلهاً منزهاً عن ذلك ، ولا

أنهم عابدون ما أعبد ، أى ولستم بعاسين إلهي الحاكم العادل الذى لا يتقرب إليه إلا بإخلاص التوحيد ، والعمل الصالح . أما إلهكم الذى تعبدونه فإنكم تعتقدون أنه يحاى ويحامل ، ولا آه عابد ما عديتم ، أى وليست عبادتي كعبادتكم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد . أى لا عبادتكم كعبادتي ، فعبادتي حادثة لله وحده ، وعبادتكم مشوبة بالشرك مصحوبة بالعلة عن الله ، لكم دينكم ولي دين ، أى لا مشاركة بين ما أدعوا إليه . وما أنتم عليه وما كان للأمم والشعوب التى تدعى الخرية والديمقراطية اليوم ، وتحارب الشيوعية فى كل مكان باعتبارها مادية هدامة للنظام الاقتصادى القائم أن تنتقد الاسلام إذا هو عمل على محاربة مبادئ الشرك الهدامة ، وفى مقدمتها الشيوعية من قبل مئات السفين .

وما كان يكون للنول الى بقم الحصار ونحى الآداب ، وتحرم العراء عن طريق من الناس فى أماكن خاصة ، أن تنتقد الاسلام الذى وصع أساس الحصار ، وحرمة على المشركين أن يطوفوا بالبيت الحرام عرايا مندجر الاسلام . وما يكون لأمريكا كالدولة العظمى التى آمنت بأصرار المحرقاتها ، ولم استطع القضاء عليها أن تنكر على الاسلام تحريمها قبل مئات السنين ، وبحاجة فى تغير الناس منه .

وما يكون للدولة الاسكيرية ، والامنية التى أدركت مصار البقاء المعنى لخارسته وأوصدت أبوابه ، أن تنكر على الاسلام تحريمه للمرافق مئات السنين وبحاجة فى تحريمه ، وإهداء حرائيمه .

وأخيراً فما يكون لدول العالم جميعها وهى تشكو من تطاحن الناس على المادة ، وما ترتب عليها من ناراع الرأسمالية مع غيرها نتيجة انتشار الرأسمالية للناس . أن تعيب على الاسلام تحريمه للرب ، وصد الناس عنه

وقد جمع في ذلك بما عرسه في القلوب من تعاطف وتعاون ورحمة الانسان بأخيه الانسان يوم كان المسلمون يتعونه .  
وليس أمام الشر اليوم طريقاً يخلصون به مما يعانونه غير اتباع  
شريعة - محمد بن عبد الله - خاتم النبيين .

## السمو الخلقى عند محمد ﷺ

الأخلاق في الأمة عماد نهضتها ، وسر عظمتها ، والأساس الذي تبنى عليه حياتها ، ويفخر به أساؤها . وكل أمة يتجرد أساؤها عن الأخلاق العاصية أو تنحط أخلاقها لاتقوم ما قائمة ، ولا يرفع لها ذكر بين الأمم . ذلك لأن الأخلاق هي الوازع النفسى في الإنسان الذى يدعو إلى الخير ويصد عنه الشر . وحركات اجوارح من تأثير ما في الخاطر . وأعمال الطاهر دليل على مائكنه السرائر كما يقول الشاعر :

وما هذه الأعمال إلا مطاهر      تترجم عما قد تكن الصنائر

ومن أعمال الإنسان يعرف كسبه ، وتتضح حقيقته وسر خلقه

ومهما تكن عند امرئ من خليفة      وإن خالها تحق على الناس تعلم

فإذا حسنت أخلاق الناس حسنت أعمالهم وطابت عشرتهم ، وأنصفوا

من أنفسهم فلم يتجاوزوا حدودهم ، ولم يعتدوا على غيرهم وإداسات

أخلاقهم ساءت تصرفاتهم ، وتعددت مساوئهم ، وضرر منهم أقرب الناس

إليهم ، وفسد بذلك المجتمع الذى يعيشون فيه . ومن أجل هذا أنزل الله

الكتب ، وأرسل الرسل لهداية الناس تدريجاً إلى مكارم الأخلاق ، بعد

أن كانوا يعيشون على الفطرة لا وازع لهم يدفعهم إلى الخير وينهاهم عن الشر .



جاء كل رسول يهدى أخلاق أمته وفق مداركهم ، ومحاطهم على قدر عقولهم بحسب ما تقتضيه أطوار التربية التى أسسها الله تعالى لتربية عباده فعندما كانوا كالأطفال بعقولهم القاصرة . أرسل لهم رسلاً تستدرجهم إلى عبادة الله بالأمور المادية وتحرفهم بحوارق العادات . لردعهم عن الأمور الدينية ليستقيم أمرهم وتصلح أحوالهم .

حتى إذا طغت السلالة الشرية رشدها . وتكامل عقلها . وارتقت مداركها أرسل الله حاتم الرسل والنبين ( محمد بن عبد الله ) ﷺ للأخذ بيد الإنسان إلى الكمال الخلقى عن طريق استخدام العقل لمعرفة حقائق الأشياء ، وأحوال سائر الموجدات التى تنتهى إلى الله خالقها ومهيها . لعل فى هذه المعرفة ما يثبث النفوس إلى الله ويحملها على اتباع أوامره واحتجاب بواهبه ، فتستقيم الأخلاق ، وتحسن الأعمال ، ويعيش الناس فى هناء دائم

جاء الرسول الأكرم ( محمد ) ﷺ وأعلن على رؤوس الأشهاد قوله : « دعت لأنتم مكارم الأخلاق » فكانت الأخلاق الحسنة روح العبادات التى جاء بها ، وأفضل القربات التى دعا إليها ، وكانت هى من أجمل صفاته الباهرة التى وصفه الله تعالى بها فى كتابه الكريم حيث قال : « وإليك لعل خلق عظيم » ومن المعلوم أن المراد بالخلق : الصورة الباطنية للإنسان كما أن المراد بالخلق . الصورة الطاهرة له . فإذا قيل فلان حسن الخلق والخلق فمعناه أنه حسن الطاهر والناظر . وقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان مركباً . من جسد مدرك بالصر . ونفس مدركة بالبصيرة . ولكل منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة . ولا شك أن ما كان مدركاً بالبصيرة أعظم ما هو مدرك بالصر ولذلك عظم الله أمره فأضافه إليه حيث قال : « إني خلق بشرأ من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » فأشار بذلك إلى أن الجسد

منسوب الى الطين ، والروح الى رب العالمين .

وأما هيئة الجسم الطاهرة فيمكن الحكم بحسبها ومما لها بمجرد النظر اليها  
وأما هيئة النفس الباطنة فلا يمكن معرفتها وحسبها وقبحها إلا بما يبدو  
من أعمالها الطاهرة باعتبارها هي مصدر الفكر ، وهي التي تهيم على أعمال  
الجوارح . فما كان من الأفعال محموداً دل على نفس طيبة ، وخلق حسن  
والعكس بالعكس . وليس كل عمل الإنسان يدل على حقيقة نفسه ، بل إنما  
الذي يدل عليها هو العمل الذي يصدر بسهولة ويسير على وتيرة واحدة ومن  
غير حاجة الى تفكير وروية . وأما الأفعال التي تصدر بتكلف وعلى سبيل  
لشنود ، أو بعد تردد وتروء فلا يصح أن تكون دليلاً على حقيقة نفس  
الإنسان . فمن يصدر منه بدل المال مثلاً على سبيل الشدود لطرف خاص  
لا يقال : أن من حقيقته السخاء لأنه قد يقصد الرباء ، أو تحت تأثير أمر آخر  
ومن يتكلف السكوت في حالة الغضب لا يقال عنه انه حلیم لطبع لأنه قد  
يكون مكرها عليه .

وهذا قياس على الصورة الظاهرة للإنسان ، فإنه لا يصح الحكم بحال  
الحقيقة إلا إذا تجلى ذلك فيها ، وهي في حالتها الطبيعية دون أن تنطرق اليها  
يد التجميل والتحسين ، كذلك لا يشترط في إثبات صفة النفس من حسن أو  
قبح ، وجود فعل لها في الظاهر لأنه قد تستر الصفة في النفس لعدم تهيؤ أسماها كأن  
يكون الرجل جواداً ولكن لم يجد على أحد لعدم وجود ما يجوده .

ولا يكفي لإثبات صفة الخصال في الصورة الظاهرة للإنسان وجود الحسن  
في عضو دون آخر بل لابد من وجود الحسن في كل عضو من الأعضاء مع  
تناسق وتناسق في الأجزاء ليتم بذلك جمال الكل . ولهذا قيل في حقيقة الجمال  
إنه تناسق الأعضاء . وكذا الحال في الصورة الباطنة فلا بد من توفر الحسن

في جميع القوى النفسية حتى يتم بذلك حسن الخلق . وقد حص الله في الباطن أربع قوى : وهي قوة العقل ، قوة النفس ، قوة الشهوة ، قوة الإرادة . أما قوة العقل : فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل معها إدراك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال ، وبين الحق والباطل في الاعتقادات ، وبين الخير والقبیح في الأفعال فإذا صحت هذه القوة أثمرت الحكمة . والحكمة أساس الأخلاق الحسنة ، وهي التي قال الله تعالى عنها : « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » . وقال ابن عباس في تفسيره : لقوله تعالى : « ولقد آتينا لقمان الحكمة » . - يسمى العقل والفهم والقطعة من غير نوة -

وأما قوة النفس : فحسنها في إصلاحها حتى يحصل كنفها عن الخوف وقصاء وطرد العصب ، ويسمى ذلك بالشجاعة . وأما قوة الشهوة : فحسنها أن تكون قابلة للصعق والانسجام وتسمى عندئذ بالعفة . وأما قوة الإرادة : فحسنها أن تكون حاضنة للحكمة ، منفذة لأوامرها ، متمشية مع الشرع ، قادرة على ضبط قوى العصب والشهوة . وتسمى هذه الحال بالعدل

وحالة التماسك في هذه القوى هي درجة الاعتدال في الكل . فأى مافرة من هذه القوى تجاوز فيها الحسن حدا الاعتدال انقضت الى صده من السوء على حد قوتهم . إذا اشتد لياض صار برها ، وإذا راد الشيء عن حده استبحان الى صده ، مثلاً حالة الاعتدال في قوة النفس العاصية تسمى شجاعة وحلياً فإن مالت عن حد الاعتدال الى طرف الزيادة يسمى تهوراً ، وإن مالت الى الضعف والبقصان يسمى جبناً وخوراً . وحالة الاعتدال في القوة الشهوانية تسمى فضيلة وعفة ، فإن مالت الى الزيادة يسمى شرها ، وإن مالت الى النقصان يسمى جموداً وبلادة ، والطرفان رديان مدمومان . كما قيل .

كلا طرفي قصد الأمور دميم . .

وأما الاعتدال في قوة الإرادة فيسمى عدلاً ، وليس له طرفاً زيادة أو نقصان ، وإنما يقال له شيء واحد هو الجور إلا أنه قد يكون للعدل طرفان متعيران ، باعتبار كماله ونقصانه ، وباعتبار ظهوره في وصفه الحقيقي وفي غير وصفه بأن يسمى عدلاً ، وبالإضافة وهو جور في الحقيقة وذلك كقولهم : المساواة في الظلم عدل ، . كذلك الحال في الحكمة التي هي ثمرة العقل ليس لها طرفاً زيادة أو نقصان ولكن إذا أفرط في استعمالها للأغراض الفاسدة يسمى ذلك حجباً وإن صغفت قوة العقل اعتبر ذلك سهواً ، وإذا شتد الصغف كان قنوعاً

وبالاحتمال فإن من اعتدال هذه المصالح الأربعة : - الحكمة ، والشجاعة والعفة ، والعدل - تصدر الأخلاق الخيلة كلها فإن من اعتدل قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الدهن ، وثقافة الرأي ، وإصابة الظن ، والتفطن لدقائق الأعمال وحماية آفات النفوس ومن إفراطها يصدر المكر والخداع ، ومن تفريطها يصدر الخنور . وأما خلق الشجاعة فيصدر عنه الكرم والسخة والشهامة ، وكسر العرس والاحتفال والحلم والباب ، وكظم العيظ والوقار والتودد إلى الناس . وأما إفراطها هو التهور فصدر منه الصلف والبدح ، والتكبر والعجب . وأما تفريطها فيصدر منه المهابة والندة . والخزع وصغر النفس . وأما خلق العفة فصدر عنه السخاء والحياء ، والصبر والمساومة والقناعة والورع واللطافة والطرف وقلة الطمع . وأما ميله إلى الإفراط أو التفريط فيحصل منه الحرص والشدة والوقاحة والرياء والتذير والتقتير والعبث والملق والحسد والشهامة والتدليل للأغنياء واحتقار الفقراء

قد بلغ الرسول ( محمد ) ~~عنه~~ الاعتدال في كل شيء ، وأنصف جميع صفات الكمال ، ودعا إلى ذلك بأقواله وأعماله . وما أرسل عليه من كتاب

وشريعة كلها دائرة حول هذا الباب . حتى لقد عرف الله المؤمن الصادق الايمان بأنه هو ذلك الذى تتوفر فيه تلك القوات الأربعة : قوة العقل وقوة النفس وقوة الشهوة وقوة الإرادة حيث قال : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » . فالإيمان بالله ورسوله لا يكون إلا بقوة العقل . وعدم الارتياب هو نتيجة قوة الإرادة . والمجاهدة بنفسه هى الشجاعة التى تؤدى إلى إصلاح قوة النفس وكفها عن الخوف . والمجاهدة بماله هى العفة التى تخضع شهوة النفس وتجهزها قامة للصعظ والاسجام . وأشار القرآن إلى أن الخلق الحسن هو الاعتدال فى كل هذه القوى ، وإن الميل إلى أحد الجانبين مذموم بما وصف به سبحانه السجاء أنه وسط بين طرق التبذير والتقتير حيث قال : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قراما » وقال : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تسطها كل السط » . وما وصف به شهوة الطعام من الاعتدال دون الشراهة والجمود حيث قال : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يئتى السفرفين » . وما وصف به العصب حيث قال : « أشداء على الكفار رحماء بينهم » . إشارة إلى أن للشدة موصفاً ، وللرحمة مثلاً ، وليس السكال فى الشدة بكل حال ، ولا فى الرحمة بكل حال . وأمثال هذه التعاليم الإلهية فى التربية الأخلاقية كثيرة فى القرآن الكريم .

وأما فى السمة حسنا ماثبت عن أخلاقه ﷺ من أنه كان أحرم الناس وأنجهم وأعدلهم وأعفهم ، وكان أسخى الناس وأبرهم ، وأكثرهم حياءً وتواضعاً وأنه كان يعدم أهله ويقطع اللحم معهم ولا يستكبر عن المشى مع الأثمة والمسكين . ويفض لربه ولا يعصب لنفسه ، وينعد الحق ولو على أهله ، ويقبل معذرة المعتذر ، ولا يحقد على أحد ، ولا يجارى بالسبئية السيئة

ولكن يغفو ويصفح .

قال حاتم أس : والذي بعثه بالحق ما قال لى فى شيء قط كرهه لم فعمته ولا امرى بأمر فتوايت فيه فعاتنى عليه ، فإن عاتى أحد من أهله قال : دعوه فلو قدر على شيء كان . وكان عليه السلام يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن قاربه . وكان يؤثر الداحل عليه بالوسادة التى تحته فبن أى أن يقبلها عزم عليه حتى يغفر . وما استغفاه أحد حتى ظن أنه أكرم الناس عنده حتى يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه ، وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رصاً ، وأرأف الناس للناس ، وكان أكثر الناس تبساً وصحاً فى وجوه أصحابه وتعجباً بما يعجبون به

قال له رجل يوماً : يا رسول الله الله يحب مكارم الأخلاق ، فقال عليه السلام : والذي نفسى بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق . وسأله رجل عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى : حد العمور وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلير . ثم قال : هو أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعمو عمن ظلمك . وقال عليه السلام : أنقل ما يوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق ، وجاء رجل إليه عليه السلام من بين يديه فقال : يا رسول الله ما الدين قال : حسن الخلق ، فأنه من قبل يمينه فقال : يا رسول الله ما الدين ؟ فقال : حسن الخلق ، ثم أنه من قبل شماله فقال : يا رسول الله ما الدين ؟ فقال : حسن الخلق ، ثم أنه من ورائه فقال : يا رسول الله ما الدين ؟ فالتفت إليه وقال : أما بعقه هو أن لاتعصب . وقيل يا رسول الله ما الشؤم ؟ قال : سوء الخلق ، وقال رجل أوصى يا رسول الله : فقال : إتق الله حيث كنت . قال : ردنى قال : حائط الناس بخلق حسن ، وسئل عليه السلام أى الأعمال أفضل قال : حسن الخلق .

وقيل يارسول الله أى المؤمنين أفص إيماناً قال : « أحسنهم خفياً » وقال ﷺ : « إياكم لى تسعوا الناس بأموالكم ، وسعوهم بسط الوجه وحسن الخلق » وقال أيضاً : « سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » وقال ﷺ : « إن أحبكم الى أحاسنكم أخلاقاً » وقال : « إن حسن الخلق ليديب الخطيئة كما نذيب الشمس الجليد » وقال : « من سعادته المرء حسن الخلق » الى غير ذلك من الأحاديث التى لا تحصى فى هذا الباب .

قال معاذ بن جبل : « وصانى رسول الله ﷺ فقال : « يا معاذ أوصيك بتقوى الله ، وصديق الحديث ، ووفاء العهد ، وأداء الأمانة ، وترك الحياة ، ورحمة اليتيم ، وحفظ الخار ، وكظم الغيظ ، وخفص اصحاب ، وسدل السلام ، ولين الكلام ، ولزوم الإيمان ، والتمقة فى القرآن ، وحب الآخرة ، وأجرع من الحساب ، وحسن العمل ، وعبادة المريض ، والإسراع فى حوائج الأمر والتصغاء ، وقول الحق ، وأنهاك أن تشتم مسلماً ، أو تكذب صادقاً ، أو تصبق كاذباً ، أو تنصى أمام عدلاً » .

وهذه كلها تخص على طب الأرواح . ومعالجة أمراض القوم لإصلاح حاله المجتمع . ولما كان القرآن مشتملاً على العقائد الصحيحة ، والآداب العالية وأصول التشريع الإجتماعى والمدنى . فقد عالج به الرسول أمة عريقة فى اشتقاق وحمية الجاهلية . عريقه فى الجهل والامية وردائ الوثنية . فشفيت واتحدت ، وتعلمت الكتاب واحكمه . وسادت الأمم من بدو وحضر . مع أنه كان أمياً لم يتعلم شيئاً من العلوم . ولم يمارس سياسة الشعوب . وما ساعده على ذلك هو أن القرآن الكريم له أسلوب خاص فى الهداية لا يمكن إلا أن يسلم به كل ذى عقل سليم كبناء العقائد على البراهين العقلية والكونية ،

وبناء الأحكام الأدبية والعلمية على قواعد المصالح وجلب المنافع . ودفع  
المضار والمفاسد ، وكبيان أن للكون سماً مصطردة تجري عليها عوالمه العاقلة  
وغير العاقلة . وكالحث على الطر في الآخرة والتدري في أحوال بني الإنسان  
لحصول العلم والمعرفة بما في ذلك من الحكم والأسرار التي يرتقى بها العقل ،  
وتتفتح أمامه السبل لإدراك النافع وإصدار . فقامت بذلك الحجة على من  
شاهد أو يشاهد تلك الآيات . وحمل الله إقرار آية كبرى لإثبات رسالة  
حاتم النبيين دون أن يكون لشخصه في ذلك إلا مجرد التبليغ والتنبيه  
والإدراك والترغيب كما صير آياته دعوة إلى الحق قائمة دائمة لا تقطع بقوم  
يعقون من عبده ~~في يوم الدين~~ إلى يوم الدين .

على أساس هذه التعاليم يرى رسول الله أمته وجعلهم من أحسن الناس  
أخلاقاً ، وأكرمهم شئاماً ، وأصفاهم نفوساً . وأفضلهم عملاً بعد أن  
كانوا من أسوء الناس طامعاً . وأشدهم سواد بغيه . ثم حلف من بعدهم  
حلف أصاعوا الصلاة واتبعوا شريعة ، وغفرا بالمسيئتين . فاعطت نفوسهم  
عن الكمال ، وأصاهم ما أصاهم من الدل والاعمال . حتى غدوا مثلاً سيئاً  
يصور الاسلام على غير حقيقته ، ويمدده عن جوهره وعيانه . وهكذا  
يرى العالم اليوم بأسره يقاسى أنواعاً من المشاكل الاقتصادية . ويتطاحن مع  
بعضه في سبيل الحصول على مآثله المادية دون أن يوفق إلى حل يصنع  
السعادة والسلام .

ولان في تعاليم الاسلام التي أنزلت على ( محمد ) ~~صلى الله عليه وسلم~~ للناس كافة ، والتي  
تدعو إلى حسن الخلق والكمال الانساني ما يبيد لهم الطريق ، ويشخص لهم  
الداء ، ويرفع عنهم أسباب البلاء قبل من متعط ؟ .



لقد كان يسرنا أن تكون الأخلاق شعبة المتعبدين ولكن كثيراً ما نرى غير هذا قال أحد المستشرقين : « إن غير المتعبد أركب أخلاقاً من المتعبدين » وليس لهذا من سبب سوى أنهم لم يأخذوا قطاً من العلم الصحيح ، ولم يتروّدوا من الأخلاق الفاضلة ، لأن القوى الموهوبة إن لم يأخذ بزمامها قائد الأخلاق الفاضلة كانت آلات الشرور ، فمن كان ذا جاه وكرمت أخلاقه استخدم جاهه في مساعدة الضعفاء ، وقضاء حاجات المحتاجين ، وإذا ساءت أخلاق دى الحاد توصل به إلى الشر . كذلك من أعطى الناس إن كان حسن الأخلاق ، بذله في صنوف الخير ، وإن كان شريراً ابتاع به شراً ، والكاتب إذا لم يكن أميناً كانت معرفته المكتوبة وسيلة تمكنه من تزوير العقود والوثائق ، وإدقاع الناس في المشاكل ، والحداد إذا لم يكن أميناً اشترك مع انصوص وصنع هم مفاتيح التي تساعد على السرقة ، والفتاة المتعلقة إن لم تكن كريمة الأخلاق فإنها لا تحب من تعلها سوى الخلاعة ، والخروج على الأخلاق والآداب المبررة ، وكان ضررها أكبر إذا بولت مهنة التعميم والمدرسة إذا لم يكن صادقاً أصل القاصي ، وضيع الحقوق ، وساعده على أكل أموال الناس باطلاً . وهم جراً

« ثمينة من مقاصد الخاتمة »

١ - من النقص الخلق أن يصحك الوالد عند سماع السب والفحش من طفله مرحاً بقدرته على التصق . جاهلاً أنه خير للولد أن يكون أحمق من أن يكون سباً .

٢ - ومن النقص الخلقى احتشار الأعمال الخرد كالزراعة والصناعة والتجارة ، وكثير من قطعوا بعض مراحل التعليم يترفعون عن مزاولة هذه الحرف .

٣ - ومن النقص الخلقى احتقار كثير من عداونا القديمة وإن كانت حسنة وانطلق بإعدادات لغوية وإن كانت سيئة .

٤ - ومن النقص الخلقى الانغماس فى القرب ومحاسبة الفقير العلى .

٥ - ومن النقص الخلقى تطمع الناس الى الروجات البعيات وإن كان وصيحاب الاحلام ، وتطلع لشباب الى الأرواح الأغنياء وإن كانوا فاسدين الأخلاق .

٦ - ومن النقص الخلقى أن يرى نصرة العدالة صعبة ، فالرجل يشهد الرود ويخلف ليمين العموس إضاءاً نفسه أو صديقه ويصر ذلك ديناً له يسترد عند الحاجة . والمدبره يعرف أن موكبه طالم محرم ومع ذلك يدافع عنه ويعتبر ذلك مهارة . وكذلك من يهوى حقيقة الأمر ويكنتم لشهادة ويتوارى عن الأنظار .

٧ - ومن النقص الخلقى أن يرى الثراء يفتلون على الروايات الهرلية الممقوتة ويصربون صفحاً عن الكتب القيمة .

٨ - ومن النقص الخلقى أن يرى موظف الحكومة يأخذ راتبه من مال الأمة ليخدمها ولكنه يبنى واجبه ويرفع عن خدمة أفرادها وكثيراً ما يهتم بشؤونه الخاصة ويهمل واجبه فيعطى مصالح الناس . بل قد يتعطى هذا أنى إستخدام مركزه الحكيمى فى قضاء مآربه المعية .

٩ - ومن النقص الخلقى سكندر الموظف عند انتقاله الى حجة ثانية لا يسبغ غير أنها ثانية ، ويتنحل الأعداء ، بوسط الكبراء لإعلاء اسقن

مع أنه يرى الأجانب يضربون في الأرض ، ويتحشرون الصعاب .  
١٠ - ومن النقص الخلقى الامتناع من سماع الحق ومقت قائله ، والاطمئنان  
الى أهل الباطل والنفاق والرياء .

١١ - ومن النقص الخلقى إرداء المعتمد بدينه المحافظ على شعائره .  
وتقريب المستخفين والمستهينين ، وتكريم الردقة والملحدين . هذه بعض  
عيوبنا الخلقية ، ولكسها كما ترى معاول اضمحلال واحلال ولا دخل للعلم  
فيها . بل انقسم الأكر منها يتعشى في الطبقات المتعامة . وقد أخذنا على  
أنفسنا بأن نجمع في كتابنا هذا - الجواهر الروحية - من الآراء  
الخلقية بين ما ارتضاه فلاسفة العرب في بحوثهم ، وبين ما ذهب اليه حكماء  
الشرق في مؤلفاتهم ، مستنبطين في ذلك مبراس كتاب الله تعالى ، ومسترشدين  
بسة رسوله ﷺ وما كان لنا أن نجد عن هسة الخلق ، ووصف أقوم  
الطرق الى تكوينه وتركيبه .

لأن فلاسفة العرب - وإن بحثوا عن أمهات القصائد - ولكنهم لم يسيروا  
مناطها ، ولم يضعروا لها حداً فاصلاً بين ما يحقق الفضيلة وما  
لا يحققه - . فربهم لم يذكروا متعلق العفة ، ولا عن أى شيء تكون ،  
ولا مقدارها الذى إذا تجاوزه المرء وقع في الفجور ، وكذلك الحلم لم يذكروا  
مواقفه ومقداره ، وأين يحسن وأين يفسح ، وكذلك الشجاعة .

وأما الدين الاسلامى فقد بين ذلك غاية البيان ، وفهسه أحسن تفصيل  
في غير موضع من القرآن الكريم . وحسبنا في هذا المقام أن نذكر آية من  
القرآن الكريم جمعت قواعد الاحلال - وحددتها أدق تحديد ، قال تعالى  
: « قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والأثم والبغى بغير  
إحقق وأن تشركوا الله ما لم ير له سلطاناً . وأن تقولوا على الله ما لا

تعلون ، فهذه الأنواع الأربعة التي حرمها القرآن الكريم تحريماً مطلقاً لم يح  
 منها شيئاً لأحد من الخلق ، ولا في حال من الأحوال ، ولا كذلك الميتة  
 والدم ولحم الخنزير مثلاً . فإنها تحرم في حال ونساج في حال ، وأما تلك  
 الأربعة فهي محرمة دائماً : فالغواشش مرئطة بالشهوة ، واعتدال قوة  
 الشهوة في اجتناب هذه الغواشش . والبغى بغير الحق مرتبط بالعصب ،  
 واعتدال القوة العصبية في اجتناب البغى . والشرك بالله طرد عظيم . من هو  
 الظلم على الإطلاق وهو مهاب للعدل والعدل . وقوله تعالى . . وأب  
 تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، متضمن تحريم أحد الطرد في حق الله ،  
 وذلك يستدعي إيجاب العدل في حقه ، وهو عمادته وحده لا شريك له ،  
 فإن النفس لهاة تان . - العينية والعمية . وعن الإنسان اختيارى تاسع  
 لأرادته ، وكل إرادة لها مراد ، وهو أما مراد لذاته ، وأما مراد لغيره  
 ينتهى الى المراد بذاته . والقوة العمية تستدعي أن يكون النفس مقصد  
 تكمل بتحقيقه ، فإن كان ذلك المقصد مضمحلاً قابلاً ، رأت إلا أنه والله  
 ولم يك للنفس مقصد غيره ، ففاتها أعظم سعادتها وملاحها . ولذلك  
 وجب أن يكون مقصد النفس الذى تكمل بتحقيقه ولاحتفاظ  
 به وإثارة باقياً لا ينفى ولا يزول . وليس ذلك إلا الله وحده . ذلك  
 ما ينطوى عليه قوله تعالى . . وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً . .

أورد هذا لبيان أن فلاسفة العرب لم يرفعوا الى فهم ذلك عند الكلام  
 على كمال النفس ، وإنما جعلوا كمالها في اعتدال قوى الشهوة والعصب ، ومعلوم  
 أن الشهوة جلب ما ينفع البدن ويبقى النوع . والعصب دفع ما ينضر البدن ،  
 وليس في ذلك تحديد المطلوب . ولا بيان للمقدار المحبوس ، بل هو وقوف  
 بالاحتياط عند حد العلم بها ، عما منهم أن مجرد العلم بها كاف في كمال النفس .

وذلك خطأ من وجوه كثيرة :

١ - منها أن مدد كرويه في كمال القوه لعميد إيمانيه إصلاح البشر ندى هو أداء النفس ، ولم يدكر واكل النفس الاداني و العمل بالحقبة و اخري و رجاء .

٢ - ومنها أن كمال النفس في العبد والارادة لا مجرد العلم ، بل مجرد العلم لنس نكال النفس مالم تكن مريده محبة لم لا سعادته لها إلا إرادته و تحبه .  
٣ - ومنها أن كمال النفس و فيها البراءة حتى المسعد من المسل ( صواب الله و سلامه عليهم ) ، لسد أثر طاهر عندهم

٤ - ومنها أنهم أحاطهم لتوفيق في محوهم لإهية لمحرهم عن تحديد الفصائل تحديدأ يحول بهم و يأخذ بمحرهم عن التبرط في الربيع ، سك جادة الحق .

من أجل هذا توحيا لا يورد إلا المستحسن من آرائهم . و مرضى من مداهمهم . ليكون ذلك نعمة فائدة وأوفر عائدة  
والله سبحانه المستوفول والمرعوب اليه والمأمول و يحسن هذا المكتات خالصاً لوجهه . و أن يعيدنا من شرور انفسنا و ميئات أعمالنا .

### « الفلسفة الخلاصية »

#### تعريفها

هي علم يبحث عن السن الحقيقية التي يحوى عليها العالم ويتجدها معياراً تورن به أعمال البشر وأهوالهم وأحواهم في معاشهم ومعادهم ، ويبين لهم

كيف يجب أن يعيشوا لا كيف يعيشون ، ولهذا أسماء بعضهم علم ما يجب ، وعنوا بذلك القواعد التي يجب أن يسير الإنسان على مقتضاها ليتم له ما هي جديرة به من الكمال والرفعة ، وتبلغ ما هي حرية من الخير وكذلك يبحث في نزعات بى الإنسان ونزعاته ، وما اعتادوه من الأعمال والأقوال ويكشف العطاء عن حقيقى الخير والشر . والعاية التي يعد الدو منها قرما من الأول والحمد منها قربا من الآخر . ولما كان محث الخير هو العاية التي ينشدها الخلق غلا بعضهم معرف علم الأخلاق بأنه علم الخير والارشاد اليه .

### « موضوع الفلسفة الخلقية »

موضوعها : أعمال بى الإنسان الاختيارية الصادرة عن قصد وروية خرجت الأعمال التي لاسطان للإرادة عليها كالتفنى وما شابهه ، وهناك أعمال شبيهة بالأعمال الاختيارية والأعمال الاضطرابية فيلبس أمرها على غير الناقد البصير ، ولذلك يجب أن تكشف العطاء عنها ، لبيان في أيهما تدرج والمثل خير موضح : من الناس من اعتاد أن يهب من تومه وهو حالم فيأتى من الأعمال خيرا وشرها ، فربما ألقظ طفلا كاد يهوى من النافذة ، أو أحرق منزلا . أفنحكم على عمله خلقياً بأنه خير في الحال الأولى وشر في الحال الثانية ؟ ومنهم من ابتلى بالسهو والسيان ، فتفوته أعمال كان حقاً عليه أن يعملها : فربما علم أن جماعة يأمرون بتدمير مصنع . أو نصف قطار فيها خلق كثير اتقاسما من رب المصنع ، أو حاكم عاظم في القطار ، ثم سى كعادته أن ينه على درء البلية ، أفلقى عليه النعمة ، ويحكم عيه بأنه شريك

حقيقاً للجنان في جرمتهم ؟ ومنهم من اتلى بحمد الخلق وسرعة العضب بحيث لا يستطيع انصير على سماع كلمة قوله ، أو إشارته تؤديه إذا أكثر من الإختلاف الى الأسمية وعشيان المجالس . تبقى عليه التبعة ، ويواخذ على بواده ، وإن كانت خارجة من إرادته ؟

الحق أن أعمالهم جميعاً في الأملة الثلاثة مؤاخذون عليها خلقياً . لأن قواعد الأخلاق ترجع أن يحاط المرء لدره شر الحالات التي يكون فيها مطلوب الإرادة . ولناهم وإساهي في المتالين الاولين عنيهما تبعة افعال عماد الحيلة والحد . والعصب في المال الثالث لا يرى صاحبه من اليوم والمواخذة ، لأن له مسوغة عن الخصام ، اتسارع ، مكمافه عن التردد الى المجالس التي هي عادة المرء ومعه الخصام .

قال لبحر الراي في تفسير قوله تعالى : وما لا تواحدنا إن يسا أو أخطانا ، ما محصه ان اءف يحكم بالعفو عن الناس لأنه لا يجوز تكليف ما لا يطاق . وقد جاء اسمع مؤيداً لذلك ، وقد قال رسول الله ﷺ : رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، فإذا كان النسيان في محل العفو قطعاً ، عقلاً وشرعاً ، فما معنى طلب العفو عنه في الدعاء ؟ ويحجب عن ذلك أن النسيان ما يعذر صاحبه فيه ومه ما لا يعذر ، ألا ترى أن من رأى دماً في ثوبه فأحر إرانه أن نسي فصل وهو على ثوبه عدم مقصراً إذا كانت بزمه ليدره أن إرانه ، وأما إذا لم يره في ثوبه فانه يعذر فيه . ومن رمى صيداً في موضع وأصاب إنساناً ، فقد يكون بحيث لا يعلم الراي أنه يصيب ذلك الصيد أو غيره . وإذا رمى ولم يتحرر كان ملوماً . أما إذا لم تكن أممرت العبط طاهرة ثم رمى وأصاب إنساناً ، كان هاهنا معدوراً . وصفوة القول : إن الناس يؤاخذون في ترك التحفظ قصداً وعمداً .

ولقد ألمع العزالي الى ذلك في - إحيائه - إذ يقول : « قد ينظر الإنسان الى وجه حسن فيميل اليه ميلاً ضعيفاً ، لوتبعه وعمن بمقتضاه مداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمخاطرة ، لتأكد ميله حتى يجرح من أمر اختياره فلا يقدر على الزواج عنه ، وكان حقاً عليه أن يعظم نفسه ابتداءً ، ويرجر ميله دفعا للزوجه حالا يصح فيها مسلوب الارادة ، وما ذلك بمحبة من اللوم والثبمة » .

يخدير بالعاقول الألبعض عن محاسبة نفسه ، ومراقبة حركاتها وسكناتها وما عساه أن يتأصل فيها من العادات الدميمة ، ويحذر هامعة الاثما . حتى لايسهل عليها مقارفة العمل السيئ . فتصبح عادة لارمه . والتقى من كان أشد محاسبة لنفسه من سلطان عاظم ، ومن شريك شحيح

« أعلم الأخلاق نظري أم عملي »

جاء في ( الخلق الكامل ) . . . ذهب بعض لفلاسفة الخلقيين وهم المبعيون الى أن علم الأخلاق عملي ، ورجعوا أنه بمكر تحديد غاية معينة يجب أن يسعى اليها الناس جميعاً هي في عرفهم أن يسأل جل الناس أكبر قسط من الهامة ، وأنه يجب على الخلقين أن يتكروا حير لوسائل بلوغ هذا المقصد ، كما يجب على الأضياء أن يقضوا عن أمثل الطرق الى توفير أسباب الصحة وتحصيلها .

ودهب احمور الى أنه نظري وعوا بذلك أنه يصور المثل الخلق الذي يجب أن يحتذى ، والقواعد التي يجب العمل بها لمحاولة بلوغ هذا المثل .



إن تناوله البحث أحياناً فيها لدى الناس من المراضعات والعادات ، استجساناً واستمجاناً ، وفيما طرأ عليها من التبدل والتغير ، افتتات منه على علم الاجتماع الباحث في تكوير الجماعات ، وتدرج حياتها ، واندى هو من العلوم الواقعة الباحثة في الأمور الثابتة فهم يرون أن مثل علم الأخلاق كمثل علم الخيال فعمل الخيال لا يبحث إلا في تصوير المثل الكامل للجمال ، وليس منه البحث في وسائل تحصيله ، وكذلك علم الأخلاق لا ينقب في رأى الجمهور إلا عن إماطة اللثام عن طبيعة المرء الكامل ، لما يجب أن يكون عليه الناس في أحوالهم وأعمالهم .

#### أمن يدرس الفلسفة الخلقية يصير ذا خلق ؟

قال الشيخ يحيى الدس الحرفى في كتابه - فلسفة الاخلاق - : : أهم مزايا دراسة الاخلاق ما يأتى . -

١ - إسمان ما الحسن وما علة - وما أنواعه ، وما المرضى منه المعبرط صاحبه المتخلق به ، وما المشوه المققوت وعلة المسهم به ، ليترشد بذلك من كانت له همة تسمير إلى مبراه أهل الفضل . ونفس أنية تنبو عن مساواة أهل الذناة والنقص .

٢ - وتدن على طريق الإرتياض بالمحمرد من أنواعه والتدرب به . وتتك المموم منها وتنب حتى يصير المرتاض به ديدناً وعادة وسحية ، يمتدى به من نشأ على الاخلاق المينة وأعما . وجرى على العادات الردية وأنس بها .

٣ - وتصف الإنسان الكامل المهدب الاخلاق . والمحيط بجميع المناقب الخيلة . وطريقته الى يصل بها الى الكمال . وما يحيط عليه الكمال لبشتاق الى سمته من تشوق الى ارسه العلماء ، وبحر الاحتائه من استشرى الى

## الغاية القصوى

- ٤ - تنبيه من كانت له عيوب قد التفتت عليه وهو مع ذلك يظهر له أنه في غاية الكمال، فإن من هذه حاله إذا تكرر عليه ذكر الأخلاق المسكروحة يقطع لمسا فيه من ذلك وألف واجتهد في إطراره .
- ٥ - إذا تصفح الأخلاق المحمودة من كان متصفاً بما كثرتها فافداً لبعضها، ابصر للنخلق بما هو فاقده وثقت نفسه إلى الإحاطة بجميعها .
- ٦ - وتحت المذهب الأخلاق، الجامع المحسن على الاستمرار على سيرته والاصرار على طريقته . إذا لم يسمع ذكر الأخلاق الحسنة والمدايق النفسية ورأى أن تلك هي عادته وسجاياه .
- ٧ - دراسة عم الأخلاق تنكس صاحبها قدره على تمحيص الأعمال ونقدتها ، وتقديرها حق قدرها . دون أن يخطئ في حكمه إلى إثم أو عادة أو يتأثر بحكم الرمان والمسكان .
- ٨ - وبها تقوى الإرادة على عمل الخير وسلوك السبل القويم ، وتنشط العزيمة للنضى في سبيل الفضيلة . واتحادها برأساً في أعمالها .
- رأياً ، والحق أن من الخلق في تلقيه قواعد العلم ، وتوصيح مباحثه كمن الطبيب ، يتعرف الداء ويصف الدواء فالطبيب لا يستطيع أن يستأصل حرثومة المرض إذا أهمل المريض نصيحته وإرشاده . وكمدت منق العسفة الحلقية ومين مزايها ، لنس في مقدوره أن يجمع من يتحدون عنه . أو يقرأون كتابه أحياناً أصحاء ، إذا هم خالفوا قواعد عليه ، ونصرفوا عن الجرى على سنته ومذهبه . أفرأيت من اتخذ إسمه هواه . وأصله الله على علم ، وحتم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشوة . ثم يهديه من بعد الله أفلا تذكرون . .

أجل إن المواعظ الحسة ، وفواعل التهذيب الينة ، قد تبعث العزائم  
 في بعض الأحاديث على القيام بصالح الأعمال ، وجلال الصالح ، فالموعظة  
 كما يقال : حشد من جنود الله تعالى ، وشها مثل الطين يضرب به على الجدار  
 إن استمسك نفع ، وإن وقع أثر من أجل ذلك استدعى الرشيد - منصور  
 ابن عمار - ليعطه . فقال له . عطى وأوجز ، فقال : يا أمير المؤمنين هل  
 أحد أحب إليك من نفسك ؟ قال . لا . قال : إن أردت ألا تسيء إلى  
 من تحب فافعل . ودحس مالك بن أسب واس طاووس على أبي جعفر المنصور  
 وبين يديه أنطاع قد بسط ، وجلادون بأيديهم السيوف يصرون الأعناق  
 فأموا اليهما بالجلوس ، فجلسا فطرق رماً طويلاً ، ثم رفع رأسه والتفت  
 إلى ابن طاووس وقال له : حدثني عن أبيك . قال : سمعت أبي يقول :  
 قال رسول الله ﷺ : إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه  
 الله في ملكه ، فأدحس عليه الخور في حكمه ، فأمسك أبو جعفر ساعة حتى  
 اسود ما بين عينيه ، فصممت نيران محافة في رءوسها شيء من دم ابن طاووس .  
 ثم قال : يا ابن طاووس : ما ولي هذه الدواه ، فأمسك عنه . فقال : ما يمنعك  
 أن تسألنيها . قال : أخاف أن تكتب بها معصية . فأكرن شريكك فيها  
 فلما سمع ذلك قال : قوما عي ، فقال ابن طاووس : ذلك ما كنا نعي . .  
 وكذلك العلم إذا نطعل في القوس أو رثها الناس والاقدام ، وكساها حمة  
 انعطمة واليقين ، بيد أن المتحقيق بما يعلمون هم الآقون قديماً وحديثاً ، ومن  
 أجل ذلك قال علي أمير المؤمنين عليه السلام : إنما رهد الناس في طلب العلم ،  
 لما يرون من فقه انتفاع من علم بما علم .

وهنا يحى أولاه رى الناس يتلون الكتب السهاوية ويسمعون الحكم  
 الخالقة ، وهم حاد من حبة التقوى طاسع الهدى لا تشبههم يد المراقبة ولا

تكفهم حيفة المحاسبة ، فهم لدعائهم الأخلاق مضيعون ولدواعي الفساد والهوى مطيعون ، جاء في التوراة : لرحل الحكيم في عز ، وجاء في الكتاب المقدس : كما تريدون أن يفعل الناس بكم ، افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا ، وجاء فيه أيضاً : وأنتم جميعاً أحوة ، وورد في القرآن الكريم : إنما المؤمنون أخوة ، ولا تحسب الله عافلاً عما يعمل الظالمون ، ولا تنسوا الفضل بينكم ، وتعاونوا على البر والتقوى ، وجاء في الحديث الشريف : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

فهل أقمت مع هذا شريعة الإنصاف ، وهدمت دعائم الاستعداد البس الناس يكره بعضهم بعضاً ، ويتربص به الدوائر ؟ أليس سيف البغي مصلتنا وشيطان العدوان والحرب مستيقظاً ؟ حقاً لقد صدق صاحب كلیلة ودمية إذ يقول على لسان بررويه : إيا فدرن الزمان مدرأ بكل مكان ، حتى كأن أمور الصدق قد رعت من الناس ، فأصبح ما كان عرياً فقدته مفقوداً ، وموحوداً ما كان صائراً وحواده ، وكل الحية أصبح دابلاً ، وشر باصراً وكان العمم قد رالت سله . وكان الحق ولي كبيراً ، وأقل الباطل تادعه ، وكان اتباع الهوى وإصاعة الحكم ، أصبح بالحكماء موكلوا وأصبح المظلوم بالحيف مقرأ ، والظالم نفسه مستطيلاً ، وكان آخر من أصبح فاغراً فاه من كل حبة ، يتنقب مقرب منه وما بعد . وكان برصاً أصبح مجهولاً ، وكان الأشرا يقصدون الساء صعوداً . وكان الأحبار يريدون لطن الأرض رولا ، فأصبحت المروءة مقدوها بها من أعلى شرف الى أسفل درك ، وأصبحت الدماء ممكئة ، وأصبح السلطان متقلاً عن أهل الفصل ، الى أهل النقص ، وكان الدنيا حيلة مسرورة . تقول قد عيب الخيرات ، وأظهرت السيئات .

## « وسيلة تقويم الخلق »

تمهيد

الأخلاق عرث كائنة تظهر بالإختيار وتظهر بالإضطراب ، وسمي  
أخلاق تحدث عنها بالطبع ، ولها أفعال تصدر عنها بالإرادة فيها صواب  
أخلاق الدات ، وأفعال لإرادته . والإنسان مطوع على أخلاق قلما حمد  
جميعها أو ذم سائرهما . وإنما العال أن بعضها محمود وبعضها مذموم ، فتعذر  
لهذا التعليق أن تستكمل فصائل الأخلاق طبعاً وغريزة ، ولزم لأجله أن  
ينحللها رذائل الأخلاق طبعاً وغريزة ، فصار الأخلاق غير مفككة في حمة  
لطبع وغريزة الفطرة عن فصائل محمودة وردائش مذمومة . وإذا استقر  
ذلك فالسعيد من عدت فصائنه على رذائيه ، فقدر ، وفور الفضائل على قهر  
الرذائل ، وسلم من شين نقص ، وسعد بفصيلة العصف . فالإنسان أولى  
بالعطف والتشجيع على الفصائل المكتسبة ، لأنها مستعادة بفعله ، دون  
لفصائل المصبرة وإن حذت فيه لوجودها بعير فعله ومن القبيح أن يتحرر  
المسلم من أعدية لبدن إنقاء الضرر ولا يعنى تهذيب أخلاقه ومداوانها بالعلم  
الذى هو عداؤها صواباً لسلامتها . وإذا كان يعنى بجميع أعضاء البدن وخاصة  
بالأشرف منها فبالحرى أن يعنى بأحرأ النفس وخاصة بالأشرف منها  
- وهو العقل - .

وكما أن الأمراض الى تعرض للبدن إن لم يعلم الطبيب أسانها لم يتمكن

من علاجها كذلك علل العسر يدعى أن يعنى باستئصال أسبابها ، حتى أحسن  
الإنسان انه أخطأ وأراد ألا يعود ثانياً فليطر أى أصل في نفسه حدث ذلك  
عه في حال في إرأته . وبعد فلو لم يكن الى تميز الاخلاق سبعين ما كان  
للأقويين التي أودعتها الحكماء كتبها في استصلاح الاخلاق معنى . إدا لا يرجى  
لها نفع ولا جدوى . وكذلك لم يكن لدواعط التي يقصد بها ذور الاخلاق  
الدميمة من الاشرار معنى إدا لم نطمع في انتقامهم عما هم عليه من الشر .  
ولذلك كانت وسائل تقويم الخلق هي :

١ - يجب أولاً أن نحصى الاخلاق حقاً حلقاً ونحصى الافعال الناشئة  
عن خلق خلق . ومن بعد ذلك نطر أى خلق نجد أنفسنا عليه . وهل  
ذلك الخلق الذي اتفق لما منذ أول أمره جميل أو قبيح ؟ والسيس الى الوقوف  
على ذلك أن نأمل أى فعل إدا فعلناه لخصاً من ذلك العسر لذة . وأى فعل  
إذا فعلناه تنأدى به . إدا وافقنا عليه نطرب الى ذلك الفعل . أهو فعل يصدر  
عن الخلق جميل أم هو صادر عن الخلق القبيح ؟ إدا كان ذلك عن خلق جميل  
فلنا إن لنا خلقاً جميلاً في تلك الوجهة ، وإن كان ذلك عن خلق قبيح فلنا إن  
نا خلقاً قبيحاً من هذه الوجهة . فهذا الوجه نقف على الحق الذي تصادف  
أنفسنا عليه ، أى حق هو ؟ وكما أن الضرب متى وقف على حال البدن نطر :  
فإن كانت الحال التي صادفها عليها حال الصحة احتال في حفظها على البدن ،  
وإن كان ما يصادف عليه البدن حال سقم أعمال أخيه في إرأته عه - كذلك  
متى صادفنا أنفسنا على خلق جميل احتلنا في حفظه ، وإن صادفها على خلق  
قبيح استعملنا الخبيث في إرأته عها . فإن لخلق القبيح سقم نفساً ، فينبغي  
أن يحتذى في إرأته أسقام النفس حدو الطيب في إزاله أسقام البدن ، ثم نطر  
بعد ذلك الخلق القبيح الذي صادفنا أنفسنا عليه . أهو من جهة الريادة أو

النقصان ؟ وكما أن الطبيب أيضاً متى صادف البدن أزيد حرارة أو أنقص رده إلى التوسط من الحرارة بحسب الوسط المحدود في صناعة الطب - كذلك متى صادفها أنفسا على الريادة أو النقصان في الأخلاق ردها إلى الوسط المحدود في هذا الكتاب .

ولم كان الوقوف من أول وهلة على الوسط عسراً جداً التمس الخيلة في وقف الإنسان عليه أو على اقرب منه جداً : وذلك أن نظر الخلق الحاصل لنا : فإن كان من حيث الريادة أو النقصان عوداً أنفسا مباشرة لصد ومديم ذلك ربما حتى يتحقق الوسط .

٢ - وأن يرتاض الإنسان بمكارم الأخلاق ومحاسنها ويتفرغ عن مساوئها ومقاييها ، ويأخذ في جميع أحواله بقوانين القضاة ، عدلاً في أفعاله عن طرق الدلائل ، وأن يجعل قصده اكتساب كل شئمة سليمة من المعايير ، ويصرف همه في إفتاء كل حلة كريمة حاصلة من الشوائب ، وأن يبذل جهده في اجتناب كل حصة مكروهة ، ويستغفد وسعه في اطراح كل حصة مذمومة حتى يحور السكال بهذيب حلاته . ويكتسب حلس اتمال بدماثة شمائله ، فإنه إذا حاسب نفسه ، وأجاد فكره - علم أن الصبر في مساوى الأخلاق أكثر من الفع ، وأن الذي بعده نهماً ، وليس نفعاً على الحقيقة - هو يسير جداً غير باق ولا مستمر ، وأن هذا اليسير الذي بعده نفعاً لا يلبى بالصبر الكثير ولعل الدائم المتصل

ويعلم أيضاً أن الشر والخبث لا يعقبان إلا الشر ويوحشان منه الناس : ألا ترى أن من تشرر قصده الناس دأب واستعدوا لأدبته ، واحترروا منه وحرموا نفعه ، وحظروا عليه وجوه الخير ؟

وصفة القول أن السيل إلى اعتساق الإنسان الأخلاق الحمودة

واستعملها ، واجتنب المذمومة وإعمالها ثلاثة أمور .

الأول - تمييز القوة الناطقة بأحوال ثلاثة . ب مداومة الإطلاع على كتب الأخلاق والسياسات والعمل بها ، وتدقيق النظر في العلوم العقلية والبحث عنها ، وبالتدرج الى استعمال العادات الخيلة وترك صدها .

الثاني - بقر القوة الشهوانية بأحوال ثلاثة : بأن يجتنب مجالسة السفهاء والخلفاء والنساء والأردال . وأن يكثّر مجالسة الرهادودوى الإجتهاد والورع ، وأن يتحرى احب من رعباه فيحققه .

الثالث - تعديل القوة العنسية بأحوال ثلاثة : بأن يذكر المؤدى أن لو كان هو المؤدى هل كان يختار ذلك منه أم يصرمه ؟ وأن يتذكر ماشهه من طيش غيره فلا يرضاه لنفسه عند الغضب ، وأن يكسر سورة اعصب بالرفق ، ويستعمله على تعديل القوة الشهوانية فقط .

لاجرم أن ملاك الأمر في تهذيب الأخلاق هو تقوية العقل وتمكيه من السيطرة على القواين العنسية والبهيمية ، وحين السبل الى تقوية العقل معالجة العلوم العقلية ، فإن الإنسان إذا نظر فيها ، ودرس كتب لأخلاق والسير ، ودلوم عليها - ينقّط نفسه ، وانتعشت من حملها ، وأحست فصائلها وأنفت من ردائلها ، لأنها إنما تصعب وخفت إذا عذمت اعصائن والمناقب واستولت عليها الردائل . وإذا ارتاح الإنسان بالعلوم العقلية ، شرفت نفسه وعظمت همته ، وقويت فكرته ، وتمكن من نفسه . وتملك من أخلاقه ، وقدر على إصلاحها ، وانقاد له طبعه ، وسهل عيه تهذيبه ومن لم يتمكن من اكتساب العلوم العقلية فليبدل جهده في تدقيق الفكر ، ومجاهدة النفس وتمييز ما بين عاداته القبيحة والخيلة ، ليظهر أيها أحدى عيه ، وأنفع له ، وأيها أحمد عاقبة ، وأبقى على الأيام .



وما يهدى النفس ويصلحها أن يجعل الإنسان غرضه من كل فضيلة عايتها وهمايتها ، ولا يمتنع منها بما دون العاية ، ولا يرضى إلا بأرفع درجة ، فإنه إذا جعل ذلك غرضه كان حرياً أن ينصف بالفصائل ، ويبلغ منها درجة مرهية إن كانت الدرجات الرفيعة . فأما إن قنع بما دون الغاية فلا يأمن أن يقصر عن بلوغها ويفوته المطلوب .

## الأهداف الاجتماعية عند محمد ﷺ

للشريعة الإسلامية أهداف اجتماعية لابد أن تتحقق في كل مجتمع ، ولو بين الأفراد بعضهم مع بعض إذا جمعهم شئ ، ولو كان جواراً في سفر ، أو حلوساً في مركب ، أو اجتماعاً في معد ، أو استراحة في ناد ، أو لقاء عابر ، لا استقرار فيه .

كما تتحقق هذه الأهداف في المجتمعات المستقرة كالأسرة ، والمجتمع الصغير ، والمجتمع الكبير في الأمة الواحدة أو في الأسرة الإنسانية كلها وإن الشريعة الإسلامية تنهج في كل أحكامها إلى تحقيق هذه الأهداف الاجتماعية ، وهي المقاصد العليا للشريعة الإسلامية ، وقد جاءت لتكون مجتمع فاضل يضم الأسرة الإنسانية كلها ، فاصبها ودائبها ، وابتدأت فأنجمت إلى تربية المسلم ليكون عضواً في مجتمع . والعبادات الإسلامية ، والفرائض التي دعا إليها الإسلام تنهج نحو تحقيق هذه الأهداف وتوجيهها إليها

فالعبادات شرعت لتَهْدِيبَ النفوس ، وربية روح المساواة ، وروح الاجتماع الذي لا يعتدء فيه ، وإذا كانت العادة لا تتحقق تلك الأهداف ، فهي ليست عبادة ، ولا يقبلها الله ، وهي تجلب الدم لصاحبها ولتضرب لذلك مثلاً بالصلاة التي هي أو ضح العبادات الشخصية ، وقد وصفها القرآن

الكريم بأنها تسهى عن الفحشاء والمنكر فقال سبحانه : « إن الصلاة تسهى  
عن الفحشاء والمنكر » ، فإن لم تؤد إلى هذه الغاية فهي ليست تلك الصلاة المطلوبة  
فيذ كان يصلى ويأكل مال الغير . فهي ليست الصلاة التى تسهى عن الفحشاء  
والمنكر ، وهو محاسب عيبيهما ، والويل له من الله ، ولذا قال سبحانه :  
« ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراؤن وينمرون  
الماعون ، - أى يعمون الزكاة التى بها العون من العى للفقير - .

والزكاة تعاون إجتماعى يجعل للفقير حقاً معلوماً فى أموال العى ، فهي  
تكليف إجتماعى حاصر ، ومصرفها إجتماعى حاصر ، ونظامها فى الخمس  
والتوزيع لا يذل الفقير ، ولا يجعل العى يشعر بمرته فوقه ، ولذا قال  
الفقهاء إن ولى الأمر هو الذى يجمعها ، وهو الذى يدرعها على مصارفها وقد  
قال النبى ﷺ : « خذها من أغنيائهم وردها على فقرائهم » .

ولقد جعل الاسلام كفارات الذنوب تعاوناً إجتماعياً ، فمن أخطأ فى  
رمضان فعليه عتق رقبة ، أو صيام ستين يوماً ، أو إطعام ستين مسكياً .  
ومن قال لإمرأته أنت حرام على كظهر أى لا يقربها إلا إذا أعتق رقبة ،  
أو صام ستين يوماً ، أو أطعم ستين مسكياً . ومن حلف وحث فى عييه  
كان عليه عتق رقبة ، أو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم .

وهكذا نجد الكفارات الذنوب تعاوناً إجتماعياً ، وكأن الذنب الذى  
يرتكب ، أو لتقصير فى عياده هو اعتداء إجتماعى ، فلا يكفر الاعتداء  
الإجتماعى إلا بالتعاون الإجتماعى بسد القصر ويبريل الخس ، ولقد اعتبر كل  
عطاء للفقير مكفراً للسبئات ، مطهر من المعاصى ، ولذا قال ﷺ :  
« الصدقة تطهى المعصية » ، كما يطهى الماء النار . إذ كل معصية صولت أو  
كبرت أعلنت أو أحييت تعد اعتداءً إجتماعياً فلا تزول إلا بتعويض للجميع

فالكذب والنميمة والعية وغير ذلك من الآفات الاجتماعية التي قد تحدث من الأشخاص من غير اكتشافها ، أو وضع رقابة مستمرة عليها هي معاصي اجتماعية ، ويجب لتكفيرها أن يتوب صاحبها ، ويقطع عنها ، وأن يقده للمجتمع معونة بقدر ما تقدم من أدى على طاقته . ولقد حث الاسلام الأحاد في سبيل تطهير المجتمع من المعاصد العنينة على أمرين :

أولهما - الحياء إلهي أساس اللباقة في المجتمعات فالحياء يوجب على المرء ألا يظهر منه ما ينفّر منه الدوق الخلق السليم . وقد قال النبي ﷺ : لكل دين خلق ، وخلق الاسلام الحياء ، وقال ﷺ : الحياء خير كله ، وقال ﷺ : . . . وإذا لم تسبح فاصنع ما شئت ، وإن أولئك الذين تدفأهم وأنت تعبر الطريق . أو تركب معهم مركبا عاما فترى فيهم مشية لا يراعى فيها حق الغير ، أو يحسدوا في الدوق واللباقة - هؤلاء قد فقدوا الحياء ، وإن هذه الهيئات تدل على دوس غير متألفة مع المجتمع ، وإذا ترى الحياء في النفس كان الشخص من يألف ويؤام ، ولذا قال ﷺ : المؤمن مؤلف فلا حير فيما لا يألف ولا يؤلف ، ولا ما يقوم على أساس اجتماعي سليم إلا إذا كانت لهاته جميعها متألفة يتهاك بعضها في بعض . الأمر الثاني - أن الاسلام في سبيل أن يكون المجتمع في مطهره فاصلا أوجب أن تستر الحرائم ولا تعلن فلا تكشف أستا الجرائم أمام الملأ من الناس ، وقد تكون العمة علة . ولكن الجريمة يجب ألا يعلن على الناس أمرها ، لأن إعلانها يفسد الخير الخلق للمجتمع ، ويجعل الشر معلنا وإعلانه يعزى باتباعه ، ويشيع فساد بين الناس ، فالفاحشة إذا أعدت اتعت وكل نفس تميل إليها . وتحد ما يسمى بذلك المين . وتأخذ بما أعلى سبيلا للتقيّد . ولذلك اعبر الاسلام من . تك حريمة ودعها قد ارتك

جرميتين . جريمة الارتكاب وجريمة الاعلان ، ومن أعس حريمة غيره فقد شاركه في إثم ما ارتكب بمقدار ما أعلن .

ولقد صاح محمد ﷺ بهذه الحقيقة فقال : « أيها الناس من ارتكب شيئاً من هذه القادورات فاستتر فهو في ستر الله ، ومن أبدى صفحته أقسا عليه الحد . فالعقوبات المشددة في الاسلام تكاد تكون الإعلان لا لأصل الارتكاب . » وقد قال النبي ﷺ : « أن من أئعد الناس مارل عن الله يوم القيامة المحاهرير ، قيل ومن هم يارسول الله قال ذلك الذي يعمل بالليل وقد ستره الله عليه فيصبح ويقول فعلت كمدا وكعد يكشف ستر الله . »

وان في سبيل تهذيب الآحاد أوجب أن يكون هناك رأى عام مهذب لائثم ، يبحث على الخير . ويهوى عن الشر . يأمر بالمعروف ويهوى عن المنكر . فإن رأى العام له رقابة نفسية تجعل كل شرير يبطو على نفسه فلا يظهر ، وكل خير يثب الإشاعة في اعلان خيره ، فلا يهذب الآحاد الا رأى العام الفاضل . ولا يفسد الجماعة الا رأى العلاء الذي يتقاعد عن نصرة الفصيلة ، ويترك الرذيلة تسير رافعة رأسها .

ولذلك حث الاسلام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فأوجب الارشاد لعام ليعتصع الصالح عن شروره ، يرشاد الفاضل وهدايته ، ولتكون الجماعة في فصيلة طاهرة . ولقد اعتبر القرآن الكريم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عوار الامة الفاضلة فقال تعالى : « كسمة خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر يؤمنون بالله . »

واعتبر الجماعة كلها تكون آئمة اذا سكنت على الائثم وهو يسير رافعا رأسه ، ولذلك اعتبر الله سبحانه وتعالى بني اسرائيل اذ تركوا الأمر بالمعروف آئمين فقال تعالى : « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود

وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن  
مكر فعلوه ، لنس ما كانوا يفعلون .

واعتبر الاسلام الآئمين هدامين لكل ما اجتماعي سليم ، وأن الفصل  
إذا لم يأخذوا على أيديهم سقطوا جميعا في الرذيلة ، ووراء الرذيلة اهاوية  
التي لا تقوم بعدها للأمة قائمة إلا أن يعير الله سبحانه وتعالى حاها ، ويبدل  
من أمرها ، ولقد قال النبي ﷺ في ذلك . « مثل المدهن في حدود مثل  
قوم استهموا في سفية ، فصار بعضهم في أسفلها ، وبعضهم في أعلاها ،  
فكان الذي في أسفلها يرمي بالماء على الذي في أعلاها ، فتأذوا به ، فأخذ  
فأساً فجعل يقر أسفل السفينة . فأتوه فقالوا مالك قال تأديتم ولا بد لي من  
الماء فإن أخذوا على يديه أمخوه وبجوا بأعضهم . وإن تركوه أهلكوه  
وأهلكوا أنفسهم » .

وإن هذا مثل يصور المجتمع في محاربة الآفات الخلقية والاجتماعية .  
ويبين أن الرشيد عليه أن يهدي الصال . وأن العالم عليه أن يبين للجاهل ،  
ولقد قال علي أمير المؤمنين عليه السلام . « لا يسل الجاهل . لم لم يتعلموا حتى  
يسئل العلماء لم لم يعلموا » .

ولقد بين الاسلام أن لسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر  
يؤدي إلى دمار الأمة وتنازها . ويقطع ما بين آحادها من روابط الرحم  
والقرب والجسدية والدين . وذلك لأن الآثم مفرد . والخير جامع موحد  
وما تمرقت الجماعات إلا بسيادة الرذيلة في مجموعها . وعموم الظلم لربوعها ،  
ولقد قال النبي ﷺ : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن  
على يدي الظالم ، وتأطرنه على الحق أطرا . أو ليصرن الله بقلوب بعضكم  
على بعض » .

وذلك لأن الذي يرتكب المعاصي يعتدى ، فإذا أهمل الاعتداء تهرفت الأمة . واضطرب حل الأمر فيها . وصارت من غير روابط تربطها ولا وحدة تجمعها . وإما لدى ذلك واضحا كل الوضوح في الأمم التي انهارت في أول صدمة في الحرب الأخيرة . فلقد قال زعيم لاحداها : « انها انهارت فساد أخلاقها ، وذهاب مكارم الأخلاق بين آحادها . »

### « العلاقات الاجتماعية »

هذا إن الأساس الأول لواء المجتمع هو الأخلاق الفاضلة وقد عمل الإسلام على تربيتها بالعبادات أولا . ثم بمع ظهور الشرور وكتمها ثانياً ، ثم بتكوين رأى عام فاضل ثالثاً . ولذلك حق لدى ﷺ أن يقول : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، وفي هذا الحديث السوى إشارة بنية إلى أن مكارم الأخلاق هي دعوة النبيين أجمعين . وكل نبى ساهم في ساء ذلك الصرح لشامخ الذى تتكون به الحصارات الانسانية العالية ، ولقد جاء الى محمد ﷺ من بعدهم ، قائم مبادئها ، وان لاحتلال الاجتماعى في هذا العالم اليوم ، إنما وقع لأن الفضيحة قد دهمت في علاقات الاحاد . وفي علاقات جماعات ، وفي علاقات الدول ، وفي لائتلاف بين جماعة ، كما انه لائتلاف بين الجماعات في أمة الاعلى ببيان من الفصائل .

وإن الفصائل ليست هي التى تؤلف بين الاحاد في الامة الواحدة ، بل هي التى تؤلف أيضاً بين الامم ، فإنه اذا عبت فكرة العدالة التى هي قوام

الاجلاق بين الدول فإن الحروب تحتى والاحقاد تموت ، ولا يحكم قانون ( العاية ) - كما عبر بعض الساسة - وإنه اذا كانت الصداقات الحقيقية التى تبى على الالف الروحى العاض هى التى تربط الدول ، كما تربط بين الآحاد فإنه بلا شك نجتى الروح المادية الشرسة التى تجعل الدول تتغالب على موارد المال ، كما تتغالب الوحوش على فرائسها ، وتريد المال للعلب وللظهر لا للإتفاع بغيرات الأرض .

وإن المجتمع الذى ينظمه الإسلام يحكم بقواعد عامة ، وهذه القواعد تبدو فى الأسرة وفى الجماعات وفى الدولة وفى العلاقات الإنسانية بين الناس منها تختلف ألوانه وأحاسيسهم وأديانهم . وهذه القواعد تلخص فى المحافظة على الكرامة الإنسانية وعدالة كل صورها ، والتعاون العام والمودة والرحمة بالإنسانية والمصلحة ، ودفع الفساد فى هذه الأرض

## ١ - الكرامة الإنسانية

١ - إعتبر الإسلام الإنسان أكرم من فى هذا الوجود ، واحتثه للخلافة فى الأرض ، وسحر له كل ما فيها من جبل ووهاد وورع وصرع ، بل سحر له ما فى السماوات وما فى الأرض ، وأعطاه من العلم قدرأ يستطيع أن يسحر له كل ما يقرب منه لمصلحة نفسه . وإن النصوص الدينية القطعية لتذكر أن الملائكة قالوا لرب العالمين عندما احتل أن يكون آدم ونوه الخفاء فى هذه الأرض : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك



ونقدس لك ، فقال الله لهم : . إني أعلم ما لا تعلمون ، وعلم آدم الاسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، . وآدم بما علمه الله ، أعلمهم بهذه الاسماء جميعاً ، وليس ذلك العلم إلا الاستعداد الفطري في عقل كل إنسان لمعرفة حقائق الأشياء ، والأسرار الكونية التي بها يستطيع أن يسيطر على ما في هذا الوجود بما أعطاه الله تعالى من علم . فأول تكريم للإنسان كان بإعطائه تلك القوة العقلية المسخرة لكونه ، وهو الذي تقتله بعوضة من بعوضة هذا الكون . كما قال تعالى : . وخلق الإنسان ضعيفاً . . ولقد صرح القرآن بهذا التكريم المطلق في قوله تعالى : . ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم فينا ، والبحر ، ورزقناهم من الطيات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً . .

لاحظ الاسلام هذه الكرامة الانسانية وأن الإنسان يستحقها بمقتضى كونه إنساناً لا لونه ، ولا لجنسه ولا لدينه ولا لكونه شريعياً ، أو ذا حسب أو ذا جاه ، بل هي حق الانسانية ذاتها .

ولذلك كانت التعاليم الاسلامية كلها تدور حول هذا القطب الذي يرمي الى المحافظة على كرامة الانسان ، فلم يفرق الاسلام بين حر وعبد في هذه الاسكرامة ، وظهر ذلك في أحكام جرثومة كثيرة

(أ) منها أن النبي ﷺ أمر نالاً ينادي السيد عده ياعدي وأن يقول العبد لمالكه ياسيدي . من يقول المالك فتى وفتاتى ، وأن يقول العبد مولاي ، - أى صديقي الذي أواله وأنصره .

(ب) وأمر بأن يأكل العبد مما يأكله ماله ، ويكسوه بما يكسو به نفسه وأهله ، . فقال النبي ﷺ : . إحداكم خير لكم مالهكم الله إياهم

ولو شاء لمسكهم إياكم ، أطعموهم مما نطعمون واكسوهم مما نكسبون ، ولقد دخل عمر بن الخطاب على قوم من أهل مكة فوجدهم يأكلون ، ومواليهم - أى عبيدهم - لا يأكلون معهم . فصعب وامتنع عن أن يأكل معهم ، وذكرهم بأنه لا عزة لقوم لا يأكل مواليتهم معهم .

( ح ) ومنها أن النبي ﷺ منع أن يصرب العبيد ، أو يظلموا . وقال ﷺ : « ومن لطم عنقه فكفارته عتقه » .

( د ) ومنها أنه جعل للعد حق الشكوى من سيده ، وعاصمته بين يدي القضاء ، إذا كلفه ما لا يطيق ، أو كلفه في أى أمر من الأمور .

( هـ ) ومنها أنه أوجب على المالك نفقة مملوكه ، ولو كان كلاً لا يعمل شيئاً .

وقد يقول قائل : أما كان لأولى أن يمنع الإسلام الرق مادامت الكرامة الإنسانية حقاً ثابتاً لكل إنسان من غير نظر إلى لون أو جنس أو دين ، ونقول في ذلك :

إن القرآن الكريم لم يرد فيه نص يبيح الرق وإقرار الرق ثبت من كثرة أوامره بالعتق ، ولم يشأ أن النبي ﷺ أقر إنشاء رق على حر ، ولا في حرب ولا في سلم ، وإن الرق الذي أشبه الخلفاء في الحروب من بعده كان لعدم وجود نهى ، كما أنه لم توجد إجارة . وكان ذلك من قبيل المعاملة بالمثل في الحروب . وهو تطبيق لقوله تعالى : « من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعصوا أن الله مع المتقين » . وقد كان الأعداء الذين يحاربهم يسترقون . فكان من المعاملة بالمثل أن يسترقوا مثلهم . فإذا لم يسترقوا لا يسوع للمؤمنين أن يسترقوا ، لأن ذلك يكون اعتداءً والله يقول : « ولا تعتدوا » . وإن الإسلام قد فتح باب العتق

على مصراعيه ، فإذا حلف المسلم يمينا وحنث وجب عليه عتق رقبة ، وإذا حرم إمرأته على نفسه وجب عليه عتق رقبة حتى يقربها ، وإذا أظفر في رمضان متعمداً وجب عليه عتق رقبة ، وإذا قتل مؤمناً خطأ وجب عليه عتق رقبة مؤمنة . وإذا لطم عبده كالت الكفارة عتقه . وإذا اتفق العبد مع سيده على أن يتركه يسمى حتى يكسب قيمته فسلها إليه وجب على السيد قبول ذلك . وجعل الإسلام في مصارف الصدقات مصرفاً خاصاً بشراء العبيد وإعتاقهم . وهكذا لو نفذت هذه الأمور على وجهها مانق رقيق الحروب في الرق أكثر من سنة .

ولإن الدين يعجزون كيف سكنت الإسلام على الرق فلم يلعه انتداماً ، عليهم أن ينظروا إلى أسرى الحروب الأخيرة وكيف يعاملون وإلى الآن لم يفك أسر الكثيرين منهم مع أن الحرب انتهت منذ أكثر من عشرين عاماً .  
٢ - ومن احترام الكرامة الانسانية إحترام النفس الانسانية من غير نظر إلى دينها أو جنسها ، فممن غير المسلم على سواء في المعاملة مع نفس المسلم ، يروى أنه مرت حنارة على النبي ﷺ فوقف لها ، فقيل له إنها جارية يهودى . فقال النبي الكريم : « أليس نفساً » .

٣ - ومن ملاحظة الكرامة الانسانية ألا ينظر إلى الألوان ، ولا أن يحتقر الجهلاء ، والمتحلفون في الحضارة أو المدينة بعدون ، ويكون على المتحصنين أن يعلموا المستثنين . ولا فصل لعربي على غممي إلا بالتقوى .  
ومن الكرامة الانسانية التسوية المطلقة بين بني آدم في التكريم ، لأنهم جميعاً متساوون في هذا القدر الذي يستحق التكريم ، وأين هذه المعاملة الكريمة من معاملة الأوربيين للأفريقيين ، ومعاملة الأمريكان للهنود الحمر ، ومعاملتهم إلى الآن للزنج .

٤ - ولقد كرم الله تعالى الانسان حياً وميتاً ، في الحياة أعطاه العزة والكرامة وبعد الوفاة أوجب تجهيزه ومكفينه ، ومنع المثلة ، فلا يشوه أى جزء من أجزائه بعد وفاته ، ولذا قال ﷺ : « إياكم والمثلة » ، ولقد كان بعض أعداء النبی ﷺ يمشي يقتل المسلمين ولم يعاملهم ﷺ بالمثل لأنه ما كان يقاتل انتقاماً ، بل كان يقاتل دفاعاً للشر ومنعاً للأذى وحفظاً للحرمان ، فإذا قتل في الميدان فقد ذهب أدامه ، وأصبح أى تشويه يلحق جسده إهانة للإنسانية في ذاتها .

٥ - وإن الاسلام في سبيل حماية الكرامة الانسانية مع الاكرام في العقائد . وعمل على إزالة الفتنة في الدين ، وكان أكثر القتال تحترماً لإرادة الانسانية وتحمل العقائد الدينية من أن يصادر أمرؤ في دينه ، ولذا قال سبحانه وتعالى : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » ، وغير المسلمين الذين كانوا يعيشون مع المسلمين كانوا لا يصارون في دينهم ولا في أحوالهم الشخصية . وأمر المسلمين بتركهم وما يدينون .

وفي سبيل احترام الكرامة الانسانية أباح حرية الفكر وحرية القول إلا ما يكون حادشاً للناموس الاجتماعي العام من القول غير الحسن ، والصفات الجارحة للحياة .

وحرية العمل حق للإنسان . فيمنع الاعتداء عليه مادام يعمل العمل المباح الذي يختاره ، وكل ما يريد إلا أن يمنع غيره من عمل يقوم به أو يحد من نشاط غيره بغير حق .

٦ - ولحماية الكرامة الانسانية منع الولاية من أن يضر بها أحداً إلا أن يكون ذلك بحكم قضائي عادل ، وفي سبيل تنفيذ ذلك كان عمر بن الخطاب يصر الولاية الذين يفعلون ذلك عقداً ماصروا رعاياهم ، بل أنه في هذا

السبيل مع الولاء من أن يوجهوا سباً لأى أحد من الرعية ، ووصح لذلك عقاباً ، منه أن يصرب الشخص الذى سبه الوالى واليه . فيروى أن عمرو بن العاص رى مسلماً بالنفاق فشكا الرجل الى عمر ، فأمر بأن يعاقب عمرأ بأن يصربه المشتوم . وأصر الرجل على تولى العقاب حتى تمكن منه ، ثم عفا .

## ٢ - العدالة

يريد من العدالة هنا بكل ما تشتمل عليه ، وانه إذا كان لكل نظام شعار خاص به فشعار النظام الإسلامى العدالة المطلقة ، أو العدالة النسبية فى هذا الوجود ، وقد كان عنوان الإسلام هو العدل ، فعندما سأل سائل عن كلمة جامعة لمعانى الاسلام تلا الى ﷺ قوله تعالى : . إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والغنى يعظكم لعلمكم تذكرتون ، والقسط شعار الديانات السماوية كلها ، فقد قال سبحانه وتعالى : . لقد أرسلنا رسلاً بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس . فالقسط بمقتضى هذا النص العام الشامل شريعة النبيين أجمعين .

يبد أن العدالة تنوع وتفرع ، وهى أساس فى كل تنظيم آحادى أو إجماعى أو دولى ، فهى توزيع القوى الانسانية فى هذا الوجود ، بحيث تسير كل قوة فى مسارها الذى ارتسمته ونهجه ، حتى تلتقى القوى المختلفة فى نهايتها فى نقطة واحدة هى مركز لقوى فى الأمة ، أو القوى فى الاساية كلها ،

فيحقق الإنسان خلافة في هذه الأرض على أكمل وجه ، أو على وجه قريب من الكمال ، أو على وجه يعب فيه الخير المسح ، بدل الشر المفسد وإن العدالة على هذا لها شعب : العدالة القانونية ، والعدالة الاجتماعية والعدالة الدولية .

### العدالة القانونية :

يقصد بالعدالة القانونية أن يكون القانون يطبق على جميع على سواء ، لافرق بين غني وفقير ، ولا لون ولون ، ولا جنس وجنس ، ولا دين ودين ، ولا جاهل ومتعلم ، بل جميع أمام القانون سواء ، فلا تفاضل بين الناس في التطبيق القانوني ، إنما التفاضل بالقيام بالمصالح الإنسانية ، ومن أحسن مقررات في ذلك قول سعد زغلول : « إنما تفاضل فيما بيننا ، ولكننا أمام القانون سواء » . هذا تنحيص جيد لفكرة الإسلام في العدالة القانونية ، فلو ذكر صاحب رسول الله ﷺ أفضل من أعزاني من أعراب البادية بملقه ودينه ، ولكنه أمام القانون يتساوى معه .

ولقد صرح النبي ﷺ بالمساواة أمام الأحكام الشرعية ، فقال ﷺ : « كلكم لأدم وآدم من رب لا فصل أعزني على عجمي إلا بالتقوى » . وقال ﷺ : « الناس سواسية كأسنان المشط » .

ولقد شدد النبي ﷺ في تطبيق الأحكام الشرعية ومنع من أن يحابي الحبيب السيف ، ويظلم الضعيف غير السيف ، وأنه يروى في هذا أن امرأة من فريش سرفت عتق فتح مكة ، فأمر فريشاً أن يهدأ سيقطع يدها وفي ذلك سبة الأبد على قبيتها . فدفعوا إلى الرسول - أسامة بن زيد - وكان حبه ، مع انه ابن عده الذي أعتقه ، فذهب إلى النبي يستشفع لها . فقال

له : أنشفع في حد من حدود الله ، ثم وقف بين الناس خطيباً ، يقول :  
: . ما بال أقوام يشتمون في حد من حدود الله ، إنما هلك الذين من قبلكم  
أنهم كانوا إذا سرق شيء أثريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد  
وأبى الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . .

ولقد كان اصحاحه من بعده يطبقون ذلك النوع من العدالة أكمل تطبيق .  
وكان على ﷺ يصيح في وسط الناس . أقوى معكم عندي صعب حتى آخذ  
الحق منه والضعيف عندي قوى حتى آخذ الحق له ، وقد نفذ هذا القول تنقيذاً دقيقاً .  
وكان عمر إذا أمر أمراً أو نهى عن أمر أحضر به وقال لهم . لقد  
أمرت الناس اليوم كذا . . به لا أوتى بمخالف إلا صاعقت له العقاب . .

ويروي عنه . في معاملة الناس جميعاً بالمساواة القويبة . أن أميراً  
من أم . العباسية كان يطوف بالبيت فوطي . أراد شاب من فزرة ، فلفظه  
الأمير فخدع أنفه ، وذهب العزاري إلى عمر . وشكا الأمير إليه فأحضر  
عمر الأمير فقال له . اتقصص أو يعمو عليك فقال . كيف وأنا أمير وهو  
سوقه . فقال . عمر . لقد سوى . كما الإسلام فلا يفضله إلا بالقوى ،  
فأحمد الأمير يسترضي الشباب الأعزاني . فلم يرص إلا بأن يلطم الأمير كما  
نظمه ، وعم أن عمر لا يخاف سيمسك الأعزاني من القصاص ، ففر إلى الروم  
وارتد عن الإسلام . وما ثم عمر ذلك ، فإنه خير الإسلام أن يبرح منه  
أنوف لم يعمر الإيمان قلوبهم ، فانظم يهرأه الحق . والعامل يقرب دوى  
القلوب الصاهرة إلى سحره في الحق بتعبه . وهؤلاء هم من عددهم أوفر خيراً  
وأعظم أثراً . وأنه لم يسر فقط في العتوبة من القوى والضعيف ، بل نظر  
نظرة أخرى لم يسبق إليها نظام . ولم يحدق به إلى الآن نظام ، وذلك أنه  
بالسبب للعقوبة قرر أن الجريمة تكبر من المحرم الكبير . والعقوبة تناسب

الجريمة ، فيجب أن تكبر مع كبر المجرم

ولقد وصح ذلك وضوحاً تاماً بالنسبة لعقوبة العبد وعقوبة الأحرار ، فإنه جعل عقوبة العبد بالنسبة للعقوبات التي تتبل لقسمة . على النصف من عقوبة الحر ، ولذا إذا رما الحر جلد مائة جلده ، وإذا رما العبد جلد خمسين جلده ، وإذا شرب الحر حمراً جلد ثمانين ، والعبد يلد أربعين ، وكذلك الأمة عقوبتها على النصف من عقوبة الحرة . ولقد قال تعالى في ذلك . فإذا أحصن فإن أنين بها حشة فعين نصف ما على المحصنات من العذاب . .

وإن القانون الروماني كان على عكس ذلك تماماً ، فالقانون من العبد يوجب القتل ، والرق من عبو اشيوخ يوجب عرامة مائة . وإن نظرة صغيرة تبين أن حكم الرومان ظلم لا عدل معه ، وحكم الإسلام هو العدل الحقيقي ، ذلك لأن الجريمة في ذاتها هو ان نفي . والعبد مهيئ بمقتضى مسكية رقبته ، ومن يه يسمل الهوان عليه ، فمن هطت بهه توجه نحو الإحرام ، أما الكبير ذو الخطر والشأن فإنه لا هو ان عبده . فارتكاب الجريمة لا يكون إلا بمحذور شديد من مكانته ان مسرى هو ان الجريمة ، فكانت الجريمة منه أكبر خطراً وأعظم أثراً ، وأوعى في الإيذاء النفسى والاحتماعى . فلا شك أن رقى ذى الخطر تحريض ان دونه عليه . و. في من لاشأن له لا يحرض أحداً ، وهكذا كل الجرائم ، ولذلك كبرت الجريمة في نظر الإسلام بكبر المجرم ، وكبرت معها العقوبة تكبره أيضاً .

وإن ذلك سمواً في التنظيم القانونى لم يسم ليه الى الان قانون ، وإن أكثر القوانين ، - وإن كانت تسير على أساس المساواة القانونية التى لا تفاصيل فيها ، نرى التطبيق يتجه الى تصغير جرائم الكبراء وتكبير جرائم الصغار ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .



والإسلام في العدالة القانونية أتى بمبدأ لم يسبق به قط ، وذلك أن أكثر القوانين الحاصرة لا تجعل الجريمة من رئيس الدولة لها عقوبة ، لأنها لا تفرض أنه تقع منه جريمة ، والقوانين الوضعية إلى عهد قريب كانت تعتبر ذات رئيس الدولة مصونة لا تمس ، وترفعها إلى مرتبة تشبه مرتبة المقدسين ، وكانت عبارات بعض القضاة ، ووكلاء النائب العام تعتبر أحيانا بالمدات المقدسة التي لا تمس .

وإذا كانت قد زالت تلك الملكية التي كانت تفرض لنفسها نوعا من التقديس ، فإنه لم يزل أثرها فإن دت رئيس الدولة الأعلى مدارات محوطة بذلك الحق إن لم يكن من نص القانون ، فمن الواقع في ذاته .

ولقد يرى الإسلام من كل هذا . فإن الفقهاء قد أجمعوا على أن الولاية والإمام لأعظم مؤاحدين في الأقضية كسائر الناس ، لا فرق بينهم وبين أحد من الناس ، فإذا غلبوا إساءة حق عليهم القس إن كان نقيض حق ، وإذا أكلوا مالا بالباطل حق على إقصاى أن يأمر بأحدهم منهم . لا فرق بين الإمام الأعظم الذي هو الخليفة وبين أحد من الناس إذا ارتكبت جريمة ، وإن قیامه على شؤون الدولة لا يعفيه من العقاب .

وقد يقول قائل كيف ينفذ عليه القضاء الحكيم ، أو كيف يحكم عليه ، وهو الذي ولاه القضاء ومكبه من السلطان ، وقد أجاب عن ذلك بعض الفقهاء إجابة حكيمة . فقد قالوا . إن القاضي إذا تولى فقد صار نائبا عن جمهور الناس ليورع العدل بينهم وليس نائبا عن الحاكم الذي ولاه ، إذ ليست تسمية الحاكم إلا لتمكيننا من عنده أهمية القضاء لعدل العفيف من سلطان القضاء كما يمكن الأسناد من إلقاء درسه . وهو في ذلك ليس نائبا في هذا الإلقاء عن ولي الأمر .

هذه دلائل سريعة إلى العدالة لقانونية والنص في الإسلام غير مفرقة بين طوائف الدينية . فعير المسلم الذي يعيش مع المسلمين يطبق عليه الأحكام التي تطبق على المسلمين ، فلا فرق بينهما بأى وجه من وجوه التفرقة إلا ما يتعلق بأحوالهم الشخصية في الزواج والطلاق . وبه يطبق عليهم فيها أحكام دينهم الذي ارتضوه . وذلك لأن هناك أمرين يحكمان العلاقة بينهم وبين المسلمين . أولهما - أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وهذه تقتضى تطبيق الأحكام التي تنظم التعامل . وتورع العدالة ، كما يعامل المسلمون على سواء . والثاني - أما أمر ما يتركهم وما يدينون ، فلا يصح لمسلم أن يتعرض لهم في عادة ، ولا في زواج أو طلاق . لأن هذه العظم مشقة من الدين ، فكان من مراده الحربة الدينية أن يتركوا . يتولون شؤونها بأنفسهم

### العدالة الاجتماعية :

يقضى هذا النوع من العدالة أن يعيش كل واحد في جماعة لهشة المحرومة غير محروم ولا ممنوع ، وأن يمكن من استغلال مواهبه بما يفيد شخصه ، وبما يفيد الجماعة ، ويكثر إنتاجها

ولست العدالة الاجتماعية موجهة لغاء الفقر في هذا الوجود . بل هي توجب تخفيف ويلاته النفسية والمادية . فلا يحقد على العلى فيكون الخراب ولا يحترق من لقوت والمكساء والابواء . فتصيح قوى عمله كان يمكن أن تعمل وتدر على الجماعة نعمها حيراً . وتدفع عنها وعن نفسها صراً وذلك لأن الفقر في ذاته لا يقلل المحر من الوجود ، ولا يرال الناس مختلفين فقر آوعى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ولا يمكن أن يرول

الفقر من الوجود؛ لا بد أن تحدث لقمة . واتحدت أسباب الرق وانحدت الأجواء المادية، ففكرية التي تعطل لمحدث . وان الناس في ذلك متفاوتون في قواهم تفاوتاً كبيراً . ولذلك ورد عن النبي ﷺ أنه قال : « واناس كلهم . مائة لا تجد فيها حجة . » فالمسرون امتدأ مطلقاً في تفكيرهم وقواهم بشكل عام بآدمي . وهم أعلى القيمة . ومن دونهم أوسع منها قليلا ثم يتسع المقدار كلما قارنا المرح ، وسطح الأرض ، وبذلك يتبين أن الاساية كشكل هرمي مندرج في لادهاج ، أصيقه مساحة أعلاه . وأوسعها أدناه .

وله لو تحدث القوي لإجابة عدد من إسان في الجماعة ، فبه لا يمكن أن تتحد أسباب لثروه . فبه حد عند شخص من الأسباب ما لا يوجد عند غيره . كأن يكون هذا من المعيش ما ليس لذلك

وعلى فرص اتحاد القوي واتحاد الأسباب ، فإن الاتحاح ليس مؤكداً إذا انحسرت أسبابه وبه اقرب القوي العمة لمحدث . فقد يحدث أن توجد كارثة لمن فلا ينجو منه ، وبسط هذا المساحة ، ومن رجال الأعمال في النتائج لأعمالهم . كمن لوراج يحدون في لرع واسماء وحياطة الررع من كل آفة ، ولكن يحدث ما ليس في الحسان بالنسبة لأحدهم ، فيحدث لمن هو قريب من النهر الحاربي فبصا عن أرضه يحد منه البعيد ، أو يتمكن من انجائه برعه فمن أن يطلع عليه فيكون من عمار عه له فصل من المال ومن غرق زرعه يصبه القل .

عبر الإسلام أن اليعتر ولعن حقيقتان ثابتان . وقد ربهما من طبيعة ذلك الوجه دالسا في . ولله وراقته الكريم هذه الحقيقة الساتة ، فقد قال تعالى : « نحن قسمنا بينهم في أجهاد الدنيا ، وانكسر لإسلام

مع ذلك لم يجعل الطبقات بسبب العن . فليس في الاسلام نظام الطبقات .  
 كما رأينا من تطبيق الاحكام الاسلامية في العدالة لقانونية ، وقد عمل على ألا  
 يستعمل غنى على فقير لعناه . فقد قرر أن الفضل عند الله بالتقوى ، وأن  
 الرفعة بالعمل الصالح . ولذلك يقول ﷺ : « إن الله لا ينظر إلى صوركم  
 ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » . ولقد كانت أعمال النبي ﷺ تنبئ إلى  
 أن يكون الناس طبقات لسكل طبقة معاملة ونظام . فقد كان يجمع التمتع إلى  
 بالسبب ، وقد كان ذلك هو الذي يتحد في العرب للتسامي . وروى أن بعض  
 الصحابة غير آخر بأمره ، فقال له النبي ﷺ : « أغيرته بأمره . إنك امرؤ  
 فيك جاهلية » . وروى أنه قال له : « أجاهلي أنت » . وقد قال ﷺ :  
 « ليس منا من دعا إلى عصبية » . وكان ذلك تكوّن جماعة الاسلام كلها مندوحة  
 ولتندمج في غيرها من بني الانسان .

ولقد كان الحكم في سبيل هذه المبادئ يؤيد من الصفوة الفضلاء بنقريهم  
 اليهم ، ولذلك روى أنه أسند عن عمر الخطاب بن الخطاب الحنسي وأبو سفيان  
 مع نفر من كبار قریش ، فدخلوا عن الواقف عبيد الله يقول له سباب  
 أبو سفيان وبنو لعل ، فنصب عمر لآله قدمه أما سفيان عن لعل في الذكر  
 وقال له قل بالنسبة لعل وأبو سفيان ، وأذن لعل ولم يأذن لآل سفيان .  
 وفي سبيل مع الطيبتات منع عمر كبر قریش من أن ينصبوا إلى الأقاليم  
 لكيلا يكونوا فيها طبقة أشرف يحكمون في الناس باسم السلطان .

وقد عمل الاسلام على محو هذه الطبقات من النفوس بالعبادات لاسلامية  
 في الصلاة يقف الفقير بجانب الغني يجمعها الخصب للدين ، ويقولان معا  
 « الله أكبر » . يشعروا جميعاً بالتضامن وقوة ته وجبروته . وفي الحج  
 تمحي كل الفروق الاجتماعية بين الأحرار والأولاد . الفقراء والأغنياء ،

إذ الجميع يكومون في صيافة الله تعالى في بيته الحرام بملاس واحدة من القطن ، وهكذا كل العبادات الإسلامية تنحصر نحو تربية القلوب على المساواة بلا تمييز بين فقير وعي ، أو سيدب وغير سيدب ، بل الجميع أمام الخلافة العليم على سواء ، كما بدأهم سبحانه وتعالى .

اعترف الإسلام بالحقيقة الواقعة ، وهي أن الناس منهم الثرى ومنهم لفقير ، وقد عالج الفقر ، ومعه من أن يدل صاحبه ، فتكون الطبقات التي تقطع الجماعة ، وتلقى سحقاً في نفس فقير ، ووراء الحقد التمرد على النظام بأسرقات والاحتلاس والاعتصاب ، وقطع الطرق ، وقد تمتد الأمر إلى قلب النظام الاجتماعي كله ، أما على حق .

وطرق علاج انحرافات على نواح كثيرة منها .

( أ ) تمكين كل فرد من أن يعمل بإعداد أسباب العمل ، فإن لم يكن قادراً على عمل ذي حصر في نظر الناس أو لم يتمكن منه ، كان عليه أن يعمل بيده . وقد شجع النبي ﷺ العمل اليدوي ، وبذلك قال ﷺ : « ما أكل ابن آدم طعاماً حيراً من عمل يده » . وإن سئى لله داود كان يأكل من عمل يده ، وذكر سئى الله داود مالدب ، لأنه كان قائداً عظيماً ، ولأنه كان مسكاً ذا سلطان ، وتحت يده حرائر الدولة ، لو أحد منها ما يكفيه وأهله بالمعروف ما كانت عليه عصابة فيما يأخذ ، وسكبه أثر أن يأكل من عمل يده ، لينال ذلك الكسب الطيب أبدي هو خير كسب .

ولقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يطلب منه صدقة من بيت المال ، فوجده النبي ﷺ قوياً قادراً ، فلم يعطه ما لا ينفعه . ولكن اشترى له فأساً وأعطاه إياها ليحطب بها ، ويأكل من عمل يده . وقد حدث النبي ﷺ الأقوياء على العمل . وروى عنه أنه قال : « لا يحطب أحدكم بفأسه » .

حير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه .

ولقد حدث إلى <sup>الذين</sup> <sup>على</sup> <sup>لعمل</sup> <sup>اليدي</sup> وكرمه لكيلا تكون عضاضة  
وليكثر العمال الذين يعملون . والصاح الذين يصنعون بأيديهم ويراقبون  
أدوات الصاعاة الكبرى ، وإن العمران يحتاج اليهم ، ولا تستغنى عنهم فلو  
نهرت الجماعة كلها من الاعمال اليدوية ما قام عمران ، ولا شيد بيان ، وما  
انتظمت مصاع . وإن تكريم العمل اليدوي كان في الحديث الاول يجمع  
الناس من أن يحتقر بعضهم بعضاً فلا تكون طبقة عامه تنال الاحتقار .  
وأخرى غير عاملة تنال التقدير والاعزاز .

( ب ) ومن علاج الفقر في الاسلام تهيته بقرص أن يمكن كل دى  
موهبة من الانماع بموهبه على قدر طاقته . فلفظ قرر فقهاء الاسلام أن كل  
ما يقوم عليه العمران من هندسة وطب وفتح لارض ، وإقامة اصناسع ،  
والجهاد في سبيل الله تعالى دعماً للأدى وحمية بحجرة - واجب على الامة ،  
وهو واجب على وجه الخصوص على من كان قادراً على واحد من  
هذه الأمور . وواجب على لصوم على الامة مسنة إر دنها في ولى أمرها  
والقائمين على شؤونها . ووجوبها على الجميع من ولى المكشف عن دوى  
المواهب من بين شبابها ، وبوسيد كل أمر لمي هو أهل له . والمكشف عن  
أصحاب المواهب تنوئة انقرص لكل دى موهبة من أن تظهر موهبه . ولقد  
قرر بعض فقهاء المسلمين أن السبيل تهيته بقرص للجميع هو أن يكون  
التعليم درجات . والتعليم في المرحلة الاولى يكون الامة كلها . ومن كانت  
عنده الكفاية الحقيقية لأن يستقر إلى المرحلة الثانية انتقل إليها ، ومن وقفت  
به مواهبه عند المرحلة الاولى ، وقفت عند أمر يحتاج إليه عمران . فمن  
هؤلاء يكون العاملون في أيديهم في الارض وفي المساجر ، وفي الصاعات اليدوية

وفي إدارة المصانع بأيديهم ، وغير ذلك مما لا يحتاج الى مدارك فنية عالية .  
 وإذا قطعت المرحلة الثانية ، فمنهم من سيكون عنده الكفاية لأن يتجه  
 الى المرحلة الأخيرة حيث يكون التفنن في علم من العلوم ، أو التخصص في قيادة  
 الجيش ، أو العكوف على إقامة العدل بين الناس ، وغير ذلك مما لا تقوم  
 الجماعة إلا بمختصين فيه ، ومن قصرت همته عن تجاوز المرحلة الثانية ،  
 فإنه يقف في موضع تحتاج الأمة فيه الى من يكون على هذه الشاكلة ، فالعمران  
 يحتاج الى من يقيدون الحساب ، وبحصول الأعمال ، ويحتاج الى صناعات في  
 يراغبون لمصانع ، ويحر ذلك مما لا يتكفى فيه التعلم في المرحلة الأولى .  
 وفيه اذا اتسع ذلك النظام تهيأت المحرص لكل إنسان وكثمت  
 الموهب ، ولم يوسد أمر لغير أهله ولا يضل الجليل من الأعمال من  
 ليست عنده الكفاية له .

( ح ) ومن علاج الفقر تسهيل أسباب الحياة للعاهرين عن الكسب ،  
 فيه إذا كان قد تمكن العامل من أن يعمل ، بل دي موهبة من أن تكشف  
 موهبته ، فإن هناك شيوا أقدم ثل السنوات من أن يعملوا ، ونساء  
 أضعفتن أوثقن عن أن يخرجن الى الحياة عاملات كادحات ، ويتأذى فقروا  
 العائل ، فكان حقاً على الإسلام أن يرب لمولاء أسباب الحياة ، وقد فعل  
 ولم يقصر ، فقد قال رسول الله ﷺ : « من ترك مالا فلورثته ومن ترك  
 كلاً فآل » وعلى ( أى من يموت عن مال فإنه يورع على ورثته ) ومن ترك أشخاصا  
 كان يعولهم ، ولا من يفتقون منه فإن محمد لكرم قائله يؤول اليه ، وحقته  
 عليه ، وإنما كان اليتيم يؤول اليه ، لأن اليتيم قوة المستقر ، إذا قامت  
 الدولة بحق رعايتهم ، وأعطتهم العناية التي تجعل من كل يتيم رجلاً عاملاً  
 وهو على النبي ﷺ لأن نفقته تكون تدابير من أحكام الإسلام وقد دبر

الإسلام سد حاجة المحتاجين من أبواب ثلاثة تتلاقى فلا تحمل لفقير عاجز حاجة لم تسد .

١ - وأولى هذه البابيع بيت المال ، فإن كل موارد بيت المال للفقير حق فيها يجب أن يعطى منها بانتظام .

٢ - الزكاة فإنها يتبدأ من الصرف منها للعقراء والمساكين وأبناء السبيل الذين انقطعوا عن أموالهم ، وكانوا في أماكن لا مورد لهم فيها ، فيحق على بيت المال أن يعطيهم من مال الزكاة

٣ - في نظام نفقات الأقارب ، فإن الإسلام أوجب على القريب العي نفقة قريبه العاجز .

### العدالة الدولية :

تقوم العلاقة بين المسلمين وغيرهم على أساس من المودة ابتداءً ولذلك قال تعالى : • لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون • .

فالمودة هي أساس العلاقات الإنسانية دائماً كما سبق ، ولكن إذا كانت العداوة ووقعت الحروب واشتجرت السيوف أو لم تشتجر ، فإن العدالة تكون هي الفيصل الحاكم ، فعلى المسلمين أن يعدلوا مهما سكر درجة العداوة ولذلك قال تعالى : • ولا يجرمكم شأن قوم على أن لا تعدلوا ، يعدلوا هو أقرب للتقوى • - أي لا يحملكم بعضكم الشديد لقوم على أن لا تعدلوا



فيهم فالعدالة حق مقدس قرر الله تعالى يشترك فيه الولي مع العدو ، ولذلك إذا اعتدوا كان قانون العدالة يوجب رد الإعتداء بمثله من غير شطط ، ولذلك قال تعالى : . من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ، وإذا لم يعتدوا لم يكن للدسليين حق القتال إلا إذا علموا أنهم يعدون العدة ، يأخذون الأهنة ، فإنه لا يسوع الإسلام للمسلمين عندئذ أن ينتظروا حتى يقصوا عليهم ، بل عليهم أن يعاجلوه قبل أن يدأوهم ، وحير الدفاع ما كان هجر ما إن طهرت وأصححت إمارات الاعتداء .

وله في سبيل تحقيق العدالة الدولية أوجب الإسلام الوفاء بالعهد إذا عقد عهداً مع أعدائهم ، ولذا قال سبحانه وتعالى : . وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً . ولقد أشار الإسلام إلى أن الوفاء بالعهد في ذاته قوة ، ولذا شدد في وجوبه . وهذه آية من آيات الوفاء بالعهد صريحة في كل هذا ، فقد قال تعالى : . وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كميلاً ، ولا تكونوا كالأتي نقضت عرهما من بعد قوة أسكننا ، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ، أن تكونوا أمة هي أرى من أمة . إنما يلوكم الله به . وليس لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختصمون ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة . ولكن يضرب من يشاء ، ويهدي من يشاء . ولتسألن عما كنتم تعملون ، ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتملأ قدم بعد ثبوتها وتدفعوا السوء بما صدقتم عن سبيل الله . ولكم عذاب عظيم .

وإن هذا النص يدل على ثلاثة أمور :

أولها - أن العهد الذي يربط هو عهد الله تعالى من ينقضه ، وإنما ينقض عهد الله تعالى .

وثانيها - أن العهد في ذاته قوة ، أمة قوة ، ولذلك شبه من

ينقصه حال احقاء التي تعزل عرلا ثم تنقصه أبنائها - أى أحرار صغيرة -  
وذكر أن الكثرة فيه رل للدم بعد ثبوتها ، فالعهد تثبت للدم ، وفي السلم  
قوة وثبات ، والنقص إرالة هذا الثبات المستمر .

وثالثها - أنه لا يصح أن تكون كثرة الأرض ، وكثرة السلطان سبباً  
في العذر ، ولذلك ذكر نواعث العذر الباطلة ، فقال : . أن تكون أمة هي  
أربى من أمة ، أى أكثر عدداً وأوسع أرضاً .

وإن هذا التشديد في الوفاء ، العهد هو في دنة عدالة ، لأن العهد فيها  
مقام أخنوق وتوريها ، وهي كما يقول القانونيون (ثريعة العائد ) فالوفاء بها  
تطبق بعدالة الله مية لى اشتمل عليها . وإيه لا يحاف العهد لتوهم الكثرة من  
جانبهم . ولا يصح أن يكون الاستعداد أحد الآلهة من أعدو سبباً في دانه  
لنقص إلا أن تثبت نية الحياة وتقوم الإمارات عليها ، ولقد روى أن  
المؤمنين شك إلى أى استعداد المشترك بعد صبح الحديبية ، فقال  
استعينوا بالله : . وهو اللهم واستعينوا الله عليهم ،

واسكن إذا قامت إمارات احبائه . . ظهرت برادرها وحب أن يند  
اليهم عهدهم ويعلموا بذلك ، وهذا ما دل عليه قوله تعالى . . وإما تحاف من  
قوم حياة فاند اليهم على سواء . أى يرد اليهم عهدهم ، ويعلمون بذلك .

### ٣ - التعاون الانساني

قال الله تعالى : . وتعاونوا على البر والتقوى . . ولا تعاونوا على الاثم

والعدوان . . . وهذا مبدأ عام في كل اعصمات ، لاسلامية ، فالأحاديث أن يتعاونوا بعضهم مع بعضهم و دفع أسكت وفي الشدائد ، وفي حب المصالح فالتى ﷺ يقول . . . أنه في عون العبد مادام العبد في عون أخيه ، ولقد ورد أنه ﷺ قال . . . من فرح عن مسلم كربة من كربات الدنيا فرح الله عنه كربة من كربات الآخرة . . . واعتبار في جلب الخير ودفع الشر أمر مقرر في الحقائق الاسلامية .

وإن التعاون يشتمل في الأسرة . فالعلاقة بين الزوجين تقوم على التعاون المطلق في قطع هذه الحياء . والمرأة هي "سكن واطل من حرور هذه الحياة وهو لها الحامي . هي منة الموائس في شدائد . وهو المحمل لهذه الشدائد ، وهم يتعاونان في رعاية تلك المنة في أودعها الله تعالى . وهي لأولاد . ينشأهم نشأة صالحة طيبة ويربيان فيها روح الانتماء لاجتماع ، حتى تكون مهمرة في المجتمع تألف وتؤلف

وإذا تعاون المؤمن أسرته وجاهه بوجاهة من التعاون . وهو التعاون مع جيرانه ، فعليه أن يرعاهم . يسبهم ويعاونهم في الخير وفي دفع الشر . ولا يكون ممة هم إلا ما يكون به صلاح أمرهم ، واتخذ اعتمر الى ﷺ إيداء الجار محالاً بالإيمان ، ولما قال ﷺ . . . الله لا يؤمن ، والله لا يؤمن والله لا يؤمن ، قيل من يا رسول الله قال ذلك أنى لا يأمن جاره بوائقه . . . أى لا يؤمن أسباب الأذى أنى تأقى اليه منه . . . وإن ذلك يشمل الجار في الدار . والجار في المريعة . والجار في المركب في سفر . ولقد قرن الله تعالى الاحسان الى الوالدين والآفات بعدائه . وقرن الاحسان الى الأقارب بالاحسان الى الجار فقال تعالى . . . واعدوا الله ولا تشركوا به شيئاً والوالدين إحساناً ، بنى القرى . وليسمى والمسالك وإن البيل والجار دى القرى ، والجار الحب . ولصاحب الحب . . . الحب هو المحب هو المحاور

لك في مكنت . أو في أى سبب من أسباب المجاورة والجار ( دو الحب ) -  
 أى الذى يجاور من يحاورك ، - حتى لقد اعتبر من الخير ان من يتجاوره ن  
 الى حد الأربعين أو يزيدون . وإن الاحسان الى الجار يكون بأبواب شتى  
 أدناها مع الأذى عنه ، وأعلاها مشاركته فى السراء والضراء . والتعاون  
 الكامل فى استعمال الأموال والاتفاق بها . وإن هذا المعنى يتسع حتى  
 يصل الى التعاون بين رراع المنطقة الواحدة وتجار السوق الواحدة ، وبذلك  
 يتجمع المجتمع الصغير على أساس من التعاون السليم .

ولقد أوصى النبى ﷺ بالجار وشدد الإيضاء اليه حتى لقد قال : « مارال  
 جبرئيل يوصى بالجار حتى طمت أنه سيورثه » ، وإن هذه الوصية واسعة فى  
 معناها حتى تصل الى سكوى المجتمع الصغير كما أشهد .

وإن الجار الذى يتمتع بهذه الحقوق هو جار بوصف كونه جاراً وإساناً ،  
 لا فرق فى ذلك بين جار مسلم وغير مسلم ، وفريب وغير قريب ، إلا أن  
 المسلم له مع حق الجوار حق الاسلام ، وانفريب له مع حق الجوار حق القرابة  
 ولهذا ورد فى بعض الآثار عن ابن عباس أن النبى ﷺ قسم الخير ان الى  
 ثلاثة أقسام : جار مسلم دورحم . له حق الجوار وحق الاسلام ، وحق  
 القرابة . وجار مسلم له حق الجوار وحق الاسلام . وجار مشرك  
 له حق الجوار .

وإذا تجاوزنا الجبر ان الدبر يكون منهم المجتمع الصغير . وجدا المجتمع  
 الكبير فى الأمة ، ووجدنا التعاون أساس بنيانه تتعاون كل طوائفه فى  
 جهودها المختلفة ، لتتلاقى تلك الجهود المختلفة عندما يرفع شأن الأمة ، ويعلى  
 قدرها ، وكأن تلك الجهود أثمار محبقة تنتج عند مصب واحد لا يذهب فيه  
 الماء هدراً بل ينتج الحصب وأطيب الثمار . فكل طائفة قوة فى ذاتها فطرة

لصناع قوة ، ومهره لرداع قوة متعاونه . والعلاء يمدون الجميع بالمعارف وهكذا تعمل هذه القوى متعاونة مصافرة .

وقد ذكر ما عتد اسلام في العدائه الاجتماعية كيف تتصافر قوة الأمة نهية الفرص لسكل دى موهبة من أن يظهر وترقى وفتح ، وإن ذلك بلا شك تعاون وتضافر على الخير .

وإن تعاون الأمة كما يكون في المسامات يكون في المنويات . فيجب أن يعمل اجميع على مع لطم وحمية القضية . ولقد ورد أن النبي ﷺ :  
 « قال أنصر أحاك طالماً أو مظلوماً ، فالواهدا المظلوم فكيف نصر الظالم يا رسول الله قال أن تتبعه من الظلم ، . ولقد عهد النبي ﷺ أكبر تعاون أدنى ومادى في الجماعة لعقد الاحاء ابدى عقده بين المهاجرين والأنصار وبين المهاجرين بعضهم مع بعض والأنصار بعضهم مع بعض ، وكان لذلك الخلف قوة حتى لقد كان سباً للتوارث قبل أن ينظم القرآن أحكام المواريث تنطبعه الخالد الى يوم القيامة ولم يكتف بذلك . بل عقد منذ حل المدينة بين اليهود والمسلمين بالمواثيق لثى عقدها، ولكنهم سكنوا في أيامهم وأرادوا أن يصربوا المسلمين من طهورهم ، فدانه تعالى كيدهم في محورهم . ومن الاسلام مع حداً من التعاون في اخماعة لم تبعه شريعة من قبله ولا من بعده ، لقد جعل التعاون في أداء الديون واجباً وقد جعل ذلك مصرفاً من مصارف الزكاة ، فقد جعل من هذه المصارف سد الديون عن الدائنين الذين عجزوا عن وفاة ديون اقترضوها في غير إسراف ولا سغه ، بل إيه من هذا المصروف تسدد الديون التي تحمها أصحابها في سبيل الصلح بين الناس ، ولو كانوا قادرين على أدائها ، لأن هؤلاء قاموا بأمر إجتماعى . فتحمل الدولة الأداء باليانة عنهم ولو كانوا قادرين . وإنه يروى في ذلك أن عامل الصدقات بأفريقية شكأ الى عمر بن عبد العزيز

أه لا يجد فقيراً يعطيه من الصدقات ، ويب مال الصدقات علوه . فكتب  
إليه سدد الدين عن المديين ، فسدد . ثم شكأ إليه أن في باب مال الصدقات  
فصلاً ، فكتب إليه إشتراً قابلاً واعتقها .

ولئن انتقلنا من الأمة إلى ساحة الإنسانية عدناه يجب أن يكون التعاون  
أساس الاجتماع الانساني . وللهان تعالى . يأتيها الناس إدا حقناكم من ذكر  
وأثنى وجعلناكم شعوباً وميائش نعاروه . إن أكرمكم عند الله أتقاكم . فأساس  
العلاقات الدولية هو التعارف . ومع تعارف يكون تعاون على الخير . ولقد  
اعتبر الإسلام بين الإنسان أمة واحدة كأن يجب أن تعاون ، ولكنها  
احتتف . ومع اختلافها يجب أن تتلاقى في ناحية التعاون الانساني اعام .  
وقد قال تعالى : . كان الناس أمة واحدة فبعث الله الدين مشرين ومهديين ،  
وأزله معهم الكتاب بالحق والبر . ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما  
اختلف فيه إلا الدين أو وده من اهدم جندهم البينات نعيأ بينهم . .

ولقد فخذ النبي ﷺ مبدأ لإيجاد الدول عندما هاجر إلى المدينة .  
فقد عقد كما أشرنا مع اليهود الذين كانوا في ورويه عهداً كان أساسه التعاون  
بينهم وبين المسلمين في دفع الأعداء وإقامة الحق . أو ما يسمى في عرف  
العصر . بالتعايش السلمي . ولكمهم نصوا عهودهم التي عاهدوا  
النبي عليها كما ذكرنا . فمالوا معه ذلك مما أنزل الله بهم من عقاب على  
يد النبي وأصحابه .

وكان يعقد امعاهدات من تقابل المربية لإيجاد تعاون إنسان . لاعلاء  
المعاني الانسانية ، وكان يحدد كل تعاون على خير ، وجميع كل تعاون على  
الشر ، ولقد ذهب إلى مكة حاجاً فهدأ أن عربش تريب ميمه ثم يند لمسألة  
اليهم وهو يقول . . لو دعني إلى أمر فيه رفعة للبيت الحرام لأجبتهم . .

ولقد كان يحث على التعاون على حماية الضعيف ودفع القوى ، ولقد حضر - وهو شاب في العشرين من عمره - حلفاً لقريش عقد في دار - عبد الله بن جدعان - تعاهد فيه رجالات من قريش لينصروا الضعيف على القوى فمهر بذلك سروراً ظهرت آثاره في الإسلام ، فقد قال ﷺ بعد أن استقر الإسلام في المدينة ، « لقد حضرت بدار عبد الله بن جدعان حلفاً ، ما يبرون به حمر النعم ، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت ، » .

وقد يقول قائل : كيف يكون الإسلام قد وضع مبدأ الحرب وخاض إلى ﷺ وصحافته عمارها ، ومع ذلك يقرر أن أساس العلاقة الإنسانية هي التعاون بين بني الإنسان ، وإن الجواب عن ذلك . أن هذه الحرب العادلة هي من قبيل التعاون ، وإحدى ثمراتها ، هي التعاون على الأثم والعدوان ، إنما هو تعاون على البر والتقوى ، والمحافظة على الكرامة الإنسانية ، وأن الإسلام ماسل سيماً على طالب حق ، وما اعتدى على أحد ، ولم يكن كان اعتداء عاشم عليه وكان ملوك أدهقوا رعاياهم ، وضيقوا عليهم ومنعهم أن يصل إليهم نور الحق ، وقتلوا من آمنوا بالحق الذي أدركوه ، والذين الذين أنصوا ، فكان قانون التعاون ، أن يرد كيد الظلم ، وأن يرفع عن تلك الشعوب المكمونة بحكم الطاعة من مير العمودية والاسترقاق ، وقد كانت الحرب لذلك ، وإن لسكوت في هذه الحال ليس من التعاون ، بل والحرب العادلة هي من التعاون ، لأنها مع لعتنة في الدن ، ولأنها تمكين للبصطهدين من أن يتسموا بسم الحرية ، ولذلك قال سبحانه : « أدن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وأن الله على نصرهم لقدر » . ولولا دفع الله الناس بعضهم بعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصروا الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

وهذا يتبين أن هذه الحروب التي تولاها محمد ﷺ وتولاها من قبله موسى وداود وسليمان كان الغرض منها التعاون على الحق ، وأنه لولاها ما قامت عبادة في الأرض ، فتهدم البيع والصوامع - وهي معابد الصاري واليهود - والمساجد - وهي معابد المسلمين - .

وإن كلمة الحرب إذا ذكرت في عصور ما ذكر معها الخراب والدمار واستباحة الحرمات ، وبشر الفساد والاضلال والاضلاق من كل الروابط الانسانية ، حق أنه ليؤخذ بجزائرها الآمن في سره ، والحامل لسيفه ، لافرق بينهما في شيء ، وأنه لا يدر منها الدراري الضعاف ، ولا الزراع الذين يملحون الأرض ، بل أن ويلاتها نعم ولا تحصى . يكون التدمير في موضع البر . وموضع السقم على سواء ، ولكن حروب الدين والهدى والشهداء والصالحين كانت حروماً فاصلة تطلها التقوى ، فلا يقتل إلا من يقاتل بنفسه أو بتدبيره . أما الزراع والعمال فلا تمتد اليهم يد بأذى ، ولذلك يقول ﷺ لجيوشه . « سبروا على ركة الله لا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا عسيفاً » - والعسيف هو العامل الأجير - ولقد كان المسلمون يدعون إلى التعاون بالمعاهدة يعقدونها معهم . أو بالسلام يرتصونه ديباً مختارين لا مكرهين ، ولذلك كانوا إذا اضطروا إلى مهاجمة دولة - معاً لأن يمدى عليهم - دعواها إلى إحدى خصال ثلاث ، أما الاسلام ، وأما العهد ، وأما القتال . وليس العهد في ذاته إلا تعاوفاً على التعايش السلى - كما يعبر ساسة هذا العصر وكتابه - . وكان أولوا الأمر يشددون في حمل قوادهم على تكرار هذه الدعوة كلما ساروا إلى بلد وأحاطوا به .

ولقد حدث أنه عندما أعارت جيوش المسلمين على صفد . - من أعمال سمرقند - لم يدعمهم القائد إلى إحدى هذه الخصال الثلاث ، فشكوا إلى



عمر بن عبد العزيز ، فكتب عمر الى والى سمرقند ، يقول له : « إذا أتاك كتابي هذا فأجلس لهم القاضي طينظر في أمرهم ، فإن قضى لهم ، فأخرج العرب من مدسكهم ، وقد قضى القاضي لأهل سمرقند ، وخرجت الحيوش الاسلامية من البلاد التي استولت عليهم ليعرض القائد هذه الخصال من جديد

#### ٤ - الرحمة والمودة

اعتبر الاسلام أساس العلاقات الانسانية كلها الرحمة والمودة . فالمودة الانسانية قانون شامل لكل العلاقات الانسانية ، ولقد اعتبرها الصلة التي تربط كل من في هذه الأرض من بني الانسان سواء أكانوا متصلين بالشخص بمقتضى روابط الأسرة - روحية أو قرابة - أم كانوا متصلين به بحكم الجوار أم كان اللقاء في المجتمع الصغير أو الكبير ، أو في المجتمع الانساني العام ولذلك اعتبر النبي ﷺ شعار الاسلام السلام ، وإطعام الطعام ، فقد سن رسول الله ﷺ عن أحسن الاسلام ، فقال : « أحسن الاسلام أن تطعم الطعام ، وأن تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف ، فحق على المسلم أن يبقى السلام على من عرفه ومن لم يعرف ، ليلقى اليه بالمودة ، وليستدر مودته .

ولقد اعتبر سبحانه أشد ما يفعله العباد والجنود أنه يقطع المودة التي أمر الله سبحانه وتعالى بوصلها ، فقد قال تعالى في شأن الجاحدين : « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويتقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض ، أولئك عليهم اللعنة ولهم سوء الدار » .

وإن المودة تحكم الأسرة ، ولا رابطة أقوى منها في الأسرة ، فالظلم والقوانين مهما تكن موثقة محكمة لا تحكم الأسرة ، ولذا قال سبحانه : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » وقال في الأتباط القدسي الذي يربط بين الزوجين : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهم » ، وإذا لم تشد المودة بين الأسرة تقطعت أوصالها ، فإذا عذمت المودة بين الزوجين كان الواجب إنهاء العلاقة الزوجية ، إن لم يكن سبيل إلى إعادة المودة والرحمة بينهما .

وجعل المودة أساس العلاقة بين الأقرباء بعضهم مع بعض ، فعلى القريب أن يصل قريبه بالمودة ، وإن حاول قريبه أن يقطعها - وصلها ، ولذا قال عليه السلام : « من أراد منكم أن يبارك له في رزقه ، ويسأله في عمره فليصل رحمه » وأمر بأن يصل المؤمن رحمه عند القطيعة ، فقال عليه السلام : « ليس الواصل بالمسكاف ، إنما الواصل من يصل رحمه عند القطيعة » .

وما بهي الله سبحانه وتعالى عن الشرك ، وأمر بالوحداية إلا قرن بها الإحسان إلى الأقربين وإلى ذوي القرى ، ولحقف عند آية واحدة من هذه الآيات ، وهي قوله تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » ، وبلوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، والجوار ذى القرى ، والجوار الجنب ، والصاحب بالجنب وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم .

وإن وقعة قصيرة عند هذه الآية تكشف لنا عن دعوة إلى مجتمع متواد تربط المودة والإحسان أحاده ، تتدىء بالإحسان إلى أقرب الناس إليه ، ثم بالإحسان عن سيكونون قوة في المجتمع إن ارتبطوا بالمودة والحق المجتمع إليهم بها ، وهم اليتامى الذين فقدوا كاهلهم ورعايهم ، ثم الماعيران . ثم بالمجتمع

الإنسانى كله ممثلاً في ابن السبيل الذى انقطع به الطريق ، ولا مأوى له . وإن الناظر في القرآن الكريم يجد قد شدد في الإيذاء باليتامى ، فما من آية ذكر فيها الاحسان إلا كان لليتيم حظ كبير فيها ، وحث الله ﷻ على إكرام اليتيم ، واعتبر من يكرم اليتيم ويكفله له منزلة اليقين . ولذا قال ﷻ : « أبا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وأشار بضم أصابعه إلى أمها في منزل في الجنة واحد ، وبارك ﷻ كل بيت يكرم فيه يتيم ، فقال . « خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه . وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه » .

وقد يقول قائل لماذا حث الإسلام على إكرام اليتيم هكذا ، والجواب عن ذلك أنه حمصه بالاحسان والرحمة ، لأن اليتيم فقد الراعى الذى يكلؤه - وهو أبوه - وقد كان أبواه يربان فيه روح الائتلاف بالمحبة التى يعيش فيها ، إذ أمها بفيض الحسان والعطف الأوى كانا يثيران فيه موارع الرحمة وميره ، وإبنارهما له يعنان فيه حب الإبنار بطبيعة المحاكاة ، فإذا لم يستعص عن ذلك بالكلام الرحيمه لعاطفة من يتصلون به حرج بفرأ من الناس ، لا يحس بأنه ترطه بهم جامعة مودة ورحمة ، فيضطرب اليهم نظر الخائف الخلد أو بطر العدو المترص ، وكلامهما لا يجعل فيه قوة عاملة ، وفي النائية تكون منه قوة هادمة ، فأكثر الدين يرتكبون جرائم في المجتمع من الدين يحسون بالنفرة منه ، لأنهم منوذون لم يذوقوا الرحمة من غيرهم ، فنظروا إلى المجتمع نظرة عداوة لامودة فيها ، إذ أنهم يحسون بأنه لعظمهم ابتداءً ، فلم يرحموا بما لفظهم . واليتامى عرضة لذلك ، فكان حقاً على المجتمع أن يحميمهم ، وينمى عواطف الالة فيهم بالمودة بقى اليهم بها ، ولقد قال ﷻ : « من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا الله كان له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة » .

وإن المودة ليست واجبة بالسهة لأناء الامة الواحدة ، بل هي واجبة للبحالعين في الدين ماداموا لم يعتدوا على المسلمين . ولم يعادوهم ، ولقد بين الله سبحانه وتعالى تلك الحقيقة - وهي القانون العام في معاملة المؤمنين لغيرهم - : « إنما ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين » ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم أن تولوهم . ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون . »

فالمر ثابت للمؤمن ولغير المؤمن مادام لم يعتد عليه ولم يظلم وإنه في مدة الحديبية لم يسلح الي <sup>بأسلحتهم</sup> أن قريشاً زالت بهم جمحة ، فأرسل - مع حاطب بن أبي بلتعة - خمسة ديار الى أبي سفيان بن حرب ليشتري ساهراً ويورعها على فقراء قريش فالمودة ثابتة حتى للمشركين . وإنه في أثناء الحرب تنقطع المودة مع المقاتلين فقط ، أما غير المقاتلين ممن لم يشتركوا في القتال بأي نوع من أنواع الإشتراك فإنه لا تنقطع المودة بينهم وبين المسلمين إن قامت أسباب المودة ، ولذلك لا يمنع قيام الحرب من وجود مستأمنين من تجار الدولة المخارمة ، والمستأمنون هم الذين يقيمون في الدولة الإسلامية مدة معلومة لقصد الاتجار .

والخلاصة أن الاسلام لا يقطع المودة في أثناء الحرب إلا مع المقاتلين بالفعل أو من لهم رأى في القتال . أما غيرهم فإنه يفرض أنه لا رأى لهم في الاعتداء ، ولذلك لا يضارون ، ولا تنقطع عنهم المودة والرحمة ، وبسبب هذا نهى النبي <sup>ﷺ</sup> في الحرب عن قتل النساء والدرية والشيوخ العائين ، ومن لا رأى لهم في القتال ، كما نهى عن قتل العساء - وهم العيال والزرايع وغيرهم من عامة الشعوب الذين لا يقاتلون وقد يكونون وقود القتال - .

وإذا كانت المودة هي الرابطة التي تربط بين الإنسان بحكم الاسلام وسائر  
الادين فإن الرحمة تنبعث منها ، وهي تلازمها . ولذلك كانت الرحمة قانوناً  
اسلامياً واجب الاتباع ، ولقد قال ﷺ : « لا ترفع الرحمة الا من شئ » ،  
وقال ﷺ : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم  
من في السماء » .

وليست الرحمة التي يطلبها الاسلام هي تلك الشفقة الشخصية فقط ،  
بل إن رحمة الاسلام تشمل ذلك ، وتشمل الرحمة بالعامّة ، وهي مقصد  
الاسلام الأعلى . ولذلك قال تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ،  
ولقد أكثر النبي ﷺ من الحديث على الرحمة ، فقال بعض الصحابة :  
يا رسول الله إنا نرحم أرواحنا وأولادنا ، فقال ﷺ : « ما هذا ما أريد ،  
إنما أريد رحمة العامة » .

ورحمة العامة التي هي مقصد الاسلام الأعلى - توجب إقامة العدل ،  
ولذلك يرى أن العدل في أدق معناه هو من الرحمة ، فإن الرحمة بالجماعة  
توجب أن ينتصف المظلوم من الظالم ، وأن القصاص هو من الرحمة الدالية  
ولذا قال سبحانه وتعالى : « ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب ، وإذا  
كان القصاص فيه حياة سعيدة هادئة يأمن الشخص فيها على نفسه وولده ،  
فإن ذلك من الرحمة » .

ولم يكتف الاسلام بوصح أسس الرحمة والرفقة بالإنسان حتى رأى  
أن الحيوان أيضاً جدير بالرفق والرفقة والرحمة ، لأن له روحاً ، ولأن له  
نفساً تألم وتأذى وتحس بما يحسه الإنسان من الألم والصعق ، بهذا الانسانية -  
حتى في العصر الحديث - لا ترى للحيوان نصيباً من الرفق ، أو حظاً من  
الرحمة . وقد استفادت الأحاديث من الاسلام تدعوا إلى الرحمة بالحيوان



وتدبته ، كما تحرم النهي به في الصيد ، من قتل عصفوراً عشاً صح إلى الله يوم القيامة يقول : يارب إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقلني منفعة ، واتخاذ هدفاً لتعظيم الإصانة ، فقد لعن رسول الله من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً ، ونهى عن التحريش بين الحيوانات ، ووضعها في وجوها بالسكى والنار ( أي كبتها لتعلم من بين الحيوانات الآخر ) فقد لعن الرسول على حمار قد وسم في وجهه ، فقال : لعن الله الذي وسمه .

أما إذا كان الحيوان مما يؤكل ، فإن الرحمة به أن نحمد الشجرة ، ويسقى الماء . ويراح بعد الذبح قبل السلق ، إن الله كتب الإحسان على كل شيء . فإذا قتلتم فأحسنوا القتل ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليجد أحدكم شجرة ولا يريح ذبيحته . إن أصحاح الحيوان للذبح قبل إحداد الشفرة قصوة لا تخور ، أصبح رحل شاه ذبح وهو يحمد شجرته ، فقال له عليه السلام : أريد أن تميتها مواتاً ، هلا أهددت شقرتك قل أن تصجعها ، ما أروع هذه الرحمة بالحيوان وأبلغ دلالاتها على روح الإسلام البهيم ورأفته ورقة بالحيوان .

### • المصلحة ودفع الفساد

كل اجتماع يتجه إلى غاية راجحة ، وتتصافر الجهود كلها للوصول إلى هذه الغاية ، والغاية الإنسانية العالية هي فعل الخير وتجنب الشر ، وما من

جماعة فاصلة إلا جعلت الخير أساس اجتماعها ، والابتعاد عن الشر عنصر اتحادها . ولكن ما هو الخير ؟ وما هو الشر ؟ وما هو الميزان الذى به يتميز الخبيث من الطيب ؟ لقد حاض العلماء فى ذلك قديماً وحديثاً ، ولقد اتفقوا فى القديم والحديث على أن الميزان الخلق لا يختلف فى عصر من العصور عنه فى الآخر ، فقد تختلف الجريئات فى المورومات ولكن لا يختلف الميزان ولا تختلف الكميات ، اللهم إلا أن يقال إن قواعد الحساب أو الهندسة صحيحة فى بعض الأحوال باطلة فى بعضها ، وكذلك مقياس الحق والباطل لا يختلف . ولكن احتلف الفلاسفة من أقدم العصور فى حقيقة الميزان الذى يمكن أن يكون صاعداً للقيم الخلقية لأهمها المادة . ففريق قال : « إن المقياس هو السكال المطلق » وفريق قال : « إن أصول الصفات الأربعة ، المعرفة ، العدالة ، الشجاعة ، العفة » وفريق قال : « إن المقياس هو المعرفة الصحيحة » وفريق قال : « إن المقياس هو الاعتدال فالعصية وسط » .  
رديلتين .

والمذهب لدى راجح فى العصور الأخيرة ، واعتبر أساساً للقوانين الحاكمة ، كما اعتبر أساساً لكل مجتمع فاصل هو مذهب المنفعة . وهو أن تكون المنفعة أو الخير هو الأمر الذى يكون فيه أكبر نفع ممكن لأكثر عدد من الناس .

ولقد قرر هذا المذهب فى العصور الأخيرة الفيلسوفان الإسكتلنديان ( سيم ) واعتبره أصلاً للقوانين ، وميراثاً للخير والشر ، ( وحب استوارت ميل ) واعتبره ميزان الأخلاق ، والإجماع المأصل . وإن المنفعة لى نقرر أساساً للإجماع هى اللذة المعنوية والحسية ، واللذة العاجلة والآجلة ، فليست الهوى النفسى ولكننا اللذات الخالية من المعاسد



والتي تنق طريقاً ، والتي يلاحظ فيها الحاضر والمستقبل . وأسلم اللذات في هذا ما كان معنويًا إذا كان فيه نفع للآخرين ، ويقول في هذا المقام ( جون استوارت ميل ) في رسالة المفعة . : إن من السبل أن يقدر الإنسان على التحلي عن نصيبه من السعادة . ولكن هذه النصيحة لابد أن تكون لغاية ، لأنها ليست غاية لنفسها ، وإن قيل إن غايتها السعادة ، بل شيء أرقى منها وهو الفضيلة ، فإنا نسأل هل يمكن أن يأتي المثل أو الراهد بهذه النصيحة ، إن لم يعتقد أنها توفر على من عداها نصيحة مثلاً . وهل يمكن أن يأتيها لوطن أن تركه لسعادة نفسه لا يأتي ثمرة لإنسان آخر ، وإنما يجعل نصيبه من الحياة مثل نصيبه منها ! إن كل الشرف الذي يباله من يحرمون أنفسهم لذات الحياة ، إنما يكون إذا كان هذا الحرمان سبباً لامتنع لآخرين بسعادتهم من هذه الدنيا . أما من يحرم نفسه لأي سبب آخر فلا يستحق شيئاً من الإحترام نعم يمكن أن يكون دليلاً على فدية الإنسان على العمل ، ولكنه من غير شك لا يكون مثلاً لما ينبغي أن يعمل . إنه مما يرجع إلى نقص الدنيا وصف نظامها . إن أحسن طريق يمكن الإنسان أن يملكه إلى مساعدة غيره من السعادة هو نصيحة سعادته نصيحة تامة . ولكن مادامت الدنيا في هذا القصر فإن أقرر أن الاستعداد لتلك النصيحة أكبر نصيبه يمكن أن توجد في الإنسان هكذا جاء في - رسالة المفعة - ترجمة الأستاذ محمد عاطف ركات ( باشا ) .

ونتهى من هذه الدفاتر الفلسفية إلى أن الغاية من كل ساء اجتماعي حلقى هي المصلحة أو منفعة المجموع ، وليست المفعة مرادفة للهوى لأن الهوى قد يكون إخراجاً ذاتياً ، وبجاءة الأنانية الشخصية ، وهذا يكون منافقاً للمنفعة ، لأن المفعة المنفعة في الأخلاق كما هوها هي المفعة لتي

تعود على أكبر عدد في البناء الإجتماعى ، ما أكبر قدر ممكن . وهى فى أكثر أحوالها إثارة ، ولست أثرة شخصية . وفوق ذلك فإن الأهواء والثرعات الشخصية هى الى نفاك وحدة المجتمع ، بينما المنفعة بهذا المعنى الإجتماعى تدعمه وتقوى الروابط فيه ، ويحس كل امرئ فيه بأنه يعيش لغيره أكثر مما يعيش لنفسه ، وبأن حياته ولداته فى أن يحيا المجتمع حياة سعيدة هنيئة ، قد توافرت فيها لكل إنسان سعادة حقيقية .

وإن الاستقرار أثبت أن الأسس الاجتماعية فى الأحكام القرآنية تقوم على المصلحة لأكثر عدد من تظلمهم المجتمع ما أكبر مقدار من السعادة الحسية والروحية ودفع بوائق الشر ، وقد استطاع فقهاء الاسلام أن يردوا أصول المصالح الاجتماعية الى خمسة أمور تحب المحافظة عليها ، حتى تقوم العلاقات الاجتماعية على أكمل وجه ، وحتى يتحد المجتمع بكل قواه الى أسس عالية ، وتلك الأمور الخمسة هى : . حفظ النفس ، وحفظ العقل ، وحفظ السل ، وحفظ الدين ، وحفظ المال . . وإن احصار المصالح فى هذه الأمور الخمسة لأن الدنيا مبيت عليها ، ولأن كل مجتمع فاصل يجب أن يجعل غاية العليا المحافظة عليها ، وإن قرى المجتمع تنحى الى المحافظة عليها وتحقيقها ، ودفع الآفات الاجتماعية التى تعرض مصالحة من هذه المصالح للضرر ، ولذلك حرص الشرع الاسلامى على أمرين :

أحدهما جلب المنفعة لأكثر عدد ممكن فى المجتمع وثانيهما دفع الضرر وقرر أن دفع الضرر مقدم على جلب المنفعة إذا تساوت المنفعة مع الضرر ، أو لم يكن تفاوت واضح بينهما ، وإذا علت المصلحة على الضرر بقدر كبير واضح قدمت المصلحة ، لأن منعها يعد فى ذاته ضرراً كبيراً ، والضرر الضعيف يتحمل فى سبيل منع الضرر الكبير

والمحافظة على النفس : هي المحافظة على الحياة العزيزة السكرينة ، ويدخل فيها منع الاعتداء على النفس أو الأطراف أو أى جزء من أجزاء الجسم ، كما يدخل فيه المحافظة على السمعة والكرامة ، والابتعاد عن مواطن الإهانة . ومن المحافظة على النفس ، المحافظة على الحرية الشخصية ، وحرية العمل ، وحرية الفكر والرأى والاعتقاد ، وحرية الإقامة والانتقال ، وغير ذلك مما تعد الحرية فيه من مقومات الحياء الانسانية الحرة التى تراول نشاطها فى دائرة المجتمع العاقل ، وإن الشارح الاسلامى والقوانين العادلة قد وضعت عقوبات لحماية النفس ، ومظاهر الكرامة فيها ، إذ أنه من الواجب الاجتماعى منع الاعتداء على النفس فى أى مظهر من مظاهرها التى بناها . بيد أن الاعتداء عليها يتفاوت وعلى ذلك يجب أن توضع عقوبات بمقدار ذات التفاوت . فالاعتداء على الحياة ذاتها عقوبته أشد العقوبات . لأنه لايسر لدفعه فى المجتمع إلا بتشديد العقاب . ولذلك قال الله تعالى . . . ولكم فى القصاص حياة . وما يكون اعتداء على أمر ثبت معه الحياة . ولكن لا يكون فى عزة بل تكون فى صيق كالاعتداء على الكرامة بالسب أو الرى بأسر يتناقى مع الأخلاق اعاضة كالرى بالرئ فإن عقوبته تكون دون الأولى لأن الإيذاء فيها أقل للمجتمع . ولأن دفعها لاجتاج الى قدر كبير من العقاب .

والمحافظة على العقل : هي المحافظة عليه من أن تساله آفة نجس صاحبه عبثاً على المجتمع ، ومصدر شر وأذى .

والمحافظة على العقل تنجس الى نواح ثلاث أولها - أن يكون كل عضو من أعضاء المجتمع سبياً يمد به عناصر الخير والنفيع . فإن عقل كل إنسان ليس حقاً حاصلاً لصاحبه . بل هو باعتباره لبنة فى صرح ذلك المجتمع يتولى عقله السبى سداد حلل فيه ، وكان حقاً على المجتمع كله أن يتولى العمل

على سلامة ذلك العقل الذى يعد عنصراً فى نشأته .

الباحية الثانية - أن من يعرض عقله للأفات يكون هو عبثاً على الجماعة كما أشرنا . فلم يعقد المجتمع عنصراً عاملاً فقط ، بل إن من يفقد عقله يكون عبثاً ثقيلاً ، وأن من حق المجتمع لهذا أن يحافظ على عقل كل شخص محافظة تمنع من أن تزيد الأعباء والتكاليف لحماية البناء الاجتماعى .

والباحية الثالثة - أن من يصاب عقله يتعدى أذاه ولا سبيل لدفع ذلك الأذى المتوقع عند زوال آفة العقل إلا بالمحافظة عليه ، ومع كل شخص مما يؤدى الى الأذى .

ومن أجل ذلك حرم الإسلام الحر ، وكل مامن شأنه أن يؤثر فى العقل تأثيرها . فكل أنواع المخدرات - سواء أكانت مشروبات ، أم كانت غير مشروبات - محرمة فى الاسلام ، ووضع للمخدرات عقاباً شديداً ، لأنها فوق أنها تفسد لعقول فى المجتمع تقطع حبل المودة فيه ، ومثلها فى ذلك الميسر ، ولذلك اجتمع تحريمها فى آية واحدة قال تعالى : « إنما احرر والمسر والانس والانصاب والأزلام : جن من عمل الشيطان فاجتنبوه فليكنم يفسحون » ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى احرر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متهمون . .

ومثل الحر فى هذا مثل تلك المخدرات الشائعة كما يوهما ، ولها عقاب الحر الذى قرره الاسلام . والقوانين الخاضرة تعاقب على المخدرات كالخشيشة والأفيون ، ولا تعاقب على احرر ، فلم تكن منطقية ، إذ تعاقب على أحد المشين ، وتترك الآخر يصب الناس منه عباً . وهذا يخالف المقررات العقبية من أن ما يشت لأحد المثلث يثبت للآخر .

والمحافظة على النفس : وهى المحافظة على النوع الانسانى ، بحيث تكون

الأجيال الانسانية قد ربي على أساس التألف الاجتماعى وملاحظة حق الغير وأن يكون الجيل قوياً فى جسمه وفى عقله وفى دينه وفى خلقه ، وإن ذلك لا يكون إلا إدارى الصل بين أبويه . وإلا إذا كان لكل ولد كالى يحمله ويحتو عليه ويرعاه ، وإن هذا يقتضى ملا ريب تطعيم الروح تنظيماً يكفل سلا قوياً . ويكفل رعاية أبوية تترى فيها كل العواطف الانسانية التى تكون الألفة الاجتماعية ، وتتحدى تلك الألفة فى محيط الأسرة . ثم تتعدى الى محيط الجماعة ، ثم تتعدى الى الانسانية كلها ، فتتسع لاس الانسان حيث كان وأين يكون .

ولذلك نظم الاسلام أحكام الروح ، وحى الحياة الروحية ، ومنع الاعتداء عليها أى نوع من أنواع الاعتداء ، وإن المحافظة على النفس اقتضت منع اعتداء على الأعراس سواء أكان بالعاشة ترتك ، أم كان بالقذف لرفى . بد من شأنه إشاعة العاشة فى المجتمع الفاضل فتعده ، لأن الفاحشة اعتداء على الأمانة الانسانية التى أودعها الله تعالى جسم الرجل والمرأة ، ليكون منها النسل والتوالد الذى يمدح فناء الجنس البشرى ، ويجعله يعيش عيشة هنية سهبة فيكثر نسل ويقوى ، والنسل فى ذاته ثروة وقوة ، فهو يوجد الثروة ، والثروة لا توجد .

ولا يكون النسل قوياً كثيراً إذا كان أساس العلاقة بين الرجل والمرأة غير الروح الذى ياركة الدين ، ويستظل بظله

ولذلك شدد الشارع الاسلامى فى عقوبة لرفى . وأشد الرضى رضى الروح أو الزوجية ، لأنه اعتداء مباشر على النسل ، ولا سبيل الى التساهل فيه ، ودون هذا عقاب الرضى من غير المتزوجين ، وكما عاقب الاسلام على الرضى عاقب أيضاً على ما يكون دربعة اليه ، وعما يثير الشبه . وعما يحرض على

الفدق ، فصافق الدين يرمون الناس بالرى ، وجعل عقوبة ذلك ثمانين جلدة أى أقل من عقوبة الرى نفسه بعشرين جلدة ، وهذا لأن الترامى بالرى وهتك الأعراض بالقول يؤدى الى إشاعة الفاحشة فى المجتمع الفاصل ، وهكذا عمل الاسلام على حماية النسل والسبب ، وحماية المجتمع فى تلك الرذيلة التى يفضب لها أهل السماء وأهل الأرض .

والمحافظة على الدين : تكون بحماية العقائد من الدعايات المصادمة ، والانحلال الدينى . أباباكان الدين ، فإنه من المقررات الاسلامية أن من له دين ولو المنجوسية غير من لادبر له ، وذلك لأن الدين رابط روحى ، وحسن نفسى يجمع المتدين من أن يتردى فيما يؤذى ويضر أو يقطع الألفة الاجتماعية ولأن التدين خاصة الانسان ، وإذا كان خاصة الانسان فحينه حماية لأقدس المعانى الانسانية . وأشرف الحقائق فى هذا الوجود هو صلة المخلوق بالخالق وهو البور المنبعث من اس الارض الى السماء . فكان لابد من حمايته ، وأن تتوافر حرية الاعتقاد كما قال تعالى : لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي ، ولقد اعتبرت الفتنة فى الدين أشد من القتل فمن أزهق أمره أفقته فى دينه يكون كقتله أو أشد ، لأنه أصابه فى أقدس ما فى الانسان . وهو التدين الحى . ولذا قال تعالى فى الفتنة فى الدين : ، والفتنة أشد من القتل ، والمحافظة على المال : تكون بمنع الاعتداء عليه بالسرقة أو العصب وأكل أموال الناس بالباطل ، ومنع الرشوة والتعزير والنصب والاحتيال ، والمحافظة على المال كما نكون بذلك نكون بالعمل على تسميته ، وتوريعة بالعدل والمحافظة على إنتاج ما يثمر ويزيد فى ثروة الجماعة والاحاد من غير شطط ولا حيف . وتكون المحافظة على المال بوضعه فى الأيدى القوية التى تستطيع حمايته وتنميته .

وقد وضعت العقوبات الزاجرة المانعة للإعتداء على الأموال ، وكانت مرنة بترتيب قوة الاعتداء ووضع للسرقة أقصى عقاب ، لأنها صياغ للبال حيث لا يمكن الاثبات . إذ أن السارق يأخذ حفية حيث لا يطلع أحد ويروع الأميين ، ويلقى بالطلع في نفوس الناس ، وإن هذا الترويع ذاته يستحق عقاباً ، وصياغ المال ذاته يستحق العقاب الاول ، وليست العبرة بقيمة ماسرق ، إنما العبرة بمقدار ما أنزل بالناس من مزع ، ودون السرقة الاعتصاب لأن الاعتصاب أخذ للمال عسا ، وأحد المال علنا يمكن أن يجري فيه الاثبات ، فلا يصح أصل المال حيث يمكن اثباته ، واسترداده ، وبلى هذا العصب ، ثم العش والخديعة ، لأن ذلك وإن كان أكلا لمال الناس بالباطل للإرادة المدبوعة دخل في صياغه ، فكان حقاً على الرجل أن يحتاط لنفسه . وهكذا نجد أخرائم تتفاوت بمقدار قوة الاعتداء ، ومع تفاوتها يتفاوت العقاب .

هذه هي المصالح التي اعتبرها الاسلام غاية من عايات الاجتماع الكبرى وهي لا تتحقق إلا إذا كان لها حام من القانون الرادع ، والأحكام الزاجرة ولذلك كان لابد للمجتمع في الاسلام من عقوبات صارمة رادعة ، وقد بنيت العقوبات في الاسلام على أساس دفع الفساد ، كما بنى التحليل والتحريم في الإسلام على أساس مصلحة الجماعة الفاضلة .

وإنه من المقررات الباتة أن الله تعالى لم يخلق شيئاً صاراً صرراً محصاً ولا شيئاً باقماً بقعاً محصاً . وإنما العبرة بالمعالي فما عبت المصلحة اجماعية فيه طالب الشارع به . وما عبت الصرر الاجتماعي فيه منه الشارع .

هذه هي إشارة موجزة الى الأهداف التي قصد اليها الاسلام ليكون مجتمعاً فاضلاً تحكمه الفضيلة ، وتؤلف بين آحاده وترهطها بحبل الله القوي المتين .

وإن هذه الاهداف تدحل في كل بناء اجتماعي ، فتدحل في مجتمع الأسرة ، وفي المجتمع الصغير ، وفي مجتمع الامة ، وفي علاقات بين الانسان بعضهم مع بعض منها تختلف أجناسهم ، وأقاليمهم ، وألوانهم ، إداها نظم الحياة الفاصلة وقوانينها .



## نظام الوحدة عند محمد ﷺ

— ١ —

هذه الكرة الأرضية التي يعيش على ظهرها أحياء ، ونزمن في بطنها أمواتاً ، وكل ما فيها وما عليها وما يحيط بها وما يخرج منها من الكائنات من الأمهات الأربع : - الماء والأتربة والدار والهواء - والمواليد لثلاث : - النبات والحيوان والانس - كل هذه الحقائق بجميع أصنافها وأنواعها ، ومختلف أشخاصها كلها قد تكونت من أجزاء متغايرة وعناصر مختلفة ، انضمت بعضها الى بعض ، وامتزج بعضها ببعض ، على نسة مخصوصة ووضع خاص حتى صارت حقيقة بوعية لها آثارها الخاصة وخواصها المتعينة ، هذا شجر ، وهذا حجر ، وهذا إنسان .

ولكل واحد من تلك الموجودات العينية فساد وصلاح ، ونقص وكمال ، وصلاح كل موجود هو عذارة عن ترتب الأثر المقصود منه . وحصول العاية التي خلق من أجلها ، والثمرة المتوخاه فيه ، وفساده عذارة عن تحلف ذلك الأثر ، وعدم حصول تلك العاية منه ، فصلاح الزرع مثلاً أن يشمر النمر الجيد والحب الذي يطبخ من مثله ، وصلاح المسك بأن تفوح منه الرائحة الطيبة . وإذا لم تكن له تلك الرائحة فهو فاسد .

وإذا تعمقنا في البحث ودققنا النظر في الأسباب والعلل لانحدار علة الفساد

وسبب الصلاح في تلك الكائنات سوى ما يرجع إلى أمر واحد، فصلاح الشيء وترتب أثره المطلوب منه إنما ينشأ من استجماع أجزائه وانضمام بعضها إلى بعض، وإرتباطها على نسبة خاصة ووضع معين، إرتباطاً يجعل تلك الأجزاء المتعارفة شيئاً واحداً ذات أثر واحد، فإذا رادت تلك الأجزاء أو نقصت أو اختلف وضعها الخاص وتركيبها المعين، فاحمل ذلك التركيب، وتفككت تلك الأجزاء، فهناك يأتي الفساد وتلاشي الحقيقة، ويفوت الأثر المقصود منها، فجمع الصلاح في الحقيقة في كل الكائنات إلى الوحدة والانضمام، ومرجع الفساد إلى العزى والانقسام.

ولو نظرنا بالطريقة الأولى الأشياء التي يعترضها الفساد، مثل الفاكهة واللحم وبنائها، لانحدر فسادها إلا من جهة انحلالها ورحاوتها وتفككت أجزائها، وما كان صلاحها إلا من جهة تماسك أجزائها وشدة ارتباطها وصلاتها.

وهكذا يتضح القول في هذا الهيكل الإنساني بالنظر إلى كل فرد منه فإن صحته وصلاحه ليس إلا عبارة عن استجماع أجزائه المقومة له على تركيب خاص فلو زادت أو نقصت أو اختلف ذلك التركيب والوضع، وتفككت الحفريات التي تتكون منها لحمه ودمه، جاء الفساد وعرض المرض وتسربت إلى جسده العلة واستجماعه لأجزائه بالمرتبة المعينة له تستوجب وحدة حقيقية، بوحدة الحس والإدراك والتعقل، وهذه الوحدة تستوجب تبادل المنفعة بين الأعضاء.

ومثل ما قلناه في الفرد يأتي القول في المجموع - أعني به الأمة التي تتألف من الأفراد، وكل فرد فيها هو جزء من أجزائها، فإن صلاحها بالضرورة إنما هو بانضمام أفرادها وشدة ارتباط بعضها ببعض ارتباطاً يستوجب

وحدثها الحقيقية بحيث يعود حال المجموع حال الفرد في حد نفسه ، له روح واحدة وحس واحد ، حتى لو صرمت العين أو الأنف أو اليد أحست كل الاعضاء بالألم ، وإذا انتهكت العين عطر حس أبتجع البدن كله ، وهكذا إذا انتعش الأنف رائحة طيبة انتعش كل البدن ، وكذلك المنافع متبادلة بين الاعضاء فاليد تخدم العين وتحمي عنها ، وكذلك العين تخدم اليد كما تخدم سائر الاعضاء فإذا تبادلت المنافع وصار كل واحد من الاعضاء حامداً لسائرهما ، فالكل قائم بخدمة الكل ، فهناك البدن الصحيح السوي الصالح القوي ، ألاي لا ينسرب اليه شيء من الفساد .

أما إذا فسد بعض الاعضاء انقطعت علاقته من الباقى ورأى الأثر المقصود منه من منفعة البدن وخدمته . وربما سرى فسادُه الى غيره وكان الواجب قطعه .

هذا حال الإنسان فرداً ، وعلى هذا القياس حاله مجتمعاً ، فإذا ارتبطت أفراد الأمة بعضها ببعض ارتباطاً يوجب لها الوحدة الحقيقية تعيش بروح واحدة وتزى الى هدف واحد ، ونكون بمثابة الجسد الواحد الصالح الصحيح الذى يسعى كل فرد من المجموع لخدمة المجموع . وإذا تألم فرد منه تألمت جميع أفرادها ، كما قال رسول الهداية محمد ﷺ : « المؤمن من المؤمن كالعضو من الجسد إذا تألم عضو أصيب سائر الجسد بالسهر والحمل ، هالك نصير الأمة بأفرادها كأنها ببيان مرصوص ، فتضعف القوة وتتوحد ، ولا يتسرب اليها شيء من الفساد ، وتندره الأخطار والكوارث عنها بفصل قوتها المجتمعة وصارت أمة صحيحة حية صالحة قوية ، لها مجدها وكيانها ، وعزها وشأنها . أما إذا كان كل فرد قد انقطعت علاقته من المجموع وزال ذلك الربط وتمزقت تلك الوحدة ، وصار كل فرد - فصلاً عن أنه يشتمل لنفسه . ويعمل لفرد

ويسعى لهدم أحياه والإضرار به وحرابه ، فقد خرب بيت الجميع واهدم صرح الامة من أساسه وهو على رأسه ، ففسدت الامة بأحمها وزال عنها كل عز ومسكة ، ووقعت في أسوء الهلكة ، وأصبحت فريسة للذئاب وطعمة للمكلا ب - كما أصبحنا نشاهد كل هذا بأعيننا .

ثم أن الفساد الذى هو الإتحلال والتفكيك إنما ينشأ مما كسبت أيدي الناس من عدوان بعضهم على بعض ، وحب العبة والإستينار الناشئ كله من الجهل بصالح الفرد وصالح المجموع ، وإن صالح المجموع هو صالح الفرد .

الفساد هو أن يصح كل إنسان لانيهه إلا أمر نفسه . ولا ينال مما أصاب أخاه أو صديقه أو جاره أو رحمه - ولا يراسيه في سرآه ولا ضراءه بهذا ومثله يظهر معزى قوله تعالى : « طهر الفساد في البر والبحر » من تقاطع الامة الواحدة وتفككها ، وبعض بعضها لبعض فهداها - يدقمهم الله بعض ما عملوا - فترفع الركات ونقطة طبع الخيرات ، ويرل الالاء ويحبب الدماء ، ويحبس عيث السماء - وفي الحديث : « إذا رضى الله عن قوم أنزل عليهم المطر في وقته وجعل المال في سمحاتهم واستعمل عبيهم خيارهم ، وإذا سخط عليهم حس المطر عنهم أو أرله في غير وقته ، وجعل المال في بخلاتهم ، واستعمل عليهم شرارهم » . إذا فصلاح الامة حاله حال مائر الموجودات والكائنات الحيوية . وكل ما على الكرة الارضية إذا اجتمعت تكون صالحة في المجتمع . ولا يكون صلاحها إلا بتضامنها وانضمامها بحيث تعيش بروح واحدة تبادل منافعها كتبادل أعضاء الجسد الواحد والكل يحدم الكل - قال أمير المؤمنين على عليه السلام : « ألا لا يعدل أحدكم عن القرابة أو العشيرة يرى بها الخصاصة أن يسدها بالذى لا يريد أن أمسكه ولا يقصه إن أهلكه ، ومن يقبض يده عن عشيرته فأما يقص منه عنهم يدا واحدة

وتقبض منهم عنه أيد كثيرة ، . إذا مددت يدك إلى قومك فقد مدت إليك منهم ألف يد ، وإذا قبضتها قبضت عنك منهم ألف يد ، فكل واحد يشتغل بيد واحدة خير لنفسه ، أو يشتغل بألف يد ؟ ولعل إلى هذا أيضاً الإشارة في الحديث المشهور ، يد الله مع الجماعة ، إذا اتفقت الأمة وأحب بعضها بعضاً كان كل واحد منها تشتغل له الأيدي الكثيرة ، وإذا تقاطعت فكل واحد منها تشتغل في تقطيعه الأيدي الكثيرة . وهناك الدمار والوار وخراب الديار .

العرب كانت من أقدم الأمم نجاراً ، وأعظمها آثاراً ، وأشدّها بأساً وأبعدّها في التاريخ ذكراً ، وأسماها حراً ، وكانت لهم في الجاهلية مزايا عالية وأخلاق سامية فلما يحصل منها في أمة من الأمم : - الوفاء والاباء ، وحماية الدمار وحفظ الحار ، وإكرام الصيف وصدق الحديث ، والقناعة والساطعة ، إلى كثير من أمثال ذلك . - وأفضل ما امتاروا به من الصفات الحسنة صفتان هما من أمهات مكارم الأخلاق : - الجود والشجاعة ، وإن شئت فقل الاستئانة بالعرير ( العرس والمال ) ولكن هل نفعها شيء من تلك المزايا المأصلة والسيجايا الحكامة ؟ كلا بل كان بأسها يسيما ، وقوتها وبالا عليها ، فكان أكبر شاغل لها الحروب المستمرة بينها ، فكانت وقايعها الشهيرة وحروبها الكبيرة لا تحصى ، وقد بلغ توالى الحرب فيها وتفاحرها بالسبي والسب ، والغارة وإراقة الدماء بغير حق وعلى غير قاعدة وقانون إلى فوق ما يتصوره العقل ، وما يقشعر له الوجدان من الجهل في اهمجية في وأد البسات وقيل الأولاد ، ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ، وعباده الأوثان ونأليه الأحجار التي يصنعونها بأيديهم ويعبدونها - قبل كانت الشجاعة والكرم نفعهم شيئاً أو جمعت لهم شئلاً ، أو وحدت لهم كلمة ؟ بل كانوا

بحيث يقتل الأخ أخاه ، والولد أمه ، والعشيرة الواحدة بينها حروب كثيرة  
وماروا وينحبطون في حنادس الظلم والظلمات ، وقتل الأولاد والعشيرة  
هكانت أمة فاسدة ، وشعباً مبعثراً ، وقوة متفرقة ، الى أن لطف بهم  
العناية الآلهية ، ونظرهم غير الرحمة ، فانتعشت اليهم ذلك المصلح الآمى  
والطيب الربانى . والناصح الشفيق فصدع فيهم بدعوة الحق ، فوحد كلمتهم  
وجمع قوتهم ، وظهرهم من عبادة الأصنام ورجس الأوثان ، وغسل عنهم  
درن الأحقاد والأضغان ، حتى صبح فيهم قوله تعالى : « وادكروا نعمة الله  
عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا  
حفرة من النار فأنقذكم منها . »

نعم صدع فيهم دعوة الحق وجاهد وتحمل الأذى في سبيل إصلاح  
الامة العربية حتى وحدت وتوحدت ، وحدث ربها . وتوحدت فيها بينها  
ونجح فيها من الحياة روحاً جديدة فأصبحوا جسداً واحداً بروح واحدة ،  
يرمون الى هدف واحد ، إذا أصيب فرد واحد بأذى تألم له جميع ذلك  
الجسد - وهو مجموع الامة - فما كان بأيسر من أن ملكوا العالم بأجمعه تلك  
الروح الطيبة - روح الوحدة والإنسلاف - التي تحققت بينهم . تجاوزوا  
مدهشات العقول - حروبهم التي كانوا يتحاربون فيها بينهم جعلوها على  
الأعداء ، فكان الواحد يقابل ألف .

غزوة بدر كان المسلمون ٣١٣ رجلاً في مقابل ما يزيد على الألف من  
جبابرة قريش ، مع ما كانوا عليه من القوة والسلاح ، وهؤلاء عديم  
سبعون نعيراً وفرسان ، ومع ذلك في يوم واحد في موقف واحد كسروهم  
تلك الكسرة الشديدة ، وقلوا سيئين وأسروا سبعين ، والإسلام يومئذ من  
سنتين ، ثم أخذوا بهذه الوتيرة ، وبهذه القوة حتى بلغوا ما بلغوا .

حرب اليرموك كان المسلمون ٣٠٠٠٠ وأعدائهم من رومانيا ومن  
اشام ألف ألف من المشركين ، ومعهم ملوك الافرنج ، فكان كل واحد  
من المسلمين يقابل ثلاثة آلاف من المشركين حتى غلبهم في سنة ١٦ هـ  
وفي عين تلك لسة يجادون من طرف الشام القياصرة ، ومن طرف  
العراق في القادسية يجاربون الآ كاسرة

هكذا كانت قوة الاسلام ، لأنهم أصبحوا في روح واحدة ترى  
بعض واحد وسكن لم تنف هذه الروح على تلك الحالة ، حتى أصبحت  
تصعب وتتصل ، وتأتي عليها العوامل المفرقة والسموم القتالة ، الى أن  
أصبح المسلمون على هذا الحال الذي تراهم عليه .

الاسلام هو الذي هدب تلك الاخلاق ، وجعل تلك الروح صخرة  
إيمان ويقين .

كل من سر عود الباريح ووقف على الحقائق ، يعلم أن قيام سلفنا  
الأمائل ووقوفهم في وجه الأمم المختلفة ، فرعوا كل عرش ووثن وصاب  
وعاند عجز ، لم يكن باسم الآباء والجداد ، ولا باسم العروبة كلاً وحاشا ،  
لما مكروا ذلك باسم الدين وأحكامه ، كانوا يسرون على مناصح القرآن  
وخططه وتعاليمه .

لم يكن للعرب قبل الإسلام تعاليم تستطيع إيقادهم من ثعلب الروم  
والفرس والرياح ، حتى من الله عليهم بأشرف أنبيائه محمد ﷺ فحاشهم  
شريعة تكلم لم تملكها سعادة الدارين ، وأقذت العرب حتى دامت لها  
لأمة واستولوا على أكثر أقطار العالم ، لا بسيفهم فبن سيوف أعدائهم  
كانت أمضى وأكثر ، وكانت للعرب تلك السيوف قبل الإسلام فلم تجر دلاً  
عليهم ، إذ كان بأسهم بينهم شديد وهم لسواهم أدلاء كالعيد . بل بشريعتهم التي جاء

بها سيد الشر ، ولم يكن لهم نظيرها قبل الإسلام ، ولا لسراهم من الأمم ما يدانيها من الأحكام ، وبذلك داست خيولهم الصين من المشرق ، وانتهت الى جبال فرسا من المغرب ، وأصبح العربي الواحد يحكم لقطر الكبير مدينه لا بسيفه ، وأهل القطر متقادون لأمره طوعا ورجة لا خوفا ورهبة .

هذا قتيبة بن مسلم الباهلي قد خطب أيام ولايته على خراسان فقال : يا أهل خراسان انسبوني تجددوني عراقي الأمم والمولد والرأى والهوى والدين ، وقد أصحتم فيما ترون من الأمن والعافية ، قد فتح الله لكم البلاد وأتم سبلكم ، فالضعية تخرج من مرو الى بلخ نعيم جوار ، فاحمدوا الله على العافية ، واسألوه الشكر والمزيد .

وهو أوصله الى خراسان وولاه عليها إلا تمسكه بالدين الإسلامى ، والتزامه بأحكام الشرع المبين ، وإلا فقد كان للعرب قبل الإسلام من هو أعظم من قتيبة نفأ ، ولم يكن يحلم بالوصول الى العراق إلا وافداً على كسرى مستخدماً به - كحاجب بن زرارة وأبى الخير - أو مكبلاً موقفاً الى ساور دى الأكتاف - كبنى تميم وعد قيس - ولما جاء الإسلام مضى ذلك العربى والياً وحاكماً مرغوماً فيه ، مهتماً بمدوحاً محبوباً مأسوفاً على قتله من عدوه ووليه .

نعم إن قتيبة العراقى العربى المسلم لم يكتف بملك خراسان وأمانها حتى صارت الضعية تسير من مرو الى بلخ بلا حوار بل ساقته الجمعة العربية وحدها لا بل الحمية الدينية والتعاليم الإسلامية معها ، بل الإسلام وحده هو الذى حذى عراقياً الشهم الباسل الى فتح ( كاشغر وبلاد الصين ) . انظر بحس ما جرى له فى ذلك بامعان يأخذك الحب وفيه للمسلم الآن ذكرى وعبر .

سار قتيبة الى ( كاشغر ) وحمل مع الناس عيالانهم ليضعهم بسمرقند .



وفي هدام الإيمان والثقة والإطمئنان ما يستعنى عن الوصف ، فإنه كان يرى كل بلد له ملكه أم لم يملكه . ولما عبر النهر استعمل رجلاً على معبر النهر ليمنع من يرجع إلا بجوار منه تمسكاً بما يقوله القرآن من حرمة الفرار عند الرحف مهما كان العدو ، وهو قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا رحفوا فلا تروهم الأديار ومن يؤلمهم يومئذ دبره فقد باه بعض من الله ورسوله الآية » . وهذا الحكم أساس الفتح والظفر .

ثم مضى إلى ( فرعون ) - وهي اليوم بسند الروس - وأرسل إلى شعب عصام من يسهل الطريق إلى ( كاشغر ) - وهي أدنى مدائن الصين - وبعث جيشاً مع ( كبير بن فلان ) إلى ( كاشغر ) ففتحها ونغم ووسم الأسراء وأوغل حتى بلغ قريباً من عاصمة الصين ومقر ملكهم ، فكتب إليه ملك الصين أن ادع لي رجلاً شريفاً يجرني عنكم وعن دينكم ، فانتدب قتيبة عشرة من رجاله متصفين بصفات الإسلام لانهفات العروة فقط : - أي لهم جمال وألس وعقل وأس وصلاح - .

فالحاج صفة بديعة تدل على الخير وتعليم الإسلام ، إذ قد قال رسول الله ﷺ : « ما حسن لله صورة إمرء إلا أراد به خيراً » ، وقال ﷺ : « اطلبوا الخير عند حسان الوجوه » ، وقال ﷺ : « أعظم النساء ركة أحسن وجهاً » ،

وأما الألس فيها تقوم الحجة البالغة ويظهر الحق بدلالة الاسلام ، إذ قد نبى أساس الدين على القرآن المبين ، وهو اللسان العربي والفصيح الحكيم والآيات القرآنية التي تدعو إلى الفصاحة والبينة والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن كثيرة في القرآن الكريم .

وأما العقل ، أساس الخير والظفر بدلالة الاسلام ، وما غاخط الله

النشر في كتابه العزيز إلا به ، ولا دل على آياته إلا أمله . فقال . . لقوم يعقلون . . اقوم يتفكرون . . لأولى النهى . . أولم يتفكروا في خلق السماوات والأرض . . الذين يتفكرون في خلق السماوات والأرض . إلى غير ذلك من الآيات الشريفة .

وبالأس صفة إسلامية . أمر الله تعالى بالتمسك بها على لسان سيده في كتابه . إذ يقول . . أشداه على الكفار رحماء بينهم . ويقول : . . وليجدوا فيكم غفلة . . ويقول : . . واعلظ عليهم . وغير ذلك من آيات . . والصالح قوام الإسلام . . وقد قرأ القرآن في الإيمان في أكثر آياته فقال . . الذين آمنوا وعملوا الصالحات . وقال . . إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت . . قال : . . وأصلحوا . وقال . . ولا تصدوا في الأرض بعد إصلاحها . وآيات في ذلك أكثر من جميع الأحكام .

ولما اختار عراقينا وعربينا هذه الصفات لمؤلاء الرجال أراد أن يمثل الإسلام في سفراته ، ويصف الدين الحنيف برؤية رسله ، ولم يكن للمروية بدون الدين في نفسه وقع ، وما هي لولا الدين حتى تمثل ، ولو كان لها مثال لمثل قبل الإسلام ، ولم يكتب عراقينا المؤمن وعربينا المسلم لتمثيل الإسلام في صفات الرجال حتى عمد إلى أربائهم فمثل فيها الدين الحنيف ، أمر لسفراته بعدة حسنة ومناع حسن من الخزي والوشى وغير ذلك وخيول حسنة . ولم يكن ذلك إتباعاً للمروية ، بل أمثالاً لقوله تعالى : . . وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، ولقوله تعالى : . . خذوا زينةكم عند كل مسجد ، ولقوله تعالى : . . من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، وغير ذلك من الآيات الكريمة أراد أن يظهر بهذا الري لملك الصب سطوة الإسلام للمروية . وكان

في سفرائه - هيرة بر مشمرح الكلاني - فقال لهم : إذا دخلتم على ملك الصين فاحبروه أني قد حلفت أن لا أنصرف حتى أطا بلادهم وأحتم ملوكهم - أي أنهم ميسم الأمر - وأجبي حراحهم ، فساروا وعليهم هيرة ، فلما قدموا عليهم دعاهم ملك الصين ، ففرموا على أن يطهر وأما عز الله الاسلام في مختلف الأحوال ، فليسوا ثياباً بصباً تحتها اللعائل ونطسوا ولبسوا النعال والأردية . وفي هذا الرى جمال الاسلام وأريجته وريته ، فدخلوا على الملك وعنده عطاء قومه ، فلما جلسوا لم يكلمهم الملك ولا أحد من عنده فنهضوا ، فقال الملك لقومه : كيف رأيتم هؤلاء ، فقالوا : رأينا قوماً مامم إلا نساء مانتى ما أحد إلا انتشر ما عنده ، فلما كان العد دعاهم أيضاً ، هندسوا الوشى والعمائم الحر والمطارف وغدوا عليه ، وفي هذا الرى هبة الاسلام وغناه . فلما دخلوا عليه قيل لهم ارجعوا ، فقال الملك لأصحابه : كيف رأيتم هذه الهيئة . فقالوا هذه أشبه هيئة الرجال من تلك فلما كان اليوم الثالث دعاهم أيضاً وأخذوا أهبة الحرب وشدوا سلاحهم ، ولبسوا البض والمعافر ، وأخذوا السيوف والرماح والقسي وركبوا ، ففطر اليهم ملك الصين فرأى مثل الخيل فلما دواركروا رماحهم وأقبلوا مشمرين ، فقبل لهم ارجعوا فركبوا حبلهم وأحدوا رماحهم ودفعوا خيلهم كأنهم يتطاردون ، فقال الملك لأصحابه كيف تروهم قالوا ما رأينا مثلاً هؤلاء أبداً .

بذلك أظهر مسلمونا ما للإسلام من مختلف الأحوال ، فما مكنت أمة جميع ما يلزم من وسائل الحياة إلا سادت وشرفت ، وصلحت وأصلحت ، رافة ورحمة وجمال وريفة في محلها ، وكال وحيية وحكمة وعزة في موقعها وبأس وشدة وبسالة وسطوة في موردها . وهذا هو الاسلام بعبه ، وذلك

تعاليمه ، ولم يكن للعروة وحدها منه شيء . قل الاسلام ، وهذا هو شعار المسلمين إذ يقول شاعرهم :

نحن قوم تليتنا الخدق الحل      على أننا بلى الحديد  
طوع أيدي الصاء تقنادبا العبس      ونقتاد في الحروب الأسودا  
فترانا لدى الكربة أحراراً      وفي السلم للحسان عبداً  
وقال آخر :

سمة العبيد من الخشوع عليهما      لله إله صمتهم الأسحار  
وإذا ترجلت الصحن شهدت لهم      يصير القواصب أنهم أحرار  
ومر رجوع الى الآيات القرآنية . والأحاديث السوية ، وجد الشريعة الإسلامية قد استقرت جميع حاجات البشر واستوفرت منها ، فرصت لكل حكماً متيناً يكفل بمجاره على أحسن الوجوه ، وعرف السر في أن المسلم في صدر الاسلام كان شجاعاً بأسلاً في ميادين الوعي وقاضياً فاصلاً في دكة القضاء ، وساعياً ماهراً في جاية الأموال ، وحاكماً بارعاً في سياسة الملك وعمران البلاد ، وهكذا كان يقف المسلم الواحد في كل مقام من الشؤون انوعية والاشخصية ، كأنه اعما خلق له وتمحصر فيه ، حتى ينبع في المسلمين من القواد والأمرام وأرباب الصنائع والعلماء من كان ولم يرل غرة واضحة في جبين الدهر . وبذلك ساد المسلمون وابسط بالعدل سلطانهم في أكثر أقطار الأرض . وكل أمة بلع أفرادها من العلم والحكمة هذا الملع تسود جميع الأمم لاحالة . وقد مثل ذلك سفراء قتيبة في حركاتهم وأريائهم في الأيام الثلاث ، وأبنوا عملاً بهم على كل شيء قادرون ، وفي جميع الأعمال ماهرون ، فيستحيل أن يطلب سلطانهم ، أو يهنوا في حرب أمة .  
واقعد عرف ملك الصين ذلك منهم ، فأبته بعث اليهم بعد الأيام الثلاث

أن ابعثوا الي رعيهكم . فبعثوا اليه هبيرة بن مشمرح ، فقال له : قد رأيتم عظيم ملكي . وإنه ليس أحد يمنعكم مني ، وأنت في يدي بمنزلة البيضة في كفي . وإذا سائلكم عن أمر فإن لم تصدقوني قتلتم . قال سل . فقال : . لم صنعتم فيكم اليوم الأول والثاني والثالث ما صنعتم . . قال . وأما يومنا اليوم الأول ففاسسا في أهلنا . وأما اليوم الثاني فريبا إذا أمتنا أمرائنا ، وأما الثالث فزيبا لعدونا . قال الملك : . ما أحسن ما دبرتم دهركم . .

وهما أيقن الملك أن قرما هذا شأنهم لا يعلون . غير أنه أحد بالتهديد ليعلم مبلغ عقيدتهم في أمرهم وإخلاصهم في عملهم ، فقال : . قولوا لصاحكم بصرف فإن قد عرفت قلة أصحابه ، وإلا بعثت اليكم من يهلككم . .

وهنا أظهر المسلمون من البهالة والثبات ما دهش له لب الملك ، إذ قالوا كيف يكون وليس الأصحاب من أول حيله في بلادك وآخرها في منات الريتون . وأما تخويفك بربك بالقتل فإن لما آجالا إذا حضرت فأكرمها القتل ، ولسنا نكرهه ولا نخافه . وقد حلف صاحبنا أن لا يصرف حتى يطا أركم ويختم ملوككم أو تعطوا الجزية

وهذه السجية والعقيدة هي حكم الاسلام . فإنه الذي علم المسلمين أن لكل أجل كتابا ، وإنه لن يؤخر الله فسادا إذا جاء أجلها ، وإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون . . أيما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة . وإن الشهداء لسوا أموال . بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله . فأفضل الموت هو الفس . وفي الحرب إحدى الحسين : إما أفضل الموت أو النصرة والعلة .

وإذا رسخت هذه العقيدة في نفوس أمة سادت وسعدت وعز سطانها وهيئات أن تدل أو تغلب . وما من أمة خافت الموت ورهبت منه إلا ذات

وهات وسامها أعداتها الخسف والخراب ودهست نفوسها في مصلحة أعدائها  
تمكنت هذه العقيدة في نفوس المسلمين بفصل الاسلام . وكانت  
العروبة حلواً منها قبله . وبها ساد المسلمون وسعدوا .

ولم يهب قتيبة العراقي المسلم أن يهاجم بلاد الصين وأهلها أكثر من  
أربعمائة ألف ألف بجيش لا يريد على عشرين ألف مقاتل أكثرهم من الموالي .  
ولهذه العقيدة الراحة اضطرب ملك الصين ، ولم يجد بداً من أن  
يبدد يد الصلح وهزم الخشوع إلى قتيبة . وعلم أن المسلم إذا قال فعل ، وإذا  
حلف فلا بد أن يفعل .

وهذا من تاليم الاسلام وأحد أسباب السيادة . فتوصل الملك بحيلة  
لثلاثي مئة ألف في عيته ، - وهو يعلم أن المسلم لا يحنث - فقال . إذا خرج  
من عيته ، بحث تراب أرضنا فضاء . وبعث إليه يمحس أبناً فيحتهم .  
- أي يسمهم بمسم الأسر والمودية - وبعث إليه بحرية يرصاها ، فبعث  
إليه بهدية وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ، ثم أجاز الرسل فأحسن . فقدموا  
على قتيبة . ونظر قتيبة إلى طلة أصحابه وبعد بمسكة الصين ونقصان العدة  
وكثرة العدو وزيادة عدته وعدده . فأراد المهمة ليستعد ملك الصين . فقبل  
الجرية ، وختم الغلمان ورددهم ووطأ التراب . وفي ذلك يقول سوار بن عبد  
الملك السلولي :

لا عيب في الوفد الذين بعثهم للصين إذا سلوكوا سبيل المنهج  
كسر والجمعون على القدي حروف الردى حاشا الكريم هيرة من مشرح  
أدى رسالتي التي استدعيتهم فأناك من حشيت اليمين محرج  
وعاد قتيبة ليستعد إلى غزو الصين وامتلاكها ثانية ، ولم يكن يحسب  
أن يعوقه عنها عائق ، فهل تمكن من ذلك ؟ كلا ! لم يتمكن قتيبة من غزو

الصين وامتلاكها ثانية ، لا لخور في عزمه وحطال في رأيه . فإنه كان من أصوب القادة رأياً ، وأحوظهم وأهمهم في سوق الجيش ، إذن فما منعه من فتحها وتسخيرها ؟

نعم إن شهوات أمية كانت واحة بالمرصاد أمام الفتح الإسلامي ، تقتل القواد الذين أهلهم الروح الإسلامية لتسخير الأمم .

ومن مسمى الشهوات الذي وقف لقتية - سليمان بن عبد الملك - فإن قتيبة رأى ما في سليمان من عدم صلاحيته للخلافة ، وعاصر سليمان صلاحية قتيبة وعريته وإسلاميته ، فهم بعزله ، ثم أوعز بقتله ، فقتل في حراسان وبخت منه الصين ، وحصره وحسرها العالم الإسلامي ، وبعث رأسه ورؤوس أهله - وهي أحد عشر رأساً - إلى سليمان بن عبد الملك - في الشام فكان هذا جراً أمية لعراقيا المسلم عن فتوحاته وهذه حياة أمية للعرب والإسلام . وهل أمية إلا العذرة الفجرة - أتباع الشهوات ، ودعاة الأباطيل ، ومحاة الحق ومحيا الأضاليل .

ولما قتل قتيبة قال رجل من أهل خراسان . يامعشر العرب قتلتم قتيبة والله لو كان ما مات لجلعناه في ناروت فكنا نستحق به ونستفتح به إذا عروه . وقال الأصمعي : قتلتم قتيبة ويزيد بن المهلب ، وهما سيد العرب فقل له أيهما كان أعظم عندكم وأهيب ، فقال لو كان قتيبة بأقصى حجر في لعرب مكبلاً ، ويزيد مما في بلادنا وال علينا لكان قتيبة أهيب في صدورنا وأعظم من يزيد .

وقال الفرزدق في رثائه :

أتى ورحلى في المدينة وقعة لآل تميم أفعدت كل قائم

وقال عبد الرحمن بن حنافة الباهلي يرثيه :

كأن أبا حفص قتيبة لم يسر      بجيش الى جيش ولم يعمل منبراً  
 ولم تحقق الرايات والجيش حوله      وقوف ولم يشهد له الناس عسكرياً  
 دعتة المنايا فاستجاب لربه      وراح الى الجناح عنواً مطهراً  
 فما رزء الإسلام بعد محمد      بمثل أبي حفص فبكيه عبراً  
 شهد العدو الخراساني ، والرئيس الماوي - الأصمعي - هذه الشهادة  
 لصادقة لهذا العراقي العربي المسلم وشهد له المواليان - الفرزدق التميمي ،  
 وأبو جهم الباهلي - . وهل سب ذلك إلا تمسكه بالدين الإسلامي .  
 أجل قتب أمية مفخرة من مفاحر العراق ، وقائد أس قواد الإسلام ،  
 وخسر العراق والإسلام بسب ذلك أعز أسائه . تفعل أمية هذا بالعرب  
 والعراق والإسلام ، ومع ذلك فإن الفتوحات الإسلامية لم تزل تزداد يوماً  
 يوماً لقوة التعاليم الإسلامية وحسن إدارتها .  
 وإن قتلت أمية القواد الفاتحين تحت كل حجر ومدبر ، وأبادت الرجال  
 المصلحين في جميع الأنظار ، لاسيما في العراق ، وما ذلك إلا لأن التعاليم  
 الإسلامية ، والأحكام الشرعية ، فوق مكر الماكريين ، وعداوة الملحدين .



- ٢ -

أول حادث حدث في البشرية منذ فجر يومها الأول ومبدأ تاريخها القديم أن قتل ربع العالم ربعه ، حيث قتل ابن آدم أخاه ، ومن ذلك اليوم أخذت انبشيرية تقاسى آلاماً وتعاقب عسلاً وأسقاماً ، ويمادى ويمتدى بعضها على بعض ، وفي كل يوم ينشر الشر ويتفاقم البلاء وتعمظ الرزية . على ذلك تعاقبت الأيام وسدفت الدهور ومضت القرون ودسلت الاحقاب ، وإذا بالعصية تهبط الى الحصص وترسع الرذيلة على كرسيها . فتعالى الضرر وتفاقم الشر واستحكمت العصية ، ونق العالم بسرد فيه التاعض والتحاسد والتناكر لاشيء فيه من التراحم والترادد غيهم يستعيد فقيرهم ، وقويهم يفترون صغيهم . يعنصب كل منهم حق صاحبه ، ويشرب كل واحد منهم دم أخيه . ولسكن العاية الازلية جلت ركاتنا لم نزل تشفق على هذا المخلوق العيس فترسل اليه رسلا مالحين ، ورجالا صالحين ومصلحين ، وأطباء ماهرين ، نبياً بعد نبي وولياً اثر ولى . وصالحاً نلو صالح ، يهدون ويرشدون ، ويعاجلون ويعالجون فلم ينفع في البشر إلا ماشد وندر ، والشر على ما كان عليه .

أبتعثت العاية نوحاً - وهو شيخ الانبياء وأب الرسل - خطاطهم سعتهم ، وألعب في الدعوة . وأقام عمراً طويلاً يهتف فيهم ليلاً ونهاراً سرأ وجماراً ، داعياً الى الصلاح والاصلاح ، فلم يؤثر فيهم شئاً ، وكان عافة

كل ذلك الطوفان . وما استجاب له وبما معه إلا نفر قليل .

ثم جاء إبراهيم ، وتلاه إسحق ويعقوب ثم جاء موسى - وهو نسل الأنبياء ، والقوى الأسمى - إذ عتد بالمعجزات الباهرات ، من العصا وعلق اليم وأمثالها ، فكانت نتيجة بي إسرائيل أن قالوا له : إذهب أنت ورمك مقاتلا بنا ههنا قاعدون ، وأعظم من ذلك عبادة العجل والتجبط أربعين سنة في النيه .

ثم آل الأمر إلى عيسى - الذي يدعونه بالملخص - فأراد أن يخلص البشرية من ردائلها فلم يفتح ولم يصنع شيئاً ، وأصبحت أمته اليوم شر أمة العالم وأشدّها في القسوة والظلم ، ثم كان عاقبة أمره الصلب

كل ذلك والبشرية يتفاهم شرها ، ويتعاضم بلاؤها ، إلى أن نضجت العناية بمحو رتها المكنونة ، ولطيفتها المحزونة ، أرسل إليها الحكيم الأعلى والطبيب الآلهي الذي مافرقه طبيب ، أرسل إليها سيد الرسل - محمد بن عبد الله ﷺ فشنخص ذاتها ودوائها ، وعرف العلاج الشافي لها ولدواء الباجع القاطع لجرثومة أمراضها ، عرف أن الداء العضال والمرض القتال . إنما هو الفرقة الناشئة من توعل الآيات والعصيات ، الباعثة على التفاجر ثم التنافر ، فصرخ الوحى على لسانه : يا أيها الناس إما خلقتناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، ثم راد وأوصح البيان فقال : الناس كلمهم لأدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، وقال : ليس منا من دعا إلى عصبية ، - يعنى لاخر بمعجمة على عربية ، ولا هندية ولا تركية - إنما الفجر بالعمل الصالح والمزايا الطيبة ، الفجر بالفضيلة واجتناب الرذيلة . لذا كانت شريعته حاتمة الشرايع وديته أكمل الأديان . كان ينادى في

كل ملا ويجتمع ، أيها الناس أما والذي نفس محمد بيده إنكم لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحتملوا ولن تحتملوا حتى تحابوا ، ثم مضى على ذلك صحبه الكرام ، فساروا على حطه ومناهجه واحداً بعد واحد ، فكاروا إحساناً على صفاء حتى حاصروا البحار ومنكروا الأقطار ، وهم أعراب بادية لادرس ولا مدرسة ، ولا كتاب ولا مكتبة ، فتقدموا ذلك التقدم الباهر وبحبوها ذلك النجاح الزاهر . كل ذلك بقوة الإيمان وعدة الوحدة والإتفاق وبذو التفاهر والإختلاف ، حتى أخذوا بقرن الشمس مشرقها ومغربها ، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام : . أيها الناس الزموا السواد الأعظم فإن يد الله مع الجماعة ، وإياكم والفرقة بين الشاذ من الناس للشيطان ، كما أن الشاذ من الغنم للذئب .

فرص لازم وحتم واجب على كل مسلم أن لا يسأل إنساناً إلا عن الشهادتين ، عن جامعة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فإن وجدها لا يسأل عن شيء بعدها . وكان المسلمون أيام الفتح والتوغل في البحار والأمصار إذا سئل أحدهم عن نسبه وقبيلته ، وغير له من أمرك يقول :

أنا الإسلام لأب لي سواء إذا اعتحروا بقبس أو تميم أعزبنا وأصرنا بعدم ثقة بالله ، وإما لا نعتقد اعتقاد اليقين بجزاء ولا حساب ولا كتاب ، وأن مصيرنا إلى الله ، وأن الأمور كلها بيده وفي مشيئته ، وقد جعلها منوطة بأسبابها .

أهم الغرب على الغالب أيضاً ليس لها ذلك الاعتقاد ، لكن كبرت نفوسهم وتعاظمت هممهم ، فابغثوا إلى الأعمال الجدية نيل العز والشرف وبذلك تعلبوا علينا ، ونحن مصافوا إلى لروم طلب تلك المعالي والعز الذي كان لا يأتينا نعتقد بالجزاء وديونة الحق في دار القرار ، وكها روادع وبواعث

يجب أن تدفعنا إلى لم شعنا ، وتهذيب أخلاقنا ، واسترداد تراث سلفنا ،  
الذى ملكوه بالحاجم منهم والدماء بدل الحجارة والمساء

أجدادنا العرب جاؤا إلى الخليفة - عمر بن الخطاب - فيجانب كسرى  
وحطه وعرشه ، وفيها من الجواهر والياقوت ما يحطف الأنصار ويدهن  
الأمكار ، فتعجب الخليفة من ذلك وقال : « إن أمة تؤدي مثل هذا ولا  
تحون شيئا منه لأمة أمينة يوشك أن تغلب على سائر الأمم » .

كانوا يؤتمنون على تلك النفائس العظيمة . ونحن اليوم لا نؤمن على  
أعراض إخواننا ولا على أمرائهم ، ولا على شيء منهم . نحن هم في كل شيء  
وبرى كل واحد مما أحياه بالعظام وبقدسه بالفصايح ، من غير ديب ولا  
جناية ، ذهب المتاع وبقيت الحصرمة والبراع .

أيها الناس الوعاظ والذاكرون والخطباء يحفروكم من نار جهنم في  
الآخرة ، ومن أغلالها وسعيرها ، وسلاسلها وحياتها وعقاربها ، وأه  
أحذركم من نار جهنم في الدنيا . هي نار العداوة والبغضاء . تلك نار الله الموقدة  
التي تقطع على الأفئدة . نار العداوة في الدنيا هي التي تتكون منها نار جهنم  
في الآخرة .

اليائم هي التي نصير في القبر عقارب وأفاعى ، الضعائن والأحقاد هي  
السكاكين التي قطعتكم ومرة كم وجعلتكم طعمة للأغيار ، هذه الأخلاق الدميعة  
في الدنيا هي نار جهنم في الآخرة ، هذه الأخلاق الرذيلة التي تبعثنا على الأفعال  
الدميعة المبطوية فينا تظهر في يوم الحشر حيات وعقارب وأعمال وسلاسل  
تكون أطواقا في أعناقنا يقول جل شأنه : « دوقوا ما كنتم تعملون » .

الأمم إما تال السعادة بملائل الأعمال ، وما آتت أمة إلا من قبل  
العمل والعمل لا يصلح إلا إذا بني على العقيدة والاحتمال في إحراء

القوانين والشرائع التي تحت على صالح الأعمال ، ورب أمة فتحت البلاد وسادت ولم تكن لها شرايع وقوانين فاصلة ، ولكنها سرعان ما زال ملكها وانتهى سلطانها ، فالسيف لا يستطيع أن يسحر القلوب وإن حضعت له الرقاب والتعاليم الفاصلة المبينة على مكارم الأخلاق هي التي تملك القلوب ، ويمكنها أن تسيطر على العالم بأسره دون مشقة ولا عناء .

ملك المسلمون الدين وأحكامه جميع وسائل الرقي والحكمة والعمران والعلم ، ومن تمسك بالأحكام المتينة والاحلاص ملك كل شيء ولم يعوره شيء . فله القوة والسلاح ، واسطورة والسطان ، والملك والبلاد ، كل ذلك منوط بالأحكام والشريع واعتقده ، ومن لم يمتثل بشرية فويمة ذهب سلطانه وسلاحه ، ومهلكه وعمره مهيا كان ، إذ لا حافظ لذلك إلا الشرايع والأحكام القوية ، فهي القوة لا غير ، جاء الإسلام بهذه القوة - أعنى قوة الأحكام والشرائع - فملك بها العرب ، ولم يكن لهم شيء فملكوا كل شيء ، ولم يستطع أعدتهم منهم نزع شيء إلا بانتزاع الدين ، خدعهم عنه وانزعجوا منهم كل شيء وأحلهم دار البوار .

القوة والفتح للإسلام والدين لا للعروبة ، فلا يمدح المسلمون عن دينهم فيسئلوا .

هذا موسى بن نصير اللحي - ولحم قبيلة عراقية بل هم ملوك الحيرة ، فالمنذر بن ماء السماء ملك الحيرة لحي والعراق لحي - فتح بلاد الأندلس وبمادا فتحها ؟ هل فتحها بالعروبة أو بالدين ؟

ولي عراقينا المسلم بلاد - إفريقيا - وفتح بلاد - البربر - وأسر منهم مائتي ألف ، وعلمهم القرآن وأسلم منهم خلق كثير وحسن إسلامهم ، ورجع من طنجة إلى - إفريقيا والفيروان - من كان معه من العرب ، ولم

يسمع بأسرى الاسلام كأسر موسى بن نصير ولم يهزم له جيش قط ولم ترد له راية قط . وضع رعوان وهوارة وربة وكنتاسة وسجوما والسوس الأقصى وميورقة وقلة ارساق . وكان عبد الملك بن مروان كادها لتولية موسى مع كل فتوحاته .

ولما عاد استعمل على - طبة - وأعمالها والياً هو مولاه - طارق بن زياد البربري - ، ولم يبق عنده إلا قليل من العرب لتعليم القرآن ، وما أسرع ما تمسك البربر بالدين وحسن إسلامهم .

ولما وثق موسى بن نصير بدين البربر كتب الى عامله - طارق بن زياد - يأمره أن يعبر البحر الى بلاد الأندلس - فعبر البحر وصعد الجبل المعروف اليوم بجبل - طارق - صعد طارق الجبل ومعه اثني عشر ألف من البربر المدليين ، ولم يكن معه من العرب إلا القدر اليسير ، ولكن روح الاسلام كانت ترفرف على رؤوسهم . وأحكامه قد تمكنت من نفوسهم ، فكانوا مسلمين لا عرباً ولا بربراً .

وقف طارق البربري المسلم بأمر موسى بن نصير العراقي المسلم ، في جبل طارق من بلاد الأندلس ، والدين رائده والإخلاص قائمه ، والإيمان هاديه والتوكل حاديه ، والثقة نسوقه ، فأمر ببحر في السفن التي عبر بها البحر أياً سأل جيشه من الفرار ، وحرض أصحابه على اقتال بما في الدين المين من الحسب والأسرار والأحكام .

وقف طارق حطياً في أصحابه ، حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم حث المسلمين على الجهاد ورعيهم في الشهاده ، ثم قال : يا أيها أساس أين المفر والبحر من وراءكم والعدو أمامكم فليس لكم والله إلا الصدق والصبر ، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الإيتام في مأدبة اللثام ، وقد استقبلكم

عدوكم بجيشه الحرار أسلحه وأفواحه موفورة ، وأنتم لا ورر لكم غير سيوفكم ولا أقوات لكم إلا ما استحسونه من أيدي أعدائكم ، وإن امتدت لكم الأيام على افتقاركم ولم تجرؤا لكم أمراً ذهبت ريجكم وعرضت القلوب رعباً منكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمحاربة هذه الطاغية ، فقد أنفت به اليكم مدينته - المحصنة ، وكان رودريك - ملك الأندلس - قد قصد القوم سبعين ألفاً كملى العدة والعدد ، وخرج من مدينته - طليطلة - المحصنة إلى الصحراء ، وإلى ذلك يشير طارق بقوله : « وإن إتهاز الفرصة فيه لممكن لكم إن سمحتم بأنفسكم للثوت ، وإن لم أخذكم أمراً أباعه نجوة ولا حمنكم على حطة أرحص متاع فيها النفوس أبدأ فيها بنفسى ، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالآخرة الأبد طويلاً ، فلا رغبوا بأنفسكم عن نفسى فيما حفظكم فيه أوفر من حطى - لأنهم كانوا أحراراً وكان عدداً رفاً - لكنته - لم - إلى أن قال : والله ولى إجمادكم على ما يكون لكم ذكر فى الدارين . واعلموا أنى أول يجب إلى مادعوتكم إليه ، وإنى عند مليى أحمين حاسى على طاغية القوم - وهو رودريك ملك الأندلس - فقاتله إن شاء الله تعالى فاحملوا معى فإن هلكتم بده فقد كفيتكم أمره ولن يعودكم نطل عاقل تئندون أمركم إليه ، وإن هلكتم قبل وصولى إليه فاحملوا فى عزيمتى ، واحملوا بأنفسكم عليه واكنفوا المهم من فتح هذه الجريرة بقتله فإنهم بعده يحذلون . »

هذا تحريض طارق فى خطبته ، وليس فيه إلا روح إسلامية قوية ، وعزيمة إيمان ثبتت عسيها جوامحه ، لم يعوزه القوت لأنه كان يرى له ولجيشه أقواتاً كثيرة بيد عدوه - ولم يكن بينه وبينها حاجز ، ولم ترهبه كثرة العدو لأنه كان معتقداً أن الله ولى إجماده ونصره . وإن فى ذلك ما يكون له ولجيشه

أعلى ذكر في الدارين ، ولم يهب الموت لأنه كان راعياً في الشهادة ساعياً بنفسه للموت ، ولم يحش الخلدان والمعلوية لأنه كان متمسكاً بالصدق والصبر ، ولم تزل عقيدته لأنه كان مخلصاً للإسلام غير مراء ، ولم يخل نفسه على الفضيحة والشرف ، ولم يرغب في الحياة دون أصحابه ، ولقد كان شعاره : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون » .

بهذه العقيدة رز علام العرب ومولاهم إلى ملك الإفريج وجيشه الجرار غير هيب ولا وكل ، وعلى عقيدته أصحابه البربر المسلمون إذ قالوا له قد قطعنا الآمال بما يحالف ما عزمنا عليه فقصداً مساح رودريك وكان في متسع من الأرض . ولما رأى اخوان لم تهرب المسلمين كثرة جيش الإفريج وقبة الملك المسكلة بالجواهر المصفحة بالذهب ، فهجموا عليهم وأزاحوهم عن أماكنهم ، وخلص الملك إلى طارق فصر به بالسيف على رأسه فقتله على سريرته ولم تقف هزيمة الإفريج على موضع بل سلبوا جميع البلاد .

ولما سمع موسى بن نصير بذلك عبر إلى الأندلس ولحقه مولاة طارق فأباحه الجزيرة ، وقال طارق : « أيها الأمير والله لا أرجع عن قصدي هذا ما لم أته إلى البحر المحيط وأخوض فيه غرسى » . وكان يرى أن ذلك منتهى الأرض ، وكانت العرب تحسب أن ذلك البحر هو البحر الشمالى ، وهو تحت بسات العشب . فلم ير طارق يفتح وموسى معه إلى أن بلغ جليقيسا . وهى على ساحل البحر المحيط في ما كانوا يحسون ثم عاد .

ملك الإسلام بأحكامه بلاد الأندلس ، ولم يكن له فيها شئ سوى الأحكام والشرايع والعقيدة الثالثة . إذ لم يكن في الجيش عربى ، ولم يكن للعرب في الأندلس سلاح ولا قوة إلا قوة الدين ، فالجيش بربرى ،



والسلاح يرى والفائدة يرى ، والحاكم المطلق المطاع هو الإسلام ، وهو الذى فتح للعرب هذه الفتوح العظام ، وكان واسطتها الرجل العراقى الكريم - موسى بن نصير - .

لم يقتصر الإسلام وأحكامه على نجاه العرب فقط بل جعل عبيدهم ومواليهم ملوك العالم ، وصار أمراء المسلمين يهبون بمالك ملوك الأفرنج لبيدهم فى مدة قصيرة ، إذا كان فتح الأندلس سنة اثنتين وتسعين للهجرة ملك المسلمون بالإسلام وأحكامه كل شيء ، وأحل الإسلام عبيد العرب محل ملوك الأفرنج ، وسمى بالعرب إلى مقام لم يصل إليه أحد من الأمم من كان قبلهم .

جاء موسى بن نصير بفتح ملوك الأفرنج وأسراهم وأموالهم ومائدة عظيمة يقال لها مائة سليمان إلى - الوليد بن عبد الملك الأموى - مبشراً بفتح أغنى وأحلم ممالك العالم ذلك اليوم ، ومعه ثلاثون ملكاً من ملوك الأفرنج بفتحهم وحملهم ، وحمل معه الأموال ما لم يرى المسلمون نظيرها .

ولم يكن فينظر قارئ الكريم عاداً حزى - الوليد - موسى عن فتوحاته العظيمة التى لم يسبق لها مثيل ، كان حزاه لما وصل إلى الشام أن أقالمه - سليمان بن عبد الملك - فى الشمس يوماً كاملاً فى يوم صائف شديد الحر ، وكان مريضاً ، وهو يدعى سمى شيخ كبير حتى حر مريضاً عليه ، وأمر به فسجن وبقى مسجوناً فى الشام مدة إلى أن حرق - سليمان - حاجباً فاستصحبه معه إلى الحج مسجوناً وقتله فى طريقه ودفن بوادى - القرى - .

ولما وقف موسى بين يدي سليمان شتمه وجفاه وقال له : والله لأقلن عددك ، ولأفرق جمعك ، ولأدردن مالك ، ولأضعن منك ما كان

يرفعه غيرى ، ولما سقط موسى معشياً عليه كان - عمر بن عبد العزيز - حاصراً فقال : « ما رى يوم كان أعظم عندى ولا كنت فيه أكبر من ذلك اليوم لما رأيت من الشيعح موسى وما كان عليه من بعد أثره فى سبيل الله ، وما فتح الله على يديه . »

أمية لم يتمذبوا تهذيب الدين بدلوا نعمة الله بكفرأ ، وأحلوا قومهم دار البوار ، وقتلوا القادة الفاتحين طلباً ، حتى أنزل الله تعالى فيهم ، ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار هم يملكون وبش القرار .

لم تقف عداوة أمية للعرب والإسلام فى فهم الفاتحين العظام ، وانتهاكهم حرمانهم عند هذا الحد ، فإن - سليمان - لم يشبهه فعله موسى ، بل ساقته شهواته وحشه الى ارتكاب ما هو أدهى وأمر ، وأنكى وأمضر ، بما قرح قلب كل عروى مسلم الى هذا اليوم .

فإن موسى بن نصير لما وفد الى - الوليد - استعمل على الأندلس ولده - عبد العزيز - فضبطها وسدد أمورها وحمى ثغورها ، وافتتح فى إمارته مدناً بقيت بعد أبيه ، وكان خيراً فاضلاً نقياً صانعاً بهاره قائماً ليله ، ولكن - سليمان بن عبد الملك - أراد مجازاته بعد أن سخط على أبيه ، كما جارا والده ، فبعث الى الجند فى قله ، فدخلوا عليه وهو فى المحراب وقد صلى الصبح وبقي يقرأ الفاتحة وسورة الواقعة فصر بوه بالسيوف صرصة واحدة وأخذوا رأسه فسيروه - الى سليمان - فى الشام .

هذه كانت جنایات أمية ومعاملتهم مع الفاتحين من أنطال العرب . ولولا جناية - سليمان - هذه لأصبحت أوربا كلها بيد المسلمين ، ولأُسلخوا وحس إسلامهم كما أسلم البربر ، ولنجت البشرية من شرورهم بفصل التعاليم

الإسلامية . ولما بلى هم العالم وهاهو الى الآن على شفا جرف الهلكة من طلبهم .

لم يكن لموسى بن نصير عند الامويين ذنب إلا كونه عراقى الرأى عما تعلمه من أبيه . فإن والده نصير كان على حرس - معاوية بن أبى سفيان - ومنازلته عنده مكينة . ولما حاح معاوية لقتال على ﷺ لم يخرج معه - نصير - فغضب عليه معاوية في ذلك فقال له نصير لم يمكنى أن أشكرك بكفر من هو أولى منك بشكرى . قال ومن هو ؟ قال الله عز وجل . قال وكيف ؟ قال لا أعلمكم هذا . فأطرق معاوية ملياً ثم قال . أستغفر الله .

وكان دهاء معاوية وكياسته مانعاً عن أن يحرم نصيراً . فلما ولى الأمر أغرار بن مروان أحنوا يتتقمون من العراقيين في كل مكان ويطغون قادة العرب والمسلمين تحت كل حجر ومدبر ، خيروا أدركت القادة وأحلوا قومهم دار البوار . كان موسى بن نصير محباً لآل رسول الله ﷺ فكان هذا أعظم ذنبه على كثرة فتوحاته العظيمة بحيث لم يعلم فاتح في العالم كموسى في قصر مدته ، ولم يكن جزائه من أمية إلا قتله وقتل ولده .

أرس - سليمان بن عبد الملك - الى - عمر بن عبد العزيز - فقال : ه إلى صائب غداً موسى بن نصير ، فبعث عمر إلى موسى بن نصير يقول : يا بن نصير انى أحبك لأربع : الواحدة بعد أترك في سبيل الله وجهادك لعدو الله . والثانية حاك لآل محمد ﷺ الى أن قال وقد سمعت أمير المؤمنين يقول . ه إليه صالك غداً فأصدر عهده ، وانظر ماأنت باظر فيه من أمرك ، فقال له موسى : قد فعلت ولما أصبح موسى اغتسل وتحنط وراح وهو لايشك في الصلب .

هذه أفعال أمية مع الفاتحين و حال الدس ، وما الذى يحجر

أمية عن تنفيذ رغباتها وشهواتها أيحجز الدين وهم أعدائه الألداء ، وهل كانت أعمالهم إلا حربا للدين ، أم يحجز الوفاء والصدق ، وهل قامت دولتهم إلا على الغدر والخيانة ، كما ينشأ عن ذلك حال معاوية ( لع ) مع الحسن سبط الرسول ، - فإن الحسن عليه السلام ما نازل لمعاوية إلا على شروط عديدة فلما دخل معاوية الكوفة واقترع مبرها قال . وكل شرط شرطته للحسن فهو تحت قدمي .

- ٢ -

أصول التعاليم وقواعد التكاليف الأولية ثلاثة :

أولها العلم : وهو أول تكليف كلفت به البشر ، وأول ما أوجبه الله تعالى عليهم ليرفع عنهم رذيلة الجهل المتوعدة فيهم .

نعم أول تكليف على الإنسان أن يكون عالماً ولا يبقى جاهلاً .

ثانيها : أن يعمل بعمله وإلا فما الفائدة بعمله ؟ العلم بلا عمل ليس كما يقال كالشجر بلا ثمر ، بل كالشجر الذي يثمر ثمراً مرّاً ، بلاء وويل ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : العلم بغير عمله مثل الجاهل المنحير المستغرق في جهله ، بل الحجة عليه ألزم والبلية عليه أعظم وهو عند الله أوم . وقال أيضاً ( وهي من حكمه الرائعة ) : « يجابر قوام الدنيا بأربعة : عالم يستعمل عليه ، وجاهل لا يستسكف أن يتعلم ، وغنى لا يحل بماله ، وفقير لا يبيع آخرته بديناره . فإذا لم يستعمل العالم عليه استسكف الجاهل أن يتعلم ، وإذا استسكف الجاهل أن يتعلم يحل الغنى بماله ، وإذا يحل الغنى بماله باع الفقير آخرته بديناره ففسد العالم . - يعنى أن فساد العالم وعدم استعماله لعلمه هو السبب الأخير لفساد العالم بل السبب الوحيد . -

ثالثها : أن يعلم غيره . وإلا أبطلت فائدة التكاليف ولم يحصل التهذيب والتثقيف ، ولو لم يجب تعليم الغير لبقيت الناس شاملة جاهلة ، محرومة من كرامة العلم وشرف المعرفة . فكل إنسان يجب عليه أن يعلم ويعمل ويعلم ، إلا أن التعليم موكول إلى العلماء لأنهم القادة والسادة ، وعليهم المعول في

تهذيب الأخلاق وتركية النفوس . والتعليم فرص يحتم عليهم . وما أخذ الله على الجاهل أن يتعلموا حتى أحد على أهل العلم أن يعلموا .

دعائم السعادة في الأمم ثلاث . تعليم العلماء . وعمل الأمة ، وعدل الحكومة . فإذا قام كل واحد من هؤلاء بواجبه عمرت البلاد وسعدت العباد . العلماء إذا قاموا بوظائفهم فعلوا بعلمهم وعلموا غيرهم ، ورشدوا وبصروا وأخلصوا قلبه في أعمالهم ، ( مطوون لهم وحسن مأب ) فقد كتبوا في ديوان الله من الأمناء والسعداء الآمنين ، وإن لم يعملوا أو لم يعدوا ، فتعسا لهم وقد كتبوا في ديوان الله من الأشقياء الخائنين ، فإن العلم وديعة الله عند العلماء للتدريس والعمل لا للإسالة والكبرياء ، والجدل والمراء ، والحبج والرياء والأمة إذا تعلمت وعملت وفلت نصائح العلماء وإرشادهم ، فقد أحرزت حظها من السعادة ، وانقادت لها أزمة الخير .

والحكومة إذا قامت بواجبها نحو الأمة ، وأخلصت المصلحة ، وبصحت للرعية ، فشرها بالفرور والنجاح والظهور والفلاح .

الحكومة أجراء للشعب تأكل من كديميته وعرق جبينه ، فلو احب عليها أن تخدم الشعب بإخلاص ، ولا تتناول عليه ، ولا تنحرف به ، ولا تزاحمه حتى في لمعة معاشه ولقمة فوته . وأن نقيم فيه موارد العدل والقسط . الواجب أن تخلص الدولة في خدمة الرعية وتقاد الرعية للدولة ، وتحصع لقوانينها العادلة .

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام . إن أعظم ما افترض الله سبحانه من الحقوق حق الوالي على الرعية ، وحق الرعية على الوالي ، فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل ، نظاماً لإلفتهم . وعراً لدينهم ، فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاية . ولا تصلح الولاية إلا باستقامة الرعية ، فإذا أدت الرعية

الى الوالى حقه ، وأدى اوائى اليها حقها ، عز الحق بينهم وقامت منافع لدين  
واعتمدت معالم العدل ، وحرب على أدلالها السس ، فصلح بذلك الرمان  
وطمع فى نقاء الدولة ، ونبشت مطامع الأعداء ، وإذا علت الرعية واليها  
وأحصف الوالى رعيته ، احتفت هنالك الكلمة ، وظهرت معالم الجود ،  
وكثرت الادعال فى لايى ، وتركزت بحاج السن ، فعمل بالهوى ، وعظمت  
الأحكام ، وكثرت عن افسوس ، فلا يستوحش لعظيم حق عطل ، ولا  
لمعظم باطل فعل ، فهالك تزل الاثرار ونمز الاشرار .

وهذا خلاص ما أراد الله ، فإنه تعالى يريد أن تعقد ما بينهم عرى الصفاء  
والمجد حتى يكونوا يداً واحدة وقلباً واحداً ، هالك ترى البلاد وتسعد العباد  
وهميش بل فى دم المجتمع عيشاً إجماعياً هنيئاً ، لا كالحال الذى يحس فيه  
مد ليوم حيث أصبح كل فرد مما يعيش عيشاً فردياً ، والاسان مدنى بالمطمع  
ويستحس أن يديش ريسان بأمراده ، فإذا انفرد عن المجتمع واقطع عنه  
فليس هو ياسان ، بل وحش من الوحوش .

نعم نحن فى صورة الظاهر نجمعون ، ولكن ما أشد التباين ما بين  
الاديان وأحبه وبين المرء وفرييه ، وبين الشخص وجاره ، وهكذا  
لا نجد شخصين متفقين على جامعة صحيحة ورأى واحد فنحن حقيقة كما قال  
حسن شانه : ، نحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، ولا تسعد أمة مادامت بهذا  
الحال أبداً .

نشنت واخلاف الاراء والأهواء ، وفقدان الزعيم ، والقائد المخلص  
الذى يجمع الأمة وتجمع له ، هو السبب الوحيد فى هلاك الأمة .  
إذا ما أراد الله هلاك أمة رماها تشتت الهوى والتخاذه  
ما وجدنا أمة صعدت الى أوج المجد فسعدت وهى متفرقة متخاذلة ما كان

ذلك أبدأ ولا يكون . كما أنه لا يستقيم أمر أمة بغير زعيم قائم يقودها إلى مناهج الهدى وسبل الخير والاثم إما أن يكونها الزعيم ، أو تكون الزعيم لها ، والزعيم ضرورة لها على كل حال . ومن حكم العرب ومحاسنها العالية القديمة قول الأقبوه :

لا تصلح الناس فوصى لاسراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا  
عليكم أيها الناس بالركون إلى العلماء العاملين ، فإنهم الرعاء لهذا الدين وعبكم بالأخذ منهم ، فإنهم بمعونة الحق لا يقودونكم إلا إلى الهدى ، ولا يحملونكم إلا على جناح النجاح ، ولعل ما حل بكم من الكبات والرايا من بعض أسباب التجافي عنهم والتباعد منهم ، وإلا لعرفوكم أن هذا التخاذل يؤدي إلى سوء العواقب . وأن لثمره هذه الخطوة ، ولا سلامة في هذا الطريق .

إن كنتم تريدون سعادة ، وتاريخاً مجيداً كما كان لأسلافكم ، فلا مسيل إلى ذلك إلا بالاعتناء بهم والانصاف شورهم ، والسعي وراء العمل النافع والتخلق بالأخلاق الكريمة

لا ينال الشرف والمجد وعز الاستقلال الصحيح ، إلا ماني والأباطيل . اتحسبون أن الأجانب بلغوا ما بلغوا يمثل هذه الأحوال التي نحن عليها ، قد أبى الله سبحانه أن يجرى الأمور إلا ما يابها ، وأن تؤتي البيوت إلا من أبوابها ، وجعل الجند والعمل هو ملاك الفوز والنجاح ، وأن ليس للإنسان إلا ماسعى .

عودوا أيها المسلمون إلى ما كانت عليه أسلافكم من الأخلاق الكريمة والعفة والزاهة ، والصدق في القول والفعل ، والسعي وراء العمل النافع ومعرفة الوقت النمين ، يحس تقتل الوقت الذي هو عبارة عن عمر العزيز ضياعاً في الأباطيل . نصرفه في كل رديلة وبمكسنا أن مكسب به كل شرف



وفضيلة .

أليس من الحسرات أن ليالياً تمر بلا نفع وتحب من عمرى  
سوادنا الأعظم يصرف عامة وقته فى المقاهى والمسلاهى ، والسينما  
والمواخير ، مسارح اللهو بالناس معمورة مغمورة ، والمساجد ونوادى  
العلم مهجورة ، تجمد تلك مكتنصة بالخلائق ونوادى العلم ومعاهد التربية عالية  
خاوية ، أليس هذا بما يقرح قلب المؤمن العيور ، ويوقد فى قوادى المسلم  
شعلة الأسى والأسف ؟

العلم العلم أيها الناس فإن العلم أول مبادئ السعادة . فى الحديث : من أراد الدنيا  
فدنيه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أراد الدنيا والآخرة فعبه بالعلم . .  
أوليس من تحت هذه السماء ، ومن جذور هذه التربة ، ومن سائل  
أثيرى جوى سماء العراق استعنت أشعة جل العلوم الإسلامية الى سائر الآفاق  
ونشأت أساطين العلم ، وفطاحل المشاهير من رجاله .

أولست الكوفة - وهى مدرسة على ( ع ) - كانت مطمح أنظار رجالات  
العالم ، وألبها الحجر وشدة الرجال من كل حدب وصوب ، إردهرت بنوادى  
العلم والآداب ، واردحت عليها الوفود لارتشاف العلم والمعارف من منهلها  
العذب الزاخر ، كان يقال لها رفة الإسلام ) . أوليس المريد فى - البصرة -  
وهو أول معهد علمى إسلامى ، ومدرسة كبرى تخرج منه فطاحل علماء العربية  
ومؤسسا العلوم الإسلامية ، كأبى الأسود الدئلى مؤسس علم النحو ، والخليل  
بن أحمد مؤسس علم العروض وصاحب كتب العين ، ومسلم بن معاذ مؤسس  
علم الصرف والبيان والمنطق - أعى المطلق العربى لا اليونانى - هؤلاء الفطاحل  
الثلاثة هم مؤسسوا علوم الإسلام - العلوم التى يتوقف عليها فهم الكتاب والسنة  
ويستقى من ينابيعها نطق الآداب .

من مرة لعراق بعث العلوم ، وتبررت الأساطير ، كسيرويه ، والكسائي والأصمعي ، والفراء ، وخلف الآخر وكثير من أمثالهم . إداً فابل هؤلاء الأخلاف تركوا تراث أوائك الأسلاف .

أجل : كان العراق مركز العلم ، ومدته الوحيدة ، ودار التربية والثقافة ، قبل كونه مركز الجيش .

كان العراق خدر الأسد الرابض . ومسجد المتنبي الصالح ، ومدرسة المدرس الفقيه .

في العراق كان الإسلام كله ، وما الإسلام إلا السعادة والسلام ، وفيه كانت العروة ، وليست العروة إلا بالإسلام .

كان مركز الجيش في - إفريقيا - مملوءاً بالموالي والبربر الذين تشكل منهم جيش الإسلام هناك ، وكان جيش الشام خليطاً ليس فيه من الصحابة والعلماء والقراء أحد ، وكان جيش العراق عرباً حاصلاً ليس فيه من موالي أحد وهو مضرى ، فيه الصحابة والعلماء والقراء والفتهاء واصلاحاء . فلاسلام كله والعروة كلها كانا في العراق .

كتب أمير المؤمنين علي ( ع ) الى أهل العراق فيما كتب : « وأنتم على ما فيكم من تحاذل وتواكل ، حير منهم وأهدى سبيلاً ، ( أي من أهل الشام ) فيكم العداء والحكماء والفقهاء وحملة القرآن والمتجددون بالأسفار ، والعباد والزهاد في الديار وعمار المساجد وأهل تلاوة القرآن ، أفلا تسخطون وتقمون بناركم الولاية عليكم سفهائكم والآرادا والأشرار معكم ( بتل ذلك ابن قتيبة في الامامة والسياسة ) قاله بعد وصف جيش الشام بالفسق والحبل وكل سوء ، كما شهد معاوية ذلك مراراً . هذا ما كان في العراق فيماذا عاملته أمية ؟

أمية مدعاة الحفوة والقسوة ، عدوة العلم والصلاح ، داعية الشر والفساد . مبددة العروة والاسلام . رأت أمية أن العراق لا يسلّم لها . ولا ينقاد لشهواتها ، إن في العراق لاسلام والعروبة وهي عدوتها اللدود . أمية شهوة وفساد و جهل . والعراق ورع وصلاح وعلم ، فيها ضدان لا يجتمعان .

رأت أمية ذلك فصممت على أن تنيد العراق ، وتميت بذلك العروة والاسلام . لتسلّم لها شهواتها ولا يبقى لها معارض .

جاء - عبد الملك بن مروان - الى العراق بعيش الشام ، فقتل بين الشام والعراق مصعب بن الزبير وحلفاً كثيراً من أهل العراق . ونعت بعد ذلك الى - الحجاج بن يوسف الثقفي - بهذه العرائق - الكوفة والبصرة - والحجاج كاهن معروف ساهك الدماء . مسك الخرمات ، كان يطرب إذا رأى أمامه دم مسلم عرق مسكوكا . ولا عرو فإن أمه - فارعة - كانت تحت الحادث بن كعدة - حكيم العرب - فطلقها . وكانت معروفة بالزنا . وهي المنتسبة بالصبيان . المتمنية لقائم في حال السكر ، وقصتها مع عمر بن الخطاب في نصر بن الحجاج معروفة مشهورة . فإن عمر سمعها لبلا أعمى بهذا البيت :

هل من سبيل الى حمر فأشربها أم من سبيل الى نصر بن حجاج  
والقصة مشهورة . وظلم الحجاج وفساده أشهر من نبي أمه . كان يقول : ليس عدى شيء ألد من سفك الدماء . لأنه لم يكن يأخذ ثدى أمه عند ولادته ، وولد بمسوحاً لأدر له ، فأعق اندم ونقب له ذره لتقم ثدى أمه وهو أول من حبس النساء مع الرجال مروجين بحمل واحد . قال عمر بن عبد العزيز : وكل أمة تأتي يوم القيامة بأهل الشر منها

ونحن نأتي بالحجاج فنفوق جميع الأمم ، وإن عبد الملك قال يوماً للحجاج :  
 « لم يبق أحد لم يطلع على عيوبك فاذكر أنت عيوب نفسك ؟ قال الحجاج :  
 إلى رجل لجوج ، حقود ، حسود . قال عبد الملك : ما بينك وبين الشيطان  
 من النسبة ؟ قال ما رأيت الشيطان إلا وخضع لي واستسلم . ( هذا ماورد في  
 تاريخ ابن الأثير في ذكر نسب الحجاج وشيء من سيرته )

ومر الحجاج يوماً (بحالده بن يزيد بن معاوية) ، فقال له رجل من هذا ؟  
 قال هذا عمرو بن العاص . فقال الحجاج : والله لأرصى أن أكون ابن  
 العاص ، أب الذي قتلت مائة ألف أو يزيدون ( كما عر ابن الأثير ) قال  
 القاضي ابن خلصكان في وفيات الأعيان بترجمة الحجاج : ( وابن الأثير في  
 تاريخه في الجزء الرابع من المجلد الثاني في ذكر نسب الحجاج وشيء من سيرته ) :  
 « بحث أهل الآثار والتاريخ عما أحصوا الصالحين الذين قتلهم الحجاج صبراً  
 وأكثرهم من الصحابة والتابعين ، . روى الدميري في حياة الخيران مخ ١ في  
 مادة - نيس - : بترجمة الحجاج إنه قال يوماً لكانبه : كم عدة من قتلنا  
 في التهمة ، قال ثمانون ألف ،

ولى عبد الملك بن مروان الحجاج على العراق ، وأمره أن يحتال بقتل  
 علمائه وصحائه وفضائل زعمائه فتوجه الحجاج ومعه ألف فارس من مقاتلة  
 الشام ، وأربعة آلاف من أحباط الناس ، وتقدم بألوف رجل ، وتحرى  
 دخول البصرة يوم الجمعة في حين أوان الصلاة ، فلما دى من البصرة أمرهم  
 أن يتفرقوا على أبواب المسجد على كل باب مائة رجل بأسيا فهم تحت أريدتهم ،  
 وعهد إليهم أن إذا سمعتم الجلبة في داخل المسجد والوقعة فيهم ، فلا يخرجن  
 خارج من باب المسجد حتى يسقوه رأسه إلى الأرض . وكان المسجد له ثمانية  
 عشر باباً يدخل منها إليه . فافترق القوم عن الحجاج وبدروا إلى الأبواب

جلسوا عندها مرتدين أسياهم ينتظرون الصلاة . ودخل الحجاج وبين يديه  
مائة رجل ، وحلفه مائة رجل ، كل منهم مرند بردائه وسيفه قد أفضى به  
إلى داخل أراحه . فقال لهم إنى إذا دخلت فإكلم القوم فى خطبى وسيحبونى  
فإذا رأيتمونى قد وضعت عمامتى على ركبى فضعوا أسياهم فى رقابهم واستعينوا  
بى الله واصبروا إن الله مع الصابرين فلما دخل المسجد وقد حانت الصلاة ،  
هضمت المنبر وتهدد الناس وتوعدهم وشتهم ، فخصبه الناس ، فوضع عمامته  
على ركبته ، وكان له داخل المسجد حمد كثير فجعلت السيوف تبرى الرقاب ،  
فلما سمع الخارجون اسكاتون على الأبواب وقبعة الداخلين ورأوا تسارع  
الناس إلى الخروح ، تنقوم بالسيوف ، فأردعوا الناس إلى جوف المسجد  
ولم يتركوا خارجا يفرح ، فقتل منهم بصع وسعون ألفاً ذلك اليوم ، فسالت  
الدماء إلى أبواب المسجد والسكك وفى المقتولين كثير من الفقهاء والمتسكين  
والمعتكفين فى المسجد والشيوخ والأطفال ، والحجاج لا يبالي بذلك بل  
يقول : رؤوس قد أبعثت وحان طماها ، وضرب الجزية على العراقيين ،  
فأخذها منهم كما تؤخذ من اليهود والنصارى . ( نقل هذه القصة ابن قتيبة فى  
الإمامة والسياسة فى أحوال الحجاج ) .

لم تنته مظالم الحجاج عند هذا الحد فإن سفك الدماء فى الكوفة وواسط  
وبعض بلاد إيران والحجاز مما عجز الواصفون عن شرحها وتفصيلها ، لذلك  
لجأ العراقيون إلى السيف تخلصاً من ظلم بنى أمية ، ف وقعت حروب فى البصرة  
بين عبد الله بن الجارود ، ومعه أشراف البصرة ، وبين الحجاج ومعه أعوان  
بنى أمية . وكان أسس مالك - وهو من شيوخ الصحابة ، ومن خدم  
النبي ﷺ عشر سنين - فى أصحاب ابن الجارود ، فأمر وشفع فيه قتيبة  
بن مسلم ، ولما أحصر إلى الحجاج قال له : لا أهلاً ولا مرجأ أنت الذى

قضيت عمراً طويلاً في الصلاة تسع حيناً أي تراباً ، وحيناً ابن الزبير ،  
وشتمه وجفاه ملياً وتهده بالقتل .

وبعد فنة ابن الجارود لجأ العرافيون - من طلم بنى أمية - إلى صالح  
بن مسرح ، وكان رجلاً معروفاً بالصلاح والدين ، وقد اصفر لونه من شدة  
الرياضة والعادة . وكان له أتباع كثيرون يتعلمون منه القرآن والعقيدة ، فلما  
سمع بمظالم عبد الملك قال لأباعه : قد انتشر الطلم وكثر الظالمون ، فاتفق  
القوم بدفع الحزبين ، فهصر نفسه لذلك ودعى الناس إلى جهاد الظالمين من  
أمية ، وقامت حروب بين بنى أمية وصالح قتل فيها خلق كثير . ( منهم صالح  
بن مسرح ) . فقام من بعده شبيب الشيباني - رئيس بنى شيبان - وهو من  
أصحاب صالح ومعه العرافيون ، ونعمت بيه وبين بنى أمية حروب عظيمة  
في المدائن ، وفي حانقين ، وفي النهروان ، وفي تكريت ، وفي الحيرة ،  
وعلى أطراف الكوفة ، وفي أقاصي ولاية الموصل ، وفي الأسار ، وخورستان  
وفارس ، وكرمان ، والأهواز ، حيث هلك شبيب غرقاً . وفي فنة  
الأزارقة قتل من العرافيين خلق عظيم لا يحصى عددهم . كل ذلك بسبب طلم  
بنى أمية - أعداء العرب والإسلام - ولم يقتصر طلمهم وسفكهم للدماء في  
العراق على هذا ، فإنهم ألجأوا العراقيين إلى إمتشاق الحسام ومحاربتهم بعد  
ذلك مع ( عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ) .

دعت الحجاج شهواته إلى تمتع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث والياً  
على سجستان وكرمان ، ومعه جيش ثم كتب إليه أن يقتاتل حصوناً  
ويسفك دماءاً بريئة ، فامتنع عبد الرحمن وفي حشده حقد على أعمال بنى أمية  
وكلهم يحدثون أنفسهم بالانحطاس من ولايتهم .

جمع عبد الرحمن أصحابه وفيهم من شيوخ قريش ، وأهل الصلاح

والفقهاء والعلماء والرهاد والحفاظ والقراء والعباد . حتى كثير ، فيهم سعيد بن جبير - فقيه أهل الكوفة - وكميل بن زياد - من الصحابة والتابعين - وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعامر بن سعيد الشعبي - فقيه أهل النصرة - إلى كثير من أمثالهم فأجمع أيهم على حطع ولاية بني أمية ، وقالوا إن حطعها من أفضل أعمال البر . ودارت حروب بين عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في العراقيين ، وبين حية ، ش بن أمية بقيادة الحجاج . سفك فيها من دماء العراقيين ما صنعت به أرض الكوفة ، وأرض خورستان والعراق - بين واسط والنصرة - وكرمان وسجستان وغيرها ، وتجاوز عدد القتلى عشرات لوف من العراقيين ، وطلب الحجاج المدم من الشام ، ولم يستطع الوقوف أمام العراقيين إلا بالخديعة أنى أجمرت إلى فرار عبد الرحمن إلى حراسان وتعرف أصحابه . وسار الحجاج يقتل كل من طهر به من العراقيين ، ويدبح صبراً كل من جيب به من الأسرى حتى مل هو وأهل الشام من كثرة من قتل من أهل العراق على ما في نفس الحجاج الخبيثة من الحب لسفك الدماء ، ولم يكن يوم يمر بالحجاج وجند بني أمية إلا جيب به بكثير من الأسرى فيأمر بضرب أعناقهم . وتمهّن قوم من العراقيين في فارس لمخاضهم أعوان الحجاج وأسروهم ونعشروا إلى الحجاج بوجهاء فريش منهم ، كمحمد بن سعد بن أبي وقاص ، وعمرو بن موسى التميمي ، وغيرهما فكتب الحجاج إلى عبد الملك شافعاً في الأسرى . فأبى عبد الملك ، وهدد الحجاج وأمره بقتل الأسرى ، فصر أءاقهم جميعاً ، وفيهم كعب بن زياد - وهو من أصحاب رسول الله وحاصه على - مهدده بالقتل ، وقال له : . أحببت أن أجد عليك سيلاً فقد له كميل : لا تصرف عني بأيامك ، ولا تهدد علي بكلامك ، فوالله ما بقي من عمري إلا مثل كوتل الغبار ، . وكان شيخاً كبيراً

سنه - تسعون سنة - فأمر به فضربت عنقه . وفاز بالشهادة عند الرحمن  
بن أبي ليلى الفقيه . وابن البحري الطائي . وبشر بن المنذر بن الجارود  
وغيرهم من مشاهير رجال الإسلام .

وأتى بسعيد بن جبير - فقيه أهل الكوفة - وجرت بينه وبين  
الحجاج مناظرة تفرح القلوب . غاب فيها الحجاج على سعيد هذه وورعه وتقواه ،  
ولامه على عدم صحكه ولعبه ، وأمر بالنأي والعود فضرب العود وفتح النأي ،  
وسعيد يبكي وقال للحجاج وهو يبكي دكرتني الفحة في النأي الفح في الصور  
وأما مصران العود فهو من نفس ستحشر معك يوم الحساب . وأما هذا العود  
فهو من شجرة بنت بحق ومطعب بعير حق . وشم الحجاج سعيداً وجفاه ،  
وأراه لذهب والفضة ، والقطنانف والجواهر . وقال لسعيد هذا لأمر  
المؤمنين - عند الملك - قال سعيد . هذا حسن إن تمت بشرطه . قال الحجاج  
وما شرطه : قال أن تشتري له بما نجمع الأمر من الفزع الأكبر يوم القيامة  
وإلا فإن كل مرصعة نذهل عما أرصعت وتضع كل ذات حمل حملها ، ولا  
ينقعه إلا ما طالب منه . قال الحجاج وكأنه يشم من أن يمدعه بالمال : إذ  
هبوا به فاقتلوه . فقال سعيد . أشهدك يا حجاج أن لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أستحفظكم يا حجاج حتى ألقاك .  
فلما أدبر ضحك . قال الحجاج : ما يضحكك يا سعيد قال عشت من جرأتك  
على الله ، وحلم الله عليك . قال اصبروا عقه . قال سعيد حتى أصلي ركعتين  
فاستقبل القبلة وهو يقول : وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض  
حيثاً مسلياً وما أأمن من المشركين . قال الحجاج : أصرفه عن القبلة إلى قبلة  
النصارى فإنه من حزبهم ، فصرف عن القبلة ، قال سعيد : أينما تولوا  
فثم وجه الله ، فقال أكبره لوجهه قال سعيد : منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها



مخرجكم تارة أخرى ، فقال اقتلوه ، فعملوا كلها قطعوا عرقاً صاح سعيد  
أشهد أن لا إله إلا الله . ولما قتل سعيد قال الحسن النصري اللهم إئت على  
فاسق ثقيف . والله لو أن من بين المشرق والمغرب اشتركوا في قتله لسكبهم  
الله على وجوههم في النار .

ولم يفرع الحجاج من قتل سعيد حتى خولط في عقله ، وجعل يصيح  
قيوداً قيوداً - يعنى القيود التي كانت في رجل سعيد - ومرض مرضاً  
أتقت به ريحه ، وأصاته الآكلة في بطنه ، فكان اللحم يشد بالخيط وبدل  
إلى بطنه فيخرج محاطاً بالدود ، والحجاج يستعيث ويضطرب ، وقلبه ياتهب  
ناراً وبدنه مثلح . حتى أن الكواوين كانت تضرم وتدق إلى جلده حتى يحترق  
وهو يرجف من شدة البرد . وأرسل إلى الحسن الصري أن يدعو له فقال  
الحسن لا أدعو لمن ولع بدماء أمة محمد ﷺ فقال الحجاج لا أريد أن يدعو لي  
بالعافية ، إنما أريد أن يدعو الله ليحل موتي فيرجي من هذا العذاب .

هذه أمية ، وهؤلاء عماها ، هتك - عبد الملك بن مروان - حرمة  
مسجد النصرة ، وجعل يوم الجمعة يوم تفرق الكلمة ، وبدل الصلاة - وهي  
من أهم العبادات - بسفك دماء المصلحين والساكنين ، وبذلك صاعت الحمة  
وحرّم المسلمون فوائدها وحكمها ومصلحتها إلى هذا اليوم .

جاء النبي ﷺ بالحنة لحفظ الإسلام والعروة ، فأفظتها أمية ،  
وبدلت عز المسلمين بذلم وعبادتهم بقننهم صبراً

وليس هذه أول حرمة انتهكها - عبد الملك بن مروان - أن قتل  
العلماء صيراً . وفي الحرب أعظم من انتهاك حرمة المسجد . وأي أمة أقدمت  
على قتل علمائها العاملين فنصيبها لنار الجحيم ، والمار والنار ، والحلول  
في دار البوار ،

سفكت دماء علماء العراق جيوش أمية ، حتى أصبح العراق خلواً من العلماء الذين بهم بحاته وسطوته ، وانتهكت حرمة مساجد المسلمين - وهي مظهر الحرمة لجميع الأمم - . قيل إن لدير قلمهم الحجاج سيفه صبراً في العراق كانوا مائة وعشرين ألفاً ، ولا يعلم أحد عدد من قتلهم صبراً إلا علام العيوب . ولك مات الحجاج وجد في محبه الخاص حمون ألفاً . ثلاثون ألف رجل ، وعشرون ألف امرأة ، وكانت يحويه بلا سقف ، والمسجونون تحت الشمس والمطر . فأى مسلم عربى يرضى بهذا . لمن الله أمة سمعت بذلك فرصت به .

وأشنع ما فعلته أمية هناك حرمة الكعبة وهدمها . أرسل عبد الملك الحجاج بن يوسف - بعد قتل مصعب بن الزبير - الى قتال أخيه عبد الله بن الزبير بمكة . لجأ الحجاج ونصب المحنيق على أنى قبس وبواحي مكة كلها فرمى أهل مكة بالحجارة ، فأشار على ابن لزيير نفر من قريش نطلب الأمان من عبد الملك ، فأبى الدنية وقال :

ولا ألبس لعير الحق أسأله حتى تلين لصر من الماضع الحجر  
ثم دخل على أمه - أسماء بنت أبي بكر - وهي عتياء من الكبر وقد بلغت من العمر مائة سنة - فقال لها يا أماء أما نرى قد خذلى الناس ، وخذلى أهل بيتي . فقالت يا بنى لا يلعبن بك صبيان بنى أمية عشر كريماً ومعت كريماً . فخرج وجعل يقاتل أهل الشام حتى قتل وقتل معه كثير من شيوخ قريش ، وبعث برؤوسهم الى عبد الملك

وفى هذه الواقعة هدمت الكعبة التي هي حجر العروبة ، ولها المنزلة العظمى عند العرب قبل الإسلام وفى هدمها جنب أمية على العروبة والإسلام جناية لم يسبق إليها غير أمية . وفى قتل ملوك المسلمين وأسراهم ، وقتل الأسرى

من المسلمين والعلماء بالله والعقهاء والمتسكين والرهاد ، وإهانة النساء ، وعدم رعاية حرمة المساجد ، وكل ما حواه الإسلام ، وإحافة المؤمنين في حرم الله وغير ذلك من الجبايات التي أفرقتها أمة ما حقق عداوتها للعروة والإسلام ودأبها على محوها من عالم الوجود . لولا أنت الله تعالى أراد أن يظهر دينه ولو كره الكافرون .

هذه أمة وتلك عداوتها للإسلام والعروة . بل للبشرية عامة وللعراق خاصة ، إذاً فما الذي حمل بعض شبابها على الدعوة باسم أمة . راعماً أنها من الدين بمكان . وأنها خير العروة ، من هي العروة كلها ، أليست هذه خديعة الإستعمار . إن اللبيب من الإشارة يفهم . أترى أن العرب تنجوا إذا اقتدت بأمة التي هدمت الكعبة والمساجد ، وقتلت العلماء ، وسفكت دماء المسلمين في الحرم الذي جعله الله آمناً لمن دخله ، فقال : ومن دخله كان آمناً .

## - ٤ -

أرأيت أمة من الأمم لم تكن شيئاً مذكوراً ، ثم انشق عنها عمامة العدم  
 فإذا هي بحمية كل واحد منها كون يديع الظلام ، قرى الأركان ،  
 شديد البيان ، عليها سياج من شدة البأس ، ويحيطها سور من معة الهمم ،  
 تحمد في ساحاتها عاصفات البرار ، وتحل بأيدي مديريها عقد المشا كل ،  
 تمت فيها أفان العرة بعد مائنت أصولها ورسخت جذورها ، وامتد لها  
 السلطان على البعيد عما والداق اليها ، ونفذت منها الشوكة وعلت لها الكلمة  
 وكلت القوة فاستعلت آدابها على الآداب ، وسادت أخلاقها وعاداتها  
 على ما كان من ذلك لسابقتها ومعاصريها ، وأحست مشاعر سواها من الأمم  
 بأن لا مساعدة إلا في انتاج منهجها وورود شريعتها ، وصارت - وهي قليلة  
 العدد - كثيرة الساحات ، كأنها للعالم روح مدبر وهو لها بدن عام .

وبعد هذا كله وهي ساؤها . وانثر منظومها ، وفرقت فيها الأهواء  
 وانشقت العصي ، وتبدد ما كان مجتمعاً ، وانحل ما كان منعقداً ، وانقسمت  
 عرى التعاون وانقطعت روابط التعاضد ، وانصرفت عزائم أفرادها عما  
 يحفظ وجودها . ودار كل في محيط شخصه المحدود نهايات دمه ، لا يلمع  
 في ماضيه بارقة من حقوقها الكلية والجزئية

هذا هو الذى بلغ بالامة مرضاً يعجز عنه الطبيب الحادق . بلغ بها  
 حداً أشرف بها على الهلاك وطرحها على فراش الموت فريسة لكل عاد  
 وطعمة لكل طاعم .

نعم رأينا كثيراً من الأمم لم تكن ثم كمت ، وارتفعت ثم انحطت ، وقويت ثم ضعفت ، وعزت ثم ذلت ، وصحت ثم مرضت ، ولكن أليس لكل علة دواء .

وأسفاه ما أصعب الداء وما أعز الدواء ، وما أقل العارفين بطرق العلاج . كيف يمكن جمع الكلمة بعد اهتراقها وهي لم تفترق إلا لآلئ كلال عكف على شأنه .

بحر الدين كما علك الدنيا أصبحنا مملوكين ولا يملك شيئاً من الدنيا ، أفيئس هذا من أسوء العار ، لماذا كل هذا أتخسبون أن ذلك لقصور في عقولنا أو نقص في جوارحنا ، أو خلل في شيء من حراسنا كلا وعرة الله ، لا نقص فيما حسب المواهب الفطرية ، ولا زيادة لهم عيباً ، ولكنهم رادوا علينا في الجد والنشاط ، والإستهانة بهذه الحياة في سبيل الشرف وطرح العوارق الشخصية فأصبحت كل أمة منهم كشخص واحد ، بهذا تفقوا علينا ، وإلا فبحر أدق فهم ، وأرق طبعاً ، وأسمى حلقاً وحلقاً ، ومنا أخذوا وعلينا تظاهروا واستظمروا .

أفليس بعد هذا حرام علينا أن يتعاضدوا أو يعتدي مسلم على مسلم ، أو يتناذح مع أخيه . أوليس من الحتم علينا أن ننظم تحت راية واحدة ونكون إخواناً كما أراد الله تعالى منا أن نكون .

بما نتخوفه كثيراً لإهتنام رجال يرمعون - أنهم من الشر أو من المسلمين - في خلق العراقل لتفريق الكلمة فيما يبسا ، وإحداث المشكلات في سبيل الوحدة التي تتطلبها . يعملون العوامل الفعالة في فشلها ، والمعاول الهدامة لتفريقها فيجب علينا أن نحترز منهم ، وأن لا نفتقر بأفواههم . إن أعظم الدسائس وأقفل العلل علة البفاق ، وإن المنافقين ( الأمويين )

يزعمون أنهم من المسلمين ، وأنهم منا ، وهم بين ظهرأيدينا يسعون في إحباط مساعيها وغل أيدينا ، إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون في قلوبهم مرض فرادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم . فاحذروا أمة أيها الناس فإن لها في كل من رجال ، واحذروا دسائسها فإنها التي أحلت قومها دار البوار

سأله تعالى أن يرد كيدها في سرها . والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً . أعمال أمة هي قتل الفاتحين العظام ، وفتناء لإسلام ، وهدم السكبة وإباحة بيت الله الحرام ، وهدم المساجد ، ومنع الخمرات والخمريات ، وتزويق القرآن ، ورفع حرمة السماء . وتعطيل الحد والأحكام .

يقول علماء الاجتماع : إن الخمريات عنوان الأمة ، وإن العائلة عنوان الجماعة ، فلا تصالح أمة إلا إذا صلح مجتمعها ، ولا يصلح المجتمع ما لم يصلح نظام العائلة . وقد واطب الإسلام على هذين الأمرين في جميع أحكامه ، فمجتمعاته من الصلوات الجامعة والخمة واليدين والجمع وغيرها من أفضل المجتمعات ، ونظام العائلة فيه من زواج وطلاق وحسن معاشررة الزوجين ، وتربية الأولاد ، وحقوق كل على الآخر ، وغير ذلك أفضل نظام عرفه البشر في قانون العائلات إلى اليوم .

وقد جدت أمة في إبطال المجتمعات ، وتعطيل المساجد والخمريات ، كما اجتهدت في تهريش نظام العائلة وحل عقد نظامها .

أمة لم تحترم نظام العائلة الإسلامية . واستخفت بالأعراس ، وتهاونت بالأنساب ، وأحلت العروبة بسبب ذلك دار البوار لم يعرف لرياد بن أبيه أب طاعى معاوية انه ابن أبى سفيان . وهذا أول استخفاف بالأنساب وبظام العائلة الإسلامية .

كنت لأود الخوص في سر هذه المباحث ، لاحقاً لأمية وإعظماً لها ، لاشتعالها بما دهم المسلمين وحاق بهم في هذه الأعصر من الظلم والذل عما كان قد أصابهم في سالف الأزمان والأعوام ، وكنت أمر على تلك الفحائش المؤلة والحوادث المؤسفة - إلى أحدثها أمية - فأتلو قوله تعالى . . . تلك أمة قد حلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ولا تسألون عما كانوا يعملون ، فكنت أمر عليها مسرعاً كي لا أشعل فكري فيها فتؤثر على ، ولكن حتى على ذكر ذلك جهل بعض المؤرخين من المسلمين في عصر ما هداو غفرتهم عن الحق ، بحسبوا أمية من العرب أو من الدين ، وليست هي كما يزعمون .

أمية خرى العرب لو كانت من العرب ، وأنى هادلك برئت العرب من أمية فما أمية إلا عبد روى تساه عد شمس كما هي عادة العرب في الجاهلية من تبى الموالى والعليل . وفي وسع القارىء أن يفسر التكر الشديد منهم للعرب والإسلام فيرجعه إلى هذا النسب المدخول ، وبحكم هذه الطاهرة يرى أنهم كانوا أعداء في البداية والنهاية .

فإن أمية شخصية غائضة نسب ، مشكوكة الإنساب إلى فريش ، قامت حوله إمارات من حقاً أن تشير إليها ، ومن حقها أن تثير حفيظة الشك وتعد النسبة ، أو عني الأقل تحوط النسب المدعى بياج من الشك والعموض . وفي الرواة من يقول : إنه ابن عبد روى تساه عبد شمس ثم ألصق به والعرب العربي لا يكر مثل هذه السوء ويتسامح في هذا الإلصاق . والشواهد لا تنحى على الباحث المتابع .

ولعل في قول أبي طالب (ره) ما يسند هذه الشكوك ، ويرفع درجتها حيث يقول من آيات :

توالى علينا مولىان كلاهما إذا سئلا قالوا إلى غيرنا الأما

أخصر خصر صاعداً شمس ونوعلاً هما بذابا مثلها تنبذ الحر  
 قديماً أبوم كان عسداً لجداً بنى أمة شهلاء جاش بها البحر  
 فإن شأن الشاعر والخطيب في موقف بيان الحقائق وفي مقام التحدى  
 أن يدون ماهو معروف وملدوس في عصره من حقائق . ومن البلاهة أن  
 نقول إن أبا طالب كان يلبي الكلام إرسالاً بدون مادية ، ولا يملك منطقاً  
 ولسانه يقطع في بنى عمه - إن صح التعبير - في أعز شيء يملكه العربى  
 الصميم في الساعة الحرجة التي يشتد فيها الخصام والجدال بين الهاشميين والأمويين  
 ويتقابل الخصم ، فهل يطمس هذا الطمس . ويقذف هذا القذف ، وليس  
 عنده مايررد ذلك . ومن الصعب جداً على أى طالب أن يقف من حصمه  
 العنيد عدا الموقف إذا لم يكن يتركز على حقائق نائمة لا تنقل الشك ولا يمكن  
 أن يقف الأمويون من هذه الطغنة مكتوفى الأيدي لا ينبسرون ست شمة .  
 ولا يدافعون عن نسبهم ، لولا أن الحقيقة يومئذ أوصح من أن تسترأو يتنصل  
 منها الأمويون . ولم يصلها مهم شيء وفيهم من يفكر تفكيراً خبيثاً ، وفيهم  
 من يعد للشر عدته .

ولعل ماوصل إلينا عن معاوية يقرر الشبهة ، فإنهم حدثونا أن معاوية  
 قال لولده يزيد . فأخبر بن عمك ، فقال عبد الله بن جعفر . بأى آباءك  
 تفاخرنى أجرب الذى أجرامه ، أم بأمية الذى ملكناه ، أم بعبد شمس الذى  
 كفلناه . قالوا فلم يرد عليه وقال لولده يزيد : يا بنى إيك ومارة بنى هاشم  
 فإنهم لا يجهلون ماعلوا ولا يجد مبعصهم لهم سباً . وليس هذا بالأمر اليسير  
 من شات هاشمى بين يدى سلطان معاوية .

ورى شيخ الأبطح فى شعره التمس طريقة فنية ، قد يجد الدارسون  
 للأدب فى هذه الطريقة ما يحملهم على الإعتراؤ بد حالة هذا النسب ، أهلاً



يحدون في نصب ( من ) على التخصيص أن المعين هم سو أمية ، ويلاحظون معنى ، أن تأنيث الإسم ، وتأنيث الصفة ، وإعادة الصير مؤنثاً ، يرمى إلى إستصغار هذا الإنسان الحقير ، ثم إلحاق ذلك كله ، بأن هذه السلعة ( جاش بها الحر ) كان للتدليل على أن هذا الإنسان كان عبداً رومياً ، وذلك لأن الحر لم يكن في ذلك العصر ليجهش من السلع الآدمية بغير الرقيق من العبيد والإماء الذين يفد بهم النخاسون من بلاد الروم وغيرها ، وأحسب أيضاً أنهم يلاحظون في كلمة ( شهلاء ) جرساً يرن بأن هذا العبد كان رومياً لأن الشهل ورقة في العين ، وهذه الورقة من صفات العين الرومية ، ولا تنصب بها العين العربية . ولش أنثاء كلام أنى طالب الشك في نسب الأميين فإن في كلام ابنه على ~~يطلع~~ ما يزيد الشبهة ويقوى الشك ، فإنه كتب إلى معاوية ، وليس المهاجر كاطبيق ، ولا الصريح كاللصيق . فإن في كلمة ( اللصيق ) أسلوباً يجمع عن مأوف للغة ، إذ ليس في مألوفها معنى هذه اللمعة أظهر من اتحال النسب . وهي في ذلك أصرح من دلالتها على أنه أصيق بالاسلام كما يؤيد ذلك مقالتها بنفط الصريح المقصود منه الصراحة في النسب ليس إلا ، ولا أرى ما يدفع هذا الشك إلا ما ربما يقال من جرأة أمية على منافرة هاشم ، وملاحظ أن هذه امافرة مدسوسة ، أو هذكان للدعاية الأموية سلطان في تكوينها . وبكاد يتضح طابع الوصع لو حاكمتنا التاريخ بشيء من الدقة والإمعان ، فإنهم رووا أن هاشماً وأمياً توأمان ، وذكروا أن هاشماً مات وله من العمر عشرين سنة ، وأوسع رواية أنه مات عن خمس وعشرين سنة ، والروايتان تطريان على أشياء كثيرة ، وتصور لما مقدار الدس ، ففى تزوج عهد شمس وولد له أمية يوم مات هاشم . ومنى كانت هذه المفارقة ، وهل يجوز لولد غريب لم يلح العشر سنوات أن يفاخر هاشماً مبد العرب . وفي

روية أن هاشماً أسن من عمد شمس ، وإن صحت الرواية فالشبهة أقوى .  
أجل ولو أنصف الميران ونحرت المعايير لاستطاع المؤرخ أن يحتج بهذا  
السبب ، ويرجعه إلى أصله ، ولكن الميران كان بيد السلطان .

قد يكون هذا الرأي واضحاً ، وقد لا يكون كذلك ، ويكون مجال  
الريب فيه متسعاً ، فإن لا أريد أن أفرص على قدرتي هذا الرأي فرضاً ، وإنما  
أضعه بين يديه وله الحكم وأعل نطاق البحث العلمي سيتسع أكثر منه الآن  
فيكشف لنا القناع عن وجه هذه الحقيقة التاريخية . وسواء أكان الشك في أمية  
انه عشمي أو رومي ، فإن الشك في سلالة أمية يكاد أن يكون واضحاً ، وكفة  
ميران الشك تكاد أن ترجع . وقد تتجاوز الشك إلى اليقين أو على الأقل  
إلى الظن بدخالة سلالة أمية إذا حلت كفة الميران من السياسة . وقد رووا  
أن دغفل النسابة دحل على معاوية فقال له معاوية : « رأيت عبد المطلب  
قال نعم رأيت رجلاً سبلاً وصبيّاً كأن في وجهه نذر البيرة » قال رأيت أمية  
قال نعم رأيت رجلاً ضئيلاً منحياً أعشى بقوده عبده ذكوان . قال مع ذلك  
انه - أبو عمرو - قال أتم تقولون ذلك أما فريش ولم تسكر تعترف  
إلا انه عبده .

وحدثونا أن القلاح قال لمعاوية وقد سأله عن أمية : رأيت أمية بعد  
ماذهب نصره يقوده عبده من أهل صفورية يقال له ذكوان فقال معاوية  
إيه انه - أبو معيط - . فقال القلاح هذا شيء قسّموه وأنشد :

يسألني معاوية بن هند لقيت أبا سلالة عبد شمس

فقلت له رأيت أملك شيخاً كبير السن مضروباً بطمس

يقود به أقيسح عبد سوء فقال من انه ليريل لبيس

ودكر ابيهم في كتاب - المثال - : إن أما عمرو كان عبداً لأمية

اسمه دكوان فاستلحقه . وهذا العدأبو سلالة أمية ، وذلك أن أمية  
أبكم عمروأهد زوجته ، وكل العد دكوان يني عليها وهو يراه . وقد  
يكون من الشواهد على ذلك قول الفصل بن العباس في جواب الوليد بن  
أبي معيط .

أطلب ثاراً لست منه ولا له وأبى ابن ذكران الصفوري من عمرو  
كما اتصلت بنت الحار بأبها ونسي أباها إدا تسامى أولو الفجر  
وقد استعرض حبان بن ثابت - شاعر الهي - أما سفيان بقوله  
مشيراً الى هذه الظاهرة :

ولست من المعشر الأكرمين ولا عد شمس ولا نوفل  
وليس أبوك بساق الحجيج فأوقع على الحسب الأرذل  
ولكن هجين منوط بهم كما فوطت حقبة المحمل  
تجيش من النزم أحسابكم تكش المشاشة في المرحل  
وما أب سفيان إلا امرئاً . ومعاوية انه كذلك ، وإن يكر منهم  
نجيب قرشي فلهه - زياد بن سمية - . أو عبيد الله بن مرجانة -

يقول عطاء السير كان أبو سفيان من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ  
قبل الإسلام ، فهو السب في حرب بدر الكبرى ، وهو الذي ألب على حرب  
النبي ﷺ في أحد ، وحرب الأحزاب في وقعة الخندق ، وحرص  
المشركين وقادهم على حرب الهي في أكثر الحروب حتى أرغم الله أفه بفتح  
مكة وأسلم كرها ولم يحس إسلامه بن كان من المنافقين بعد الإسلام . وإن  
المنافقين في الدرك الأسفل من النار .

يقول بن عبد البر في ( الإستيعاب ) في خبر بن الزبير : إنه رآه  
يوم اليرموك . فكانت الروم إذا ظهرت قال أبو سفيان إيه بني الأصفر ،

وإذا طهر المسلمون قال ويح بي الأصفر ، ولما فتح الله على المسلمين حدث ابن الزبير أباه بذلك ، فقال الزبير قاتله الله يابى إلا بها قاتلاً ، أو لستنا حيراء له من بي الأصفر ، . ولما انهزم المسلمون يوم حنين قال أبو سفيان : . لانتهى هزيمتهم دون البحر ، والله لقد غلبت هوازن ، وقال له صفوان : . بفيك الكشكش . .

وذكر ابن المبارك وغيره من أهل السير ، وكذا ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد - في خلافة أبي بكر ما خلاصته : . إن أبا سفيان لما قص النبي ﷺ ورأى إرتداد العرب ، واختلاف أهل المدينة في أمر الخلافة انهز الفرصة ، فجاء الى بيت علي بن أبي طالب وصار يحرضه في طلب الخلافة وهو يقول :

بي هاشم لا يطمع الناس فيكم ولا سيما تبم من مرة أو عدى  
فما الأمر إلا فيكم وإليكوا وليس لها إلا أبا حسر على  
أما حسر فاشدد ما كف حارم فإليك بالأمر الذي يرتجى على  
ثم قال أغلبكم على هذا الأمر أقر بيت في قريش ، والله لأملأها  
عليهم خيلاً ورجالاً وأنشأ يقول :

ولا يقيم على صميم يراده إلا الأدلان غير الحلى والود  
هذا على الخسف مربوط رتمته وذا يشح فلا يرى له أحد  
فاتهمه على بن أبي طالب وقال له : مارلت عدواً للإسلام وأهله فما ضر  
ذلك الإسلام . .

ورد أبا سفيان عن نفيه كثير من المهاجرين والأنصار ذلك اليوم ، منهم - سهيل بن عمرو - إذ خطب الناس فقال : . والله إنى لأعلم أن هذا الدين سيمتد امتداد الشمس في طلوعها الى عروبها فلا يربكم هذا

الرجل من أنفسكم - يعنى أنا سفيان - فإنه ليعلم من هذا الأمر ما أعلم ولكنه قد ختم على قلبه حسد بنى هاشم .

ولما صارت الخلافة الى عثمان دخل عليه أبو سفيان ، وقال : دهل فى الدار أحد غير بنى أمية - وكان يرمئ أعمى - فقيل له لا فقال تلقفوها يبنى أمية - يعنى الخلافة - تلقف الصبيان للكرة ، فوافقه مامن جنة ولا مار ولا حساب ولا عقاب - وفى رواية الحسن النصرى إنه قال لعثمان : قد صارت اليك دمد تيم وعدى ، فأدرها كالكرة واجعل أوتدها بنى أمية فإنما هو الملك ، ولا أدري ما جنة ولا مار . فصاح به عثمان قم عني فعل الله بك وفعل . وكان من شدة حقه به لما سمع بلالا يؤذن على سطح الكعبة تسمى الموت ، وأن لو كان مصيره مصير قتلى بدر من المشركين ، حيث قتلوا ولم يشهدوا ماشده من غلبة المسلمين وانتشار الاسلام ، والأدان على سطح الكعبة .

وكما كان أبو سفيان شديد العداوة للنبي ﷺ ، يعيظاً للإسلام ، كانت زوجته - هند بنت عتبة بن ربيعة - كذلك . كانت من أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ ولما حدثت حادثة بدر الكبرى وقتل فيها أبوها عتبة ، وأخوها الوليد ، وخطبة بن أبي سفيان وكثير من قومه ، كانت تظهر من الحقد على النبي ﷺ ما لا يوصف ، وتحرص المشركين شعراً ونثراً على حرب النبي ، وتذكر قتلى بدر وترثيهم . وكان من قولها ترثي بعض قتلى بدر :

أيا عين جودى بدمع سرب      على حير خدوف لم ينقب  
تداعى له رهطه غدوة      سو هاشم وبو المطلب  
يذيقوه حر أسياهمم      يعرفونه بعد ما قد شجب

ولما تميز المشركون الى حرب النسي بني نسي - في غزوة أحد - خرجت هند في ساء مكة يحرص المشركين على القتال والاحذ شارقتي بدر - وكانت أشدهن تحريضاً . ولما مر المشركون (بالأبواء) وفيه قبر آمنة بنت وهب - أم النبي ﷺ - قالت هند لو عثمت قبر أم محمد فإن أسر مدكم يوم أحد فديتم كل إنسان بأرب من أرابها - أي جزء من أجزائها - فقال بعض قریش لا تفتح هذا الباب ، ووردوا أحداً وهم يحرص المشركين ، حتى أنها وعدت وحشياً أن تمكنه من نفسها وتهب له حليها وفلانها إن قتل أحد ثلاث : محمداً ، أو علياً ، أو حمزة . وكانت بين المخاريق في أحد في ثلة من النساء يصرن بالدفوف ويقفن :

ويها بي عبد الداء      ويها حماء الإديار

ضرباً بكل بشار

ولقد رآها أبو دجانة لأنصاري تعرض الناس ، فهم ليضربها بالسيف هولوات قال أبو دجانة : فعلت أنها امرأة فأكرمت سيف رسول الله أن أضرب به امرأة .

ولما قتل وحشي - حمزة - عمدت اليه هند فبقرت بطنه فأخرجت كبده فلاكتها فصيرها الله حجراً فبعظتها ، وقطعت أعصاء حمزة وشوهت به وجعلت بعض أعصائه قلادة لها يدل ما أعطته لوحشي . وكان النبي ﷺ قد هدر دم هند - عام الفتح - فأقبلت مخفية في ساء من قریش ، وأسلفت هي وزوجها .

يقول أبو عمرو الجاحظ في ( رسالة مفاخرة بني هاشم وبني أمية ) : قد عرفنا كيف كان أبو سفيان في عداوة النبي ، وفي محاربه له وإجلاله عليه وعزوه إياه ، وعرفنا إسلامه حيث أسلم ، وإخلاصه كيف أحلص ، ومعنى

كلمته يوم لفتح حنين ، وأى الجنود ، وكلامه يوم حنين ، وقوله يوم صدد  
 بلال على الكعبة فادن على أنه إنما أسلم على يد العباس والعباس هو الذى  
 منع الناس عن قتله وجاء به رديفاً الى رسول الله ﷺ وسأله فيه أن يشرقه  
 وأن يكرمه ، وأن يتوبه ، وتلك يد بيضاء ومقام مشهور ، ويوم حنين  
 غير مجهود . فكان حزامه بيه أن حاربوا علياً ، وسعوا الحسن ، وقتلوا  
 الحسين . وحملوا النساء على الأتقال حواسر ، الى أن قال : وأكلت هند  
 كبدة حمزة . فمنهم آكلة الأكباد ومنهم كهف النفاق ، ومنهم من يقر بين ثلثي  
 الحسين بالقضيب .

هذه أمية وهذه أعمالها أفصح أن ترى بها العروبة ، رثت منها العروبة  
 ولحقها الخزي الدائم

أمية تولدت من الرما وليت من العروبة فى شيء ، وأغض النظر عن  
 عمر بن عبد العزيز . لقول لامام - محمد بن على الباقر عليه السلام - قال : لكل  
 قوم بحية . وإن نحية بنى أمية عمر بن عبد العزيز . وانه يبعث يوم القيامة  
 أمة واحدة ، كما روى ابن الأثير - فى الكامل - وذلك أن بنى أمية كانوا  
 مولدين بالشر إقداماً عن قصد رجلاً ونساء ، حتى أنهم كانوا لا يتزوجون  
 بالآرار محقة أن يصلح أولادهم ، وكانت عمه عمر بن عبد العزيز فى كتابة  
 وحزن من تزويج عبد العزيز بأم عمر - وهى أم عاصم بنت عاصم بن عمر  
 بن الخطاب - ولها فى تزويجها قصة مشهورة . لأن هذا التزويج صار سب  
 صلاح رجل أموى ، وهذا مما لا ترصه نساء بنى أمية ورجالهم من قسوة  
 نساءهم ما صنعت امرأة مروان بن الحكم حيث وصعت وسادة كبيرة على وجهه  
 وهو نائم ، وجلست عليها مع جواربها حتى مات لأنه كان قد شتمها . وقول  
 أم معاوية بن يزيد لابنها معاوية لما رأت ما فيه من الصلاح ليتك كنت حبيضة

كما سيأتى ذكر ذلك . وفى عمل أم معاوية بن أبى سفيان من أكلها كبدة حمرة وغيره عنى عن البيان .

وكان السر فى صلاح عمر بن عبد العزيز تعلمه بالمدينة ، ومعاشرته لبنى هاشم ، فقد كان يصحب أبى هاشم - عبد الله بن محمد بن الحنفية - ولم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، فعرفه مقام على بن أبى طالب عليه السلام وأن سه كفر وإلحاد ، فلما ولى الخلافة أمر بترك سب على ، وكان بنو أمية يسبون فى كل خطبة ، واعتاص عمر عنه بقوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ويهى عن الفحشاء والمنكر ، الآية لخل محله عند الناس ، وغضب سو أمية غضباً شديداً ، وكانوا يقولون : لو علم الناس ما على من العسل لتفرقوا عما ، ومدحه كثير عره من أجل ذلك على ما فى - الكامل لابن الأثير - بقوله :

وليت ولم تشتم علياً ولم تحف      بريشاً ولم تتبع مقالة مجرم  
تكلمت بالحق المبين وإعما      نبي آيات الهدى بالكلم  
وصدقت معروف الذى قلت بالذى      فعلت فأصحى راضياً كل مسلم  
ألا إنما يكى الفتى بعد ريعه      من الأود الباقى ثقب المقوم  
فقال عمر حين أشده هذا الشعر : « أفلحنا إداً ، ورصى كل مسلم بترك سب على عليه السلام إلا أن بنى أمية عضبوا أشد العصب .

ولما ولى عمر بن عبد العزيز بقص جميع ما كان أبرمه أسلافه من بنى أمية وعيرهم ، ونظر الى العراق نظراً خاصاً لما كان قد أصابه من ظلم أسلافه وكتب الى عبد الحميد أما بعد فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور فى أحكام الله ، وسنة حيثة سنها عليهم عمال السوء ، وإن قوام الدين العدل والإحسان ، فلا يكون شئ أهم اليك من نفسك ، فلا تحملها قليلا



من الاثم ولا تحمل خرابا على عامر وحمد منه ما اطلق وأصلحه حتى يعمر  
ولا تأخذن من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل الارض .  
الى آخر ما كتبه ، . وفي كتابه هذا دلالة على خروج بنى أمية عن الاسلام  
في أعمالهم .

ولما ولى سعد المبر فقال : بعد الحمد والثناء : أيها الناس من صحبنا  
فليصحبنا بخمس وإلا فلا يقرنا برفع البنا حاجة من لا يستطيع رفعها ، ويعيننا  
على الخير بمجده ، ويدلنا من الخير على ما نهتدى اليه ، ولا يعتابن أحدا ،  
ولا يعترض فيما لا يعيه ، فادشع الشعراء والخطباء ، وثبت عنده  
الفقهاء والزهاد .

قال ابن الأثير - في الكامل - . ثم أحصر فريشاً ووجره الناس  
وقال إن هذا كانت بيد رسول الله ﷺ فكان يضعها حيث أراه الله ، ثم  
وليها أبو بكر كذلك ، وعمر كذلك ، ثم أقطعها مروان - كذا في ابن  
الأثير - والطاهر سقوط كلمة عثمان ، والعبارة ثم قطعها عثمان مروان ،  
لأن عثمان هو الذي أعطاها مروان وأقطعها إياه - ثم أنها صارت الى ولم  
تكسر من مال أعود منها على ، وإني أشهدكم إني قد رددتها على ما كانت عليه  
في عهد رسول الله ﷺ قال : فانتظمت ظهور الناس ويُسوا من  
الظلم ، .

وقال - لمراحم - . إن أهلي أقطعوني ما لم يكن لي أن آخذه .  
ولا لهم أن يعطويه ، وإني قد صمت برده على أربابه قال كيف تصنع  
، ولذك جرت دمره وقال . . أتكلمن الى الله فردها . ثم أخذ من أهله  
ما بأيديهم وسمى ذلك مطالم ، ففرع بنو أمية الى عنته فاطمة بنت مروان ،  
فأنته فقالت . تكلم أنت يا أمير المؤمنين فقال . . إن الله تعالى بعث

محمداً ﷺ رحمة ولم يعثه عذاباً الى الناس كافة ، ثم احتار له ماعنده ، وترك للناس نهراً شربهم ساء ، ثم ولى أبو بكر فترك النهر على حاله ثم ولى عمر فعمل عملهما ، ثم لم يزل النهر يستسقى منه يريد وسروان وعبد الملك ابوه والوايد وسليمان إسماعيل عبد الملك حتى أفصى الأمر الى وقد يسر النهر الأعظم فلم يروا أصحابه حتى يعود الى ما كان عليه . فقالت حبيبك قد أردت كلامك قدماً إذا كانت متالذت هذه فلا أذكر شيئاً أبداً . ثم قالت له إن بنى أمية يحزنوك يوماً من أيامهم ، ففضض وقال . كل يوم أخافه غير يوم القيامة فلا آمنت شره . فرجعت اليهم فأخبرتهم وقالت . أنتم فعلتم هذا بأنفسكم تزوجتم بأولاد - عمر بن الخطاب - جاء يشبه جده فسكنوا .

هـ كانت سيرة عمر بن عبد العزيز - فإنه ذكر مظالم بنى أمية وحيادهم عن طريق الحق . وقتلهم المسلمين . وسبهم أمير المؤمنين ، ورفض تلك المظالم وردّها الى أهلها . وحى المسلمين عن القتل طامداً ، ورفض السب عن أمير المؤمنين ، وعمل بما توجبه أحكام الدين . فمن أرضى ذلك أمية لم يرص أمية قول الحق وفعله وأنت إلا الباطل ، فصغت على عمر بن عبد العزيز نساء ورجال وتربصت به الدوائر حتى اعانته مقلته السم وقتته وهو في أيام شبابه ، وهذه فضيلة أخرى تضاف الى فصايهم ، وجريمة تضاف الى جرائمهم التي ملأت الآفاق .

هـ أمية وقسوتها وظلمها وحفونتها وفسقها نساء ورجال ، ونغيها على الدين وزندھا وراء ظهرها الكتاب المبين .

و يشبه معاوية بن يزيد بن معاوية عمر بن عبد العزيز ، وعمر أمية مع عمر عملهم مع معاوية .

هـ هلك يزيد بن معاوية ( لع ) فبويح لإبنه معاوية ، ولم تمدعه الدنيا ولم

يعتبر لانياد أمة ، وجمع نفسه . قال الدميري في حياة الحيوان - وغيره من مؤرخ الإسلام .

إن معاوية بن يزيد لما حلق نفسه صعد المنبر فجلس طويلاً ، ثم حمد الله وأثنى عليه بأبلغ ما يكون من الحمد والثناء ، ثم ذكر النبي ﷺ بأحسن ما يذكر . ثم قال :

« أيها الناس ما أنا بالرغب في الإتيان عندكم لعظيم ما أكرهه منكم ، وإني لأعلم أنكم تكرهوننا أيضاً لأننا نبينا لكم ونبيتم بنا ، ألا إن جدى معاوية قد بارع في هذا الأمر من كان أولى به منه ومن غيره ، لقراته من رسول الله ﷺ وعظم فضله وسادته ، أعظم المهاجرين قدراً ، وأشجعهم قلماً ، وأكثرهم علماً ، وأولهم إيماناً ، وأشرفهم منزلة ، وأقدمهم صحة ، إن عم رسول الله ، وصهره وأخوه ، زوجته ابنته فاطمة وجعلها لها بعلاً باختياره لها ، وجعلها له زوجة باختيارها له ، أبو سبطيه سيدى شباب أهل الجنة ، وأفضل هذه الأمة تربية الرسول ، وأبى فاطمة البتول ، من الشجرة الطيبة الطاهرة الزكية ، فركب جدى معه ما عمل ، ونركبتم معه ما لا تحملون ، حتى انتظمت لجدى الأمور ، فلما جاءه القدر المحتوم واحترمت أيدى المنون ، بقى مرتبها لعمله ، فريداً في قبره ، ووجد ما قدمت يداها ورأى ما ارتكبه واعتداه . ثم انتقلت الخلافة إلى يزيد بنى فتقدم أمركم لهوى كان أبوه فيه . ولقد كان أبى يزيد بسوء فعله وإسرافه على نفسه غير خليق بالخلافة على أمة محمد ﷺ ، فركب هواه واستحسن خطاه ، وأقدم على ما أقدم من جرأته على الله وبغيه على من استحسن حرمة من أولاد رسول الله ، ففقت مدته ، وانقطع أثره ، وصاحبه عمله وصار حليف حفرته رهين حطيتته ، ونقيت

أوراره وتبعاته ، وحصل على ما قدم وندم حيث لا ينفعه الندم ، وشعلنا الحزن له عن الحرر عليه ، فليت شعري ماذا قال وماذا قيل له هل عوقب بإسائه وجورى بعمله وذلك على ثم حقيقته العبرة فيكي طويلا وعلى بحبه ثم قال أما ثالث القوم والساخط على أكثر من الراضى ، وما كنت لأتحمل آثامكم ، ولا يرانى الله جلت قدرته متقلدا أوراركم وألقاه بنبعاتكم ، فشاكم أمركم بخذوه ، ومن رصيتكم به عليكم فلوله ، فلقد حلعت يلقى من أعناقكم والسلام .

فقال مروان بن الحكم : وكان - تحت المبر - أسنة عمرية يابا ليلى - فقال : ، أغدوا على أعز ديبى تدعى فوالله ما ذقت حلاوة خلافتكم فأتجرع مرارتها ، إتنى رجال مثل رجال عمر ، والله لئن كانت الخلافة مقبلا لقد قال أنى معرماً ومائماً ، ولئن كانت سوءة فحسبه منها ما أصابه . ثم نزل فدخل عليه أقاربه وأمه فوجدوه يبكى ، فقالت له أمه : ليتك كنت حيضه ولم أسمع بحبرك ، فتار : ، وددت والله ذلك ، ثم قال : ، ويلى إن لم يرحمى ربى ، ثم إن بنى أمية قالوا المؤدبه - عمر المقصوص - : أنت عليه هذا ولقنته إياه . وصددته عن الخلافة ، وزينت له حب على وأولاده ، وحملت على مارجمابه من الظلم ، وحسنت له لبدع حتى نطق وقال ما قال . فقال : ، والله ما فعلت ولكنه مجبول ومطرع على حب على ، فلم يقبلوا منه ذلك . وأخذوه ودفنوه حياً حتى مات .

وذكر كثير من المؤرخين أن بنى أمية قتلوا معاوية هذا بعد أن خضع نفسه ، بأربعين ليلة ، وهو ابن إحدى وعشرين سنة . نعم هذه أمية وقسوتها وظلمها رجالاً ونساء ، ودفنتها الصلحاء أحياء ، وحلعتها . قتلت القائدين الفاتحين وأبادت في المراق حيوش المسلمين .

- ٥ -

سيقول بعض القراء : مالنا والأمويين لقد مضى عليهم زهاء ثلاثة عشر قرناً . أليست هناك مواضيع أخرى ألصق بحياتنا الحاضرة نستلزم البحث والإستقصاء ، ألا يثير البحث في هذا النوع من المواضيع احتلاما بين المسلمين نحن في عنى عنه في الوقت الحاضر ، أليس البحث في هذا الموضوع بالذات ينم عن رجعية في التفكير ؟

إن هذا النمط من التساؤل ينطوى على ما أرى إما على سذاجة في الإدراك أو على نفاق وتهافت ، أو أنه يتضمن المعالطة والتصليل ، كل ذلك بالطبع يتوقف على الجهة التي يصدر منها ذلك لأن الأمويين يلارم تاريخهم الناشئة المرافقة - بنين ومات - طوال المراحل الدراسية الثلاث . الابتدائية ، والثانوية ، والمالية ، وفي أكثر من جانب من جوانب منهج التدريس : في دروس لتاريخ الدين والأدب والمطالعة والنصوص . يضاف الى ذلك أن الأمويين يطلون علينا - بين حين وآخر - من بوافذ المنطحات القومية المنبثة في أعماق القطر وبعض أرجاء العالم العربي . هذا الى أن المرء كثيراً ما يصادفهم في مطروم القول وفي مشوره . فقد نعى بمجدهم فريق من الكتّاب المعاصرين . وحن الى عهدهم رجيل من الشعراء المحدثين . والدكتور بديع شريف ، مثلاً ، يشيد بمجدهم في كتابه الممتع . الصراع بين الموالي والعرب ، والدكتور عبد الرزاق عجي الدين في قصيدته الرقيقة - . . . . . اما معاوية يملو الأريكة أو أبو الحسن

فلماذا لا يعترض المعترضون على ذلك؟ ويعتبرونه رجعية في التفكير؟  
لأنه يدعو إلى إرجاع عهد مرث عليه مئات السنين . لماذا لا يطلبون من  
وزارة المعارف أن ترفع كابوس الأمويين عن كاهل الطلاب والطالبات ؟  
هل الرجعية المعروفة ناتجة عن كون بحثنا هذا يختلف عما ألفه المعترضون من  
حقائق مدرسية عن التاريخ الأموي

أما الدعوة إلى البحث في أمور ألصق بحياتنا القومية من الأمويين فكلمة  
حق يراد بها الباطل . ذلك لأن الحديث عن الأمويين لا يحول دون التصدي  
للبحوث الأخرى بالتمحيص والنقد . وأما الإختلاف بين المسلمين فوجود  
في أغب نواحي الحياة ، بما في ذلك موقفهم من الأمويين . وما هذه الدراسة  
في الواقع إلا صدى لذلك الإختلاف فهي نتيجة من نتائج لأسباب من أسباب  
حدوثه . ولعلها - إذا ما قرئت بعين الانصاف والتدبر - تخفف من حدة  
ذلك التوتر بين المسلمين في موقفهم من الأمويين على الأقل

على أن الأمر ، مع هذا ، أعمق من ذلك كله بكثير . فالأمويون  
ملتصقون بحياتنا العامة أشد الانصاف تؤثر سيرتهم فيما بصورة مباشرة  
أحيانا وغير مباشرة أحيانا أخرى فالقومية العربية يشكلها الباري الممقوت من  
حيث موقفها من العرب غير المسلمين ومن المسلمين غير العرب ، هي إحدى مخرجات  
الأمريين . ونظائر الكثير من ما باحترام الدين واتباع أوامره ونواهي في  
القول وبخالفاتهم ذلك في ( العمل ) هو الآخر من آثارهم واهتمام كثير من  
المشتغين بالأمور الدينية بالجواب التاريخية لأهمية من الدين على حساب جوهره  
هو أيضاً من مخلفاتهم .

والخلاصة : أننا مرضى في أخلاقنا ، يأمر أعلننا بالفضيلة ولا  
يفعلها ، وينهى عن الرذيلة ويتعاطاها . وما هذا الانحراف الخلق ، على

ما أرى إلا أحد مملكات الأمويين . تعست أمة تستوحى منها العليا ، في السياسة والأخلاق ، من معاوية بن أبي سفيان ، وعمر بن العاص ، ورياد بن سمية ، والحجاج بن يوسف ، ومن هم على شاكلتهم من الحكام والأمراء ، ودمى قصة طريفة استعرضها هذه المناسبة وهي :

أن صاحب المنار - محمد صارشيد - ذكر في كتابه ( الوحي المحمدي ) تحت عنوان - علو حضارة الاسلام - :

« ان أحد كبار علماء الألمان في الأستانة قال لبعض المسلمين وهم من أحد شيوخ مكة : إنه ينبغي لما أن نقيم تمثالا من الذهب - لمعاوية بن أبي سفيان - في ميدان كندا من عاصمتنا برلين - قيل له لماذا قال لأنه هو الذي حول نظام الحكم الاسلامي عن قاعدته الديمقراطية الى عصرية العلب . ولولا ذلك نعم ، لاسلام العالم كله وردد لسكنا بحر الألمان وسائر شعوب أوروبا عربا مسلمين » .

لقد كان معاوية يسير في حكمه على سياسة جاهلية مكشوفة هي والدين الاسلامي على طم في بقيض ، وتحتجس تلك السياسة بمحولة واحدة ، هي الانصراف الكلي للحياة الدنيا - بأشع صورها - والتكالب على مرقاها وملاذها الرخيصة على حساب الدين .

ولم يكنف : أمير المؤمنين ، وده خليفة ، رسول الله - إن صح هذا لقول - نصرت المؤمنين بعضهم بشئى اوسائل ومخلف المؤامرات للبحاطة على سلطانه - حاتم البرنطين - أعداء المسلمين والاسلام - على حساب المصلحة الاسلامية العليا . فقد عقد معاوية مع أمراء البرنطين سلسلة من المعاهدات الرمية الى تثبيت قواعد ملكه على حساب الاسلام

١ - نوري جعفر في كتابه - الصراع بين الأمويين ومبادئ الاسلام

والمسلمين . ولعل أشنع تلك المعاهدات - غير المتكافئة - تلك التي عقدها معاوية - بمحض اختياره - مع الأمير اليربلى - كويستان الثاني في عام ٣٩ هـ . فدفعت معاوية - وفقاً لمستلزمات هذه المعاهدة - الجزية للأمير اليربلى المذكور . كل ذلك بكافة راسع الخلفاء الراشدين . عندما أعلن معاوية العصيان عليه والتبرّد على القرآن وسنة النبي ﷺ .

أبعد تفحّر العروبة أى حرى ودل على العروبة والاسلام أبكى من هذا . ولقد كآب الى ﷺ يلتقى مع معاوية أحياناً ويصارحه بقوله : أنت رأس الخطم ومذبح الظلم أكاث كثير وطلبك عظيم ، تتخذ المدعة سنة ولقبيح حساً يربو فيها لصعير ويهرم فيها الكبير .

ويحدث بن أبى الحديد في المح ٣ ص ١١٥ من شرح النهج ط م عن المغيرة بن شعبة أنه قال : قال لي عمر بن الخطاب يوماً يا مغيرة هل أنصرت دعيتك العوراء منذ أصبحت قلت لا قال : أما والله ليعورن بنو أمية الإسلام كما أعورت عينك هذه ثم ليعمينه حتى لا يدري أين يذهب ولا أين يحيى . . . ولبنى ﷺ يقول . . . ويل لأمتي من بنى أمية . وقوله : . رب يوم لأمتي من معاوية ذى الإساءة . .

نعت محمد ﷺ فأقعد لعرب من الطلاب الى المور ، وملك العرب بأحكامه شرق الأرض وغربها ، وتمت كلمتهم . ولما بسط الاسلام جناح الرأفة على وجه السبيطة احتضن به بنو أمية أعداءه بالأمس . وقتلوا أبناء محمد في كل مكان .

ما كان دس يحيى بن يزيد بن علي بن الحسين عليه السلام - سبط رسول الله - حتى يقتل في أرض الجورجان من أعمال خراسان ، ويهدى رأسه ورؤوس أصحابه الى فاسق بنى أمية - الوليد بن يزيد - .



وأى جريمة أحد ريد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وكان يسمع شتم أمته على المار ، فغار لذلك ، وسير من المدينة الى الشام ، ومنها الى العراق ، حتى قتل بالكوفة ودفن ثم شق وأحرق واحتز رأسه وسير به الى الشام وصاب على بابها ، ثم سير الى المدينة ، وصاب يده في الكوفة بالسكناسة مع نفر من أصحابه ، وبنى مصلوباً أربع سنين ، الى أن هلك هشام وولي الوليد بن يزيد ، فكتب - بعد قتل يحيى بن زيد - ، الى يوسف بن عمر - عامله على العراق - أن أخذ بجمل أهل العراق فأرله من جذعه وأحرقه بالنار ثم انصفه باليم فسفا . فأمر يوسف فأحرق جسد ريد ورض المهرابين ، وحمله في سفينة ، ثم دراه في العرات . هذه أعمال أمية مع أهل بيت محمد عليه السلام وبه صاروا ملوكاً بعد أن كانوا رعاة الإبل ، فكان جزاءه منهم ما اقترفوه من ذريته .

وأعظم حط وأفطع أمر ، والمصيبة كل المصيبة ، والرزية كل الرزية قتل بن بنت محمد وابن علي في أرض العراق بأمر ريد بن معاوية ، واتهمك يزيد حرمة الإسلام .

كان الأولى أن لا تأمرض لذكر يزيد . وما جاء على الإسلام . فإن مصيبة الإسلام به عظيمة وذريته جليلة ، نديب الأكاد وتقرح القلوب ، وتقشعر لها الأبدان . ويبرأ منها كل إنسان كافراً كان أم مسلماً . ولم أكن أود أن أزعج النفوس بذكر بخاتم بن معاوية الطليق - حري العروة وعار الشريعة - . ولكن أيقنت بحطيتي الكبرى من الكف عن ذكره وذكر مساويه . وعرفت سعر قول النبي ﷺ - ما أخرجه الطبراني - والخطيب البغدادي - « حتى متى ترعون عن ذكر الفاسق اهتكوه يحذره الناس ، وقوله ﷺ ما أخرجه بن أبي الدنيا - « ثلاثة لا تحرم عليك أعراصهم ، المجاهر

بالفسق ، والإمام الجمائر . ولستدع .

وعلى ذلك جرت سيره الصحابة في ذكرهم معائب معاوية وبني أمية وأهل  
انساق ولعاق ، والأص في ذلك كله القرار . فإن السر في ذكر معائب  
الأمم ومثالب الكفار ، هو الدعة الى تجنب نظائر أعمالهم والخذل عن  
الوقوع في مثل ما وقعوا فيه . وذلك من أهم مقاصد المصحين . لذلك عرمت  
على ذكر شيء من مثالب أمية . ومن يستطيع ذكر جميع معائبهم ولقد  
أجاد كنية بعدد عند الباقي العمري بقوله :

واحرما يا آل حرب منكم يا آل حرب منكم واحرما

فيكم ومنكم واليسكم ومنكم قالو شرحناه فضحنا الكتب

واليسك لا يترك المسور بالمسور ، ولا د من ذكر شيء على سبيل

الايحار . ليعلم لس ذلك ويتجنب ان يطرأ أعمالهم المماثلة المردية .

ولم أعمد في نقل مثالب أمية على الكتب الشيعة - وإن كانت مبيثة  
بذلك - وكذا نقلته سابقاً وأنته لاحقاً إنما أدته عن الكتب السنية المعبرة  
- كالصحيح والمسانيد والجمع بين الصحيحين . وكتاب المفاحرة بين بني هاشم  
وبني أمية للجاحظ ، وشرح العقائد النصية للفتزاني . وكتاب نخبور لعن  
يزيد للسيوطي ، وشرح البحاري لاس حجر ، وتاريخ الكامل  
لأبن الأثير ، وتاريخ جرير الطبري ، ومروج الذهب للمسعودي ،  
وتفسير الرازي وأنى السعد والبضاوي والخازن الغدادي ، وتاريخ الخيس  
وابن حلدون - وغيرها من الكتب المعبرة عند أهل السنة - وقبلنا سميت  
إسم الكتاب الذي أنقل عنه لانتشار هذه الكتب ، وعدم الحاجة الى  
ذكر أسمائها .

واسسب في الاقتصار على الكتب المعبرة عند أهل السنة دون غيرها

هو الدعوة الى اتحاد الكلمة ، من أحد أغراض رجال الاستعمار من الدعاية الأموية هو تفريق كلمة المسلمين من داع الى أمية ، ومن داع الى هاشم ، وبذلك تعود لهزوق والاحتلاف التي كانت بين لشام بدعوة أمية ، والعراق الهاشمي ، والحروب التي أهدمت العريقتين ، وبذلك يصح المثل الانكليزي السائر ( فرق تسد ) .

وهنا نحن ندعو جميع المسلمين أن لا يقتدوا بأمية في أفعالها ، ولا يسبوا اختلاف الكلمة باسم أمية وهاشم ، ولا يسطروا أمية وهاشم بغير الانصاف ويحلوا كلا محل الآخر ، ويعطوه منزلة الى أثره الله فيها ، ولا يخذعوا الأغراض الأموية ، ويقول الحق ولا يهمهم سواه ، ولحق أحق أن يذبح وبالأحرى أن نفث أنظار شامة العاق لمثقف ، الذي هو السلاح الجاهر لأمة وقوتها المارة وعدتها في الشدائد ، والذي تسيره حكمة الشيوخ في تبادهم كي ترتسم فيه قصصه اشجاعة والاعتدال هذا الشباب الذي أصبح في عصر تمت به الحقائق وتخلصت فيه الخيالات فما أصبح مادي أن يتعابا ، وبالصبر أن يتعاضد ، وبالعالم أن يتجاهل . أيها الشباب لا يبعدكم عن الحق استهزاء من يستهزئكم ، وكيد من يكيدكم ، لا يبيعكم بكم عن صواب انصواب مقال بعض المستبشرين اليكم ، والمتحذرين هذا شعار جنة ووسيلة ليس أعراضهم ورجو من جمهوريتنا خاصة أن نعيذا على ردع الجهال عن الأعمال الأموية ، والدعاة الوليدية ، والحمور البريدية ، فإن ذلك هلاك العراق والعروبة والاسلام .

وبعد هذا انتم ضيغ والبيسان أقول : يريد مثل سائر الأمويين عدو للإسلام . لكن الخمر انصم الى حشد المردة فيه فدعاه الى المجاهرة بما تكتم به غيره . وحارب الاسلام - منقذ العروبة - انتقاماً لآبائه الذين قتلوا في

حرب بدر وأحد ، وأكثر غزوات النبي ﷺ . فحارب الاسلام بكل ما يستطيع وهو المتمثل بقول - ابن الزبير - بعد قتل الحسين عليه السلام .

لست أشياحي بدر شهدوا جزع الخزع من وقع الأسل  
 لأهلوا واستهلوا ورحا ولقوا بعد عد لانشل  
 لست هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحى نزل  
 قد قتنا القرم من ساداتهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل  
 لست من خندق إن لم أقتنم من بني أحمد ما كان فعل

وفي هذه الآيات دلالة صريحة على أنه لم يقصد إلا الانتقام لقتل بدر  
 ومن قتل بدر عنه - حطمة من أنى سفيا - كان قد قتله على يد يوم بدر  
 وأنه لم يؤمن بالله ، ولا بالمعاد ، ولا يعرف الإسلام حرمة ، وأنه معضب  
 على رسول الله ﷺ حيث دعى الى التوحيد والاصلاح ، ونبد عبادة  
 الأصنام والاعساد ، ولم يترك أمية نذل العرونة شركها ، وإفسادها ، وإلحادها  
 ونحرم الشر من الاصلاح الاسلامي والرحمة الدينية

كان يزيد - لحث نبيه - يحاهر بالعداء للنبي خاصة وللإسلام عامة  
 قولا وفعلًا ، ولقد كان النبي ﷺ يتحوف بربه على الاسلام ، والأحاديث  
 في ذلك كثيرة نقل السبوطي - في تاريخ الخلفاء - عن مسند أنى على :  
 إن النبي ﷺ قال : « لا يزال أمر أمي قائمًا بالقسط حتى يكون أول من  
 ثلته رجل من بني أمية يقال له يزيد » . وروى أيضاً عن مسند الروماني -  
 عن أنى الدرداء - « إن النبي ﷺ قال : « أول من يدل سني رجل من بني  
 أمية يقال له يزيد ، ومن شعر يزيد الذي يهتك به ستره وينزع سره قوله .

شمسة كرم رجها قعر دنيا ومشرقها الساق ومغربها في  
 فإن حرمت يوماً على دين أحمد حردها على دين المسيح بن مريم

وقوله :

أقول لصحب صحت الكأس شعلهم وداعى صمسات اهوى ينزعم  
خذلوا بنصيب من نعيم ولذة فكل وإن طال المدى ينصرم  
ما أشبه هذا بقول الفرنسيين اليوم ، إذ يقول الآب لابنته إذا بلغ  
لها من العمر ثمانية عشر سنة : إعتننى فرصة شبابك من هذه الحياة وتلدى  
بما شئت .

وقوله :

عليه هاتى واعلى ونزعى بذلك إلى لأحب الساجيا  
حديث أن سفیان قدما سقى بها إلى حد حتى أقام البرا كيا  
ألا هات سقى على ذلك فهو نعيم هذا العنى كرمأ شاميا  
إذا ما طرء فى أمور قديمة وجدده حلالا شر بها متواليا  
وإن مت يا أم الأحيمر فأكحى ولا تأمل بعد المراق تلاقيا  
فإن الذى حدثت عن يوم بعثنا أحاديث طعم تجمع لقلب ساهيا

وقوله :

معشر الدما فوموا واسمعوا صوت الأعان  
واشربوا كأس مدام واتركوا ذكر المعان  
شعلنى نعمة العيدان عن صوت الأدان  
وتعوصت عن الحور عجورا فى الدما

الى غير ذلك مما نقله - السط من الحورى - من ديوان يزيد يقول  
وهذا تطرق الى هذه الأمة العار بولايته عليها ولما لعه جدى أبو الفرج  
على المسير بعداد بحصرة الامام الناصر وأكابر العلماء ، قام جماعة من الخفأة  
من مجلسه فذهبوا ، فقال جدى : ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود ،

وحكى لي بهصر أشياحتنا عن ذلك اليوم . ان جماعة سألوا جدى عن  
يريد فقال . ماتقولون في رجل ربي ثلاث سنين في السنة الأولى قبل الحسين  
وفي الثانية أحاف لمدينة وأباحها . وفي الثالثة رمى الكعبة بالحجاق وهدمها  
فقالوا يلعن فقال : فالعنوه

وقال جدى في كتاب الرد على المنتصب العنيد : قد جاء في الحديث  
لعن من فعل ما لا يقرب عشر معشار من يريد . وذكر الأحاديث التي ذكرها  
- البخارى ، ومسلم في الصحيحين : - مثل حديث من مسعود عن النبي ﷺ  
« إنه لعن الواشحات والمتشحات » . وحديث من عمر لعن الله الواشحة والمتوشحة  
ولعن الله المصورين . - وحديث جابر عن رسول الله ﷺ « آكل الربا  
وموكله » . وحديث من عمر لعن آخر على عشرة وجوه . وهذه الأشياء  
دون من يريد في قتل الحسين وأخوته وأهله . ونهب المدينة وهدم الكعبة  
وضربها بالحجاق ، وأشعاره البداهة على فساد عقيدته

كان حق يريد على الاسلام شديداً ، ولم تظف غلته محارته بالعداء  
للإسلام وترويع المصاد عامة من عهد الى أركان الاسلام فقصها ركناً ركناً  
فقد قتل دية محمد ﷺ وسى داهم واستباح حرمة المدينة وحرم النبي  
وقتل من بي من أصحاب محمد من شيوخ المهاجرين ولأبصار الدين أعانوا  
ونصروا المحمداً في إغقاد الشر . وعهد الى - الكعبة - شعار العرب قبل  
الاسلام . ومنسك المسلمين منه - فصب المنجوق عليها ورمها بالحجارة  
وأحرقها وأراد هدمها . لكن الله تعالى خلل له الويل من بقعه فقل  
هدم الكعبة

أهيتها تفجر الدوبة . أليس في ذلك هلاك العروبة وحلها دار  
البوار . يقول أبو العلاء المعري :

أرى الأيام تفعل كل نكر وما أنا بالعجائب مستزيد  
أليس قريبكم قلت حسيناً وكان على خلافتكم يزيد  
قال ابن الجوزي الخليلي في رسالة تجوير لعي يزيد . . . وقد من المدينة  
إلى الشام وقد . . . ولما رجعوا شتموا يزيد وقالوا : قد منا من عند رجل ليس  
له دين يشرب الخمر ، ويعرف بالطاير ، ويلعب بالكلاب ، كانه  
من دعاة المدينة الحاضرة .

وروى محمد بن علي بن طاطبا - المعروف بالقطقي - في تاريخه -  
الآداب السطحية - في أحوال يزيد ( ليع ) قال . كان - يزيد بن معاوية -  
أشد الناس كفاً بالصيد ، لا يزال لاهياً به ، وكان يلبس كلاب الصيد الأساور  
من الذهب والجلجل المنسوجة منه ، ويهب لكل كلب عبداً بخدمه . . . قيل  
إن عبده بن زياد أخذ من دمى أهل الكوفة أربعمائة ألف دينار جناية  
وجعلها في حرن بين المال - فرحن ذلك الرحن من الكوفة وقصد دمشق  
ليشكو حاله إلى يزيد - وكانت دمشق في تلك الأيام فيها سرير الملك - فسا  
وصل الرجل إلى ظاهر دمشق سأل عن يزيد فعرفوه أنه في الصيد ، فكره  
أن يدخل دمشق وليس يزيد حاضراً فيها ، ف ضرب بحيمه ظاهراً المدينة وأقام  
به ينتظر عود يزيد من الصيد ، فبما هو في بعض الأيام جالس في خيمته لم  
يشعر إلا بكلفة قد دخلت عليه الخيمة وفي قوائمها الأساور من الذهب و عييب  
جن يساوي مبلعاً كبيراً ، وقد طلع منها المطش والتعب ، وقد كادت تموت  
تعباً وعطشاً ، فعم أنها ليزيد وأنها قد شذت منه ، فقام إليها وقدم لها ماء  
وتعهد لها بنفسه ، فما شعر إلا شاب حسن الصورة على فرس جميل وعليه رى  
الملك وقد علت غيرة ، فقام إليه وسلم عليه ، فقال له أرايت كلمة عارة  
بهذا الموضع ، فقال نعم يا مولاي ها هي في الخيمة قد شربت ماء واستراحت

وقد كانت لما جاءت الى هاجات على عية من العطش والتعب ، فلما سمع يزيد كلامه زل ودخل الخيمة ونظر الى الكلبة وقد استراحت ، فغضب عجلها ليخرج فشكا الرجل اليه حاله وعرفه ما أخذ منه عبيد الله بن زياد ، فطلب منه دوات وكتب له رد ماله وحلعة سنية ، وأخذ الكلبة وخرج فرجع الرجل من ساعته الى الكوفة ولم يدخل دمشق .

ويحدثنا المسعودي في ( مروح الذهب ) بقوله : « وفي أيام يزيد طهر العناء بمكة والمدينة ، واستعملت الملامى وأظهر الناس شرب الشراب ، وكان له فرد يكبي نأى قيس يحصره مجلس منادته وي طرح له متكا ، وكان فردا خبيثا وكان يحمله على أنان وحشية قد ريصت ودلت لذلك سرج ولجام ، ويسابق بها الخيل يوم الحلبة فجاء في بعض الأيام سابقا فتناول القصعة ودخل الحجره قبل الخيل ، وعلى أن قيس فاء الحرير الأحمر والأصفر ، وعلى رأسه فلسوة من الحرير ذات ألوان شقائق ، وعلى الأنان سرح من الحرير الأحمر منقوش ملع بألوان الألوان .

نقل بن الجوزي الحنبلي في - رسالة تجويز لمن يزيد - « إن أهل البيت ( ع ) لما وردوا الى الشام ووصلوا الى محلة جيرون بالقرب من المسجد الأموي أنشد يزيد :

لما بدت تلك الحول وأشرقت تلك الشمس على رها جيرون  
دع العراب فقلت مع أولانح الملقد قصيت من أبي ديون  
لم يكن أبى أمية من قتل الدرية الظاهرة غرض إلا الانتقام لمركي بدر  
( من النى ) قال أبو عبيدة في كتاب - المثالب - وأبو جعفر الطبري في - تاريخه - « إن عبيد الله بن زياد كتب الى - عمرو بن سعيد ابن أبي العاص الأموي - بقتل الحسين ، وكان واليا على المدينة (



فصعد المير وقرأ كتاب من ريادة وأظهر الشر . ثم أوماً إلى العبر الشريف  
- قبر النبي ﷺ - وقال يا محمد يوم يوم نذر ، أما أنها لدمعة بدمعة ،  
وصدمة بصدمة ، فأبكر عليه قوم من أنصار .

يقول عبد الباقي العمري الموصلي :

على يزيد دون إيليس إذا ما ذكر اللعن اتقى وانتسبا  
بحكم في تكفيره إن صح ما قد قال للعراب لم نعبا  
والموجود في ديوانه إن صح وهو من التحريف ، لأنه معه بلا شرط  
فلا ينبغي أن يحكم بتكفيره بشرط .

قال منصور الدميري - شاعر هارون الرشيد - :

لا شك عندي في كفر قائه الكفى قد أشك في الخادل  
يقتل درية السبي ويرجون حان الخلود للقائل  
تذكرني هذان البتان مارواه الدميري - في حياة الحيوان - : من  
أن سبانيا باتت لنبي ﷺ وورؤوس ذريته لما مروا بهم في طريقهم إلى الشام  
على دير في البيداء ، وجدوا مكتوباً على حائط الدير هذا البيت :  
أترجوا أمة قتلت حسناً شفاعته جده يوم الحساب  
فألوا الرهب عن كتاب هذا الدت فقال أنه مكتوب هنا قبل أن  
يبحث نبيكم بحمالة عام ، وقيل إن الجدار انشق فظهرت كف مكتوب  
فيها بالدم هذا البيت .

هذا يزيد أمير أمية وحليفها ، وهذه بعض جرائمه وآثامه ولو  
أردت استيفاء ما نقل عنه في مدة إمرته القصيرة لصاق في المجال ويكفي منها  
هذا المختصر لبيان أن أمية لم يكن لها عرص إلا هدم الإسلام ، وهدمه لإطال  
بوه محمد وهدم العروة ، وأنه لم يهم أمية إلا الانتقام من بني عبد العروة على

أساس الإسلام ، وأخرجها من الدل . وصير دعاه إلهها ملوك الأرض  
هذه أمة وهذا أسبا يزيد . يريد هذا هو الذي نصبه معاوية أبوه  
لخلافة المسلمين ، وأمره على شيوخ الأنصار والمهاجرين وصحابة رسول رب  
العالمين ، وتفحم في سبيل ذلك الهلكات ، وهدم بسنه أساس الإسلام ،  
وعصل جميع الأحكام . إذ لم تكن الخلافة قبل ذلك إرثاً وإملاكات بالنص  
أو بالشورى ، خالف معاوية الإسلام وجميع المسلمين وجعلها إرثاً وملكا  
عضوياً .

يقول الشيعة : يجب أن يكون الإمام معصوماً لا يخطأ في الحكم على  
الرعية ، ويسوقهم إلى الردى والحيف والهوى . ولا يعرف ذلك إلا حاقق  
البرية ، فهو لدى نصب خلفه إماماً هادياً مقيماً للحدود والشرايع ، كما يرسل  
لهم نبياً نبياً نبيراً وديراً

ويقول أهل السنة : الخلافة بحسب الأئمة أصلهم وأقوامهم على  
الحكم وإقامة شعائر الإسلام .

ويقول معاوية : لا هذا ولا ذاك ، وإماماً هو أبى يزيد شارب الخمر  
ورأس الفجور . ناكح الأمهات والأخوات والعلمات ، هو ابى يتأمر  
على شيوخ المهاجرين والأنصار . فهل هذا إلا سوق للعروة إلى دار البوار  
يهدم أمثله أسس الإسلام . لحسب معاوية في دعوته إلى أنه يريد وأخذ البيعة  
له من المسلمين كرهاً قول النبي ﷺ فيها أخرجهم الخاكم - في المستدرك -  
أنه قال . : من استعمل رجلاً من عصابة وفيهم من هو أرضى منه فقد خان  
الله ورسوله والمؤمنين ، . وما أخرج به البخاري - في صحيحه - من  
قول النبي ﷺ : : عامس وال إلى رعية من المسلمين فيموت وهو عاش لهم  
إلا حرم الله عليه الجنة ، وأي غش للمسلمين أعظم من نصب يريد على

كفره وصدقه وعداؤه للإسلام حليفة عليهم وفيهم من هو أرضى الله منه ومن أبيه ومن كثير من المؤمنين . فيهم حيرة الصحابة ، وبقية الأنصار والمهاجرين والديين . فيهم عند الله بن العباس ، وعند الله بن جعفر ، وعند الله بن عمر . فيهم أولى الناس بالخلافة - ريمانه . سر الله ، وسيد شباب أهل الجنة - الحسين عليه السلام . أي خيانة الله ورسوله . وغش للإسلام والمسلمين أكبر من كره معوية خيرة الصحابة على البيعة ليريد .

ذكر المؤرخ بن قتعة في كتابه - الامامة والسياسة - من أمر معاوية وإكراهه الناس على البيعة ليريد ، ونصح أهل التقي والرأي من المسلمين له في ترك ذلك ، وذكرهم أن لقرآن والسنة يمان من تلية يزيد ، ومثله ذكر سائر المؤرخين . إلا أن معاوية لم يمتنع ، ونصح الناصح ، ولم يزد إلا عتوا وغرورا لحاء المدينة وجمع العبادلة - عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر - وعند الله بن عمر وعبد الله بن الزبير - وكلهم في ذلك ، وذكر أنه لم يحصر الحسن والحسين ( ع ) إلا لأنهما يسألهما ، فأظهر له اجماعة كراهتهم هذا الأمر وردة ابن عباس . وقال عبد الله بن جعفر بعد الحد والنساء :

« أما بعد فإن هذه الخلافة إن أخذ فيها بالقرآن ، فأولوا الأرحام بعضهم أولى بعض في كتاب الله ، وإن أخذ فيها بسنة النبي ﷺ رسول الله ﷺ فأولوا رسول الله ، وإن أخذ فيها بسنة الشيخين - أبي بكر وعمر - فأوى الناس أفصل وأكمل وأحق بهذا الأمر من آل الرسول ، وأيم الله لو لم يبعدهم الله لو وضعوا الأمر مرصعه لحقه وصدقه ولأطبع الله وعصى الشيطان ، وما اختلف في الأمة سيمان . فائق الله بالمعاوية فإنك قد صرت راعياً ونحن رعية . فأنظر لعيتك ههنا مسؤول عنها عدداً وأما ما ذكرت من بي عبي وتركك أن تنحصر من هو الله ما أصبت الحق ولا يجوز لك ذلك إلا بهما ، وأنت

تعلم أيهما معدن العلم والكرم ، فقل أودع واستعفر الله لي ولكم .  
 ونصح ابن الزبير وذكر له فضل الحسين والعبادة ، واستحقاق يريد  
 الخلافة ومن في الأمة . وحكمه من نفسه ، وتكلم معه ابن عمر بمثل هذا  
 وكذلك ابن عباس . لكن معاوية لم يصغى لصحبه ولم يردد إلا عتوا وغرورا  
 فقام وأخذ البيعة من أهل المدينة بالقهر والسطوة وإحافة والتوعيد ، وبايع  
 الناس إلا هؤلاء والحسين عليه السلام ومن تابعه من بنى هاشم خلا معاوية سراحهم  
 ولم يجبرهم إلى أن هلك ، فأوصى بعله يريد أن يأخذ البيعة منهم قهراً .

## نظام القتال عند محمد ﷺ

إن القتال في سبيل الله فريضة شاقة . ولكنها فريضة واجبة الأداء . واجبة الأداء لأن فيها حيراً كثيراً للفرد المسلم . وللجماعة المسلمة ، ولل البشرية كلها ، وللحق والخير والصالح .

والإسلام يحسب حساب الفطرة ، فلا ينكر مشقة هذه الفريضة ، ولا يهون من أمرها . ولا ينكر على النفس الشربة إحساسها الفطري بكرامتها ونقلها . فالإسلام لا يمارى في الفطرة ، ولا يصادمها ، ولا يحرم عليها المشاعر الفطرية التي ليس إلى إنكارها من سبيل . ولكنه يعالج الأمر من جانب آخر ، ويحيط عليه بوراً جديداً . . إنه يقرر أن من الفرائض ما هو شاق مرير كره المذاق ، ولكن وراءه حكمة تهون مشقته ، وتوسع مرارته ، وتحقق به حيراً مجبواً قد لا يراه النظر الإنساني القصير . عندئذ يفتح للنفس الشربة نافذة جديدة تطل منها على الأمر ، ويكشف لها عن راوية أخرى غير التي يراه منها نافذة تهب منها ريح رحمة عندما تحيط الكروب بالنفس وتشق عليها الأمور . . إنه من يدري قلعل وراء المكروه خيراً . ووراء المحبوب شراً . إن العليم بالعاليات البعيدة ، المطلع على العواقب المستورة ، هو الذي يعلم وحده حيث لا يعلم الناس شيئاً من الحقيقة .

وعندما ندسم تلك نسمعة الرحمة على النفس البشرية تهون المشقة . وتنفتح  
مناهل الرجاء ، وتستروح القلب في الهاجرة ، ويمنح الى الطاعة والأداء في  
يقين وفي رضا .

هكذا يواجه الإسلام الفطرة لا مكرأ عليها ما يطوف من المشاعر  
الطبيعية ، ولا مريداً لها على الأمر الصعب مجرد التكليف . ولكن مريباً  
لها على الطاقة ، ومفسحاً لها في الرجاء . لتبدل الذي هو أدنى في سبيل الذي  
هو خير . ولترتفع على ذاتها متطوعة لا مجبرة ، ولتحس بالعطف الأعلى  
الذي يعرف مواضع ضعفها ، ويعترف بمشقة ما كتبت عليها ، ويعتذر لها  
ويقدرها . ويحدو لها بالناسى والتطلع والرجاء .

وهكذا يرى الإسلام الفطرة . فلا تمل التكليف ، ولا تخرج عند  
الصدمة الأولى ، ولا نحور عند المشقة ابداً ، ولا تحلل وتهاوى عند  
انكشاف ضعفها أمام الشدة . ولكن نبت وهي تعلم أن الله يعتذر لها ويمدها  
بعموه ويقويها . وتصمم على المضي في وجه المحنة ، فقد يكس فيها الخير بعد  
الصر ، والبسر بعد العسر ، والراحة الكبرى بعد الصى والعناء . ولا تنهالك  
على ما تحب وتلتذ . فقد تكون الحسرة كاملة وراء النعمة او قد يكون المكروه  
مختبئاً خلف المحبوب . وقد يكون هلاك مريضاً وراء المصنع البراق .

انه من منح في القرية عجيب منح عميق بسيط . منح يعرف طريقه الى مسارب  
النفس الانسانية وحناياها ودروبها الكثيرة . بالحق والصدق . لا بالايحاء  
الكاذب ، والتنمية الخادع . فهو حق أن تنكره النفس الانسانية القاصرة  
الضعيفة أمراً ويكون فيه الخير كل الخير . وهو حق كذلك أن تحب النفس  
أمراً وتنهالك عليه ، وفيه الشر كل الشر . وهو الحق كل الحق أن الله يعلم  
والناس لا يعلمون . وماذا يعلم الناس من أمر العواقب ؟ وماذا يعلم الناس

بما وراء الستر المسدول ، وماذ يعلم الناس من الحقائق التي لا تخضع للهوى والجهل والقصور ؟

إن هذه اللمسة الرمزية تفتح أمامه عالماً آخر غير العالم المحدود الذي تنصره عيانه . وتبرر أمامه عوامل أخرى تعمل في صميم الكون وتقلب الأمور ، وترتب المواقف على غير ما كان يظنه ويتمناه . وإياها لتركه حين يستجيب لها طيعاً في يد القدر ، يعمل ويرجو ويطمع ويخاف ، ولكن يرد الأمر كله لليد الحكيمة والعلم الشامل . وهو راضٍ قدير . إنه الدخول في السلم من باب الواسع . ثما تستثمر النفس حقيقة السلام إلا حين تستيقظ أن الخيرة فيما اختاره الله . وأن الخير في طاعة الله دون محاولة منها أن تجرب رهاو أو تطلب منه البرهان ! إن الادعاء الوائق والرجاء الهادئ . والسعي المظمى . هي أبواب السلم الذي يدعو الله عباده الدين آمنوا ليدخلوا فيه كافة وهو يقودهم إليه بهذا المنهج العميق البسيط ، في بروى هوادة وفي رحاء . يقودهم بهذا المنهج إلى السلم حتى وهو يكلفهم فريضة لقتال . فالسلم الحقيقية هي سلم الروح والضمير حتى في ساحة لقتال .

إن هذا هو المسح التزوي الذي يأخذ القرآن به النفس الشرية لتؤم وتسلم وتسلم في أمر انبياء المنجزة ، بعد أن تعمل ما تستطيع في محيط الذي المكشوف .



هل عرف ذلك حصص الإسلام قبل أن يكيلوا له الكيل ، ويرددوا قولهم بأن الإسلام إنما شق طريقه بالقوة ، وانتشر بحد السيف ، واستقر في البلاد المفتوحة بالقهر والاجبار . وأغلب الظن أن هذا الرعم وليد العصر الحديث ، إذ كان من هم الاستعمار الغربي للعالم العربي والإسلامي أن يزول

عقيدته ويقوص حصنه الذي عر على الخطوب ، وقهر القوى كلها .  
وقد انقسم المسلمون في تعيد هذا الرعم الى فريقين : فريق قليل لم يجد  
على الاسلام غضاضة في أن يجبر الناس على اعتناقه بالسيف ، لأنهم أصحاب  
صلالة وعناد وشروع توشك أن تقضى عليهم . فلا تثريب عليه في أن يضطرم  
بالقوة لي ما فيه خيرهم ورشادهم ورفيهم . فهو كالمر في الحارم المحلص لاندوحة  
له عن التوسل بالقوة إذا وجد من يريهم إصراراً على المعصية ، وتمادياً في  
العوابة .

وفريق آخر أكثر عدداً وأقرب الى الصواب لم يطعنوا الى هذا الدفاع  
وجعلوا يستمدون من القرآن والسنة ما يست أن لاسلام لا يعرف الاجار  
والاكراه على اعتناقه . ويستدلون على بآيد هذا تاريخ الأمم المفتوحة  
أما طريقتنا في الرد والكشف عن الحماد الاسلامي فتقوم على  
تبع الأحداث والكشف عن بواعثها . والاعتماد على القرآن والحديث  
وتاريخ البلاد التي فتحها لمسلمون . ثم نمرح بها ونعقب عليها بشهادات من  
المسيحيين أنفسهم . ونعقد موارد من سماحة الاسلام ، وسماحة المسلمين  
في معاملة المخاريين من خصومهم . وبين قسوة اليهود والمسيحيين وغيرهم في  
التكيل بأعدائهم ، والنصيق عليهم في كل ناحية من بواحي حياتهم ، لمخلص  
من هذا كله الى أن الاسلام رى بما اهتموه به ، وأنه دين رحمة وسلام ،  
كما أنه دين قوة أيضاً حيث تلتبس القوة لصيانة العقيدة وحماية الأرواح .

### حالة العرب قبيل الاسلام :

كان العرب في العصر الجاهلي يحيون حياة قبلية . لا يهدأ فيها القتال إلا



ريثاً يأنهون لقتل آخر . ومن شأن نظام مثل هذا أن يقطع الأوصار ،  
ويزلزل السكينة ، ويعرّض عن القدم ، ويقضى على الناس . له إمتن الله  
عبيهم بالاسلام انسى أسيام من الماء في قوله تعالى : « وكنت على شفا حفرة  
من النار فأبقيكم منها » وكان المجتمع العربي يدير أكثره بالوثنية ، وتنشئ  
فيه أمراض اجتماعية شتى ، كالحر والميسر والسلب . وبعض قبائل من هذا  
المجتمع كانوا يثدّون السات بحافة الفقر أو السى في الحرب

وفي تاريخ العرب ما يبيّن أن بعض عقلائهم مسحوا هذه الأحوال ،  
والتمسوا ما يحفظها أو يلطّونها . يدل على ذلك ظهور جماعة سموها بالحففاء ،  
طلبوا الحقيقة الدينية ، وهاجروا إلى البلاد في التماسها . ويدل على ذلك  
أن بعض العرب حرم الحر عن نفسه . وأن بعض سرائرهم تعاهدوا على دفع  
الظلم وإبصار المظلومين في حلف المضيل . وقد شهد رسول الله ﷺ  
هذا الحلف في دار - عبد الله بن جدعان - وقال عنه : « لقد شهدت حلفاً  
في دار بن جدعان ، ما أود أن لي به حم العم » .

هذا النطلع من بعض العرب كان إشتراكاً لحياة أرقى وإعداداً لمهياً  
لظهور الاسلام . وتربية إحتجاجية ودينية وسياسية ، لأن يبعث من الجزيرة  
العربية رجالاً يحملون رسالة يحاهدون في نشرها ، ويفدون بها بالأموال  
والدماء والأرواح .

### مقاومة المشركين للدعوة :

جاء محمد - ﷺ - بدين جديد . ينشئ مجتمعاً مثالياً في عقيدته  
وعبادته ووطنه . ويعلم كثير أمما أحرره من عبائهم ووطنهم وأحلامهم

وعادانهم وأحد يدعو إلى الإسلام سراً . فأمر به بعض المقربين إليه ،  
فلما أرداد عددهم حهر بالدعوة ، فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ،  
١ - حينئذ تصدى له المشركون من قريش ، يكذبونه ويؤذونه ، وهو  
يصبر على الأذى والكذب ، ويبين لهم مافى دعوته من حق وحير . ثم  
تحداهم بالقرآن ، أن يأتوا بسورة من مثله ، فإذا عجزوا كان عجزهم برهاناً  
على أنه من عند الله ، وأنه نبي مبشور اليهم بهذا الدين الجديد .

فهل قدروا أن يأتوا بسورة أو بعض سورة ؟ لا . وهل صدقوه ؟  
لا . بل تحدوا في عنادهم واستكبارهم . فرموا النبي بالكذب والجنون والسحر  
كما حكى القرآن الكريم عنهم في قوله تعالى : « وقال الذين كفروا إن هذا  
إلا إماتة افتراه . وأعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلماً وزوراً . وقالوا  
أساطير الأولين اكتتبها ، فهي تملى عليه بكرة وأصيلا » . وفي قوله تعالى  
: « وقال الذين كفروا للحق إما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين » . وفي قوله  
تعالى : « وإن يكاد الذين كفروا ليراققوك بأنصارهم لما سمعوا الذكر ،  
ويقولون إنه لمحذون » . واستكبروا أن يعبدوا الله كما يدعومهم محمد إلى عبادته  
« وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ؟ أنَسِدْ لِمَا تَأْمُرُنَا وَرَادْهُمْ  
فَعُورًا » . وطالوا إلى <sup>بمعجزات</sup> ~~بمعجزات~~ تدل على تعنتهم وإصرارهم على  
الكفر . قال تعالى : « وقالوا لن يؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض  
ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار سجلاً لها تفجيراً ،  
أو تسقط السماء كإرغمت علينا كسفاً ، أو تأتي بالهالة الملائكة قبيلاً ، أو  
يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى في السماء ، ولن يؤمن لرفيقك حتى  
تزل علينا كتاباً نقرؤه » . قر : سبحان ربي . هل كنت إلا بشراً رسولاً .  
وعجزوا من أن يكون الرسول رجلاً منهم يأكل كما يأكلون ، ويمشي

كما يمشون لا يصاحبه ملك من السماء يده في دعوته ، وليس له كبر من المال يعنيه ويدل على رسالته . وايمست له حديقة مثلهم تدر عليه الخير .  
 وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ، أو يلقى إليه كبر ، أو يكون له جنة يأكل منها .  
 وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً .

لكن الذي ﷺ صبر على تكذيبهم وسوء انهامهم ، وألم إعانتهم وأمره الله أن يقول لهم . « إن أبايلا نذير ونذير لقوم يؤمنون » . كانت الدعوة تشق طريقها الى القلوب بقوة الدائية ، وسموها الإجتماعي . وكلما اردادت الدعوة ذيوها اردادت قريش حقاً على أبي وعلى من أسلموا لها الذي أحقق قريشاً ؟

لم يكن من سب لحقهم إلا الأنفة من أن ينهوا رجلاً منهم يطلع عن ربه : والخشية على مكانتهم السياسية والإجتماعية والإقتصادية أن يقوصها هذا الدين الجديد الذي يدعو الى نظم سامية لم يألوها ، وإلى مساواة عادلة لم يطبقوها ، وإلى عقيدة نقية لاسلطان فيها للأصنام وسدة الأصنام . فلما أعتبهم الحيلة في ماعصة الإسلام لجأوا الى أحط أرواع الخصومة .

٢ - اضطهدوا المسلمين - فأخذ كل رجل يعذب من أسلم من عبيده عذاباً أليماً ، وأخذت كل قبيلة تسكل عن أسلم من أهلها تكيلاً .  
 حدثوا أن - أمية بن خلف الحمصي - كان يطرح عبده بلالا على بطنه مكة إذا حميت الطهيرة . ثم يصع الصحرة المظيمة على صدره ويهدده بأن يلقى هكذا الى أن يموت أو يكفر بمحمد ويعبد اللات والعزى .

وحدثوا أن بني مخزوم - كانوا يخرجون نهار بن ياسر وأبيه وأمه إذا حميت الشمس . فيلقونهم على الرماح والصحود المظلمة . لتحرقهم الحرارة

من فوقهم ومن تحتهم . وكان رسول الله ﷺ يرثيهم فيقول . صبرا آل يامر . ثم وعدكم الجنة . وسع بهم خير ونهم أن قتلوا أم عمار . لأنها رفضت أن ترجع عن الإسلام . وكان أبو جهل يؤثب الرجل ويحقره إذا أسلم ، فإن كان صميماً صر به ، وحرص عليه السفهاء . وإن كان فاجراً أخذ به كساد تجارتها وخسارة ماله .

٣ - ولم يسلم النبي من عدوانهم وعداوتهم - وهم أهله . وبو هاشم وسو عبد المطلب يحمره - فكان أبو جهل يتربص به حتى يراه يصلي فيرميه بالقذارة . فيحتمل الأذى في صبر . ويذهب إلى بنته فاطمة لتطهر ثوبه . بن لقد طفت القفحة والحقده الحسد - لعقبة بن معيط - أن تربص للنبي حتى يتعد فرطه . عنقه . حدث النبي في يوم بدر بقوله : . منه وطىء على عنق وأنا ساجد . فارتفعت حتى طنت أن عيني قد سقطت . وكان - الحكم بن العاص - يتربص للنبي ويشتمه . ويمشي . راءه ساحراً منه . ويحلب أنفه وفه ربه في السخرية . وكانت أم جميل - ربه أذى لط - تاتي الأفئدة عامدة أمام بيت الرسول . وتزبها نفسه .

ولقد عزم - أبو جهل - أن يضرب النبي بالحجر وهو ساجد ، وشجعتة قريش على عزمه . وعاهدته أن تحميه من بني هاشم وبني عبد المطلب . فلما حمل الحجر ليضرب به النبي ارتد ولم يفعل . وعاد إلى قومه ، فسأله : لماذا لم تضربه ؟ فقال : رأيت كأن حملاً عظيماً صخم لرسول والآيات لم أر مثله قط يهجم على ليأ كأي .

٤ - فلما ضاق النبي ﷺ بما يبرل بالمسلمين من تعذيب ، وعز عليه أنهم صغفاء لا يقرون على رد العذاب عن أنفسهم . أمرهم بالهجرة إلى الحبشة حتى يجعل الله لهم مخرجاً لهم فيه . فخرج منهم فريق إلى الحبشة بحماهم

وحوها على دينهم . فمن تركتهم قريش وشأنهم ؟ لا . فقد حدث في أن تستردهم ، فبعثت مندوبين إلى الحبشة ومعها هدايا للنجاشي وصارفته ، وطلبوا من النجاشي أن يرد هؤلاء التقوم الدين استدعوا ديباً لاهو دين العرب ، ولا هو دين النجاشي . لكن النجاشي لم يوافق على إرجاعهم ورفض الهدايا . ه - عاد مندوبوا قريش - عبد الله بن أبي ربيعة وعمر بن العاص خائبين وبطل تدير قريش .

وفي هذا الوقت كان قد أسلم بطلان من أبطال قريش ، وهما - حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب - هزمت قريش رأسها ، وتعاهدت على مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب ، فلا يزوجهم ولا يتزوجون منهم ، ولا يبيعهم ولا يشترون منهم . وكتبوا هذه المعاهدة في صحيفة . وعلقوها في الكعبة ، تركيذاً لها وحصاً على العنبر بها . وكان المرض من هذه المقاطعة الحصار الإقتصادي والاجتماعي والمدني . وتعويق سبل الحياة أمام المسلمين وجعلهم متبوعين بجناء حتى يموتوا جوعاً وهماً . وصطبر بنو هاشم وبني عبد المطلب على هذا الاصطهاد سنين أو ثلاثاً . أنفق فيها أبو طالب ماله ، وأنفق خديجة ماها ، وشعروا جميعاً بآلام الحصار وصيق المقاطعة ، غير أن الرسول لم يكف في هذه الصائفة عن الدعوة إلى الإسلام ثم دعا بعض عقلائهم إلى نقض المعاهدة الحائرة ، فقضت .

٦ - إشتد أدى بعض المشركين للرسول بعد وفاته عمه أبي طالب ( ره ) فاتمه إلى ثقيف بالطائف ليدعوه إلى الإسلام ، ويلتمس منهم النصرة ، فلم يستجيبوا له ، بل لقوا دعوته بالاستهزاء ، وأعروا سفهائهم وعبيدهم ليسوه ويصيحوا به ، فعرض الدعوه في موسم الحج على جماعة في المدينة فأسلموا ، وناجوه على أن ينصروه إذا هاجر إليهم .

ومن هنا بدأ الإسلام يجد بثته الحرة ، فطار صواب قريش لما علموا بمخالفة الأوس والخزرج للرسول ، فتآسروا على اغتياله ، واجتمعوا في دار الندوة للتشاور فأشار بعضهم بحبه ، وأشار آخرون بنفيه ، وأوعز بعضهم بقتله ثم انتهى بهم الرأي إلى أن يجمعوا من كل قبيلة شجاعاً يعطى سيفاً صارماً ليضربوا محمداً ضربة رجل واحد ، فيغرق دمه في القتائل ، فلا يستطيع بنو عبد مناف أن يحاربوا العرب جميعاً .

فكيف بما إلى من تديرهم ؟ أوحى الله إليه ، فهاجر إلى المدينة ، وبها من الشر الذي دبروه ، وإذ يملكك الديار كفروا ليشتوك أو يقتلوك أو يهزجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين .

٧ - إلى هذا الطور نرى أن الدعوة الإسلامية قد شقت طريقها في مكة وفي المدينة ، وهي صاعدة لا تقوى على المقاومة ، لأنها ليس لها من سلاح إلا الحق والخير والعدل .

وهذا تبين أن المجتمع الإسلامي الأول قد اعتمد على حقه الطبيعي في أن يدين بالعقيدة السامية ، إذ أنه تسليح بحبونه وإخلاصه وصبره وثباته في مقاومة الكفار وطفانهم .

### إصطرار المسلمين إلى الحرب

هاجر النبي وبعض أصحابه إلى يثرب ، فرأى من الأدنى ، أهل سلمة من قريش ؟

لقد ازدادت عصاة لهم ، وتحرشاً بهم ، وتديراً للتقصاء عليهم في دارهم الجديدة ، واستهالت العرب ليقصوا معها على الإسلام والمسلمين .

### في اللعيب ١

المسلمون يدعون إلى الحق والخير في غير من ولا إستعلاء ولا طمع في عرض من أعراض الدنيا ، لكن المشركين يهجرون عليهم ، ويصدون الناس عن سبيلهم ، ولا يعترفون لهم بحق الحياة ، وبحق الحرية في العقيدة ، وفي العبادة وفي العمل ، بل ياصبر بهم العدا . فهل يسلك المسلمون سبيلا غير النضال عن أنفسهم ، بعد أن ماضوا بحقهم باطل خصومهم ، وكافروا بخيرهم شرور أعدائهم ؟

لا . إن المسلمين مضطرون إلى الدفاع عن عقيدتهم وعن وجودهم . وهكذا تابعت بين المجتمع الإسلامي الحديث ، وبين ماحولة من مجتمعات وثنية أو كتابية موجات من الهجوم ومن الدفاع وسعرض لبعض هذه الموجات ، لتبين منها الهجوم الكافر الفادر ، والدفاع المؤمن السيل . وستوخى فيما نعرض ما يتصل بموضوعنا من بواض الحرب في إيجاز كاشف .

### أسباب غزوة بدر

أعلب الظن أن النبي ﷺ أراد تعرضه لقافلة قريش أن يقرع أسماعها ويفتح غيرها لتوادعه موادعة تقيه وتقيها شرور العداوة المستمرة ، وتكفل له أن يدعوهم وأتباعه إلى الإسلام ما وجدوا إلى الدعوة سبيلا ، وتكفل لقريش أم طريقها إلى الشام ، وأمدد والرواح بقوافلها المنقمة بالعروض والملك .

وإذا كان النبي ﷺ لا يستطيع أن يحتس الدعوة ، ولا يطيق أن يعوقها

معوق عن الديوع والإستقرار ، فإن قريشاً لاتستطيع أن تكف عن رحلتها  
الى الشام ، ولا تطيق أن تقيم في مكة بغير غدو ورواح  
وكيف تصبر قريش على انقطاع قوافلها عن الشام وهي مصدر تراثها  
وقوام حياتها ؟

لقد كانت مكة المستودع لتجاره الجنوب القادمة من الهند والحشة واليمن  
وكانت تحملها الى الشام في كل عام في ألى بعير . وقد قدرها المستشرق -  
اسبرجر - بنحو مائة وستين ألفاً من الجنيئات الذهبية . فإذا أيقنت قريش  
أن المسلمين في المدينة سيقطعون طريقها الى الشام ، ويتزصدون لها في ثناياه  
اصطرت الى مصاخرهم أو موادعتهم . فكذلك من ذلك إطمئنانها على مورد  
ثروتها وروح المسلمين اطاعتهم على عقيدتهم وبشرها بين الناس ، واطمأؤ  
الى حريتهم في دخول مكة رواراً وحجاجاً .  
ولاذن لم يكن بد من إرهاب قريش بالقوة بعد أن عجزت وسائل السلام  
عن اجتذابها الى التفاهم والوئام .

والحق أن النبي ﷺ لم يكن يريد الحرب ، ولم يجرح لبيداه غير  
قريش بالعدوان ، وإنما كان يريد إرغام قريش على أن تكف عن مناوآته ،  
أو تتخذ لقوافلها بين مكة والشام طريقاً آخراً ، حتى يطمئن المسلمون الى أن  
قريشاً لن تفاجئهم بالهجوم تأمياً لطريقها الحيوى الذى تقوم حياتها عليه .  
وعلم أبو سفيان أن المسلمين يتزصدون طريقه ، فعدل عنه . وسار  
على ساحل البحر مصرعاً ، بعيداً عن الطريق المعتاد . وبهذا نجحت القافلة  
كلها . لكنه قبل أن يستوثق من نجاة القافلة حتى من المسلمين ، لأنه يعلم  
أنهم موبورون من قريش ، إذ عدتهم ، وطردتهم من وطنهم - مكة -  
وصادرت أموالهم وأملاكهم ، فبعث الى قريش في مكة - صمصماً العفارى -



ليجبرها أن عمداً وأصحابه قد تصدوا للقافة فلما وصل حصصهم إلى مكة أراد أن يثير قريشاً بوسائل الإستقرار والنهويل ، فقطع أفع بعيره ، وشق قيضه وصاح ( اللطيمة اللطيمة ) - أى إدركوا الإبل التى تحمل التجارة - وما أن دوى صياحه في مكة حتى استجابت له قريش ، وتجهزت لرحيل ، وحرص سبيع بن عمرو - أحد التجار الأغنياء - كثير آ من الناس على الخروج للقتال ، ومدهم بالمدل والسلاح . والحق أن العير كانت قد نجت ولم يتعرض لها المسلمون بشر وكان أرسفان قد إطمأن إلى بجانها ، وحاف سوء العاقبة من صدام قريش والمسلمين ، فأرسل إلى قريش يقول لهم إنكم قد خررتم لنحموا عيركم ورجالكم وأموالكم ثم نجت ونجوا فارجعوا . ووافقه على آية عدد كبير ، مكى - أما حمل - أصر على ألا يرجعوا وصاح . والله لا يرجع حتى رد ديراً فقيم عليه ثلاثاً بحر الحرر ، ونظم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعرف عينا القيان ، وتسمع من العرب ، فلا يزالون يهابونا أبداً .

فلما سمعه القوم ترددوا بين الرجوع والإقدام ، وخشوا أن يتمموا بالخين إذا رجعوا ، فلم يرجع إلا سورهرة ، أما الباقر فقد ساروا ليحتاروا مرة لا للقتال وما يقتضيا الإلصاق لمحب من إصرار قريش على الحرب بعد أن نجحت عيرها ، ومد أن أشار عليهم رئيس العير بأن يعودوا .

لقد كان المطلق سليم يقتضيه أن يستجيبوا إلى دعوة أفع مغيان ، وأن يعودوا إلى مكة وحين بأموالهم أى أهدت من أبدى المسلمين ، وفرحين برجاهم الدين بجو دمر قال ولكنها قريش أما عليها عداؤنا لمحمد وأصحابه إلا أن تصطدم بهم حيث لا يحال للصدام

وطل إلى ﷺ حريصاً على حق الدماء ، فأوصى المسلمين ألا يقاتلوا

حتى يآذن لهم ، وأوصاهم ألا يقاتلوا أناساً سماهم لهم ، لأنهم أخرجوا مع قريش كرهاً . فلما لم يجد بداً من القتال قاتل مصطراً ليحمي نفسه وأتباعه وشاء الله أن ينتصر المسلمون في غزوة بدر . . آذن الذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وأن الله على بصيرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، إلا أن يقولوا ربنا الله . .

### أسباب غزوة أحد :

لم يكذب عيسى على موقعة بدر عام وبمض عام حتى استغفرت قريش العرب وزحف على المدينة جيش ضخم ، ليثأر من المسلمين ، وليقضى على المجتمع المثالي في المدينة ، وسخا أغنيوهم بالمال لتجهيز المحاربين ، إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فدينقونها ثم تكذب عليهم حسرة ثم يعلمون . . فاضطر النبي أن يدافع عن المدينة ومصلحتها ، وانتصر المسلمون في أول المعركة ، ثم خالف الرماة أمر الرسول فانهزموا . ولم تشف الهزيمة حنق قريش وحلفائها ، فتوعدوا النبي بحرب أخرى بل فكروا أن يكرروا على المدينة عقب النصر ، لولا حيلة بارعة دبرها المسلمون إذ أومموا أنهم جمعوا جمعهم لينقموا ، وخشى المشركون أن ينتصر عليهم المسلمون فانجهوا إلى مكة .

وما من شك في أن المسلمين حزبوا ، فجاءهم الدراء في قوله تعالى : . إن عيسىم قرح فقد مس القوم قرح مثله . . وتلك الأيام بدا أولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ، ويتخذ منكم شهداء . والله لا يحب الظالمين ، وليمحص الله الذين آمنوا ، ويمحق الكافرين . أم حسبهم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم

الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين . .

أسباب غزوة الخندق .

شجع اليهود قريشاً على غزو السبي . وأثارت قريش قبائل شتى من بني أسد ، وبني فزارة ، وبني مرة والشجع ، وخططان ونجمع الخلفاء ليضربوا المدينة الصرية الفاضية وعلم المسلمون فتحصنوا بمدينتهم ، ولم يبادئوا أحداً قتال ، واكتفوا بأن حفر واحول مدينتهم خندقاً يحول بينهم وبين المهاجمين .

وكانت قريش في شهر الحصار تتحرش بالمسلمين وتستفزهم ، ثم يس المعتقدون من دحول المدينة وانقسموا على أنفسهم ، فرجعوا بغير قتال ، فضلاً من الله على المسلمين ونعمة ، . يأياها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فارسلنا عليهم ريحاً وحوذاً لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيراً . إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنوما ، هنالك انتفى المؤمنون ورلرلوا رلرالا شديداً . .

أسباب فتح مكة :

خرج رسول الله ﷺ في جماعة من المسلمين سنة ٦ هـ ليعتمر وليعلم العرب جميعاً أن الإسلام يحل الدت الحرام أكثر مما يحلونه ، ويبقى على الثمائر الصحيحة التي يمارسونها ، فيكسب الإسلام عطف بعض حصومه ويزيل ما ألصقته به الدعاية المعرصة الحادثة .

ومن ذا الذي يحول بين المسلمين والبيت الحرام؟ انه بنت العرب من مسدين ومشركين ، بل إن للسليين فيه حقاً أعظم . وليس لقريش أن تصد عنه فريقاً من أبنائها شرح الله صدورهم للإسلام ، مادام هذا الفريق لا يبعي لقريش عدواً ، ولا يستذلها في الوصول إلى البيت الحرام .

واجتهد النبي ﷺ في أن يمحى ما قد ينسرب إلى نفوس قريش من سوء الظن . فأعلمهم منذ حروجه بلعمره أنه ينبغي سلاماً لاحتصاماً ، وأنه لا يسعى لحربهم ، وإنما يريد أن يزور الكعبة . ثم حقق فعله قوله إذ حرح هو وأصحابه لا يحملون من السلاح إلا ما يحمل المسافر ، وساءل أهدي أمامهم إلى فقراء مكة غير أن قريشاً الخائفة لم تسالم من سلمها ولم ترد أن تترك للسليين الحرية في زيارة البيت الحرام ، فبدأت فوائها الحرب إلى .

وكان نذيرها إلى الحرب أن أرسلت مائتي فارس طليعة لها ، ليصدوا المسلمين عند عسفان - على مرحلتين من مكة - فلما علم إلى ﷺ هذا قال : « يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو حلوا بيني وبين سائر العرب ، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا الإسلام وأقرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ؟ فوائه لا أزال أجاهد على أئدي نعمتي الله به حتى يظهر ذلك ، أو تنفرد هذه السالفة » .

وحرص النبي على السلام ما وجد إلى السلام سبيلاً ، فأمر أصحابه أن يعدلوا عن طريق الفرسان حتى لا يلحقهم الفريقان ، فساروا إلى أن بلغوا الحديبية - على مرحلة من مكة - فزولوا بها . حينئذ كرر إلى رغبته في حقن الدماء بقوله . « والذي نفس محمد بيده لا تدعون قريش لخصلة فيها صلة لرحم إلا أجتهم إليها » .

ثم سافر الرسل بيه وبين قريش ، نالين عنه أنه لا يريد إلا زيارة البيت وأنه يؤثر أن تكون بينه وبين قريش هدنة لا حرب فيها ، لكن قريشاً رفضت وسخرت بعض السفراء .

ثم بعث النبي ﷺ سفيراً من عنده هو - عثمان بن عفان - ، فأبت قريش أن تجيبه إلى ما عرّض عليها من سلم ، واشتدت في حنقها ، فحبسته عندها ، وهي تذكر أن النبي لم يحتجز سفيراً من سفرائها الثلاثة الذين أوفدتهم إليه فرادى .

وفي هذا الوقت أرسلت خمسين رجلاً ليطوفوا بالمسلمين ، لعلمهم أن يصيبوا منهم غرة . فما رى هؤلاء النبل والحجارة في عسكر الرسول أسرم حراس المسلمين ، وأتوا بهم إلى الرسول ، ففعا عنهم وحلّ سبيلهم ومهدا كاه أعلى النبي ﷺ مرات إيثاره للسلام في صراحة لا موارد فيها ولا خديعة من ورائها .

وسرعان ما ذاع بين المسلمين أن عثمان قد قتل ، فلم يجد إلى بدا من الاستعداد لمحاربة قريش بعد أن يش من سلمهم ، ويش من جدوى التسامح معهم ، فكانت بيعة الرضوان .

عرفت قريش أن المسلمين قد اعترفوا على الحرب ، فلات بمصر اللين . وأرسلت بشرطها بدوادة وهي :

- ( أ ) بين قريش ومحمد هدنة لا حرب فيها مدتها عشر سنوات .
- ( ب ) من جاء إلى محمد من قريش بغير إذن وليه رده ، ومن جاء قريشاً من محمد لم ترده .

( ح ) يرجع المسلمون في هذا العام من غير عمرة ، فلا يدخلون مكة . وفي العام القادم يدخلونها بغير سلاح معهم إلا السيوف في قرانها ، ولا

يقون في مكة أكثر من ثلاثة أيام .

( د ) من أراد أن يدخل في عهد محمد من غير قريش دخل ، ومن أراد أن يدخل في عهد قريش دخل .

وهذه شروط متصفة أرادت بها قريش أن تتحش بالمسلمين ، وأن تظهرهم في مظهر المهزوم ، ومع ذلك قبلها النبي ﷺ فدهش بعض الصحابة من قبوله ، وعجبوا من أن يرد المسلمون إلى قريش من جاءهم مسلماً ، والأترد قريش إلى المسلمين من جاءها من المسلمين . لكن النبي كان ألعن نظراً ، وقد تجلى بعد نظره بعد من قصير ، إذ تجمع الدين حسوا بمكة حول - أبي بصير بن عتبة بن أسيد - وكان عددهم سبعمائة رجل ، وترصوا بقريش ( بالعصر ) في طريق تجارتها إلى الشام ، وقطعوه عليها . فلم يظفروا بأحد من قريش إلا قتلوه ، ولم تمر بهم غير إلا سلبوها ، فظلت قريش من النبي أن يلغى هذا الشرط ، واستحلفته أن يزوى هؤلاء ، لأنها لا حاجة لها بهم ، فأوامهم رسول الله ﷺ .

على أن قاتل العرب التي كانت تناصر قريشاً من قبل غصت بعد الصلح لأن قريشاً انفردت بمواعدة النبي ، لذلك لم تنضم قبيلة إلى قبيلة بعد ، على حين أن قبائل كثيرة أخذت تنضم إلى النبي ، وهذا لم تستطع قريش أن تؤلب العرب على المسلمين كما كانت تفعل من قبل .

ثم إن قريشاً لم تقنع بما في هذه المعاهدة من سماحة النبي وتساهله واشتياقه إلى السلام ، فقصضتها بعد سنتين ، إذ ساعدت حلفاءها من - بني بكر بن عبد مناة من كنانة - على حلفاء النبي من حزاعة . وقد سبق أن قريشاً اشترطت على النبي في صلح الحديبية ، أن العرب أحرار ينضمون إلى من يشاؤون . من أحب أن يحالف الرسول فليحالفه ، ومن أراد أن ينضم إلى قريش فليضم

وكان من أثر هذا أن دخلت - أبو بكر - في حلف قريش ، ودخلت - حذافة - في حلف الرسول ، ولما كانت الهدنة التي اتفق عليها الرسول اعتمها - أبو الدليل من بني بكر - طاعنوا على حذافة ، وآذرت قريش حذافة بأكربين بأسلح ، وآزروهم بعض القرشيين بأنفسهم مستحفين بالليل فقتلوا من بني حذافة حتى لجأوا إلى الحرم ، فقاتلهم فيه وبذلك نصت قريش ما كان بينها وبين الرسول من الهد والميثاق ، لأنها اعتدت على حلفائه .

وكان من الطبيعي أن ترس حذافة وفداً إلى النبي يحبره بما اقترفت أبو بكر وقريش ، وكان من حقها أن تستجده ، ليواررها مراعاة لحلفه معها كما آذرت قريش حذافة عادده ، وأشد رنيس الوفد - عمرو بن سالم - رسول الله وهو بالمسجد :

يارب إني أشدد محمدآ حلف أيما وأبيه الألفدا  
فدكنتم ولداً وكنسما والدا ثمت أسبنا ولم يزع يسا  
فانصر هداك الله نصرأ عتدا وادع عاد الله يأتوا مددا  
في فيلق كالبحر يحرى مزسدا إن قريشأ أحفوك المرعدا  
ونقصوا ميثاقت المؤكد وحملوا لي في كداء رصدا  
ورعموا أرلست أدعو أحدا وهم أذل وأقل عددا  
هم يتنوا بانوير هدا وقتلوا ركعأ وسجدا

ثم وفد على النبي ﷺ - دليل بن ورقاء - في نفر من حذافة ، فأخبروه بأن قريشاً طاهر وأبو بكر عليهم . حينئذ كان النبي مصطراً إلى أن يناصر حلفاءه ، بحقيقاً لبعاده والخلف ، وانتصافاً لمطلوم ، وصيانة لكرامة المسلمين ورواهم بالمهد فتجزفتح مكة وحرر سنة ٨ هـ فاستجها سلباً لاعتوة . لأن كثيراً من زعمائها كانوا قد أسلبوا من قبل - كعالم بن

الوليد وعمروس العاص - وقد أسلم زعيم المشركين - أبو سفيان - والمسلمون على أطراف مكة . وكان المشركون يتوقعون أن ينكل النبي بهم ، ويثار مهم ، لكنه لم يفعل ، بل عفا عنهم وهو قادر عليهم .

### أسباب غزوة حنين :

فتح النبي مكة فهاجت قبيلة هوازن . واجتمع ذو ثقيف ، ونصر ، وجشم ، وسعد بن بكر ، ودهص بن هلال ، واستعدوا جميعاً لمهاجمة النبي فلما استوثق من استعدادهم لحربه ، حرج للقائهم قبل أن يباغثوه . لكن المشركين كانوا قد كنوا في شعاب واد منحدر ، فباغثوا المسلمين في ظلام الصباح ، وحملوا عليهم ، فانفض المسلمون وتقهقروا ، ولكن الرسول ثبت في مقر من الشجعات ، وصاح بالمسلمين فرجعوا وانتصروا . لقد نصرهم الله في مواطن كثيرة ، ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغر عنكم شيئاً وصافت عليكم الأرض بما رحبت . ثم ولينم مدرين ، ثم أرسل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها ، وعذب الذين كفروا ، وذلك جراء الكافرين . .

### حرب اليهود :

أما اليهود فقد سلكوا وسائل شتى في إحباط الدعوة إلى الإسلام ، وفي تدبير المكائد للقضاء على المسلمين ، ونقضوا عهودهم مع النبي مرات . ١ - بوقينقاع حنقوا على النبي لما انتصر في بدر ، وأخذوا يبيتون



الشر ، ولم يستطيعوا أن يكتموا ما بأنفسهم ، فقالوا للنبي : يا محمد ، لا يعرفك أنك لقيت قرماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، والله لش حارناك لتعلمن أننا نحن الناس . وبدءوا يتعرشون بالنبي . فثاروا دماء حلفائه فيما بين عروة بدر وأحد . واعتدى صائغ منهم على امرأة مسلمة في سوقهم عدواناً قبيحاً ، فقتله مسلم فوثب اليهود على المسلم فقتلوه . واحتدم الشر بين المسلمين واليهود ، فكان جزاؤهم أن أحلهم النبي عن المدينة .

٢ - ونو الصير دروا حيلة دينة لقتل النبي ، وهو في حصن من حصونهم في نفر من أصحابه . وكانوا قد عاهدوا النبي على أن يشتركوا في الدفاع عن المدينة إذا أغير عليها ، لكنهم تخلوا عن الوفاء بعهدهم في عروة أحد ، إذ هجمت قريش وحلفاؤها على المدينة . وكان الواجب على اليهود أن يناصروا المسلمين في صد المعبرين عن المدينة - موطن المسلمين - واليهود جميعاً ، تنفيذاً للعهد .

فإذا يكون جراه الحرة الدين لأمة لهم ولا عهد ؟

إن قساهم في المدينة خطر لا يمكن دفعه ، لهذا حاصرهم الرسول ، فطلبوا منه أن يمهيم ، على أن يحملوا معهم أموالهم إلا السلاح ، فأباح لهم أن يحملوها ، فحملوا ما استطاعوا حمله . حتى الأبواب رعوها ونقلوها معهم . هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ما طنتم أن يجرحوا . وطروا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب ، يجرنون يوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا يا أولي الألباص .

٣ - أما بنو قريظة فقد بكثوا معاهدتهم مع النبي في أشد الحالات حرماً وصيقاً ، إذ انضموا إلى الأحزاب في عروة الخندق ، وتعاهدوا معهم على

## أن يغيروا على المدينة .

فمن يعامل هؤلاء الخبيثة بغير القسوة والإنقام ؟

لقد عامل لى - بنى قيسقاع - بالرحمة فأجلاه عن المدينة ، ثم عامل بالساحة - بنى النصير - . وكان في هذا ردع لى قريظة وحصر على الوفاء بالعهد - أما وهم لم يرتدعوا ، في الوقت الذي يقيمون فيه بالمدينة ، يتربصون بالمسلمين كل شر ، ويكيدوا لإخوانهم الإسلام من - بنى قيسقاع ، وبنى النصير - بالحكمة أن يعاملهم التي معاملة أخرى ، لأن عدوهم متكرر وشرهم مستطير . ولأنهم لو عوفوا بالإجلاء إلى حبيز كما عوقب سابقوهم لصاروا جميعاً قوة حطرة على المدينة وعلى المسلمين .

وقد حضرا أن يحكم فيهم - سعد بن معاذ - فحكم بقتل رجالهم ، وتقسيم أموالهم ، وسبي نساءهم وأولادهم ، ورد الله الدين كفرؤا بميطهم لم يبالوا حيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال . وكان الله قوياً عزيزاً . وأزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيمهم ، وفذف في قلوبهم الرعب ، فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها . وكان الله على كل شيء قديراً .

٤ - ثم بدأ يهود خيبر يعتدون على المسلمين ، إذ خرج نفر من زعمائهم يتقدمهم - بنو النصير - إلى قريش ، فدعواهم إلى حرب الرسول ، ووعدوهم أن يكونوا معهم في القضاء على الرسول . وبلغ بهم الحسد والحقد على النبي وعلى لإسلام أن فصلوا الوشيعة على التوحيد ، حين سألتهم قريش أديسا خير أم ديه ؟ فقالوا : بل ديهكم خير من ديهه . وأتم أولى بالحق مه .

ثم تركوا قريشاً : وخرجوا إلى - غطفان - ليح صوهم على قتال لى . ويعدهم أن يناصروهم عليه . وبجروهم أن قريشاً جمعت قوتها لحره

وحملوا العطف من ثمرات حبيب الله يريدونهم حماية ، دعة . وهم الذين  
 قص الله حالهم في قوله . ه ألم لا أولئك الذين تصدأ من الكتاب يؤمنون  
 بالحدث والطاعات . ويقر الله كذبهم وأهولاء أهدى من الذين آمنوا  
 سبيلا . أولئك الذين لعنهم الله . ه من بعد الله فمحمدا له نصير . ه  
 النصير هؤلاء هم الذين ديوأبي فرطة . اليهود لباقيين المدينة . أن يعضوا  
 عهدهم مع النبي وأن يعضوا إلى الأحزاب التي تحاصر مكة .  
 ولقد بحث مؤامراتهم . فكانت غرورة الأحزاب  
 ألس الرسول مضطرا بعد هذا كله إلى محاربة هؤلاء ؟  
 ألم يتحقق مرات من أنهم أعدوه الذين لا عهد لهم ؟  
 ألم يصرحوا بالشر حينما ألوا عليه العرب ؟

عرف الرسول هذا كله . ورف أسس بها أياهم إلا بالقضاء على الإسلام  
 فهاجمهم في حبر . وانتصر عليهم . ثم صالحهم . وحق بعد الصلح وقبل  
 أن يحف مداد المعاهدة ، أذ عندهم إلا أن يعادوه . ومن امرأة منهم قدمت  
 للنبي طعاما مسموما . فله دوه عا . وعرف أنه مسموم ، فسأل المرأة  
 فلم تستطع أن تكبر ، وادعت أنها كانت تحتبر سريته . ففصمها عنهما . وهو  
 يعلم أنها كاذبة .

ه . ثم أن اليهود أضافوا إلى خيانتهم للسمين وتربصهم بهم ، أنهم  
 اتخذوا علماءهم من رجال الدين سادهم . يطيعونهم في معاصي الله ، فيستحلون  
 ما أحلوه لهم مما حرم الله عليهم . ويحرمون ما حرمه عليهم مما قرأ أحله  
 الله لهم .

وأغرق بعضهم في الضلالة ، فادعى أن عرس آ . وهو عالم تني يهودي .  
 اس الله ؟ وقالوا نسي كيف تنبأك ومثلت غير قليلنا ، وأنت لاتدين بأن

عزيراً ابن الله ؟ ، وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله . ذلك قولهم بأفواههم . يصاهنون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون ، اتحدوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، والمسيح بن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً ، سبحانه عما يشركون . وكان منهم أميون لا يكتبون ولا يقرأون ، ولا يعرفون التوراة إلا أوهاماً وأباطيل وأكاذيب . ويدعون أن ما يرددونه ويقولونه من التوراة لأنهم سمعوا من رؤسائهم وأحبارهم أموراً رعوها من التوراة ، وهى ليست منها ، فاتبعوهم فى باطلهم ، وعابدوا محمداً ~~صلى الله عليه وسلم~~ . وأما علماءهم فقد حرّفوا التوراة وزادوا فيها ، ونقصوا منها وحالّفوا ما أزله الله على موسى ، وزيفوه على قريتهم الذين لا علم لهم بالتوراة ، وادّعوا أن ما أتوا به هو التوراة . وقد عمدوا إلى ما فى التوراة من التشهير بمحمد فحوه يريدون الإلقاء على مناصبهم الدينية ، وعلى مناصبهم المادية . ومنهم أميون لا يسمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يطنون . فويل للذين يكشون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون هذا من عند الله ، ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كسبت أيديهم ، وويل لهم ما يكسبون .

### حرب النصارى :

١ - كان اليهود حصوم الاسلام كالأرمن ، وكان النصارى مثلهم فى خصومتهم للإسلام . لأنه يناقض ما هم عليه ، ولأنه ينشئ مجتمعا جديداً ، ويسن نظماً سامية تقضى على نظمهم الفاسدة . وقد صدق الله العظيم فى قوله : « ولئن ترضى عنك اليهود ولا النصارى

حتى تتبع ملتهم . قل إن هدى الله هو الهدى . ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالكت من الله من ولى ولا نصير . . وفى قوله : . . ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق . فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ، إن الله على كل شيء قدير . .

ولم يكن هناك أمل فى هدوء مقاومتهم ، واستجانتهم للحق . . ولئن أتيت الدين أو تروا الكتاب بكل آية ماتعوا قينك ، وما أنت تاسع قبلتهم ، وما بعضهم تاسع قبة نصر . . ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين . .

وهم جميعاً يتخذون الحرب وسيلة لإطفاء نور الإسلام ، ما وجدوا إلى الحرب سبيلاً . . ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا . . « يريدون أن يطفئوا نور الله بأهوائهم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . .

٢ - كالعماسة - ملوك الشام - يمثلون البصراية فى الشرق ، منذ عين الإمبراطور - جستنيان - الحارث بن جبلة - ( حوالى ٥٢٩ - ٥٦٩ م ) أميراً على جميع القبائل العربية فى سورية ، ومنحه لقب فيلارك - أمير - ثم منحه لقب بطريق ، وهو لقب الأشراف ، وأرفع لقب فى الدولة بعد الإمبراطور .

وكان الحارث نصرانياً يعقوبياً حامياً للكنيسة الشرقية .

فلما توفى سنة ( ٥٦٩ م ) خلفه ابنه المنذر ، وأعان الروم فى مواقع كثيرة ، وشخص سنة ٥٨٠ م إلى القسطنطينية - عاصمة الدولة الرومانية الشرقية - فاحتق به القيصر - طياريوس - وألسه التاج . فسر الطيمى

أن يباوئ العباسية لإسلام والدعوة إلى الإسلام . لا لأنه يعاير عقيدتهم  
لمسيحية حسب بل لأنه يقضى على سلطتهم السياسى وهو دهم الدينى .  
وطبعى أيضاً أن تحارب أسولة - البرنطية - الإسلام ، لأنه يقوص  
قرنها الاستبدادية . ويطوح بما ذكره جال الدين والسياسة من سلطان  
ونفوذ وأمول . وهل كان من المعقول أن تطبق الكنيسة المملوكية - وهى  
تحارب كل رأى مسيحى يحاربها - بياً ينكر عقيدة التثليث والفداء ، ويدبىع  
فى الناس أن الله واحد واحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، ولا  
يعترف بما لرجال الدين من سلطان على العوس ووساطة بين العبد  
وحالقه

٣ - ولم يلبث النصارى أن كشفوا عن شرهم وعزمهم على محاربة  
الإسلام .

( أ ) فى سنة ٦٦٨ هـ ( ٦٢٨ - ٦٢٩ م ) صاب البرنطيين عاملهم على  
عمان وهو - فروة بن عمر الحدادى - لأنه اعتنق الإسلام ، وأرسل إلى  
النبي فرساً ونعلاً وحملاً وعماة وأقصة وحاول الروم أن يجبروه على  
الارتداد عن إسلامه فأبى وخذله ثم صلبه

( ب ) وفى سنة ٨ هـ ( ٦٢٩ ) بعث إلى كتيبة من خمسة عشر رجلاً  
إلى حدود شرق الأردن ، ليدعوا الناس إلى الإسلام ، فخرج عليهم جمع  
كثير فى مكان يقال له ( حلة ) وقتلوهم إلا واحداً لاذ بالفرار .

( ج ) وفى السنة نفسها أرسل إلى كتيبة من الحارث بن أبى شمر  
العاق - يدعوه إلى الإسلام كما دعا غيره من الملوك والأمراء ، فرد عليه  
رداً المغرور المتوعد بالعدوان

ولما أرسل النبي ﷺ إلى هوقل يدعوه إلى الإسلام - الحارث بن

عمرو الأردى - تصدى له - شرحبيل بن عمرو الفسافي - في مرته وقتله ( د ) وفي السنة التاسعة أمر هرقس بعد انتصاره على الفرس بجمع جيش لغزو بلاد العرب وقاتل رسول الله ، للقضاء عليه قبل أن يستحل أمره . وبلغ النبي أن هرقس ملك الروم ومن عنده من متصرة العرب قد عزموا على قصده .

٤ - فكان لامر من حملة ثايب هؤلاء المعتدين الذين يصدون عن سبيل الله ، ويقتلون دعاة رسول الله ، ويأهبون للهجوم المفاجيء . ولولم يعمل الرسول ذلك فإذا يستطيع أن يفعل هذا الجزء الشمالي من الجزيرة الذي أغلق في وجه الدعوة ؟ أليس من واجبه أن يحمي الطريق أمام دعوته من هؤلاء الطغاة ؟

بلى . ومن الحكمة ومنه الطر أن يختبر قوة أعدائه . ويتعرف السبب في تجمعهم .

فسار النبي بجيشه الى تبوك . ولكن لم يحدث بينه وبين خصومه صدام ، لأن الروم احتفوا وراء حدود الشام . ولم يكر النبي في إحترافها واكتفى بما عقد من صلح بينه وبين بعض العرب مثل - يوحنا بن روبة - وعاد الى المدينة . لكر الأفاعى خرجت من أحجارها بعد عودة النبي ، وبدأ نصارى العرب والروم يمتدون على المسلمين ، فصب هرقس أمير - أيلة - يوحنا بن روبة ، لأنه عقد مع النبي صلحاً ، كما قتل - فروة بن عمرو الجذامي - لأنه أسلم وأصر على الاسلام فبعث الى جيشاً بقيادة - زيد بن حارثة - الى الشام في السنة الثامنة للهجرة ( ٦٢٩ م ) .

وتصدى الروم والعرب للقاء هذا الجيش الصغير الذي لم يتجاوز ثلاثة آلاف مقاتل ، وكان جيش الروم في مائة ألف أو مائتين ، يقوده هرقس

نفسه أو أحده ، والنجم الجيشان إلتحاما لم يكتب فيه النصر الحاسم لايهما  
فأثر المسلمون العودة الى المدينة .

غير أن النبي ﷺ أراد أن يتدارك ما عساه أن يحدث من هذا  
الانسحاب ، وأن يسترد هيبة المسلمين في الشمال . فأمر بتجهيز جيش أسامة  
بن زيد لمحاربة الروم ، لكن الرسول لحق بالرفيق الأعلى قبل أن يسير الجيش  
من المدينة .

### حرب لهرس :

أما لهرس فقد دعت أسباب الى قتالهم :

١ - أرسل النبي ﷺ كتاباً الى كسرى ملك لهرس يدعوه الى الاسلام  
فهاج ومزق الكتاب . وأرسل الى عامره على اليمن يأمره بأن يرسل رجلين  
قويين من عبده ليأتياه بمحمد ، فذهبا الى النبي وقابلاه ، ثم رجعا  
وصيحي أن يقدم كسرى من النبي أن دعاه الى الاسلام ، فهو يأتي أن  
يرشده العرب ويعتبره ، في الوقت الذي يسيطر فيه سيادته على عرب الحيرة  
واليمن والبحرين ، وهو يحشى من الدين الجديد على حياته وعلى سلطانه  
وحكمه المطلق .

٢ - وللفرس بلاد العرب كلها - الخاصعة لهم وغير الخاصعة - صلات  
تجارية ، وهم والرومان يتصارعون على هذا المجال الحيوي للتجارة ، فمن يعمص  
الفرس أعينهم عن الدولة الجديدة التي تنشأ في قلب بلاد العرب وهم يتخوفون  
مها على حدود بلادهم ، ويتخوفون منها أن تنظم الى حصومهم الروم  
فتزيدهم قوة ؟



٣ - وكانوا مجرماً يعمدون النار والشمس . وكان الشعب مستعداً يكره  
حكامه ، لأنهم لا يراعون مصالحه ، ولأنهم جعلوا ديانة - ورادشت -  
الدين الرسمي وكانت من قبل بعيدة الى الناس وقسحوا المجال لكتبتها فصار  
لهم نفوذ في السياسة وشؤون الملك ، وصاروا يصططون الفرق الدينية  
الخائفة من يهود ومسيحيين وصائفة وبنوديين ومازريين  
هذا الى انزف المهرط الذي كان الملوك والأغنياء عروب فيه ، وهو  
توف يقابله شقاء الشعب ونؤسه من الصرائف الباهظة المعروفة عليه ومن  
اغتناب أمواله .

وحسبك أن نعلم أن الفساد الاجتماعي قد بلغ بالفرس أنهم شععوا ديانة  
مزديك حيناً ، فأباحوا الشيوع في النساء ، وإن الفساد الاجتماعي والسياسي  
قد اضطرب شديداً من كسرى أن يث بن أباد . ويستولى على عرشه من بعده .  
وإذاً من الحتم اللازم أن يناصر امرئ الاسلام وأن يضيقوا على  
الدولة الناشئة ليقوضها قبل أن تقو صهي .

٤ - وكان عرب الحيرة داعمين للفرس ، وهم الذين اعتدوا على المسلمين  
المخاوير لهم . فرس أبو بكر - خالد بن الوليد - اليهم ليحصرهم ويكف  
أدهم ويؤمن المسلمين لمخاويرهم . وسرعان ما انتصر عليهم خالد . فحق  
ملك الفرس لأن الحيرة ناعمة له . ثم بدأ ملكهم ( يزدجرد ) يستثير  
المسلمين ، فبعث جيشاً ليطردهم من الحيرة . وكان ذلك في عهد - عمر بن  
الخطيب - فرسل اليه عمر - قبل أن يشدك معه في حرب - بحيرة بين  
الاسلام ودعج الجرية . فإن أنى هذا وذلك فالجرب فيصل بين المسلمين  
والفرس . فاردى كسرى ما عرصه عليه - عمر - واعتزم على أن يحارب  
المسلمين . ثم انتصر المسلمون . وعقدوا صلحاً مع - يزدجرد - وأمرهم

عمر أن يتعدوا نهر دجلة ، ليكون فاصلاً بينهم وبين ما بقى من فارس ، غير أن الفرس ما لبثوا أن نقضوا الصلح ، فاضطر المسلمون إلى محاربتهم وإحصاعهم

### الغاية من الحرب في الاسلام

١ - تبيّن من العرض السابق أن جهاد المسلمين كان في جميع أحواله ضرورة ملجئة لا مناص منها ، وأنهم كانوا مضطرين لإضطرارهم إلى أن يحاربوا لحماية مجتمعتهم الضعيفة في المدينة ، ثم لحماية دولتهم الناشئة في جزيرة العرب ، ولإصيانة عقيدتهم من العاديين عليها وعليهم .

وما من شك في أن المسلمين اضطروا إلى الحرب لحماية عقيدتهم التي تكفل الخير للناس ، وترفع بهم عن مهاوى الشرك والوثنية والريضة ، إلى سماء التوحيد والمصالح والحياة الكريمة التي تليق بالبشر .

ومع ذلك كان النبي يستطيع أن يفعل حيال عدوان قريش وتدنيسها ؟ أيستكين لها فنقصى عليه وعلى الاسلام ! أيعص عينيه عن أتباعه الذين يعدون في مكة حراء لهم على أن يشتروا الهدى بالضلال والتوحيد بالشرك ؟ أيعيش بسعوته في رح مشيد ، فلا يذيعها في الناس ، وقد أمره الله أن يصدر بها يهدي الناس إلى الحق والخير والحرية والاحياء والمساواة ؟ إنه مضطر إلى أن يحارب ، وإلى أن يلقى القوة بالقوة ، بعد أن صبر طويلاً . وصفح كثيراً . لذلك قال تعالى : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم » . وإذا لم يكن العرض من الجهاد إيجاباً أحد على اعتناق الاسلام ، فإنه لم يعرف في تاريخ الاسلام كله أن المسلمين اضطروا أحداً إلى أن يسلم .

ولقد فتحوا الممالك وحكموها ، ولم يحدث قط أن أزعجوا كتابياً أو غير كتابي على أن يدين بالاسلام . بل كانوا المثل الأعلى في رعاية العقائد الدينية ، وكفالة الحرية لمن خالفهم في الدين .

\* \* \*

فاندر ذهبوا الى أن الاسلام قد انتشر بالسيف قوم غططرن كل الخطأ لأن الدين الذي يعتمد على السيف لكي ينتشر دين ضعيف ، وليس الاسلام كذلك ، إنا هو كالور الوهاج يندب اليه الانظار ، فدحلت أفراح الناس فيه عن رضى وارتياح وإيمان .

فأسلوبه بعيد كل البعد عن الدماء يرى كل البراءة من شهر السيف وامتناسق الحسام ، وإنما السبل الى ذلك مسطور في حنايا المكنات العزيز في أكثر من آية من آيات الله ، فسيل نشر الدعوة يمحصر في أن قوة الدعوة نفسها أمضى وأقوى من قوة السيف .

فالله تعالى يقول : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » . النحل ١٢٥

« وقل للذين آمنوا اتوا السكت والآمين أسلمتم ، فإن أسدوا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنا مع عليك البلاغ والله بصير بالعباد » . آل عمران ٢٠

« وقران حق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . النجم ٢٩  
« ولو شاء ربك لأمس من في الارض كلهم جميعاً أفأتى تكره الناس

حقى يكونوا مؤمنين » . يونس ٩٩

« وقاتلوا في سبيل الله اندين بقتالوكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب

المعتدين » . البقرة ١٩٠

« لا يسألكم الله عن الدين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن

تبروهم وتقسطوا إليهم : الله يحب المقسطين . وما نهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين ، وأخرجوكم من دياركم وطاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون . . المحتحة ٨

• ولا يجرمكم شأن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان . . المائدة ٣  
• فإن اعتزلوكم فلم يناقوكم وألقوا إليكم السلم فما جدل بينكم عليهم سبيلًا . النساء ٨٩

• ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيفًا . . النساء ٧٩

• قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، هو قولوا بما عليه ما حرم وعليكم ما حلت وأن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ لمن . . النور ٥٤  
• إن أبا إلا نذير ولقوم يؤمنون . . الأعراف ١٨٧  
• من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما عدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين . البقرة ١٩٣

• ولو شاء الله ما أشركنا أو ما جعلناك عليهم حفيفًا وما أنت عليهم بركيل . الأنعام ١٠٧

• نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يحاف وعبد . ق ٤٥

• فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر . العاشية ٢٢  
• وما يرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين . . البقرة ٢١٣  
• ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدوكم أول مرة أغثنوهم قاله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين . التوبة ١٤

« أدن للدين يقاتلون آمهم ظلموا وإذ الله على نصرهم لقدير » الدين  
أخرجوا من ديارهم بعير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، الحج ٢٩  
« فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرص المؤمنين على الله  
أن يكلف بأس الدين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً » النساء ٨٣  
هذا هو دستور الدعوة إلى الإسلام ، سبيل كله سلام وحرية اختيار  
للاإجبار ولا إكراه . لذلك لما علم سكان المستعمرات الرومانية وغيرها هذه  
الطاهرة من الإسلام رحبوا به . يتقدم من عبث الأحكام ، ومن الإضطهاد  
الديني .

٢ - الجهاد حماية للموحددين المؤمنين بالله مسلمين ، ويهود ، ونصارى  
من اضطهاد المشركين لهم أو إكراههم على ترك دينهم .  
هو كفالة الحرية الدين يدينون بدين سماوي ، لأنه لو لا الحرب هدم  
المشركون جميع المعابد التي يذكر فيها اسم الله ، كصوامع العباد وكسائر النصارى  
ويبيع اليهود ، ومساجد المسلمين

٣ - إن الإسلام يريد بالحرب إحقاق الحق وبشر العدل والسمو بالمجتمع  
في عقيدته وأعماله وأخلاقه . فليس المرص من الحرب والصر السيطرة  
والإستعمار والإستئثار بحيرات البلاد الممتوحة ونسجير أهلها ، ومراحتهم  
في أراقرم ، وإنما العرض إقامة عالم مثالي سعيد . يد على ذلك قوله تعالى :  
« الدين إن مكثتم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأسروا بالمعروف  
ونہوا عن المنکر والله عاقبة الأمور » .

### الإسلام دين القوة :

عرفنا أن الإسلام دين سلام . لا ينجح إلى الحرب إلا مضطراً ، وإذا

كانت الحرب شراً لا مفر منه فقد دعا الإسلام الى مقابلة الحرب بالحرب ،  
وس في دعوته أسمى الطم وأعطى سماحة .

١ - في القرآن الكريم حض على الاستعداد الحربى لصد الأعداء ،  
وإرهابهم : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون  
به عدو الله وعدوكم » .

وهذا صريح في أن الإسلام بعيد عن التحرش بالآخرين ، لأن  
الآية في معرض الأمر بالتقوى والاستعداد للدفاع تحجر بأن العرض هو إرهاب  
الأعداء حتى لا يطمعوا في المسلمين ، والمراد بالأعداء هم الذين يقاومون  
الإسلام ، ويمنعون نشره ، ويضطهدون أهله ، ويعادون المسلمين ، ويتطلعون  
الى السيطرة عليهم واحتكار موارد ثروتهم وتمويلهم عن الرقى .

٢ - وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحرض على قتال المشركين . وهي  
لا تأمر بأن يبدأ المسلمون بالحرب ، لأن القرآن طالما يقر من الظلم والعدوان  
ولما يأمر بالشجاعة في الحرب والصبر على نارها مادامت قائمة ، وهذه الأوامر  
نتيجة للحرب لا سبب له ، هي ملائسات للحرب لا دواعى إليها . مثل قوله  
تعالى : « يا أيها لى جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم » ، وقوله :  
« وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » ، وقوله : « فقاتلوا أئمة الكفر  
لهم لا إيمان لهم ، لعلهم يهتدون » . الانقاتلون قوماً سكتوا أيمانهم ، وهتوا  
بإحراج الرسول وهم بدوكم أول مرة ؟ أم تحشونهم ؟ فأنه أحق أن تحشوه  
إن كنتم مؤمنين . وقوله : « واقتلواهم حيث تقفتموه » ، وأخرجهم من  
حيث أخرجوكم ، وقوله : « كتب عليكم لقتال وهو كره لكم ، وعسى أن  
تكروهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم  
وأنتم لا تعلمون » ، وقوله : « قل إن كان آباؤكم وأباؤكم وإخوانكم وأرواحكم

وعشيرتكم وأموال أقرنتموها ونجارة محزون كادها ومساكن ترصوب  
أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترصوا حتى يأتي الله بأمره والله  
لا يهدي القوم الفاسقين . . . وقوله : . . . إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله  
ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أو تلك هم الصادقون ،  
٣ - وعد الإسلام المجاهدين الذين يستشهدون في الحرب دار الخلد ،  
مثوبة لهم على الإستشهاد في حماية العقيدة والودود عن الأرواح والأموال  
قال تعالى : . . . إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة .  
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون . وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل  
والقرآن . . .

وهؤلاء الشهداء أحياء لم يموتوا . . . ولا تحسن الذين قتلوا في سبيل  
الله أموالاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فحين بما آتاهم الله من فضله ،  
ويستشرون بالدين لم يلحتموا بهم من حلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون  
يستشرون نعمة من الله وفصل ، وأن الله لا يصيع أجر المحسنين . . .  
ووعده المجاهدين ثواباً عظيماً في قوله : . . . ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا  
نصب ولا محصة في سبيل الله ، ولا يضنون موضعاً يعيط الكفار ، ولا يبالون  
من عدو يبلا إلا كتب لهم به عمل صالح ، إن الله لا يصيع أجر المحسنين ،  
ولا يفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ، ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ،  
ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون . . .

٤ - حض الإسلام على لسان في وجه العدو ، فلم يكن من ائصال  
وحض على الثقة بالنفس وبالله ، وأمر بالإتحاد ، قال تعالى : . . . يا أيها  
الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبوا وادكروا الله كثير آ لعدكم تفلحون وأصيخوا  
الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتشلقوا وتذهب دبحكم ، واصبروا إن الله مع

الصابرين . . وقال : « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم  
بيان مرصوص . »

٥ - وحرم الفرار من ميدان الحرب ، وأعدّه كبيرة من الكبائر تستحق  
غضب الله وعذابه الآليم . قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين  
كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال  
أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهم وبئس المصير . »

٦ - وقرع الحبلاء لمحافظين عن الجهاد ، لأنهم صعايف القوس يؤثرون  
سلامتهم على سلامة الدين والمجتمع . قال تعالى - في المنافقين الذين تحلفوا  
عن غروة تبوك وثبطوا عنهم . « فرح المخلفون بمقعدهم خلف رسول الله  
وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، وقالوا لا تنفروا في  
الحرب ، قل نار جهنم أشد حراً لو كبروا يفقهون ، وقال . « ما كان لأهل  
المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتحدوا رسول الله ولا يرغبوا  
بأنفسهم عن نفسه ذلك أنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخنصة في سبيل  
الله ولا يظنون موطئاً يغيط الكفار ولا يمانون من عدو نبيل إلا كذب لهم به  
على صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ، ولا يفتنون نفقة صغيرة ولا كبيرة  
ولا يقطعون وادياً إلا كذب لهم ليحريمهم الله أحسن ما كانوا يعملون . »

٧ - وكما بغض الإسلام أي أتباعه العدوان على المسلمين . وبعض اليهم  
الاستعارة في قتال المعتدين إذا جمحوا إلى السلم ، ففرهم من الاستحذاء وقبول  
الضيم والإقامة في أوطانهم على الخسف والاعات .

قال تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا فيها كنتم ؟  
قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا  
فيها فأولئك ماواهم جهنم وساءت مصيراً . إلا المستضعفين من الرجال والنساء



والولدان لا يستطيعون حيله ولا يهتدون سبيله فأوئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وكان الله عفواً غفورا .

أرأيت كيف توعد الله الراضين بأدب ما أنهم خطب جهنم ؟  
أرأيت كيف رحم الله الضعفاء الذين لا يقدرُونَ على الجهاد أو الهجرة  
من رجل وساء وولدان ، فاستنهم من الوعيد بالعذاب لأنهم لا يقدرُونَ  
على المقاومة ولا يستطيعون الرحيل ؟

أما الأحاديث النبوية فهي حاضرة بالدعوة إلى الجهاد والترغيب فيه كقوله  
ﷺ : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه » وقوله ﷺ :  
« إن في الجنة لمائة درجة ، ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض ،  
أعدها الله للجهاديين في سبيله » وبوله : « رأس الأمر الإسلام ، وعموده  
الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد » .

فلم يكن بعد هذا عجباً أن نهفت المسلمين على الجهاد حينما صطروا إليه ،  
وكان النبي ﷺ يتوذهبهم سمه في أكثر امروا .

### سماحة الاسلام في الحرب

س الاسلام أحكاماً للحرب وأوجب مراعاتها لخصيف ويلات  
القتال ، وهي خير ما عرفت من قوانين الرحمة بالناس والقوانين التي سنها  
الاسلام تتفق والقانون الدولي في كثير من الأحكام ، لمكنها تسمو على  
القانون الدولي بأنها أحكام دينية لها من الحلال والطاعة النفسية ما للدين  
وأحكامه .

أما أحكام القانون الدولي فليس لها من الطاعة والاحترام ما الأحكام الدين  
وليس وراءها قوة نفسية تكفل تنفيذها ، وتعاقب عصاتها .  
لذلك كان بعض الباحثين على حق في دهايه الى أن تسميتهم بالقانون  
صرب من التجبر والتسامح ، لأن القانون لا يملك من قوى تحميته ، وتلزم  
أحكامه ، وليس في العالم قوة تعصع الدول لما يسمى بالقانون الدولي العام  
ونستطيع أن نجمل القوانين التي سنها الاسلام للحرب في ثلاثة أمور :  
في دواعي الحرب ، وفي سير الحرب ، وفي نائج الحرب .

### دواعي الحرب :

١ - صبق الاسلام من نطاق الحروب ، ولم يقر الحرب الهجومية الطامنة  
كذلك الحروب التي كانت تنشب بين القبائل العربية ، وبين الدول القديمة ،  
وكذلك الحروب التي مارالت تنشب في العالم ، وليس لها من دواعي الا الرغبة  
في التوسع وسط السطبان ، والاستئثار بحيرات البلاد المفتوحة وإذلال  
أهلها .

وإلا كان هذا قد حدث من المسلمين في بعض الأعصار فإنه من طائفة  
البشر لا من طائفة الاسلام .

لهذا لا يجازى المسلمون إلا مدافعين عن أنفسهم وحقوقهم ، سواء أكان  
العدو قد هاجمهم حقيقة ، أم تأكدوا من أنه يعد العدة للهجوم عليهم .  
قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به  
عدو الله وعدوكم »

٢ - وبهي عن العدوان حتى على الأعداء الذين طلبوا المسلمين من قبل :  
 « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ،  
 وقال . « ولا يجرمكم شأن قوم أن صدوركم عن المسجد الحرام أن تعتدوا  
 وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان واتقوا الله إن  
 الله شديد العقاب » .

فانظر كيف بهام عن الاعتداء ، وكيف أمرهم بالتقوى وهم يحاربون  
 أعداءهم ، وكيف خرفهم عدائهم الشديد إن تجاوزوا الحد في حربهم .

#### سير الحرب :

الاسلام حريص على أن يكون السلام هو الأصل ، والحرب عمن  
 طارىء موقّت . وحريص على رعاية الكرامة الانسانية والحرب مشتعلة .  
 لهذا شرع من الطم ما يتفق مع سموه وسماحته ، وس من القوايين ما يكف  
 التخفيف من ويلات الحرب ، ويحصرها في أضيق نطاق .

١ - فلا يجوز أن تنعدى الحرب الى المدنيين الذين لا يشتركون فيها من  
 شبوخ ونساء وعجزة وعياد منقطعين للعادة ، وعلماء منقطعين للعلم ،  
 إلا إذا قاتلوا ، أو كان لهم في تدبير الحرب رأى ومكيدة . لأن القتال  
 هو لمن يقاتلنا .

فقد كان رسول الله ﷺ مع أصحابه في غزوة ، فر بإمرأة مقتولة  
 فوقف وقال : ما كانت هذه لتقاتل .

وفي يوم الفتح أمر بأن لا تقتل ذرية ، ولا عسيف ، ولا امرأة .  
 وقال لهم : أخرجوا باسم الله ، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ، لا تعتدوا

ولا تقتلوا الولدان ، ولا أسجاث الصوامع .

٢ - أن تكون الحرب الدفاعية عقاباً للمعتدين ، وكشفاً لعدوانهم ، فلا يتجاوز المسلمون الحد في عقوبتهم . قال تعالى : « الشهر الحرام بالشهر الحرام ، الحرمات قصاص ، فمن عتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » .

٣ - لا يجوز للمسلمون أعداءهم ولا يمنعون عنهم الماء ، فإنه لما أسلم ثمامة بن أثال هو وقومه من أهل اليمامة . منعوا عن قريش الجيوب التي كانوا يبيعونها لها ، فاشتد الجوع بقريش ، فذهب أبو سفيان إلى المدينة واستنجد بالبي وقال : « كنت ترعم أدك ثمت رحمة للعالمين ؟ ثم قتلت الآباء بالسيف والأثناء بالجوع » . فكنت التي لي ثمامة يأمره أن يبيع الجيوب لقريش كما كان يفعل .

٤ - وكثيراً ما كان يقدم على رسول الله ﷺ مندوبون من أعدائه الذين يحارونه ، فلا يقتلهم ولا يسىء لقامهم . فقد قدم عليه مندوباً مسيلية : عبد الله بن النواحة وابن أثال . فقال لهما الذي . فماذا تقولان أنبا ؟ قالوا : نقول كما قال مسيلة - أي أنها أفرامسيلية على دعواه - فقال لهما رسول الله : لولا أن الرسل لا تقتل لصرت أعناقكم .

٥ - ومن سماحة الإسلام ومع حاله أنه يكفل للمستأمنين في دياره - من رعاى الدولة المعادية التي تحارب المسلمين ويحاربونها - حقوقهم كاملة . كان لم تقم حرب بين قومهم وبين المسلمين فأمرهم مصرورة لانسلب ولا تصادر وأعمالهم محمية وأرواحهم مرعية وهم مطمئنون على هذا كله حتى يعودوا إلى أوطانهم .

قال تعالى : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله

ثم أسعه مأمنه . .

وإذا رأى إمام المسلمين أن يضرب لمستانم أجلا تنتهى إقامته في دار الإسلام بانهائه فعليه أن يراعى الزم الذي يكفيه ويتلام مع عمله . وإن زاد على الشهر وعلى الشهرين .

فإذا تفعل الدول المتعدية اليوم ؟

إنها تقتض على المستأمنين . وتصادر أموالهم . فتضطره إلى أن يتقابل العمل مثله . وهي البادئة بالشر . فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم . .

٦ - فإذا حنح العدو إلى السلم وآثرها على الحرب كان على المسلمين أن يسالموه . ذلك لأن الإسلام حريص أشد الحرص على السلام . فهو يهادن من ينجح إلى الهدنة . حتى الخوة الدين . يقصوا عهدهم . فهدلهم أن يفوا به بعد التقض الأول . وحتى المنافقين الذين يدعون إلى السلام حذعة وريه . على شرط ألا يكون في قول الصلح إهدار لحق من حقوق الدين . أو تعويق للدعوة .

قال تعالى . . . إن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم . وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله . هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين . أذهب بين قلوبهم . . وقال . . . فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا . .

تفح الحرب :

إذا ما وصفت الحرب أوراها . وانتصر المسلمون . فليس من حقهم

أن يطرهم النصر ، فيتسفوا بالمهزومين ويستذلوهم ، وإما هم مقيدون بأحكام يجب عليهم أن يذموا .

١ - لا يبيع الاسلام التمثيل بالقتلى ، ولا تحريب العمران ولا إحراق المساكن وقطع الأشجار وإتلاف الزرع إلا في حال الاضطراب .

٢ - على المسلمين أن يرحموا المهرومين من خصومهم المحاربين فيكفوا عن قتلهم ويكفوا بأسرهم . وهم يخبرون في الأسارى عن إطلاقهم بعير مقارب وإطلاقهم بالفدية . ولهم أن يقتلوا من يجدون في حياته خطراً عليهم أو يرون في قتله قصاصاً عادلاً .

قال تعالى : « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثبتتموهم فشدوا الوثاق ، فإما متاً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ،

وقال تعالى : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » ، وقال : « فإما تنفقهم في الحرب فشرد بهم من حللهم لعلهم يذكروا .

٣ - بعد أن ينتصر المسلمون على محاربيهم يحبروهم في أن يبقوا على دينهم أو يدفعوا الجزية .

فهي نتيجة للحرب لادافع اليها ، وباعت عيها ، وهدف من أهدافها .

٤ - أوجب الاسلام الوفاء بالعهد في الحرب والسلام ، وحرّم الخيانة للعهد سراً أو جهراً ، وحذر منها بأن الخيانة لا يجهّم الله . قال تعالى : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ، إن الله يعلم ما تعملون » . وبلغ من حرص الاسلام على الوفاء بالعهد أن الله تعالى لم يسمح للمسلمين أن ينصروا إخراجهم غير الخاضعين لحكمهم على الكفار الذين ينضمون إلى المسلمين عهد . قال تعالى : « في شأن المسلمين الذين لم يهاجروا » . وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر

إلا على قوم يديكم ويديهم ميتى والله بما تعملون بصير . .  
 هـ - وإذا ما ثبتت النية من أن معاهديه قد نقضوا عهدهم ، فعليه أن  
 يكشفهم بعدائه لهم ، حتى يحاربهم وهم على يدة من أمره وعلم بنقصه العهد  
 فيكونوا مثله في العلم . وهذه أعظم درحات الأمانة والوفاء قال تعالى : وإما  
 تخاف من قوم حياة فابذ إليهم على سواء . إن الله لا يحب الخائنين . حتى  
 المشركين - أعداء الله وأعداء المؤمنين - يجب على المؤمنين أن يفوا لهم بعهدهم  
 إلى أجله ، ماداموا لم يعتدوا على المسلمين ، ولم يناصروا المعتدين عليهم .  
 قال تعالى . : وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن  
 الله بريء من المشركين ورسوله . فإن تنتم فهو خير لكم ، وإن توليتهم فإلحاح  
 أديكم غير معجزى الله ، وبشر الذين كفروا بعداب أليم . لا لذين عهدتم  
 من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظفروا عليكم أحداً فاتموا إليهم عهدهم إلى  
 مدتهم إن الله يحب المتقين . بل إن المشرك الذى لا عهد بينه وبين المسلمين  
 إذا لجأ إلى المسلمين واستجارهم ، فعليه أن يحبروه ويصروه بدين الله ، ثم  
 يردوه إلى مأمته . قال تعالى : . وإن أحد من المشركين استجارك فأجره  
 حتى يسمع كلام الله ثم أذهبه مأمته ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون . .  
 وإن السباحة هنا لتجلى إذا ما واربين ما أوجه الإسلام منذ أربعة  
 عشر قرناً ، وما تركه الدول المعاصرة التى تنشق بالعلم والحصارة ، إذ  
 نجا إلى الهجوم المفاجئ . أو تحمى نواياها بوسائل خداعة لا يقرها خلق كريم  
 ٦ - جرى المسلمون على السباحة فى حرهم وفى فتوحهم ، فكانوا  
 يعثون إلى البلد الذى يريدون فتحه شروطاً للصالح قبل أن يحوصوا المعركة مع  
 أهله ، كما فعل - عمرو بن العاص - مع أهالى غرة حينما حاصرها فى السنة  
 السابعة عشر من الهجرة ، وكما فعل مع مصر ، إذ عرص على المصريين حرية

دينية كاملة .

قال ( جوستاف لوبون ) في كتابه ( حصار العرب ) : وأدى العرب مثل هذا التسامح في المدن السورية الأخرى . فلم يلبث جميع سكانها أن رضوا بسيادة العرب وانتحل أكثرهم الإسلام . ويقول أيضاً : كذلك أحسن العرب سياسة سكان أسانبا ، كما أحسنوا سياسة أهل سورية ومصر فتركوا لهم أموالهم وكنائسهم وقوانينهم وحق التقاضي إلى قصاة منهم ولم يقرضوا سوى جرية سنوية تبلغ ديناراً عن كل شريف ، ونصف دينار عن كل مملوك . فرضي سكان أسانبا بذلك طائعين ورصي المصريون بالفتح العربي ، وشكروا - عمرو بن العاص - أنه لم يتعرض لدينهم وطمعهم وعاداتهم . وأنه لم يظلمهم بغير حرية سنوية قدرها دينار عن كل رأس في مقابل حمايتهم . ولم يتردد سوى الروم - أي الجنود والموظفين ورجال الدين أبوا أن يعضوا للعزاة . فالتحأو إلى الإسكندرية - محاصرها العرب أربعة عشر شهراً ، قتل من العرب في أنسابها ثلاثة وعشرون ألفاً . ولكن - عمرو بن العاص - لما افتتحها لم يذممهم إلا بالرحمة ، على الرغم من الخسائر التي أصيب بها . ولم يقر عليهم لئثار منهم . هكذا ذكر جوستاف لوبون في كتابه - حصار العرب - .

ملاحظة لابد منها :

الآن بعد أن جلونا مبع الإسلام في الحرب وأنه لا يسمح بالجهاد إلا دفاعاً عن العقيدة ، أو صيانة للروح ، أو حماية للوطن . وما القول العدل في الحروب التي شنها بعض المسلمين فيما بعد ؟



أكان التوغل في الشرق الأقصى لغرض من هذه الأغراض ؟

أكان فتح الأندلس دفاعاً أم هجوماً ؟

أكان التوغل في فرنسا صيانة للأرواح ؟

هذه الأسئلة وأشبهها تعترض الباحث النصف . ويقتضيه الانصاف

أن يجيب عنها في غير موارد أو انتحال للأسباب .

الحق إن بعض هذه الحروب وأمثالها لم تكن من الحروب الإسلامية

في شيء . فهي حروب اقتضاها - الملك - وسيئها السياسة . وليس يصح

أن نمروها إلى الإسلام ، وندعي أنه يبيحها ، بناء على القائلين بها كادراً من

الخلفاء أو الأمراء المسلمين . لأن الإسلام لا يقر الحرب القائمة على التوسع

والاستيلاء . ولأن هؤلاء الصالحين لم يدعوا أنهم يحاربون دفاعاً عن

الإسلام ، أو تمكياً له من الديار والانتشار . فمن الجور أن يحمل الإسلام

نعة حروبهم وفنوحهم .

نعم من الجور أن يحمل الإسلام أخطاء بعض أتباعه ، لأنهم بشر

يعتريهم الضعف كما تعريهم القوة ، وبخاصة من لأوامر دينهم ، لسكهم أحياناً

يخالفونها عن علم أو عن جهل . وهم كادراً مدفوعين بأغراض السياسة والملك

لاندفع الدين . فقد فجر بلاداً إسلامية وبلاداً مسيحية ، فالفاطميون

فتحوا مصر المسلمة ، - وصالح الدين الأيوبي - فتح مصر من الفاطميين ،

وفعل بهم الأفاعيل الموحشة . وهم درية على واطمه ، شردهم في البلدان وحرث

قبورهم وأحرق مكنتهم - تلك المكتبة التي فيها عر الإسلام وترثته الخالد -

ورمى بها حطب تلال المقطم ، وتركيا افتتحت مصر المسلمة ، واليونان

المسيحية .

وهذا عن شخصي بحث لا يحتمل الإسلام حربرته

وقد حدث مثل هذا ، بل أشد منه ، في تاريخ الدول المسيحية  
 ذلك بأن المسيح عليه السلام حرم الحرب ، ونهى عن مقاومة الشر بالشر  
 في قوله : كما - في انجيل متى - . أما أما أقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر  
 بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً . ومن سخرك ميلاً  
 واحداً فادهب معه ميلين . . وفي قوله للقديس بطرس : . أعد سيفك  
 الى مكانه ، لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون . .

لكن المسيحيين اختفوا بعد قليل ، فحضع أتباع الكنيسة العربية  
 لدعوة المسيح وفذوها . وكفوا عن الحرب ولو كانت دفاعاً عن النفس ،  
 على حين أن أتباع الكنيسة الشرقية مزجوا في شخص الإمبراطور الزبانية  
 الزمية والزبانية الدينية . وكان من آثار هذا المزج أن جعلوا الحرب حقاً  
 للإمبراطور لا يشركه فيه أحد ، ولا يقبده إلا الصالح الذي يراه .

وبجم عن ذلك أن الأباطرة طامسوا حاربوا ظالمين ، وطامسوا سيرتهم  
 أهوانهم . فأشعلوا الحرب في الشرق وفي العرب منذ العصور الوسطى  
 وفي تاريخ المسيحية حروب شتى باسم السيد المسيح ، أريقَت فيها  
 أنهار الدماء . والحرب الصليبية أشنعها المسيحيون لا المسلمون ، وكثيراً  
 ما رقت لحبوس الأوربية باسم الصليب منحدر من أوروبا الى الشرق لتتجارب  
 وتسمع الدماء . وفي كل مرة كان البائعات ( جمعاء السيد المسيح ) يباركون  
 الحبوس المعتدية ، وهم يعلمون أن المسيحية تحضر القتال ، لكنهم لا يفهمون  
 أنها لا تحضره على الإطلاق .

يقول السير - توماس أرنولد - : . وربما حل الإصطهاد والتنصير  
 الإجباري محل الدعوة الهادية الى كلمة الله . حتى كان لملك أولاف - تراينفسون -  
 يشر الدين المسيحي في فيكن ( القسم الجنوبي من النرويج ) بذيح الدين

أبوا الدخول في المسيحية ، أو نقطع أيديهم وأرجلهم ، أو بغيهم وتشريدهم  
وفي وصية لقديس لويس : عندما يسمع الرجل العاى أن الشريعة المسيحية  
قد أسسها إليها فإنه ينبغي ألا يذود عنها إلا بسيفه ، فيجب عليه أن يطمئن به  
الكافر في أحشائه طعنة نجيلاء ،

فهل معنى هذا أن تتهم المسيحية بأنها دين حرب ؟  
وهل من العدل أن تحمل المسيحية وور المتبسين إليها ؟  
لا ، كذلك من الجور أن يلقي على لإسلام وزر ما اقترفه بعض أتباعه  
- من الأموية والعباسية ومن تأخر عنها من الدول الإسلامية - ، فزعم  
أن فتوحاتهم كانت دبية ، وأن الإسلام دين حرب ودماء .

## الاسلام والسلام

كان الناس - وما زالوا - يتحاربون في كل عصر وفي كل صقع ،  
وكلما تقدمت بهم الحصاراة أفتوا في صنع عتاد الحرب والتخريب والتدمير ،  
يقوضون محترقات العلم والحضارة وما أودع العلم والحضارة ، ويهدمون  
اليوم ما بنت الأجيال من قبل .

وهم لا يريدون من الحرب إلا توسيع رقعة وبسط السلطان ، وإرواء  
الطمأ إلى الشهرة والجمد ، واستبعاد الضعيف ، والاستئثار بخيرات بلاده .  
وكثيراً ما علت صيحات الدعوة إلى السلام ، لكنها كانت تذهب  
دنياً في الهواء . وليس صراع العالم اليوم - وهو صراع يهدد البشر بالانقراض  
ويعرض الحضارة للدمار - شتأ عن بواعث سامية ، أو غايات راقية ؛

وإما هو صراع مبعثه وهدفه الحرب والسيطرة والاستعمار بالسلطان والخيرات .  
أما الاسلام فهو دين سلام ، يؤثر السلم على الحرب ما كان في الطاقة  
إيثار . فإذا لم يكن دمن الحرب لإبقاء على العقيدة أو على الحياة ، والحرب  
شر لا مدوحة عنه

١ - ذلك بأن الاسلام يدعو الى المثل الأعلى في جميع الصلاة والمعاملات  
فإن لم يتجح المثل الأعلى تمشي الاسلام مع الواقع ، أو جرى لأحداث .  
وقد دعا الاسلام الى السلام فلم يستحب حصومه ، وأبو إلا الحرب ،  
وصبر المسلون على أدام فلم يردوا إلا اعتوا وساداً في الأرض ، فلم يكن  
دمن حرمهم ، لأن الاسلام يدعو أباة الى القوة مادية وفسية ، ايجموا  
أنفسهم ودينهم ، كما يدعهم الى المسألة والأناة

٢ - وكيف لا يكون الاسلام دين سلام ، والمسلمون يقولون في تشهدهم  
في صلواتهم مرات في كل يوم ( السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ،  
السلام عينا وعلى عباد الله الصالحين ) ويحتمون كل صلاة بالسلام ؟  
كيف لا يكون دين سلام والقرآن يسمى الجنة دار السلام ، لهم دار  
السلام عند ربهم ، ويجهل النجاة فيها سلاماً ، تحينهم يوم يقونه سلام ،  
وأعد لهم أجراً كريماً ، الذين سرفهم المسلاحة طيبين يقولون سلام عليكم  
أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون ، ويصف المؤمنين المتقين بالمسألة ، وعباد  
الرحمن الذين يمشون على الأرض هوماً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً .  
٣ - وإذا كانت الحرب في طبائع الشر فعية ما تطمح اليه الانسانية الرقية  
أن تصيق بطاقتها ، وأن ترعى فيها حرمان الانسانية رعاية كاملة .

وقد رأينا الاسلام يكفل ذلك ويرعاه .  
رأينا المسلمين لم يجاروا إلا بصدوا الاعتداء عليهم وعلى دوائهم

وعقيدتهم ، ووجدناهم لم يستلوا سيوفهم إلا عند اليأس من مسألة الأعداء .  
ورأيانهم لم يحاربوا إلا المحاربين . ولم يتجاوزوا في حربهم حد الدفاع  
والترهيب الى الانتقام الحاقق المبيد .

ورأيانهم يحضون الى السلم إذا ما جرح الأعداء .

ثم رأيانهم رحما بالشر لا يخلون بالقتل ، ولا يحربون العمران ، ولا  
يحبرون أحداً على نبذ دينه واعتناق الاسلام

نعم لم يستعز المسلمون القوة ليقسروا أحداً على أن يسلم ، وليس أدل  
على ذلك من أن لاسلام داع في مكة ، والنبي وأتباعه قلة لا يملكون من  
القوة ما يمحون به أنفسهم من الأذى والعذر ، وداع في المدينة قبل أن  
يهاجر النبي إليها ، وتعهدهم بدين اعتنقوه بحماية النبي ﷺ ونصرته إذا هاجر  
إليهم . ثم استمر ينشر بقوته الدائية في كل عصر حتى في العصور التي ضعف  
فيها المسلمون .

وحسننا هنا شهادة السير - توماس أرنولد - في كتابه - الدعوة  
الى الاسلام - ، تصدعت أركان الامبراطورية العظمى ، وتضعفت قوة  
الاسلام السياسية ، ولكن ظلت غرواته الروحية مستمرة دون انقطاع .  
وعندما حرمت حموع المعول بعدد عام ( ١٢٥٨ م ) وأغرقوا في الدماء  
بجد الدولة العباسية ، وعندما طرد ( هرديناد ) - ملك ليون وقشتالة -  
المسلمين من قرطبة عام ( ١٢٣٦ م ) ودعت غرناطة - آخر معاقل الاسلام  
في أسبانيا - الجزية للملك المسيحي ، في هذا الوقت كان الاسلام قد استقرت  
دعائمه ، وتوطدت أركانه في جزيرة ( سومطرة ) وكان على أمة أن يحرز  
تقدماً ناجحاً في الحزب الواقعة في بلاد ( الملايو ) . وفي هذه اللحظات  
التي تطرق فيها الضعف السياسي الى قوة الاسلام نرى أنه قد حقق بعض غرواته

الروحية . فهناك حالتان تاريخيتان كبيرتان وطئ فيهما الكفار من المتبررين بأقدامهم أعناق أنماع الرسول ، أولئك الأتراك السلاجقة ( في القرن الحادى عشر ) ، والمغول ( فى القرن الثالث عشر ) وفى كلتا الحالتين رى الفاتحين يعتنقون ديانة المغوليين . وقد حمل دعاة الاسلام الذين فقدوا مظهر السلطان والقوة عقيدتهم الى إفريقية الوسطى ، والصين ، وجزائر الهند ، والروسيا ، وغيرها ، ثم صار للإسلام فى السنوات الأخيرة أنباع فى إنكلترا ، وأميركا وأستراليا ، واليابان .

٤ - ولقد حرص الاسلام على السلام ، وحسن على صوبه بالسيف إن لم يستطع أن يصونه غير السيف .

ذلك أن الاسلام عقيدة وعمل ، دين ونظام سياسى واجتماعى يكفل للبشر الخير أفراداً وجماعات .

ومن عبقرية الاسلام أنه لم يغفل عن العرائز البشرية ، فيتعاضد عن وجودها أو يفترض محوها ، وإنما عرفها وعرف أثرها ، فسن لها من الوسائل ما يكفل تهذيبها ، والتسامى بها ، ودرى أخطارها . ومن هذه العرائز عريضة المقاتلة .

نعم فإن الناس يعيشون جماعات لا بد أن يشب بينها خلاف ، وتنازع على المصالح ، وكثيراً ما تعجز الوسائل السلمية عن حسم هذا الخلاف ، فتشعب الحرب .

فما حكم الاسلام حينما تتحارب أمتان مسلمتان أو طائفتان منهما ؟ أتقف الأمم الاسلامية الأخرى من هذه الحروب وقعة المتفرج اللاهى الذى لا يعبأ بالآرواح المرهقة ، والدماء المرافقة والأشلأ الممزقة ، والعمران المقوض ، والأموال المبعثرة فى طاعة الشيطان ، والأبرياء الذين يفجعون ؟

أم يحار ؟ ض المسلمين إلى هؤلاء ، ينحار بعضهم إلى أولئك ؟  
لا . لا هذا ولا ذاك . لأن في مرفق المسلمين موقف المتفرج مجافاة  
الأخوة الإسلامية وللصلة الإنسانية . وتمكيناً للمحاربين من أن يتقنوا  
أو يفنى قريبهم صغيثهم .

ومن الذي يرى أخويه يقتلان فيدعها ويحلى بيها ، ويرضى أن  
يصبر عليها ، وينتظر نتيجة ما بينهما من صراع ؟ ثم أن في تحيز فريق من  
المسلمين إلى طائفة ، وتحيز فريق آخر إلى طائفة ، توسعاً لميدان الحرب ،  
ومداً في أجلها . وإفساداً للعلاقات التي تربط المسلمين . وتحريضاً في الأرض  
وتدميراً للحصارة ، وتعويقاً للرقى ، وإضعافاً للمسلمين جميعاً .

وإنما الخطة المثلى هي التي رسمها القرآن الكريم . قال تعالى : • وإن  
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بعث إحداهما على الأخرى  
فقاتلوا التي تبني حتى تقضي إلى أمر الله . فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل  
وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم  
واقضوا الله لكم ترحموا . •

فإذا تحاربت أمتان أو جماعتان من المسلمين كان على الأمم الإسلامية  
أن تسعى جاهدة للصالح بينهما ، فتعرف أسباب النزاع ، وتقضي بينهما بالعدل  
فإن رضيت بهذا الحكم فقد وصحت الحرب وأورارها وكفى الله المؤمنين القتال .  
وإن رضيت إحداهما ورفضت الأخرى ، وأصررت على الاستمرار في عدوانها  
وطغيانها ، معترضة قوتها ، كان على المسلمين أن يحاربوها حتى تحصع  
لحكم الله .

وهنا تتجلى سماحة الإسلام وسعوه . لأنه دعا إلى إنصاف المظلوم وإقرار  
السلام كما سبق . ولأنه قيد المنتصرين بقييداً يمنعهم من الإتيان . ذلك بأن

المنتظر أن تضطلع الدول العالية على الدولة المعلنة . وأن يدب قواها النكال ، وفاقا لتمردها وعروورها ، لسكر الاسلام قصى بعير ذلك . قضى بأن يستأف المنتصرون - الذين رفضت وساطتهم وحكمهم العادل فيما سبق ، فاضطروا الى محاربة الباغي - الصلح بين المتنازعين صلحاً قائماً على العدالة ، لا على التحجير والمحاباة والنشئ والانتقام . وحب الى المسلمين هذا العدل بأمر الله يحب العادلين .

وقد نبى القرآن الكريم دعوته الى الاصلاح بين المسلمين المتحاربين على أنهم أخوة للمسلمين الآخرين . أخوة في الدين ، والدين رباط وثيق بين نفوس المسلمين لا يقل عن رباط النسب والدم ، وأخوة في الانسانية لأنهم جميعاً من أب وأم .

تباركت يارب ، لقد هديت عبادك الى أعظم نظام لصور السلام وحفظ الأمان . والفصل العادل بين الأمم المتنازعة

وهذا هو مجلس الأمم الحقيقي ، مجلس الأمان الذى يستمد قوته من الحق والعدل ، ولا يرعى شيئاً غير الحق والعدل ، مجلس الأمان الذى شكله الخالق ، فهو يسعى الى الخير ، ويقر السلام على الأرض ، ويعتز برهبته الروحية الدينية .

وهيات أن يصل الى شئ من ذلك ما قام على أهواء الأمم من جماعات مثل ( عصبة الأمم ) و ( هيئة الأمم المتحدة ) و ( مجلس الأمن ) ، لأنها جماعات خيبت الآمال كلها ، فليس لها من حقيقتها إلا اسمها ، وهدف كل دولة في هذه اجماعات أن ترعى مصالحها ، وأن تحتفظ بنفودها ، وأن تحاى من يوادها ، وتضع العراقيل في طريق من تحشى قوته ، أو عن لا يوادها . أما الحقوق - وحقوق الضعفاء بخاصة - أو السلام الذى ينتشوف الناس اليه



فقد صار هذا كله نسباً منسياً .

لهذا لا تكاد تقطع الحرب ملتهمة وباردة ، ويتحزب العالم شيعاً وكتلاً ولهذا يطغى القوى على الضعيف . ويطمح المساح في الأعزل ، ولا تكاد تنتهى حرب حتى تبدأ في أعماقها حرب أخرى أشد طعناً ، وأهول فتكاً ، ويفتخر المنتصر الظالم بنصره على أخيه ، كما كسب للإنسانية ملكة ، أو حماها من تهلكة .

### موازنات وشهادات

أما وقد تجلست سماحة الاسلام والمسلمين في معاملة مخالفينهم في العقيدة ، فإنما يريد أن يريدها جلاء ، وأن يزيد الغرور بها إعجاباً إذ يرار بين هذه السماحة - التي كانت من طلائع الاسلام - وبين القسوة التي استمرأها غيره .

١ - لم تخرج اليهودية على سماحة في معاملة خصومها . وقد جاء في العهد القديم : « حين تقرب من مدينة لتجارها أدعها الى الصلح ، فإن أجابتك وفتحت لك فكل من فيها مسح لك ومستعبد وإن لم تسلمك وحرارتك لحاصرها . فإذا رعبها الرب إلهك الى يدك فاصرب ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والاهم وكل ما في المدينة فهو غيمة لك . وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هذه الأمم التي هنا . وأما مدن هذه الشعوب التي يعطيك الرب إياها فلا تسبق منها نسخة ما ، بل أهلها كلها إهلاكاً » . سفر التثنية ٢٠ / ١٠ - ١٢

ولقد قتل - نولواوى - ثلاثة آلاف رجل من شعب إسرائيل ،

جاء لهم على عادة العجل ، سفر الخروج ٢٢ / ٢٥ - ٢٨  
 . وأرسل موسى إثني عشر ألف رجل لمحاربة أهل مدين خارجيهم ،  
 وانتصروا عليهم ، وقتلوا كل ذكر منهم وحسنة ملوك ، وسبوا نساءهم  
 وأولادهم . ولما رجعوا غضب عليهم موسى . لأنهم استبقوا النساء والأطفال  
 ثم أمر ، قتل كل طفل ذكر . وكل امرأة ثيب ، وأبقى الأبنكار . وكان  
 عددهم ٢٢ ألفاً . . سفر العدد ٣١

• وكان داود يقاتل أعداءه ، ولا يبقى ذكر أولاد أبي ولا طفلاً . .  
 صموئيل الأول ٢٧ / ٩

وكان أحياناً يمثل بمن يقتلهم أشنع تمثيل ، وأخرج الشعب الذي  
 فيها ووضعهم تحت لمساثير ونواجر حميد ، وفؤوس حديد ،  
 وأمرهم في آتون الأجر . وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون . .  
 صموئيل الثاني ١٢ / ٣١

٢ - لما اعتنق بعض المصريين المصرية ، نكلت بهم الدولة الرومانية  
 الوثنية ، وطاردتهم لوثنيون من الشعب ، حتى لقد سالت دماؤهم شوارع  
 الإسكندرية سنة ٢٠٢ م . وبني كثير منهم وقتل بالسيف أو أحرق بالنار  
 أو ألحق قرماناً لآلهة الوثنية سنة ٢٥٠ م . وفي سنة ٣٠٤ بكل الإمبراطور  
 - دقلديانوس - بالنيط ، فبني بعضهم من مصر ، ورعى بعضهم للوحوش  
 المصرية في حلقة الألعاب على مشهد من البطاريث الوثنيين ، وما زال القبط  
 يذكرون هذا العصر ويسمونه عصر الشهداء ، ويتحذرونه مبدأ لتقويمهم الخاص  
 ويبدأونه بحكم - دقلديانوس - سنة ٢٨٤ م .

على أن هذا الإضطهاد لم تغرده لدولة ، فقد ذبحت سيدة كريمة  
 مشتقة تمكنت من نفسها الإفلاطونية الحديثة . وأخذت تزيدها في الناس ،

وتعارض العقائد المسيحية . دحها في أحد شوارع الإسكندرية على مرآى ومسمع من الناس مسيحي منحه التاريخ لقب - قديس - ويرجع المؤرخون أن الذي أوعر إليه اتسمها بطريق الاسكندرية - كيرولس - ( الذي عين سنة ٤١٢ م ) وكان معروفاً بالقسوة والعلو في اضطهاد عمالي المسيحية ، ولا سيما اليهود الذين كانت معاندهم تهاجم بالقوة المسلحة وكانت أمواهم وديارهم عرضة دائماً للسلاب والنهب . هكذا جاء في كتاب - الاسلام ظهوره وانتشاره - تأليف حامد عبد القادر .

وكان المفروض أن يستريح القبط من هذا الإغصات الوحشية إذا ما صارت المسيحية دين الدولة الرسمي . لكنهم اصطلوا في العهد المسيحي للدولة يمثل ما كانوا يصلونه في عهدها الوثني .

ذلك بأن كنيسة بزنطية كانت صاحبة مذهب سمي بالملاب ( الملكى ) وهو قائم على أن للمسيح طبيعتين إلهية وبشرية . وكانت كنيسة الاسكندرية تدعو الى مذهب آخر أساسه أن للمسيح طبيعة واحدة . وجهدت الدولة - البزنطية - في أن تفرض مذهبها الملكى ، وأصر القبط على مذهبهم . فبكت بهم الدولة تكليلاً . كما عا حق على القبط أن ينصب عليهم طغيان الدولة وهى وثنية لاختلاف الدين ، وأن ينصب عليهم طغيانها وهى مسيحية لاختلاف المذهب في الدين الواحد .

وحسبنا أن يشير الى بعض ما احتملوا في العهد المسيحي للدولة من عذاب أليم . فقد أمر الامبراطور - فوقاس - ( ٦٠٢ - ٦١٠ م ) بعزل المصريين من الحكومة ، وإجبارهم على طاعة الكنيسة الرسمية - في القسطنطينية - ولم يكونوا في عهد خلفه - هرقل - ( ٦١٠ - ٦٤١ م ) أسعد حالاً ، ولا أهدأ بالاً . لأن النزاع بينهم وبين الامبراطورية كان على أشده وتبادل

الفريقان تهمة الكفر والخيانة ، وكانت أيسر تهمة لمخالي مذهب الامبراطور  
أهم وثنيون خونة .

فلم يكن عجباً أن رحب القبط بالمسلمين الفاتحين ، ولا عرانة في قول  
المؤرخ المسيحي ميخائيل السورى : إن الله المنتقم الجبار أتى بأبناء إسماعيل  
من الصحراء لينقذوا الأمم من عسف الروم ومن عسف الرومان .

٣ - ولقد أتى سكان الامبراطورية - البيزنطية - مثل ما أتى سكان  
- مصر - من عسف الامبراطور - جستينيان - الأول ( ٥٢٧ - ٥٦٥ م )  
فقد كان شديد القسوة في معاملة من يدينون بمذهب غير مذهب الكنيسة  
المسلكانية . ويمكن تلخيص آرائه عن الحكومة في هذه العبارة الموحزة .  
حكومة واحدة ، وقانون واحد ، وكنيسة واحدة . وعلى الرغم من أن  
مخالي مذهب الكنيسة الرسمية كانوا يؤدون ما يؤديه المواطنون من ضرائب  
وواجبات ، فقد حرم عليهم التمتع بالحقوق التي يتمتع بها أنواع الكنيسة  
الرسمية ، وحرم عليهم الأشغال بالمهر الحرة ، بل أمر بهدم كنائسهم ، وحظر  
عليهم الاجتماعات العامة ، وأمر بالاعتقال لشهادتهم القانونية على -  
الارتداد ذكر - وأن تصير وصاياهم باطلة ، وبأن لا يرثوا ولو كان الميراث  
بوصية إختيارية ، أو بغير وصية . وهذا أصبح انحاف للكنيسة الرسمية  
منبذاً من المجتمع

واستحال النظام المكسي إلى عسف ثقيل طالم على رجال الكنيسة وعلى  
العامة ، حتى لقد انفجرت ثورة سنة ٥٣٢ م على الدولة وعلى الكنيسة معاً ،  
ولم تقمع إلا بعد أن دبح خمسة وثلاثون ألفاً .

وبسبب هذا العسف وصح جماعة المتذمرين إحتجاجاً قوياً في ناديهم على

إضطهاد الامبراطور ، وبادوا قاتلين لقد فقد العدل من الدنيا ، ولن يعود  
أما نحن فمستهود ، بن سوف نعود الى الوثنية الاغريقية ( إنتشار الاسلام )  
- أربولد .

٤ - كذلك نكلت الدولة الرومانية باليهود ، فهدمت هيكل سليمان  
وطردتهم من بيت المقدس ، وطاردتهم في البلاد الخاضعة لها ، وأجبرتهم  
على عبادة الامبراطور قبل أن تعشق الدولة المسيحية ، ثم أكرهتهم على  
المسيحية بعد ذلك . وحسبنا أن نذكر ما حل بهم قبل الفتح الاسلامى لمصر ،  
فقد طردهم الامبراطور فوقاس ( ٦٠٣ - ٦١٠ م من وظائف الدولة  
مالا سكندرية ) وأمر تعميدهم كرها . وبأن يقتل من برهض التعميد . ثم  
جاء من بعده الامبراطور هرقل ( ٦١٠ - ٦٤١ م ) وكان اليهود قد أسهموا  
في نصره عليه والحرب دائرة بينهما ، وترقبوا أن يكافئهم بتركهم أحراراً في  
ديهم ، فإدا هو أنكى وأقسى على اليهود من سببه ، فقد تكث بعده الذي  
أعطاهم ، وقتل منهم حلقاً كثيراً جداً عصر والشام ، حتى لم يبق منهم إلا  
من نجاه الفرار أو الاختفاء .

٥ - لم فتح المسلمون - الأندلس - أعفوا من الجزية غير القادرين  
عليها ، ووكأوا جمعها الى موطعين من النصارى . وسلك المسلمون مسلكاً  
سيلاً في تصريف الشؤون هناك . واستمتع بالجزية النصارى واليهود .

( أ ) أما النصارى فقد طلوا أحراراً في إقامة شعائرهم الدينية ، وبنوا  
عدة أديار جديدة ، ولم تكن المناصب المسيحية الدينية سبأى حرمان بعض  
المسيحيين من أن يتولى المناصب العالية في قصور الملوك أو في الجيش ، لذلك  
اندمج المسيحيون بالمسلمين . وتسمى كثير منهم بأسماء عربية ، وحاكوا  
المسلمين في كثير من عاداتهم وأعمالهم ، فاختن كثير منهم ، وتعلموا اللغة

ودرسوا العلوم الإسلامية .

ولما هاجر بعض المسيحيين الى فرنسا ليعيشوا في ظلال حكم مسيحي لم يصيروا أحسن حالا من إخراجهم النصراني بالأندلس . وإن الفرق في الحرية الدينية ليتضح من الموازنة بين الحرية والسباحة في ظلال الحكم الاسلامي وبين العنف والاصطهاد قبله فقد فتح المسلمون الأندلس في الوقت الذي كان فيه المذهب - الكاثوليكي - قد انتصر على المذهب - الآريوسي - وقد أصدر المجمع السادس في طليطلة قراراً يقضى على كل المملوك بأن يقسموا أنهم لا يسمعون بانتشار مذهب آخر غير - الكاثوليكي - وأن يقاتلوا بالقوة من يجرح عليه ، ثم صدر قانون آخر يحرم على كل شخص أن يشك في الكنيسة الكاثوليكية المقدسة ، وبذلك عظم نفوذ رجال الدين في شؤون السياسة والمملك والدين .

وليس أدل على تسامح الاسلام والمسلمين من أنهم احتملوا بصدر رحب تحرش المسيحيين بالاسلام . وطمعنهم في النبي ﷺ . ذلك أن القسس والرهبان - حينما كان عامة المسيحيين في قرطبة يقيمون شعائر دينهم مطمئنين ولا يشكون من حكم العرب - هيجوا بعض المسيحيين على المسلمين والاسلام فاندفعوا الى الطعن فيه وفي نبيه جهرأ ، وفي المحاكم على مسمع من القضاة ، وتحيل بعض المتهمين أن قتلهم أو تعذيبهم على هذا زلفى الى الله ، واستمر الهوس من سنة ٨٥١ الى ٨٥٩ م

وكان القضاة المسلمون يحكمون عليهم آناً ويصمون آذانهم حتى لا يسمعوهم فيحكوا عليهم أحياناً ، وكان المسلمون مشفقين على هؤلاء المجانين الذين لا يقابلون الحسى غنلها ، ولا يعرفون حرمة الاسلام كما يعرف المسلمون حرمة المسيحية ( الاسلام . الكونت هنرى دى كاسترى . )

ولقد يعجب المؤرخون من سرعة انتشار الاسلام حتى بلغ نهر - اللوار - في فرنسا ، وينساءلون عن مصير أوروبا لولم يقف - شارل مارتل - في وجه المسلمين في سهل - بواتيه - ؟ والحق أن السؤاں معكوس ، إذ الأولى أن ينساءلوا : ماذا كان مصير أوروبا المسيحية لو كان المسلمون متعصبين لديهم ؟ ذلك أن هزيمة المسلمين - في بواتيه - ليست سبباً فعاذاً في تدويق الاسلام عن الانتشار . ولم تكن هزيمة واحدة في الحرب لتنتج هذه النتيجة الكبرى ، فإعادة أن الحرب بحال ، وكثيراً ما جبرت الهزيمة بهصر مؤرر وإعما السبب الأول في ذلك هو تطرف المسلمين في المحاسنة ، لأنهم سبوت لهصيان للعصاة ، ومهدت لبعض الأسر المستقيمة في المغرب الخروج على الجماعة في بلاد لأندلس وبلاد المغرب ، وانتهى الأمر - مع المحاسنة - إلى إحتلال عناصر المملكة لعربية .

ومن المرجح أن المسلمين لو عاملوا الأندلسيين كما عامل المسيحيون الأمم السكسونية و ( الواندية ) لأحدثت إلى الاسلام واستقرت عليه ، لأنها كانت - مع تمنعها بحرية دينها لمسيحي - كثيرة الانشقاق والأحزاب ، ( الاسلام . لسكونت هري دى كاستر ) .

( ب ) وأما اليهود فقد كانوا قبل الفتح الاسلامى يرزحون تحت عسف ( القوط ) وظلوا على ذلك زمناً طويلاً . إلى أن دخل المسلمون لأندلس ، فخصوهم من هذا الاصطهاد ، وسمحوا لهم بحرية التجارة إلى كانت محظورة عليهم من قبل . وأباحوا لهم أن يملكوا ، بعد أن كانت الملكية محرمة عليهم ، ولهذا نهضوا واشتهر كثير منهم بالعلم والأدب بعد أن استشفوا نسيم الحرية .

ولما اضطهدت أوروبا اليهود لجأوا إلى المسلمين بالأندلس في قرطبة .

على أنه لما دخل الملك ( كارلوس ) - سرقسطة - أمر جرده بدم جميع معابد اليهود ومساجد المسلمين . ونحن نعلم أن المسيحيين أيام الحروب الصليبية مآدحلوا بلاداً إلا أعملوا سيوفهم في يهودها ومسلميها . وذلك يؤيد أن اليهود إنما وجدوا مجرأ وملحاً في الاسلام . فإن كانت لهم باقية حتى اليوم ، فالفضل فيها راجع بحاسة المسلمين وليس جانيهم ، لا إلى ما بين الاثنين من وحدة في الأصل والجنس واللغة والدين كما ادعاه ( أفنديكور شايكين ) ( الاسلام خواطر ومواع . لكونت هنري دي كاستر )

( ح ) وكان بالأندلس طبقة العبيد ورقيق الأرض ، وقد رحلوا بالعرب الفاتحين ، ليخلصهم من قيود سادتهم القوط . ثم اعتنق كثير منهم الاسلام واستمتعوا في ظلال الحكم الاسلامي بحقوق مدنية كانت محظورة عليهم ، فصاروا يزرعون الأرض لحسابهم . ويؤدون عنها حراجاً للدولة . ولم يحدث أن أرعمت الدولة أحداً على أن يعلم

٦ - منذ أن صار الساطرة رعية للمسلمين نهضوا بدينهم . ونشطوا في نشره . فأرسلوا البعوث الدينية إلى الهند والصين . وارتقى كل منها إلى مرتبة المطرانية في القرن الثامن الميلادي ، وفي العصر نفسه رسحت أقدامهم في مصر ثم أشاعوا فيها بعد العقيدة المسيحية في آسيا .

وإذا كانت الطوائف المسيحية الأخرى قد أحفقت في إظهار مثل هذا النشاط القوي ، فليس المسلمون هم المسؤولين عن هذا الإحفاق ، إذا كانت الحكومة الإسلامية تعامل الطوائف كلها على حد سواء ، وكانت تحمي بعضهم من اضطهاد بعض .

٧ - في مستهل العصر الحديث حاطت بمجمعات ( الهيجونوت ) في فرنسا - كوارث من إخوانهم - الكاثوليك - وفي زمن - هنري الثامن -



انفصلت الكنيسة الإنكليزية عن كنيسة رومة . واقترن هذا الانفصال بأشد أنواع القسوة والنصال والاصطهاد لمرض المذهب الجديد ، حتى لقد استعملت إنكلترا النار والمشقة من جراء الطاحس الديني المدهي عن كتاب ( أهل الدمة في الإسلام ) وفي سنة ١٦٢٠ هاجر من إنكلترا الى أميركا جماعة من البيوريتان الانكليز فراراً من الاصطهاد الديني ، وأقاموا هنالك جمهورية حرة ، أول أساس في دستورها حرية العقيدة ، ثم لحق بهم أشباه لهم وكانت هذه الطائفة - البيوريتان - طائفة متطرفة من البروتستانت ، وكانت ثائرة على نظام الحكم في إنكلترا وثائرة على الكنيسة ، ونعتقد أن المسيحية دين ودولة والمثل الأعلى للبشرية هو إقامة نيوقراطية - حكومة الله - وهي حكومة ليس فيها كهنة ، ولا ملوك ، ولا قوائم ولا ملأها في أوراثة والاعجيل ، ( دراسات في الأدب الأمريكي )

يهمنا من هؤلاء المهاجرين الفارين بعقيدتهم أنهم بعد أن اضطلوا بسار العسف والاصطهاد الديني أسسوا دستور جمهوريتهم الصغيرة على حرية العقيدة الدينية ، وأماحو الككل عصر أن يتقدموا لاي روفة ، لكنهم لم يلبثوا أن نسوا ما عقدوا لعزم عليه ، جملوا مذهبهم ( الدين الواحد ) وحاربوا مخالفيهم من أتباع المذاهب الأخرى ، أو ممن ليس لهم مذهب معين يلزمونه . بل لقد بلغ من عنفهم أنهم في سنة ١٦٩٢ م أعدموا أكثر من ثلاثين رجلاً وامرأة من مخالفيهم في الدين ، وسجنوا مئات منهم بتهمة السحر .

٨ - كان اعتناق دين بحالف الكنيسة الأرثوذكسية محرماً في القارون

الروسي الى أن صدر مرسوم التسامح الديني سنة ١٩٠٥

ومن النتائج التي أنجها هذا المرسوم أن دخلت جموع كثيرة في الإسلام من سكان القفقاز من طوائف الاتجار الذين قضوا زمناً طويلاً بدينون

مسيحية إسماء ، وقد بلغ من سخامة عددهم أن رجال الكنيسة الأرثوذكسية قد خشعهم أشد الخشية ، فألقوا جماعات لتوزيع منشورات دينية عنهم ، أملاً في ملاحظة القوذة الاسلامي . ( كتاب انتشار الاسلام . أربولد ) .

٩ - شهد الطريق ( عشوبابه ) الذي تولى منصبه سنة ٦٤٧ - ٦٥٧ هـ بأن : العرب أبى مكسهم الرب من السيطرة على العلم يعاملوننا كما تعرفون . إنهم ليسوا أعداء للصراينة ، بل يمتدحون ملتنا ، ويدقرون قديسنا وقسيسنا ويمدرون يد المعونة الى كنائسنا ودينا . ( كتاب أهل الدمة في الاسلام ترتوب ) .

١٠ - وذكر القس مشون في كتابه ( سياحة دينية في الشرق ) أنه من المحزون أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح انتماع وحسن المعاملة ، وهما أقدم قواعد الرحمة والاحسان عند الشعوب والأمم . ( كتاب محمد رسول الله )

١١ - قال ( ميشون ) في تاريخ الحروب الصليبية : لما استولى عمر على مدينة أورشليم لم يفعل بالمسيحيين ضرراً مطلقاً . ولكن لما استولى عليها المسيحيون قتلوا المسلمين ولم يشفقوا . وأحرقوا اليهود إحراقاً وقال الخير - ميشون - مما يؤسف له أن المسلمين هم الذين كانوا يبدأون المسيحيين بالمسألة وحسن المعاملة ، مع أن المسألة هي مبيع الخير بين الأمم بعضها وبعض . ( الاسلام - لكونت هنرى دى كاستر ) .

ولقد أيتمت من تبعية التاريخ أن معاملة المسلمين للمسيحيين تدل على ترفع في المعاشرة عن العظلة . وتدل على حسن مسايرة ولطف بمعاملة وهو إحساس لم يشاهد في غير المسلمين إذ ذاك ، خصوصاً أن الشفقة والرحمة والحدان كانت إمارات صف عبد الأوربيين . وهذه حقيقة لا أرى وجهاً لطمس فيها ، ( الاسلام - لكونت هنرى دى كاستر )

١٢ - وقال السير توماس أرنولد : « لقد عامل المسلمون الطاهرون العرب المسيحيين تسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة ، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة ، ويستطيع أن يحكم بحق أن الفائل المسيحية التي اعتنقت الاسلام ربما اعتنقته عن اختيار وإرادة حرة ، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح ، ( الدعوة الى الاسلام توماس أرنولد ) .

١٣ - وقال الكونت هيرى دى كاسترى : « وإذا انتقلنا من الفتح الأول للإسلام الى استقرار حكومته إستقراراً منظم رأينا أثاراً كثيرة محاسة ، وأنعم ملداً ، بين مسيحي الشرق على الاطلاق فما عارض العرب قط شعائر الدين المسيحي ، بل بقيت رومة نفسها حرة في المراسلات مع الأساقفة الذين كانوا يرعون الأمة الخالية ، .

وفي سنة ١٠٥٣ م كتب ايمان ( ليون التاسع ) الى مسيحي إفريقيا يوصيهم باعتبار أسقف - فرطاجنة - مطراناً عاماً بينهم . وكان الوثام مستحكما بين المسلمين والمسيحيين ، حتى أن ( غريغوريوس ) السابع كتب الى المسيحيين يلومهم على المحاكاة مع أسقفهم أمام المسلمين . وكان ذلك في ٥ سبتمبر سنة ١٠٧٣ م .

على أن الاسلام لم يكن له عمال يختصرون « دعوة اليه وتعليم مبادئه كما في الديانة المسيحية . فقد شاهد الملك شارلمان بهتصم مع على الدوام في حروبه ركبا من القسوس والرهبان لياشروا فتح الضيائر والقلوب ، بعد أن يكون هو قد باشر فتح المدن والاقاليم بميوشه التي كان يصلي بها الاثمم حراً تجعل الولدان شبيهاً . لكننا لا نعلم للإسلام مبعداً دينياً ، ولا رسلاً وأخباراً وراء الجيوش ، ولا رهبة بعد الفتح . فلم يكن أحد على الاسلام

بالسيف ولا باللسان .

نعم قد اعتنق الاسلام قوم مشوا وراء مافعهم ، اسكنهم قلة بجانب من أسلم عن اعتقاد صادق وميل صحيح ، وكان ذلك من أسهل الأمور ، لبساطة الدين وكفاية الطق بكلمة التوحيد ليصير قائلها من المسلمين . ولقد رادت محاسنة المسلمين للمسيحيين في بلاد الأندلس ، حتى صاروا في حالة أهنأ من التي كانوا عليها أيام خضوعهم لحكم قدماء الجرمان . ثم ينقل عن دورى قوله : لقد أبى المسلمون سكان الأندلس على دينهم وشرعهم وقضائهم وقلوبهم بعض الوطناء ، حتى كان منهم موطفون في خدمة الخنفاء ، وكثير منهم تولى قياده الجيوش . ونولد عن هذه السياسة الرجعية اختيار عقلاء الأئمة الأندلسية الى المسلمين . وحصل بينهم زواج كثير . وكمن من أندلسى بقى على دينه . ولكن أعجته طلاوة التمدن العربى ، فتمنع النعة وآداما ، وصار القس يلو موهم على ترك ألحان الكنيسة ، والتعلق بأشعار الطافريين . ويقرر فى موضع آخر أن حكام المسلمين إحترموا مدينة ( بنارس ) لأنها مقدسة عند اليهود البراهمة . ويرى أن اتهام الاسلام بأنه انتشر بالقوة خطأ ، والصواب أن يقال إن مسلمة المسلمين ، ولين جانبهم كآما من أسباب سقوط المملكة العربية . ( المرجع السابق ) .

١٤ - وإذن فقد تبين لنا أن سماحة الاسلام وتسامح المسلمين من العوامل القوية الفعالة فى انتصارهم السريع ، وفتحهم الخاطف ، إذ لم يجدوا مقاومة عيفة من الشعوب .

وهذه إحدى العلل التى غفل عنها بالمليون حيسا علل لانتشار الاسلام ، وذهب الى أن وراء هذا التعليل سرأ لا يعلمه ، فى قوله : إتسا إذا طرحت جامأ الظروف العرضية التى تأتى بالعجائب ، فلا بد أن يكون من وراء

انتشار الإسلام سر لانه ، وأسباب مجهولة مكنته من الانتصار السريع على المسيحية . وربما كانت العلة المجهولة أن هؤلاء القوم الذين وثبوا لحياة من أعماق الصحاري قد صهرتهم قبل ذلك حروب داخلية عنيفة طويلة ، تكويت في أناسها أخلاق قوية ومواهب عبقرية وحماسة غلابة . وربما كانت هذه العلة شيئاً آخر من هذا القبيل . ( مذكرات سانت هيبين ) .

## الصلوة وطرق التفرغ التام

عند محمد ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

« إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لك وانحر ، إن شئت هو الأبر » .  
 إن سورة الكوثر أقصر سورة في القرآن الكريم لعرض خير الفضائل  
 والتشير بها ، بقاية الإيجاز . وذلك بعض ما امتاز به الكتاب المجيد .  
 تتألف هذه السورة من ثلاثة آيات : تحتوى الأولى والثالثة على جملة  
 واحدة . أما الثانية فعلى جملتين وتعنى الآية الأولى : « إنا أعطيناك الكوثر »  
 يا رسول الله لقد مسحناك الخير . وتعنى الآية الثالثة : « إن شئت هو الأبر »  
 إن عدوك الذى يروم محوك سوف يحرم من كل خير . والباقي : فصل لربك  
 وانحر » - يرمى أقم الصلاة ، وقدم الصلوة .

وهذه هى الطرق الوحيدة للوصول الى الخير . وقد بين الله سبحانه  
 غاية الدين الجوهرية ، والسبيل الى بينها بصورة واضحة بجملة .  
 إن غاية الدين أو الإيمان لا تتعدى جلب السعادة والخير للعالم . وقد مر ابن  
 جرير ( الكوثر ) بالخير . وفي الواقع أن المقصود بهذه الكلمة خير المادة  
 وحيرو الروح .

ولا ريب في أن هذا الوحي الإلهي وإن كان قد خوطب به النبي الكريم محمد ﷺ ولكمه في الحقيقة موجه إلى كل مؤمن ، بل أن كل وحي مذكور في القرآن موجه في الواقع إلى كافة المؤمنين . فعلى السورة إذن : أيها الإنسان لقد منحناك كل خير موحيا . ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بالصلاة والتضحية . وهذه هي الوسيلة الوحيدة لا يصل النور إلى الرفعة والسمو المادي والمعنوي .

### الصلاة - حجر الزاوية

لقد تحقق لدى العالم بعد طول الاختار أنه مامن أمة تستطيع التقدم إلا بالتضحية . فكلما رادت من هذه ريد لها من ذلك ولكن الطاهر أن الله تعالى قد قدم الصلاة عليها .

إن التضحية عمل . وفي الحق أن التقدم والرفعة يتوقفان على أعمال الإنسان ، بمعنى أن الإنسان يتأثر بالشيء بعد أن يسعى إليه . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . كما أن أعمال الإنسان نتيجة لاحتياجه وعواطفه وآماله وبدونها لا يقدم على أي عمل .

إن العواطف تؤدي إلى أعمال منها إن رديئة فريضة أو حسنة فحسنة ، ولتقل نسب الطمع ، ومعاونة ذوي الحاجة سلوكا يؤدي إليها وعار من الأفكار رديء وحسن

وإن القرآن الكريم . والنبي محمد ﷺ هما اللذان بهما إلى ذلك ، قال الله تعالى في كتابه المجيد : « أقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء

والمكر ولدكر الله أكبر . . إن غاية المجد والرفعة لتكن في نيل وسمو أفكارنا وعواطفنا وشعورنا . وهذا هو السبب في أن الصلاة تعتبر علاجاً شاملاً لكل ضرر البشر . . قد ألهج المؤمنون الديرهم في صلاتهم خاشعون . . ويصف الحديث الصلاة بأنها بحر جار يظهر منا أوجسنا . وقد وصفت بحق بأنها معراج المؤمنين ، وهي في الواقع أيسر سبيل لبلوغ هذه الرفعة ، بل أن الأمر بالصلاة قد عاصر المعراج - أي صعود النبي محمد ﷺ - حيث فيه تلقى الأمر من الله تعالى بالصلاة .

### الإنسان يسبح غاية السمو ،

إن تقدم الإنسان بحرى في ناحيتين فهو قد يصل إلى غاية الرفعة وحده أو مع الناس . وحيث أن الإنسان لا يستطيع العيش منفرداً معزولاً عن أمته أو عن المجتمع البشرى المحيط به ، فينتج من ذلك أن التقدم الفردي إذا ما قيس بالتقدم الجماعي لم ياب به أحد في حين أن تقدم الجماعات والكتل ما هو إلا تقدم كاذب إن لم يصاحبه تقدم الفرد . إن الجماعة وحدة ، والأفراد أقسامها ، أو هي سلسلة والأفراد حلقاتها . فإذا لم تكن هذه الحلقات متينة بحد ذاتها فإن ذلك يؤدي إلى أن تكون كل السلسلة ضعيفة ، نقطع الطر عن متانة كل حلقة من حلقاتها ، كذلك الإنسان لا يمكن أن يتقدم إلا إذا ارتقى فردياً وجماعياً .

وإن الصلاة تمهد الطريق ليس فقط لهذين الشكلين أو النموذجين من النجاح ، ولكنها تفتح باب نجاح ثالث سنشير إليه في محله المناسب ويمكن



الوصول الى هذه الاشكال الثلاثة من الحاج بصط النفس والسيطرة على  
توارع الشرف فيها ، وإثارة الأفكار الطيبة بدلها .  
وتوجد بالطبع ، سائل أخرى للوصول الى هذه الغاية ، فالعداء الجيد  
والثقافة النافعة ، والمحيط الراقى يمكن أن تفيد ، ولكنها ليس فيها الكفاية  
أما الصلاة فهي الوسيلة الوحيدة التي يمكن الوصول بها الى ذلك الأمل ، ومن  
المحتمل أن يكون شعور الإنسان الفياض بالله عند أدائه للصلاة هو السبب في  
ذلك إذ يحس من أعماقه بأنه مخلوق حاشع ، أما الخسالت الجبار ليس هناك  
من حائل بينهما ، وإن هذا الشعور المسند الى الإيمان والعقيدة الكريمة ، والكامن  
في ثاياع عقل الانسان يمكنه من رؤية نفسه على حقيقتها بعد أن هتكت كل  
استور التي تحجب عنه أشد أنواع ضعفه الداخلي ، وهنا تكون الرابطة  
الحقيقية بين حمير الانسان والله كما وضع ذلك في القرآن الكريم : ثم  
سواه ونفخ فيه من روحه ، ولهذا لا يصل إشعاع حمير لانسان الى أوجه  
إلا عندما يشعر في أعماق قلبه ، بوجود الله ، فكلما قوى فيه هذا الشعور عم  
مبه ذلك الإشعاع ، وفي الصلاة كل الفصائل والوسائط لبوع هذه العناية  
حيث تمنى الأفعال والأقوال جنباً الى جنب لمعاداة هذه القوة للشعور  
بوجود الله .

### تحليل النصوص

إن الكلمات المقدسة التي مكردها عادة في صلواتنا هي - الله أكبر -  
وبدئت تفتح الصلاة بهذا التكبير لله ، كما أن الانسان يقر عند وقوفه أمام الله

بأن لقيمة لأية عظمة في الدنيا أراء عظمة الله . وهذا الشعور بالله يستبـح  
نحو لا وانقلاما لانظير لها في الصلاة التي نقيمها . وإن الانسان إذ يشعر شعوراً  
داوفاً بصعته أمام الخالق إذ يسجد أمامه ويعفر جبهته بالتراب ، وفي كل لحظة  
يكبر من أعماق قلبه . الله أكبر . ليقرى في نفسه الشعور بقوة الله ،  
وتتمكن جنوره في قلبه .

إن الاسلام يعلم الناس طريقة للعبادة تنعش في النفس الايمان وتوقظ  
في الانسان العقيدة بعظمة الله . فإن في حركاتها الواضحة من وقوف وركوع  
وسجود ، دلاصافة الى التكبيرات لله تعالى ، والضراعة له بالخلاص والهداية  
الى الطريق السوى . وكل أولئك خمس مرات في اليوم واليلة - ماعينها من قوة  
كافية لاشك فيها . لأن تدفع بالاداس دفعاً الى الشعور بوجود الله بعد فترات  
الكفاح لأجل العيش .

وبالنسبة للإنسان الكامل تمهد الصلاة للدخال الفردى والجمعى . وفي  
الصلاة فضل التقدم الفردى على تقدم الجماعة . وتبدأ الصلاة بشعور الفرد  
من أين يشع له النجاح . وتنتهى بعقيدة أين يكون أسمى سمو فردى . وإن  
في لسجود لبرهاناً باصفاً على صحة ذلك . فلماذا الاهتمام بالتقدم الفردى ؟  
ذلك لأن مجد الفرد وقيعته العالية أمران لارمان لمعرفة انه تعالى ، ولا يفيد  
التجمع في هذه الحالة . فصلا عن أن أعمال الله تعطينا النفع والفائدة لأنفس  
وإن من لا يجهد نفسه لى ينال أيقرفة في أية ناحية من بواحي الحياة . كما أن  
جريرة لمحرم لا يمحوها وجوداً من طيبين في العالم ، ومن أجل ذلك سيكون كل  
إنسان في يوم القيامة مسؤولاً عن نفسه وحدها .

ويستحيل الوصول الى تقدم الجماعة دون تقدم الفرد . وإذا فرضنا  
أنه قد حصل عن طريق الصدفة أن تقدمت جماعة دون تقدم أفرادها فإن

هذا التقدم لم يكن مستقراً ثابتاً . فكلما ضعف العرد انحطت الجماعة والعكس صحيح . وإذا كان الأفراد يقتصرون على مصلحة الأمة في عمل الخير ، بل أن هؤلاء الأفراد يكونون مصدر شر لكل نظام .

أما في الميدان السياسي فإما نرى أن الاهتمام بالعرد أكبر مجال لتقدم الأمة ، على عكس الأمم التي تهتم بالجماعة دون الأفراد ، فإن تلك الأمم - شرقية كانت أو غربية - سوف تجلب الموت والدمار لكل الجنس البشري طالما هي تهمل العرد في فكرتها السياسية .

إن الإسلام يهتم بتقدم الذات الانسانية الحقيقية . وإن المسلمين وهم يحملون هذه الحقيقة الأخلاقية لا يدون غيرهم من الأمم - غير الإسلامية - تقليداً أعمى ، الأمر الذي سوف يؤول بهم إلى الاحتطاط .

### خطوة الإنسان الأولى نحو التقدم

إن أول خطوة الإنسان نحو التقدم الروحي بعد مدح الله تعالى والاقرار بعظمته ، يكمن في الاستداء بالصلاة حيث يعترف الإنسان بضعفه ويتوق أن ينطلق ليسمو . وما الصلاة إلا دعاء ، وليس الدعاء تلاوة بعض الكلمات المرسومة ، ولكن الدعاء ما أريد به أن يحقق حركة في حميم عقل الإنسان . إنه رغبة حافز ونشاط . بل دافع يعبر عنه بكلمات . ويمكن حلف هذا النشاط ، ووراء هذه العواطف قوة عظيمة تعبر عن طبيعتها أمام الله فيشع من حنايا صمائرنا نور ، وتجيئش نفوسنا ثورة ، وفي حلال هذه الثورة تنصرع بطلب الرحمة من الله القدير . وإن هذه القوة الإلهية تعين الضعيف

فترتوى بهار روحه وتقوى .

وفي الدعاء إعتراؤ بسيطرة الإله الجار على خلقه ، وأن الله لا يسيطر على أجسامنا لحسب . ولكنه يحكم عقولنا وصماثرنا أيضاً . وفي الدعاء رابطة بين الله والانسان . وفي الدعاء إعتراؤ الانسان بالعبودية لله تعالى ، فيقوم بطبيعة الحال بواجبات هذه العبودية للإله . وفي الحق أن الدعاء الحقيقي هو الذي يبين بواعث الانسان الحقيقية واعترافه بذنوبه ، وخطاياه وضعفه ، وأنه ليبدى رغبته في أن يرتفع من هذه الوهدة ، ويطلب المعونة من الله تعالى للخلاص منها ، ومن انحطاطه وطاعته لأفكار السوء .

هكذا تخلق الصلاة في الانسان نشاطاً وقوة بحيث يمنع عن ركوب الخطايا والمآثم ، وربما أهدب عنه المعاصي بعد ما بين المشرق والمغرب ، وجعلت روحه بقية بقضاء الفحاش الأبيض من الأوصار والأقذار ، وقد يغفر الله للإنسان ما ارتكب من ذنب ويمحره كما يغسل الماء أى شيء .

والخطرة الأولى في تقدم الإنسان الروحي هي التجرد من أى فعل ردى . ولا يستطيع الإنسان أن يجع قط ونفسه عرضة لارتكاب الذنوب ، وكما تنبت الأرض الخصبه الثبات الحس في نوعه ومقداره ، فكذلك العقل المزه عن المعاصي يفسح المجال للتقدم الروحي الخالد . وقد ذكر الله تعالى ذلك بقوله : وقد أفلح من ركاها ، .

وعندما يدع الإنسان ربه الدعاء الحقيقي تشع من داخل نفسه رغبة بأن يشزه عن الظلم والقسوة والكذب ، والدعاوة الخادعة ، ومن كل الظنون السيئة والأشغال الرديئة . وبذلك يقف سداً متيناً ضد نزعات الشيطان وفي هذا القتال المقدس ضد الشيطان يعاون الله تعالى الانسان الضعيف إذا طلب المعونة مخلصاً .

أما الخطوة التالية : فطموح في عقل الانسان الى الريادة في الرحمة حتى يصل العاية فيها . والخشوع هو الوسيلة لهذه العاية إذ يركع الانسان أمام الجبار ويقول عاشعاً : سبحان ربي العظيم وبحمده ، ثم يتمس بحمته الارض ويقول في إحلاص وضعة : سبحان ربي الأعلى وبحمده ، وما هذا بدعاء ولسكته تسليم وقبول بعظمة الله تعالى ورفعته ، وإن الانسان مرتبط بالله بحيث إذا أقر بعظمته تعالى وقداسته بالقول وعمل عليها بالفعل من الله على روحه المحلصة هذه الالهية ، إذ يمكن الشعور بانعكاس محدود في المجال المحدود لعقل الانسان ، وقد تنعكس الصفات الالهية على الانسان عندما يكون عقله صافياً كاللور فضيلة عمه وتميره . وتزيد فعالية هذه الانعكاسات الالهية ما اراد إحلاص المرء في تواضعه لله ، فيتروذ الانسان بنفس من الفضائل الالهية ليس لها مثيل .

وما هذا نقاش فلسفي بل أنه حقيقة مجربة ، فكما اراد سجود ما لله راداً راحة وسمواً روحياً وأخلاقياً وكما اراد انحناءنا أمام الخالق الجبار ، ارتفعت مكانتنا الروحية ، وارددا علواً ، فتحظى ضمائرنا بأبهى نصيب من انور الالهى الباهر ، ويتجلى جمال انضرع لله بذلك ما استعمال كلمة : ربي .

وعندما يتحى المرء في صلاته يقر من أعماقه بأن الله العظيم مصدر حياته . وأنه هو القوه السماوية التي تدفعه الى بل المجد الروحي فيطلب سرّاً وعلاية وضع حد لصعفه وترديه ودنونه ويأسه وحطته ، ويقر أن الله قد خلق الانسان وهو أحسن الخالقين . وهو يصلحه ويرحمه ويمديه . وإن المرء ليحسن بذلك ، فهو يدعو الله شاعراً بما يدعو أن يرفعه الى السكال وأن يهبه الجمال الروحي .

وقد أصى الرسول الأعظم ﷺ أهمية خاصة على الصلاة فوصفت

في الوحي بأنها ، طعام الروح ، و . رزق ربك خير وأبقى . ووسيلة  
الاستعداد المعونة من عند الله . إستعينوا بالصبر والصلاة ، وإنها أسلوب  
لكم جميع جماع النفس واجتثاث الرذائل والبوازع المحبطة من جذورها ، . إن  
الصلاة تنهى عن الفحشاء والمكر ، كما أنها واسطة النجاح في الدنيا والآخرة  
، قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم حاشعون .

إن الله تعالى يرفع الأمم الى أعلا الدرجات بالصلاة ، ولا مشاحة أن  
كتاب الغرب ، وإن كان يذكر الرسول بلهجة المعارضة ، إلا أنهم يقرون  
أنه حار من النجاح ما لم يصبه غيره من الشخصيات الدينية ، وإن ما أحدثه من  
تغيير في العالم ليس له مثيل ، ولم يسبق ما يوازيه ، وإنه كان نسيج وحدة في  
التاريخ . مما أصاب من نصر دنيوى عظيم ، كما أن انتصاراته في ميدان  
الأخلاق والسمو مقدرة لا تنكر . كان الفساد والاحتطاط فاشين في العرب  
قبل الاسلام ، وقد استقامت أخلاقهم في زمن مدة قصيرة : هي ثلاثة  
وعشرون عاماً في الاسلام . وانتشروا في الأرض متقمصين أثراً من القداسة  
يبشرون بالأخلاق السامية والشهامة . ومرد ذلك كله الى الصلاة . إذ لم  
يكن هناك مدارس ولا جامعات ، ولا أية واسطة لترقية الزراعة والتجارة ،  
وإنما هي . سبحانه ربى العظيم وبحمده ، و . سبحانه ربى الاعلى وبحمده ،  
غذت أرواحهم وأوصلت كل واحد منهم الى دروة المجد الذى لا يمكن نيله  
بواسطة أخرى .

إن يال الفصائل عمل جبار ، وما أندر أن تتصاحب العظمتان الدينيوية  
والأخلاقية . وما يال الفصائل إلا الذين ينحتون أمام الله ، ويصعون  
بإهتمام الى أقرال رسله ، بينما تنحى أمامهم الأمم متطلعة الى أمجادهم الدينيوية ،  
والخلقية والروحية ، التى لم يسبق لها مثيل . ذلكم هو تأثير . سبحانه ربى

العظيم وبحمده ، و « سبحانه رب الأعلى وبحمده ، عندما تتلى من أعماق القلوب .

وللتمييز بين وسائل نيل العظمة والرفعة ، وجد ركوع واحد وسجدتان في كل ركعة من الصلاة . وإن الحاجة الى رفعة الروح والأخلاق والطبائع معادة مكررة . ولا يخفى أن للعظمة الدنيوية المقام الثاني إذا قورنت بالمجد الروحي ، فإن العظمة المادية شيء سهل ، ولكن الرفعة الروحية شيء شاق وقد تنال الأولى سدا للجهود المادية ، ولكن لن تنال الأخرى إلا بالاتصال الروحي بالله وحده ، والخير كل الخير كامن في الجهاد الأكبر في سبيل السموات الأخلاق .

أما لشكل الثاني للتقدم الذي تبدأ الصلاة اليه الطريق فهو التقدم الجمعي أو الاجتماعي ، وحجر الزاوية فيه سورة المائدة .

إن الإجماع أمام الله يرفع من شأن الأفراد ، ولكن الإلتزام بصغوف مرتبة أمامه يدفع للجحاح الجمعي . وإن الصلاة والجمود يقللان من أثر الصلاة في تقدم الفرد ، إذ يجب الإفصاح عن كل ما يطرأ على ذهن الإنسان عند الصلاة ، لأن فيها يتلائم العمل والتعبير ، ويشد تأثير الدعاء إذا اقترن بحركة جسمية تنبئ عن تواضع عظيم أمام الله . وقد قال الرسول الكريم محمد ﷺ « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » .

يتلو المرء سورة الفاتحة من القرآن ، وهي سورة جليلة لقدر وأولى آياتها : « الحمد لله رب العالمين » .

إن ألوهية الآله تنص بهدى البشر ، وعاية القرآن الحقيقية رفع الجنس البشري وإعلاؤه الى ذروة الرفعة . وترى كلمتنا « رب العالمين » الى أن هذا الكتاب المقدس لم يوح به لأجل شعب معين ، أو قوم معين ،

أو فطر معين . وقد صرح النبي الكريم أيضاً ، بأنه جاء لهداية أهل الأرض طراً .

وقد فكر بعضهم بأنه إذا كان الله تعالى يشمل كل الناس برحمته فليماذا لم يحدد نشاط الجميع روحياً بعد دعوته فيهم الرسول ، . لقد قدر الله للإنسان ما يعتدى به جسمه تدريجياً ، وإن العناصر الأربعة : ( النار ، والماء ، والهواء ، والكرة ) ، تمتد في القدم الى عايته منذ ظهور الحياة على هذا السيار وقد سيطر عليها الانسان تدريجياً ، ولقد يستطيع أحد أن يقول إن هذا المخلوق مطلع على أسرار الطبيعة ومكتوناتها ، وأنه قد أخصصها لارادته . ومع أنه قد استعذقوته ووقته لفك مغالق الكون . فما يزال هناك الكثير الذي يمكن البحث عنه . أما الابحار الروحانية فأدعى الى الدهشة ، وإن لافصح عنها أصعب ، وقد وعد الله تعالى أن يرفع الانسان الى ذروة التقدم الروحي ولا يمكن الوصول الى ذلك بدون وقت . وسوف يصل اليه الانسان تدريجياً وقد أرسل الله تعالى رسوله لهداية الأمم بصورة متفرقة ، ثم أرسل كل رسالته على خاتم النبيين محمد ﷺ لينشرها بين أهل الأرض كافة ، ولا بد من مرور زمن ليدرك الناس أصول هذا الوحي والقوة الباعثة له ، وسيتفهم الناس تدريجياً من إرداكم هذا .

إن آية ، الحمد لله رب العالمين ، حجر الزاوية في التقدم الجمعي . وتتحد عند تلاوتها أفكار الانسانية جمعاء في الخضوع لله ، ويشعر الانسان بتصاله التام بالجنس الشري ، على الرغم من انسانيته الى عائلته ، وعنصره ، وأمنه ، وبلاده . فهو يشعر بشعورهم ويتمى جلودهم جميعاً . وإذا حل الهدم والتحريب والموت بأفراد جلسه في أية بقعة من بقاع الأرض تعنى قلبه أسمى ، وردد في عمرة هذا الألم ، الحمد لله رب العالمين ، ودعا الله ضارعا



طالباً خيراً كل ذى حياء في هذا الوجود . وتلك نفس الصرخة التي تخرج من قلوب القديسين والحكماء والأنبياء ، فتعدوا لها شافياً لادواء الالام . وما أحلص هذا الدعاء : يا رب أنقذ كل مخلوقاتك من رذائلهم ومفاسدهم وصلهم بنورك بحيث يعرفونك . يا خلاق يا رب يا الله ، إن مخلوقاتك تتكسب سبيلك وتسير نحو الرذيلة مقسمة الى مجاميع متميزة مهطعة نحو الفناء . إرحمهم يا رب وأر ظلمات قلوبهم . وأمطر شآئيب الرحمة على أرواحهم الضائعة ، واسك الحكمة القرآنية في قلوبهم ، كما نير أشعة الشمس كل ظلام .

إن رفع السلاح ضد العدو ضرورة ماسة ، ولكن هناك سلاحاً آخر هو سلاح الصلاة الجبار الذي فرضه الله تعالى على المسلمين . إن أى انتصار ماله المسلمون في بدر لم يكن بسب تقوى قريتهم أو عددهم ولكن بسب الصلاة التي صلوها ، ودعاء المضطر الذي دعوه طيلة الليلة الساقطة التي وجدوا القسم بها أضعف كثيراً من عددهم . ويشه ذلك حالة المسلمين اليوم ونقصهم في القوة والنفوذ . ولو أفادوا من سلاح الدعاء الذي لا يهيب ، وحشعوا أمام الله تعالى طالبين منه النصر لفتح سبحانه لهم آياتاً من حيث لا يحتسبون النصر إن في القسبة الدرية - والحقيقة أولى أن نقال - لبأساً شديداً ، وفي مقدورها أن تدمر مديناً وأنظاراً ، ولكن الدمع المسفوحة أمام الله القوى الجبار ، أكثر بأساً . ويمكن أن تغير مجرى الحوادث بصورة مذهشة تبلغ حد الإعجاب .

ثم تأتى الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، فهو يرحم الانسان ويرزقه سواء سعى أو لم يسع . فمن يعمل صالحاً يره ، وتلك رحمة من الله ، ومن عمر ستة عوف ، ليتبع سوى الصراط ، وتلك رحمة أيضاً . تتكلم الآية لاولى عن الرحمة الالهية ، وتفسرها الآياتان التاليتان تفصيلاً .

وأول أوجه الرحمة : إن الله يغذى الإنسان ويرزقه سواء سعى أو لم يسع ، ويمده تعالى دوتما طلب بوسائل ووسائل للوغ المجد الروحي ، وبهذه الصفة الإلهية أرسل الله أنبياءه لهداية البشر .

وأما الوجه الثاني : فهو المتعلق برحمته الواسعة . فإذا ماسعى المرء كوفي ، على سعيه بأكثر مما يستحق ، ونجد عين ذلك في الأمور الدنيوية أيضاً إذ تفتح الحبة الواحدة مئات من أمثالها ، ورب عمل صالح واحد جلب رحمة واسعة من لدنه تعالى .

أما ثالث وجوه الرحمة الإلهية ، فهو أن الله برحم حتى أولئك الذين يقتفون خطى آياتهم في المعاصي ، والتائبين في بقاء الفساد ، والهاوين في مهواة الضلال ، والذين يسعون لكسر شوكة الحق في هذه الأرض .

ثم يلي ذلك القسم الثالث من سورة الفاتحة ، إياك نعبد وإياك نستعين ، والمراد بها المؤمنون بالله حق إيمانه ، المعتقدون بوحدانيته ، وهم المسلمون الذين اتبعوا إلى الكريم محمد ﷺ ، ويمتارون بشايطهم : إياك نستعين ، وهم يقررون بحجهم أمام الواجبات العظيمة ، ويؤمنون بعون الله لهم ، ولا يعبدون غيره ، ويسألونه المعونة في كافة مرافق الحياة . وما أقوى الصوت المنبعث من قلب المؤمن إذ يصل من أجل كل المؤمنين أينما حلوا . وإن مفتاح تقدم الإنسان الروحي كامن في حقيقة شعوره بالآلم لمصاب الآخرين ، وإن يسمو الإنسان روحياً ، ولا أخلاقياً لو جرد من هذا الشعور . وما هذه الصلاة في الحقيقة إلا الخطوة الأولى للتقدم الجمعي ، إذا ما طلب الإنسان العون لقوم أو جماعة .

إن القلب ليأسى إذ نقرأ ، إياك نعبد ، ونحن نأمل حال المسلمين اليوم أم يعبدون الله حقيقة ؟ أيكنى أن تؤدي الفريضة في كل يوم ثم تستسبح

عما لا يتفق مع أوامر الله ونواهيه ، وما عبادة الله إلا الخضوع له ، والاستكانة أمامه . أيطيع عامة المسلمين وبهم ونيه الكريم ؟ وإذا تركنا جاناً الطاعة لأوامر الله بحمد المسلمين غير حريصين على تأدية فريضة الصلاة . أويدهبون هم إلى المساجد خمس مرات يومياً ؟ أهيركعون هم أمام الله ؟ وهم في ذلك سواء أعنيأؤهم والفقراء . تلك حالة صلواتنا ، فكيف تستمد العون من الله ؟ ألا ان هذه مخالفة صريحة لأوامر الله تعالى .

وعلى الرغم من ذلك يوجد من يؤدي صلواته ويسجد لله . فهناك من يهرعون إلى المساجد إذا دعوا للصلاة تركين واجباتهم وأعمالهم وأشغالهم . وهناك من يتهاونون في الدين ويندفعون الدموع أمام الله . وفيهم من يضجون بأرواحهم وأموالهم وأوقاتهم ونفائسهم لآتمام نور الله . وإن بعض الناس يصحون برؤوسهم دفاعاً عن سلامة الاسلام من تهجمات المعاندين . ومن المسلمين من يشعر براحة عظيمة بالصلاة وطاعة رسول الله . وإن عدد من ذكرنا محدود بالطبع ، ولكن الله على كل شيء قدير ويستطيع أن يجعل هذه الأقلية أكثرية ، ولو شاء الله لمع عن الأقلية أكثرية إكراماً لهذه الأقلية أما القسم الرابع من سورة الفاتحة : فيوضح بوازع الانسان نحو الدين القيم ليس لنفسه حسب ، ولكنه يتمي لآخواته في الشريعة أن يسيروا معه في طريق الخلاص ، وهذا القسم : إهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المعصوب عليهم ولا الضالين ،

ويعبّر الانسان هنا عن نفسه بصيغة الجمع كما في : إياك نستعين ، ليضمن جميع البشر ، وكذلك : إهدنا ، إذ يراد بها كافة الناس وهم يطلبون الهداية للطريق السوي . فنحن جميعاً مقصودون بآية : إياك نعبد ، نحن جماهير المسلمين ، أتباع النبي محمد ﷺ ، أيها كما ، وإلى أي عنصر انتمينا .

وفي أى بلد عشنا

فما هو هذا الصراط المستقيم الذى نطلب الهداية اليه ؟ انه طريق يسلكه من أنعم الله عليهم ، وهم الحكماء ، والأولياء ، والأنبياء ، هم الذين يشعرون بعجز النفس الشئ ويسعون للحير العام بطريق مستبين المعالم . وإذا ماس هذه النفس الطاهرة لعبوب من جهادها للصحة العامة في محاربة شذوذ الاتحاد ، سجدت لله وحلت له من الأعماق .

ولصلاة الفرد من أجل المجموع أثر عظيم وقابلية حقة ، إذ يوجد بين البشر في كل الأمم ومختلف العصور من سمات أخلاقهم وطهرت أرواحهم فكانت غايتهم من الدنيا خدمة الإنسان ، وتوثيق صلاته بالله ، ومعاونته على ذلك ، وكان صحابة النبي ﷺ من هذا الطراز الأمثل إذ أحسوا في قرارات نفوسهم بعد أن اعتنقوا الاسلام عما يدفعهم الى شره والذب عنه ويستطيع أتباع النبي أن يقوموا بمثل هذا العمل النبيل في يوم الناس .

وتتمد الصلاة السبيل فضلا عن التقدم الفردى والجمعى الى تقدم ثالث هو نشر الاسلام ، والأخذ باصر الحق ولا حير في التقدم الفردى أو الجمعى ما لم يكن في هوسنا ميل لهذا التقدم الثالث ، وإن الفرد ليرقى برقى الجماعة ، وفي ذلك كل الخطر الذى لا يكسر شوكته إلا الانصياع للحق . فكم من أمة بلغت أوجاً من الحرية الفردية والجمعية والتقدم ولكنها تنكبت طريق الرشاد لفقدانها الضرورة الثالثة . وفي الواقع أن العالم اليوم يؤمن بأن التقدم الاجتماعى للجماعة عاية في ذاته . وإذ لا يمكن خدمة الأخلاق والحق بالقول فقط ، لذلك تأنى قلوب الجماعات المتقدمة هذه الخدمة غير المحلصة . وقد أضحى الاسلام بالصلاة في أن يحكم صلة الحق والبر الإلهى بروح الإنسان .

وهناك حقيقة ناصعة تنبئ عن تواريح الأمم : هي أنه ما من أمة قامت بالصلوة بكل معنى الكلمة ، إلا ومالت التقدم ثلاثة أشكاله تدريجياً ، ويصل فيها الأفراد إلى أسنى الخلق وقد نال المجتمع الاسلامى رقياً لا مثيل له فانتشر في بضع سنين صوت الله وعم وحبه ونوره أفصى العالم ، وتفتحت أدهان الناس عن عواطف دينية مقدسة ، ورفعهم الله إلى قمة المجد الروحي والمادى . وليس لذلك من سبب إلا الاتصال بينهم وبين الله ، ذلك الاتصال الذى كونه النبي محمد ﷺ . وما هذا الاتصال إلا الصلاة ، وإن سنة الله ثابتة لا يمكن مخالفتها . فعلياً نحن عن اتصال صحيح بالله عن طريق الصلاة المخلصة ، وسوف نعال دون ما ريب نفس المجد الذى ناله الاسلام والمسلمون في الأيام الطيبة المصروفة .

\* \* \*

إن لفظ الصلاة من الأسماء الشرعية . ولا شبهة في أنها عربية . فلا يجوز أن يكون الشرع ارتحلها ابتداء من غير نقل وإلا فلم يصح قوله تعالى : **إنا أنزلناه قرآناً عربياً** ، فلا بد أن يكون له في اللغة معنى آخر ، فاختفوا في أصله فقيل الدعاء ( قال الأعشى :

عليك مثل الذى صليت واعتصمى يوماً فإن لجنب المرء مضطجعاً

- أى دعوت - . وقيل للروم ) قال الشاعر :

لم أكن من جناسها علم الله وفى بحرهما اليوم صال

- أى ملازم بحرهما - فكان معنى الصلاة ملازمة العبادة على الحد الذى

أمر الله به . وقيل أصلها من ( الصلا ) - وهى عظم العجز - لرفعه في الركوع والسجود . وقيل مأخوذة من ( المصل ) وهو الفرس الذى يتبع غيره . وعلى القول الأول أكثر العلماء ، إذ لا صلاة إلا ويقع فيها الدعاء

أو ما يجري مجراه . وربما تخلو صلاة عن متابعة الغير ، وإذا عم وجه الشبه في كل الصور ، كان أولى بما يختص ببعضها . وأيضاً إطلاق اسم الجزء على الكل أمر شائع مشهور ، فاخل عليه أولى . قال بعض الصوفية اشتقاق الصلاة قيل من ( الصلي ) وهي النار ، والخشبة المعوجة إذا أرادوا تقويمها تعرض على النار ثم تقوم . وفي العدد اعوجاج لوجود نفسه الأمانة بالسوء ، وسبحات وجه الله الكريم التي لو كشف حجابها لا حُرقت من أدركته ، يصيب بها المصلي من رهب السطوة الآلهية والعظمة الربانية ، ما يروى به اعوجاجه ، من يتحقق به معراج . فالمصلي كالمصطلي بالنار ، ومن اصطلي بنار الصلاة وزال بها اعوجاجه لا تعرض على نار جهنم إلا تحلة القسم .

روى أبو جعفر ( محمد بن يعقوب الكليني (ره) - في الكافي - والصدوق في كتاب - من لا يحضره الفقيه - ، إنه قال رسول الله ﷺ ما من صلاة يحضر وقتها إلا مادي ملك بين يدي الناس ، أيها الناس قوموا إلى بيرانكم التي أوقدتوها على ظهوركم فاطمئنها بصلواتكم ، . وقد ورد أن الله تعالى إذا تجلى لشيء خضع له ، . ومن يتحقق بالصلاة في الصلاة تلعب له طواسع التجلي فيخشع ، والفلاح للدين هم في صلاتهم خاشعون ، ومانتفاء الخشوع ينتق الفلاح ، وشهد القرآن المجيد بالفلاح للبصليين . وروى ابن عباس عن رسول الله ﷺ : لما خلق الله تعالى جنة عدن ، وحلق فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . قال : لها بكلية قالت قد أصبح المؤمنون ثلاثاً ، . وعن رسول الله ﷺ : إن لعبداً إذا قام إلى الصلاة فإنه بين يدي الرحمن ، فإذا التفت قال له : لرب إلى من تلتفت إلى من هو خير لك مني ، أس آدم أقبل إلي فأنا خير لك من تلتفت إليه ، . وأبصر رسول الله ﷺ رجلا يصيح بلحيته في الصلاة فقال : لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ،

وقال بعضهم . لصلاة في اللغة هي الدعاء ، فكان المصلي يدعو الله بجميع جوارحه ، فصارت أعضاؤه كلها ألسنة يدعو بها طاهراً وباطناً وتشارك الظاهر والباطن بالتضرع والتفعل في الهيئات والسموات . تمتق متضرع سائر محتاح فإذا دعا بكليته أجابه مولاه . لأنه وعد فقال . ادعوني أستجب لكم . أسرهم بالدعاء ووعدهم بالاجابة ليس بينهما شرط ، والاستجابة والاجابة هو نفوذ دعاء العبد ، وإن الداعي الصادق العالم بما يدعو به بنور يقينه تحرق دعوته للحجب . وتقف الدعوة بين يدي الله منقاصية للحاجة . وخص الله هذه الأمة بأمرال فاتحة الكتاب وفيها تقديم الشاء على الدعاء ليكون أسرع الى الإجابة ، وهي تعلم الله عباده كيفية الدعاء . وفاتحة الكتاب هي لسبع المثاني والقرآن العظيم . وفيل سميت مثاني لأنها نزلت على رسول الله ﷺ مرتين ، مرة بمكة ومرة بالمدينة . فكان له سبع لكل مرة نزلت منها فهم آخر . بل كان له لكل مرة قراها على التردد مع طول الرمد فهم آخر . وهكذا أهل التحقيق من المصلين من أمته يكشف لهم عجائب أسرارها ولوامع أبرارها ، ويقذف لهم كل مرة درر بحارها . وعن رسول الله ﷺ أنه قال . إذا قام أحدكم الى الصلاة فليسكن أطرافه . ولا يتميم تميل اليهود . فإن سكون الأطراف من تمام الصلاة . وقال ﷺ . تعودوا الله من خشوع النفاق . قيل وما خشوع النفاق قال . خشوع البدن وفوق القلب ، واليهود يتميلون في الصلاة ، فإن بعض الصوفية : سببه أنه كان موسى عليه السلام يعاين بنى اسرائيل على طهر الأمور نقله ما في باطنهم من نور المعرفة ، وكان يهب الأمور في أعينهم ويعطمها ، ولهذا المعنى أوحى الله تعالى إليه أن يحلي التوراة بالذهب .

قال عظيم هذه الأمة وخرها الشيخ ملا صدرا الشيرازي قدس الله روحه

الطاهرة : « ووقع لي - والله أعلم - أن موسى عليه السلام كان يرد عليه الوارد في صلاته وحال مناجاته ، فيتموج « طه كحرسا كن يهب عيه الريح فتتلاطم الأمواج ، فكان تمايل موسى عليه السلام لتلاطم أمواج بحر القلب اذا هبت عليه نسائم لعل ، وربما كانت الروح تطبع الى الحضرة الالهية فيهم بالاستعلاء للقلب بها تشبه وامتزاج فيضطرب القلب ويتمايل فيرى طاهره متمايلا . ولهذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إكساراً على أهل الوسوسة : « هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بني إسرائيل حتى شهدت أبدانهم وعلت قلوبهم لا يقبل الله صلاة امرء لا يشهد فيها قلبه كما يشهد فيها بدنه وإن الرجل على صلاته دائم لا يكتب له عشرين اذا كان قلبه سامياً لاهياً . »



إن الله تعالى أوجب الصلوة أحسن وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصلوة عماد الدين ومن ترك الصلوة فقد كفر » . وعنه عليه السلام في طريق أهل البيت عليهم السلام : « ما يقرب العبد الى الله بشيء بعد المعرفة أصل من الصلوة » . فالصلوة تحقيق العبودية . وأداء حق الربوبية . وسائر العبادات وسائل الى تحقيق سر الصلوة قال - سهل بن عبد الله التستري - : يحتاج العبد الى السس الرواتب لتكامل لهرائف ، ويحتاج الى الوافل لتكامل السس ويحتاج الى الآداب لتكامل الوافل . ومن الأدب ترك الدنيا وقد ورد في الأحبار أن العبد اذا قام الى الصلوة رجع الله تعالى الخجاب بينه وبينه ، وواجهه بوجه الكريم . وقامت الملائكة من لدن مكينة الى الهواء يصلون بصلاته ، ويؤمنون على دعائه ، وأن المصلي لينثر عليه من البر من عنان السماء الى مفرق رأسه ، ويأديه منادوا لو علم المصلي من ياجي لم التفت . وقريب من هذا ما رواه أبو - جعفر محمد بن يعقوب السكيتي - عن



محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : « للصلي ثلاث حصال إذا هو قام في صلاته . خفت به الملائكة من قدميه إلى عنان السماء ، وتسائر البر عليه من عنان السماء إلى مفرق رأسه . وملك موكل به يتأذى لو يعلم المصلي من يناجي ما افعل ، . وقيل قد جمع الله تعالى للصليين في كل ركعة ما فرق على أهل السموات ، فآله ملائكة في الركوع منخلقهم لا يرفعون رؤوسهم من الركوع إلى يوم القيامة . وهكذا في السجود والقيام والقعود . والعبد المستيقظ ينصف في ركوعه بصفة الراكعين منهم . وفي السجود بصفة الساجدين منهم ، وفي كل هيئة هكذا ، وبصير كالواحد منهم ويسم . وفي الصلاة أربع هيات وستة أذكار ، فاهية القيام والقعود والركوع والسجود والأذكار هي ابتلاوة والتسبيح واخذ واستغفار والدعاء ، والصلاة على النبي وآله . . فصارت عشرة كاملة تنفرق هذه العشرة على عشرة صفوف من الملائكة كل صف عشرة آلاف فيجتمع له في الركعتين ما ينفرق في مائة ألف من الملائكة .

« أفعال وآراء في الصلاة ،

وفي طريق أحمادنا الإمامية وغيرهم من أساطين علماء الإسلام - رضوان الله عليهم - أحاديث وأقوال كثيرة في فضل الصلاة وأسرارها ، وقلها جميعاً يؤدي إلى عناء وإسهاب ولمكننا نستعرض منها ما نيسر  
قال رسول الله ﷺ : « الصلاة مرصات الله ، وحب الملائكة وسنة الأنبياء ، ودرر المعرفة ، وأصل الإيمان ، وإجاة الدعاء ، وكراهة

الشیطان ، والشفیع بین صاحبها ، والسراح فی القبر ، والفراش تحت جنبه وجواب منکر وکبیر ، والمؤنسة فی السراء والصراء ، والصائرة معه فی قبره الی یوم القيامة .

وقال أمیر المؤمنین - علی - علیه السلام : تعاهدوا أمر الصلاة وحافظوا علیها ، واستکثروا منها ، وتقربوا بها ، فإنها كانت علی المؤمنین کتابا موقرنا ، ألا تسمعون الی جواب أهل النار حين سئلوا مامدکم فی سقر قالوا لم نك من المصلين ، وإنها تحت الدوب حت الورق وتطلقها إطلاق الریق . وشبهها رسول الله صلی الله علیه وسلم بالحنة تكون علی باب الرجل ، فهو یعنل منها فی الیوم واللیلة خمس مرات فما عسی أن ینقی علیه من الدرن ، وقد عرف حقها رجال من المؤمنین الدین لاتعلمهم عنها رینة متاع ، ولا قرعة عین من ولد ولا مال . یقول الله سبحانه : رجال لاتلهمم تجارة ولا بیع عن ذکر الله وإقام الصلاة وإیتاء الزكاة .

وأقبل علیه السلام ذات یوم علی الناس فقال : آیه آیه فی کتاب الله أرحی عندکم فقال ، بعضهم : إن الله لا یغفر أن یشرك به ویغفر ما دون ذلك لمن یشاء . قال : حسنة ولیست إیابا . فقال بعضهم : ومن یعمل سوءاً أو یظلم نفسه الآیه ، فقال : حسنة ولیست إیابا . فقال بعضهم : یاعبادی الدین أسرفوا علی أنفسهم لاتنقطوا من رحمة الله ، قال : حسنة ولیست إیابا . وقال بعضهم : والدین إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذکروا الله فاستغفروا الدنویهم . قال : حسنة ولیست إیابا ثم أحجم للناس فقال مالکم یامعشر المسلمین قالوا لا والله ما عندنا شیء . قال سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول : أرحی آیه فی کتاب الله . وأقم الصلاة طرفی النهار وزلفاً من اللیل ، وقراء الآیه کلاً ، وقال یاعلی والذی بعثی بالحق نبیاً ونذیراً

إن أحدكم يقوم إلى الوضوء فبساط عن جوارحه الدروب فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم يقتل عن صلاته وعليه من دونه شيء كما ولدته أمه ، فإن أصاب شيئاً بين الصلاتين كان له مثل ذلك ، حتى عند الصلوات الخمس . ثم قال يعلى إمام ملة الصلوات أحسن لأمتي كنهر جار على باب أحدكم فما يطل أحدكم لو كان في جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات في اليوم أ كان ينقى في جسده درن فكذلك والله الصلوات الخمس لأمتي .

وقالت فاطمة ( صلوات الله عليها ) في خطبتها الشهيرة : . فرص الله الصلاة تزيها من الكبير .

وقال الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) : . وحق الصلاة أن تعلم أنها وفادة إلى الله تعالى ، فإذا علمت ذلك فت مقام الدليل الحقير ، الراغب والراهب الراجي ، الخائف المسكين ، المتضرع ، المعظم لمن كان بين يديه بالسكون والوقار ، وتقل عليها قلبك ، وتقيمها بمحدودها وحقوقها ، مع الإطراق وخشوع الأطراف ولين الجناح ، وحن المناحة له في نفسه ، والرغبة إليه من فكك رقبتك التي أحاطت بها حظيتك واستهلكتها ذوبك . .

وقال الإمام - الباقر (عليه السلام) - . . بادغى العلم صل قل أن لا تقدر على ليل ولا نهار تصل فيه ، إماماً مثل الصلاة لصاحبها كمثل رجل دحر على دى سلطان فأنصت له حتى فرغ من حاجته ، وكذلك المرء المسلم يردن الله عز وجل مادام في الصلاة ، لم ير الله عز وجل ينظر إليه حتى يفرغ من صلاته . .

وقال الإمام - الصادق (عليه السلام) - حينما سئل عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم ، فقال : . ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة ، ألا ترى أن العبد الصالح - عيسى بن مريم (عليه السلام) - قال . وأوصاني بالصلاة

والزكاة ما دعت حيا . .

وجاء عن الإمام - الرضا عليه السلام - : « إن علة الصلاة إنها إفراد بالربوبية لله عز وجل ، وحلح الأبدان ، وقيام بين يدي الجبار جل جلاله بالليل والمسكنة ، والخضوع والإعتراف والطلب للإقالة من سالف الذنوب ووضع الوجه على الأرض كل يوم إعطاماً لله عز وجل ، وأن يكون ذا كراً غير باس ولا بطراً على ذكر الله عز وجل بالليل والنهار لئلا ينسى الصديقه ومعبده ومخالقه فيبطل وبطغي . ويكون في ذكره لربه عز وجل وقيامه بين يديه زاجراً له عن المعاصي . ومناغاة من أنواع الفساد .

كان - سليمان الفارسي ره - مع جماعة من أصحابه تحت شجرة . فأخذ غصناً منها فنفضه فساقط ورقه . فقال : « ألا تسألوني عما صنعت فقلنا خبرنا . قال : كما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ظل شجرة فأخذ غصناً منها فنفضه فساقط ورقه . فقال : ألا تسألوني عما صنعت . قلنا خبرنا يا رسول الله . قال : إن العبد المسلم إذا قام إلى الصلاة تحاتت عنه خطاياہ كما تحاتت ورق هذه الشجرة . .

« إن الصلاة عارة عن تشبه بالفساد الانسانية بالأشخاص الكريمة الآلهية ، في تحريكها للأحرام الملكية . فما أشد شناعة الإنسان حين التشغل بالصلاة الكاملة تلك الأشخاص الكريمة بأرواحها الملكية ، في تعبدتها الدائم وركوعها وسجودها وقيامها وقعودها طلباً للثواب السرمدي ، وتقرباً إلى المعبود الأحدي ، ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم : « الصلاة معراج المؤمن » . وقال : « الصلاة عماد الدين » . وأصل الدين تصفية الروح عن الكدورات والهواجس النفسانية . والصلاة الحقيقية هي التعبد للبدأ الأعلى والمعبود الأعظم والخير الأشرف . والتعبد في الحقيقة عرفان الحق حل بحبه . والعلم بآياته بالسر

الصافي ، والقلب النقي . والنفس الفارغة . فسر الصلاة التي هي عماد الدين هو العلم بوحداية الله . ووجوب وجرده . وتبره دانه . وتقدس صفاته وأحكام أفعاله . ونفاذ أمره في خلقه . وجريان قضائه في قدره . وقلبه في لوحه . وتعلق عبايته ورحمته بعباده . ومن فعل هذا فقد أحلص وصلى وما ضل وما غوى . ومن لم يفعل هكذا فقد افتقر وعصى . ( ملا صدرا الشيرازي في تفسيره ) .

• إن الصلاة أشد أهمية تخاطب الصائتر ، وتذكرها بالاخلاص لله والانسانية ، وتربط قلوب المصلين بباطن الإله في الله . وتريدهم قوة على قوة ، تنهار أمامها جميع الفوارق . وتبحث على تصاميم المؤمنين لإعلاء كلمة الحق ، والانتصار لأهله . وهل الحكمة من صلاة الجماعة إلا إحترام إرادة الجماعة . وعدم الخروج على الجماعة . ( محمد جواد مغنية : الاسلام مع الحياة ) .

• وما يستفيد من الصلاة . عزة النفس . وحب الكرامة ، حيث توصلنا الصلاة بالله تعالى وتعلمنا السؤال منه . دون سائر مخلوقاته من الناس لأن له قول مهم دل واحتقار . واطلب منهم كبت للنفس العالية ، وشعور بالعبودية الممقوتة . أما عادة الله ، فيصفا تمام الشعور بالعبودية ، وكال رغبة النفس . وخاصة عندما يلتفت إلى ما منحه الله للمؤمنين من الحرية ، والكرامة الشخصية . والمصلي عندما يكرر هذا الفصل : الله أكبر . أكثر من مرة في صلاته لأجل أن يجعل هذه الكلمة أمام نفسه ، ويتفهم أسرار معانيها . يدرك منها أن الله أكبر كل مخلوق ، وأعظم من كل إنسان ، فيصبح لا يحمي أحداً ، ولا يهاب ملكاً غير الله . ونستفيد من الصلاة ( أيضاً ) الصدق والأمانة ، وحسن الخلق والعطف والرأفة ، وغيرها من مصاديق الفصيلة

وأفراد الخير التي إهتم الإسلام في نشرها ، وتعميمها بين الأفراد والجماعات وكل ذلك لأجل نشر الاسلام في نفوس الأفراد ، ونفسية المجتمعات . والصلاة شرعت للتذكير بالاسلام والدعوة اليه . ولهذا يحتم المصل صلاته بدعاء السلام حيث يقول : ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ( محمد رضا شمس الدين كتاب فلسفة الصلاة ) .

• لا ريب في أن الصلاة عقد بين الله والانسان . وإذا تأملنا الفاتحة نجد فيها شروط عقد متبادل ، وعلى ضوء هذه الملاحظة يكشف لنا سر تكرار الصلاة اليومية على الشكل المعمور في الاسلام . وجعلها ليلية ونهارية وهذا السر هو تجديد العقد وتركيبه حتى لا تضعف فعاليته ، وحتى لا تمر بالمرء ساعات فتور واسترخاء ينحل فيها أحكام العقد فيحلل بذلك دائماً طرماً في عقد جديد . وكما هو معروف على الباحث أن الصبر ، والوجدان ، والعقائد تتولد من التكرار والتلقين ، والصلاة صيغة تلقين وعملية تكرار معاً هذا فهمنا الى الصلاة في الاسلام من ناحية عملية . وأما هي من ناحية فلسفية فإياها أصبح طريق وأسلوب ، وأصبح شكل وصيغة لما يسمى - ساندerson - أحد علماء الفس التطبيق - معبد الرؤيا - هذا المعبد الذي يتأمل فيه المرء مفرداً . ويخشع مستغرقاً متفكراً . وهو يرى أنه لا صلاح للفرد ، وبالتالي للجماعة إلا بمعبد الرؤيا ، أو ساعة التأمل اليومية ، وقد صممتها الاسلام على شكل مدھش من التكرار في صبح النهار وفي هدوء الليل ، وكأن الاسلام بصلاة النهار يتبرع الانسان ابتزاعاً ليفرقه في التأمل والاشراق ولو لحظات ، ( عبد الله العلاتي : أيام الحسين ) ، ثم اعطفوا أنظاركم الى أسرار تشريع الصلاة ، وما تضمنت من استعراض جميع من بلغ الرشد ، من أربعمائة مليون مسلم خمس مرات في

كل يوم وليلة ، في صفوف منتظمة . بكل سكية وحشوع ووقار الأмир بحجاب المأمور ، والخادم بأداء المخدم ، والعقير بحذاء أمي . والصغير بحجاب القوى ، والرفيع مع الوضيع . والسيد بصف المسود ، والكل منكسر لله ، دليسل بين يدي رب عظيم فاهر ، دون ميرة لبعضهم ، ولا أفضلية فيما بينهم . وكلهم يستقبلون الكعبة المشرفة . ويتجهون الى بقعة أشرقت منها شمس الهداية المحمدية ﷺ ، يتلون النشيد الإلهي . والسبع المثاني ، ويوجهون قلوبهم ونفوسهم الى المدأ الواحد ، والآله القادر . وفي ذلك وحدة الشعور ، وتوحيد المشاعر ، والمفاودة في سبيل نصرة الحق والتعريف على الظالم . الطاعة والاتباع والائتياد للإمام ، وفي جميع ذلك تعويد هم على أسس العدل الاجتماعي . من المساواة والحرية والاتلاف ، وصفاء النفس من كدر الشوائب ، وانصافها بحلائل الخصال والمكارم ، وأمهات المصائب وعدم الاعتداء على أحد في ماله وحقوقه وعرضه ودمه ، وهذا كاف للسلم العام ، مضافا الى أن الخضوع والخشوع لله يزيلان الطمع وحب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة ، وحب المادة الذي هو منشأ الحروب . ( عبد الكريم الرنجاني : من كتاب الرحلة ) .

• إن الصلاة تحط للإنسان خطة مستقيمة في حياته ، يكون الماشي عليها مهدأ في جميع جهاته ، • إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمكر . فكل قول أو فعل . مما رمر الى حقيقة وأصل : تطهارة البدن والناس عن الأقدار والنجاسات ، تعلم الإنسان تطهير ماله عن نجاسة الأخلاق الدنيسة ودرن الصفات الرديئة كالسكر والجسد والبعضاء والشجفاء وغيرها ، وإن تطهير الباطن والقلب - الذي هو موضع نظر الحق - ، أوجب عليه من تطهير الطاهر بغسل الأطراف وتطيقها ، • فإن الله تعالى لا ينظر الى صوركم ولكن

ينظر الى قلوبكم . . وإباحة المسكان واللباس التي هي من شرائط الصلاة أيضاً تشير الى أن الانسان يجب عليه أن يحافظ الحدود ولا يتعدى طوره في معاملاته مع الناس ، وينتقلع عن التطلب والتعدي الى حقوق الغير ، ويجب لهم ما يجب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه ، ولا يتعاطى شيئاً من أمورههم بلا إذن منهم ولا رصاً . والتكبير الذي يفتح به الصلاة ، يفهمها عظمة الخالق ، وأنه أكبر من كل شيء من مخلوقات ملكه وملكوته ، وهذا رمز الى جميع العلائق المادية . وفصم كل رابطة بينه وبين من هو دون خالقه ، والتوجه بكنهه الى حضرة قدسه . والقراءة التي هي مكاملة ومحاطة بين الخالق والمخلوق : ترشدنا الى مناجاة الروح والقلب مع رب الأرباب .

وفي الركوع يستشعر الإنسان عز مولاه ، وعلو مقام ربوبيته ويجرى ذلك بسبابه فيسبحه ويبرهه ، ويشهد له بالعظمة والكبرياء ، بقوله : سبحان ربي العظيم وبحمده . . ثم السجود الذي هو غاية مراتب الخضوع وأحسن درجات الخشوع ، وأعلى مراتب الإستكانة : عبارة عن تمكين أشرف الأعضاء وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب ، وهذا إشارة الى تذكر أصله وأنه خلق من التراب . ولله يرد كما ذكر تعالى : منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى . . ( محمد جواد التبريزي : عن مجلة العدل الإسلامي ) .

الإنسان مخلوق من الطين ، والطين مادة فانية لا لقاء لها ، يعتبريب الضعف والهرال ثم الإحلال . فيذهب الإنسان ولو كان أقوى الخلق وأحلمهم كأنه لم يكن ، فيصبح تراباً تذروه الرياح ، ولكن الله تعالى قد وصع في هذا الجسد روحاً منه ، تلك الروح التي بها تعقله وجميع مواهبه الأدبية . هذه الروح المودعة في الجسد ، تنسحب الى مصدرها وهو الله سبحانه وتعالى ، ولا



يرى لها مكان إلا لانهال به على كل حال من الأحوال ، ولكن كيف يتأتى ذلك لمن كان طول نهاره يشتغل في مهنته ، ثم يعود ليلا الى مرله ، فبأكل حتى إذا امتلأ بطنه ، وصعدت أبخرة الماء كل الى دماغه عله العاس حتى غلبه فنام أو خرج الى بعض أصحابه ، فأخذوا يتحاذون أطراف الملح ، حتى قالت قوائم ، فخدمت أجسامهم ، كيف يتأتى للروح أن تتمتع بالاتصال بمصدرها ، وهي مجبوسة في جسد طيبى ، صاحبه على هذا الشغل الشاغل من صناعته ، وأعد وأصحابه قد يدش الإنسان على هذه الحال مائة سنة ، ثم ينحل جسمه وينتلاشى ، وروحه لم تنل من بغيته من الاتصال بمصدرها الذى نشأ منه حاجة من حاجاتها ، بل هى الحائمة لجميع حاجاتها ، إذ منه تستمد وجودها ، وبه تستقم نوردها ، وتستديم إشرافها . فإذا لم يؤنها صاحبها بهذه الحاجة كانت كمن انقطع عن عالمه ، فانتبصت وطهر الامة باص منها على صاحبها يطهر الوحشة والاكتئاب ، وعدم النعاعة بشيء ، وربما ظن أن وحشته واكتنابه وعدم قناعته بسبب إملاقه من حظام الدنيا ، فجد فى الاستكثار منه ، وحاصر تلك العورات والأهوال . بل ربما تخيل أن وحشته واكتنابه نشأ من عدم أخذه حظاً من الملبيات ، فألقى نفسه بين أحضانها ، وجره ذلك الى السكام والديان . فقضى حياته فى كاتنا الحاليتين شديد الكلب على الدنيا عظيم الشره فيما لم يدع احتجاده ، هطراً لما فى يد غيره من الحطام . دائم الحيرة كثير الملح ، حتى تنتهى حياته وهو بين تلك العوامل ، وما درى ذلك المسكين أنه لو نال الدنيا ملكا ، ومن فيها خولا وخداما ، وامتد سخطه حتى حكم على هذه المجرعة الشمسية ، وهو مع ذلك حارم روحه من الاتصال بمصدرها السباوى . باراده ماله إلا حيرة ووحشة ، ثم انتهى وجوده بين دافع ملح . وعامر جرع ، كما تنهى

حياة كل غريب عن عالمه .

ومن هنا يتبين أن إنصال الروح بمصدرها السماوى ، ولو فى اليوم والليلة لحظات ، من الضروريات للإنسان ، لذلك شرع الله الصلاة فى كل دين ، وقد ثبت أن أكمل أنواع الصلاة ، هى الصلاة فى الاسلام لما يتقدمها ويتحلقها من الأعمال المهيبة على كمال الاتصال بالله .

يبدء المؤمن صلاته بالوضوء ، وهو من حاجات الجسد الماسة بالحياة ثم يقف موجهاً وجهه للكعبة ، رافعاً يديه قائلاً : الله أكبر ، أتدري مامعنى هذه التكبيرة ، وما وجه جعلها فى بدء الصلاة لاشك أن أحدنا وهو داهب الى الصلاة ، يكون خارجاً من العمل ، أو محاطاً بشواغل من الفكر ، أو مهتم بامر خطير ، ولكمه بقوله : الله أكبر ، يكون قد بحق كل ما سوى الله من الهراجس والوساوس ، وكأنه يقول : الله أكبر ، من كل ما شغلنى ، فست بمصع الى حديث نضائى ، ولا هاجس شيطاني ، بل أما متوجه الى الذى فطرنى ، غير مفكر فى سواء ، ولا شاغل نفسى بما عداه .

إذا اتى أحدنا هذه التحلية الذهنية والقلبية ، وصدق العزم فى توجيهه الى مولاه ، خضع فؤاده من الشوائب ، فأشرق عليه الحق سبحانه وتعالى وأمدته بصلته وبوره ، فأحس الإنسان روح جديدة تنبت فيه ، وطمأنينة كاملة تستولى عليه ، وسكينة تامة تزل عليه ، ثم إذا تلى بعدها فاتحة الكتاب وأعقبها سورة أو بعض آيات ، فقلب حاضر ، وصمير طاهر ، إزدادت الصلة به وبربه . وتوالى الصلاة تقوى هذه الرابطة السماوية فيه . فيصير إنساناً بالمسمى الصحيح ، لا إنساناً يقيمه الهم الحقير ، ويقعده ويرغبه الوهم الصريح . ويريد صد الشارع سبحانه وتعالى من فرض الصلاة ،

إحداث هذه الصلة . فالصلاة وسيلة لعاية عالية . هي هذه ، وليست هي ذاتها عاية ، فلا يجوز لاسان أن يعتقد أن الله تعالى فرض علينا الصلاة لنقوم ونعبد ، تالين القرآن بلا تدبر ولا تفهم ، بل يجب عليه أن يعتقد بأن هذه الصلاة وسيلة للإتصال به سبحانه ، والاستمداد من نوره وقوته .

هكذا فهم من كان قلما معنى الصلاة فكان النبي ﷺ يصل حتى تتورم قدماه ، ويركع مدة ما يقرأ أحداً حين آية ، ويسجد كذلك . وروى عن أئاعه الصحابة الصادقين ما يقرب من ذلك . فكان منهم من إذا قام للصلاة انقطعت عنه الخواطر ، فلا يعي شيئاً حتى ولو أودى في جسمه . فقلنا أن يجتهد في جعل صلاتنا صلاة صحيحة بالعكر فيما نقرأ ، وبالتوجه الى الخالق مهمة كبيرة ، وعزم صحيح ، وإلا ذهب تعبنا منها سدى قال ﷺ : « كم من مصلي ليس له من صلاته إلا النعب » . ( محمد فريد وحدي : في دائرة المعارف )

« نفوس قد نفضت عن التذكير بابها كما في مشاعر الحياة ، أو في تمتعها بالمدات ، فتسكب عن جادة الهدى ، وتفرق بها السبل ، ومن ثم كانت في حاجة الى مذكر يرقى بها الى العالم الروحي ، ويحدها من عالم الحس ، ويرجئها الى مراقبة من برأها وفطرها حتى تطهر من تلك الأرجاس والأدران ، وترتفع عن الهوى والعدوان ، وتميل الى العدل والاحسان . ذلك المذكر هي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر . وتنبئ الحزق والمطلع عند المصائب ، وتعلم البهيل الكرم والحدود » . ( أحمد مصطفى المراغى : في تفسيره ) .

والحفاظ على هذه الصلاة المضلي ينتهى عن الفحشاء والمنكر ، فلا يرضى لنفسه أن يكون حلياً من أحلام بيوت القمار ومعاهد اللهو والفسق . الحفاظ على هذه الصلاة لا يمنع الماعور ، بل يبذل معونته ورفده لمن يراه

مستحقاً لها . المحافظ على هذه الصلاة لا يعلف ولا يلوى في حق غيره ، وإن حقاً فرضه على نفسه ، أو التزمه رأياً بغيره ، كالاشتراك في الجمعيات الخيرية المحافظ على هذه الصلاة لا يضيّع حقوق أهله وعياله ، ولا حقوق أقاربه وجيرانه . ولا حقوق معامليه وإخراجه . المحافظ على هذه الصلاة يعظم الحق وأهله ، ويحتقر الباطل وجنده ، فلا يرضى لنفسه ، ولا لأمته بالذل والهوان ، ولا يمتز بأهل البغي والعدوان . المحافظ على هذه الصلاة لا تجزعه الوبائ ، ولا تقل غرار عرمة المصائب ، ولا تبطره العم ، ولا تقطع رجاءه النقم ، ولا تعث به الخرافات والأوهام . ولا تطير به رياح الأمان والاحلام ، فهو الانسان الكامل الذي يؤمن شره ويرحم في الناس حيره . ( محمد عبده : في تفسيره )

• وتشمل الصلاة نفوائدها الجهاز العصي للإنسان . . فملاوة على أنه لوحظ إنخفاض ضغط الدم في أنثائها مما يكون له تأثير مباشر على القلب والعمل على الحد من زيادة صربانه . فإن للصلاة تأثيراً مباشراً على الجهاز العصي ، إذ أنها تزيل توتره . . وتهدى من ثورته . . . وتنشفيه من اضطرابه بل تعتبر علاجاً ناحماً للأرق الناتج عن الاضطراب العصي . ( عبد الرزاق نوفل : في الاسلام والعلم الحديث ) .

• أما الصلاة وهي الركن الثاني من أركان الاسلام فحكها استحضار معنى الألوهية . وإذكاء الخوف والرجاء في قوس المؤمنين كي لا يترصوا لمخالفة أمر الله ، ولا يبغي بعضهم على بعض ، ليقوى عنصر الخير على صد عادية عنصر الشر ، وحصره في حدوده الطبيعية . فلا يعم الفساد ، ولا تهدم نظم السعادة ، ولذلك يقول الله تعالى : • إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر • . ( راعى عثمانى ) .

« المجتمع الانساني بحاجة الى قوة روحية ترفع من نفسية الأفراد على وجه الاستمرار الى من عليا ، وذلك خشية أن تنحصر روابط الأفراد في الحاجات المادية والمصالح الشخصية ، مما يؤدي الى الفساد في الأرض ، والصلاة هي التي تمد الجماعة الانسانية للإستمرار بالقوى الروحية التي لا بد منها لاصلاح المجتمع .

أما من الناحية النفسية فالإنسان إذا لم تتصل روحه بمبدعها ظهرت فيه مظاهر الوحشة والاكتئاب ، وعدم القناعة بشيء ، وربما ظل أن وحشته واكتنابه حصلا من عدم أحده خطأ من الملوك فألقى بنفسه بين أحضانها وجره ذلك الى تعاطي الخمر ، ففقد حيانته وهو شديد الإقبال على الدنيا ، عظيم الحسرة فيما لم يبلغ اليه إجهاده فيها ، دائم الحيرة ، كثير الهلع ، بينما الصلاة تنبذ للسر أن يسأل بآرائه كل ما يريد حتى يفس عن مشاعره ، وتخلق في الإنسان عقيدة إطاعة أوامر الله ، ولو كانت تتعارض ورغباته الشخصية ، كما ثبت فيه عدم اليأس ، وتدعو الى التماس القوة من الله ، والإنسان الذي يعتمد على الله لا يعرف اليأس الى قلبه ميلا ، ويملك من القوة النفسية ما يواجه بها أعظم المشاكل دقة وخطراً ، ( عفيف عبد المتاح طباره : في روح التمدن الاسلامي ) .

« الصلاة مظهر من مظاهر شكر المنعم ، وهي أعظم مظهر لشكره سبحانه في عامة الشرائع تشتمل الصلاة في الشريعة الاسلامية على منتهى الخضوع والعبودية ، كالركوع والسجود لواجب الوجود ، وعلى الدعاء ، والتوسل والتضرع الى الله سبحانه بدوام فيوضات الانعام والطف ، والاحسان على العباد الذين لا يملكون لانفسهم تقصاً ولا ضراً ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، .

تحتل صورة الصلاة بمظهر الاقرار لواجب الوجود بالربوبية ، بمظهر التوحيد وخلع الابداد ونقي الشرك والالحاد ، بمظهر نعمته سبحانه بالعزة ، والعظمة والجود والكرامة . بمظهر مشيول العبد للمعبود بهيكله ، وأركانه ، ولسانه وجانه . ( محمد صلى الدين الحسبي العالمى : فى مناهل الأشواق ) .. ولأجل إحكام الرابطة بين الخالق والمخلوق لم يكتف الرسول المرشد ~~بمظهر~~ بالآخلاق المهدية ، بل أرشد الناس الى تعاليم أوجبها بصفة عبادات تكفر طهارة النفوس وتقر بها ثجاء الخالق ، لأن الرابطة لا تكون بحكمة بين الناس ، قائمة على المعاملة الحسنة ، والعدل والانصاف والرحمة والعفوان والحب والاتلاف والانسانية ، إلا إذا كانت الرابطة بحكمة قلبه بين العباد وحالقتهم ، كى يكون إيمانهم المنتمل فى نفوسهم عندئذ حسيباً عظيم فى معاملاتهم بينهم ، ووجدانهم الطاهر رقيباً على تصرفاتهم ، ومتى فقدت مزية الايمان وطهارة الوجدان زال الوارع النفسانى بين الناس وكثر التعدى وفشا الفساد وانطمس الكون بالفجور ، وأصبحوا لا يرقبون دمة ولا إلاً وأصبح الحق للقوى . فذلك أرشدهم الهادى الى عبادات تتوجه الى الخالق الزارق ، مكنون الكون ، عما تدل على عمر الربوبية ، ودل العبودية ، والتقصير بحقه وطلب العفوان منه تعالى والعفو والرحمة ، ولا يحى الحكمة فيها بمباشرة الصلاة بكيفيتها من وضوء وغسل وقيام وقعود ، فان فيها بمعاً مباشراً للأفراد فى أجسامهم وحياتهم . من حيث الطاقة وإزالة الأوساخ والمكروب عن الأعضاء ، ومن حيث الرياضة الجسدية المنشطة للأجسام . ومن الصلاة جماعة والاجتماع فى المساجد فى كل يوم خمس مرات ، وكل أسبوع مرة عموماً وفى كل سنة مرتين فى الأعياد ، ولا يحى على أحد ما فى هذا الاجتماع من الفوائد الكثيرة ، ومن بعض فوائد هذا الاجتماع حصول المحبة والالفة ،

وتجديد الاستتارة نور الشريعة المقدسة ، وتذكر حال هذا الدين ، وحسن تعابيه . وريذة الاستمساك به عند ذكر محاسنه عن سائر الأديان ، واقتفاء آثار هذا النبي الكريم صاحب هذه التعاليم الخيلة ، والاقتباس من أنواره . وإن في التعارف بين الناس واتباعهم إمام واحد ، ربطاً لعرى المودة ، وممارسة لاتباع المجموع بأفصل والائتي ، ولعمري هي الحكمة العظيمة العاملة على إسعاد المجتمع في دنياه فصلا عن الحكمة الروحية بظاهرة النفس وبقاوة الضمائر استعداداً للصلاة . الأمر الذي يكفل السعادة الأخروية بالأجمال ، فإن في الصلاة رباصتان رباصة روحية ، وريباصة بدنية . وعائدة أحكام عرى احمة بين اعمامة ، واقتفاء آثار النبي الطاهر ، فإن بأمثال هذه الآثار ترقى الشعوب وتسد الأمم وتحيي النفوس .

( محمد الخرجة العرفان مج ٢٨ )

، الصلاة صلة بين العبد والرب . وستر للعيب وكفارة للدب الصلاة صلة بالامة ، وطهارة كل خطيئة . الصلاة مواصلة ومضافة وأمر ومناجاة المصلي يقرع باب الله ، ويطمع في ثوابه ، وهو على بساط الله عز وجل إذا كبر العبد سكينة الاحرام تساقطت الأوزار ، وإذا توجه العبد الى القبة فقد بدا من نفسه الخضوع والسلة . واتبع الشرع والملة ، وإذا فرغ العبد من اصلاحه كبر الله عنه سيئاته وخطيئته وأجر له عطيته . إذا حلص العبد من لقراءة ولتلاوة سطع في قلبه النور والحلاوة . وإذا قرأ الصلحة أدرك الصفة الراحة . وإذا تبعها بالسورة كثر في الآخرة سروره ، وكماهاته محذوره . وإذا نحى للركوع فقد أظهر لله الخضوع ، وإذا قام للإعتدال بنى عنه الاشتغال . وإذا هوى للسجود فقد خرج من الجحود ، وأسحق من الله الجود ، وإذا انهدم على التهام سلمت عليه الملائكة الكرام وبشروه بدائر السلام .

الصلاة شرح للصدور وفرح من جميع الأمور . الصلاة نور في القواد  
وسرور يوم المعاد . الصلاة للقلوب منهاج وللأرواح معراج . الصلاة تنهى  
عن الفحشاء والمنكر ويؤمن صاحبها من نكير ومنكر . الصلاة تغني عن  
الافلاس وتفسد العبد الإثماس . الصلاة قره العين وجلاء الدين . المصلي  
على بساط المولى يباحي الملك الأعلى .

الصلاة صياء في الصدور وفسحة في القبور ورفيقة في الحشر والنشور  
الصلاة تجور على الصراط ونور صاحبها الشاط ، الصلاة ترفع فساد القلوب  
وتنكفر الدنوب . الصلاة تسهل العسير وتمحو الدب الكبير . الصلاة  
توسع الأفاق وتطيب الأخلاق . الصلاة تقرب العبد الى المولى ويؤمن  
من البلوى ، من لزم المحراب قرع الباب ، ومن قرع الباب أناه الجواب ،  
صححة الودادة لزوم المساجد للعبادة .

الصلاة تخفف الأوزار وتوق صاحبها من النار أقرب ما يكون الى  
ربه من مجد وقام وصلى وصام . لو علم المصلي لمن يناجى لما التفت في صلاته  
من سهى في صلاته فقد صبح أشرف أوقاته .

إخضع لربك في الصلاة ذليلاً وادكر وقوفك في الحساب طويلاً

لو علمت بين يدي من تقوم كنت تلزم على بابه وتدوم .

حسن الميض الكشافى : في المحجة البيضاء

قد تمثل الاعتقاد بالتوحيد والادعان باعتناق المشاركة في الألوهية - كما  
بينه الإسلام وساق اليه جموع الأفتدة - في نظام عملي ، هو تمام الظهور لهذا  
الإعتقاد الثمين الذى أثبت في عالم الإنسان كمالاً منيعاً قاده الى السعادة المطلقة  
وهو ( الصلاة ) التى تضمنت عقيدة التوحيد في سلسلة أعمال وأقوال ،  
تنتج السعادة وتهدى الى ناموس الإنحداد والاتلاف ، فالاعتقاد بالتوحيد مبدء



العقائد ومفتاح المعارف ، ومركز دائرة كمال النفس في جرياتها العملية . الصلاة الداعية الى الانس والابتلاع في بلاط المسكوكات النافعة للأهواء الشخصية الضالة والآراء الفاتنة . فساق الشارع الاسلامي جميع التماسات بشرعها الى الوحدة الروحية ومهد لهم النظام العملي وسلك بهم سبيل الخير ، لأن فيها تتظاهر المساواة المطلقة في مقام العبودية ، والناس الى أمثالهم أميل ونظرانهم أنس فيرى الفقير المعتمد خضوع العلى المترف ، ويشاهد الضعيف العاجز خشوع القوى الباسل ، فتولد بينهم ألفة واستئناس ، وترى الكبراء الأشراف يتحملون من عامة الناس في رفع الدعاء والمادة مالا يتحملون شيئاً منه في غيره ، بل ربما يلوذ الأغنياء وأرباب الشؤون في هذا المقام بالعجزة والضعفاء لما يشاهدون من عظمة الله ويمتقدون من توجهه الى الخاضع الدليل له .

وقد جمع الشارع الاسلامي في هذا العمل المحاسن الاخلاقية ، والآداب الاجتماعية ، ففرص فيه الطهارة من الأحداث والأدناس ، لئلا يكون في الانسان من المواد الموجبة للأمراض المسرية ، أو الأقدار التي توجب تنفر الطباع . لئلا يكره كل واحد الاجتماع مع غيره في هذا العمل وفرض فيه ستر العورة لئلا يتمثل الانسان فيه عطر قبيح وفرض فيها الوقت والقبلة ، لتمثل الأفراد حين الاشتغال به في صورة واحدة تسمى لأركان الابتلاع ، وتشبيهاً لمبادئ الاتحاد ، واستيصالاً لشفافة الخلاص وس فيها من كرائم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي كانت مجلبة للطباع المستقيمة ، ومركزاً للتبائنات من النفوس ، ماملت مجلدات في الفقه الاسلامي ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمكر ، ( الميرزا محمد باقر الحلي العراقي : الدين في طور الاجتماع ) .

• إن الصلاة صلة ولقاء بين القلب والرب صلة يستمد منها القلب

قرة . ونحس فيها الروح صنة . ويستعين فيها الفرد بتوى الأرض وهو على اتصال بقوة الأزل والأبد . وقد كان الرسول ﷺ - إذا حَزَّ به أمر فرغ إلى الصلاة . وهو الوثيق الصلة بالله ، الموصل للقلب والروح بالالهام وما يزال هذا البيوع الدافق في تناول كل مؤمن ، يستقي منه حينما يشاء . ويستعين به على رحلة الحياة وما فيها من جهد ، وما في تكاليفها من عناء .  
( سيد قطب : في تفسيره )

• إن الصلاة عمود الدين ، والصلة بين العبد والرب ، وممر أح الوصول إليه ، فإذا ترك الصلاة فقد انقطعت الصلة والrapطة بينه وبين ربه . ولذا ورد في أحبار أهل البيت عليهم السلام أنه ليس بين المسلم وبين الكفر بالله العظيم إلا ترك فريضة أو فريضتين ، وعلى أى وزن للصلاة بحسب الشريعة الإسلامية من الأهمية . لا يوازيه شيء من العبادات ، .

( محمد حسين كاشف الغطاء : في أصل الشيعة )

• فالصلاة الواحة عندما أمر الله بها أبان الحكمة من إقامتها فقال :  
• وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . .  
فلاستعداد عن الرذائل ، والتطهير من سوء القول وسوء العمل ، هو حقيقة الصلاة ، وقد جاء في حديث يرويه السي عليه السلام عن ربه : • إنما أتيتم الصلاة من تواضع بها لعظمى . ولم يستطع على خلقى ، ولم يبت مصراً على معصيتى ، وقطع الهوى ذكرى ، ورحم المسكين واس السبيل والأرملة ، ورحم المصاب . .

( محمد الغزالي : في خلق المسلم ) .

• إن المصلى يتوجه بصلاته إلى الله توجه عبد كامل اليهودية إلى مولى يده كل الأمور . فالإنسان حين يتلص بالصلاة يتهرب من شخصيته ، ويفر

من عطية نفسه ، ويطلباً خاصاً مدعياً مؤملاً بأنه أمام قوى يحاسبه على الكبرية والصعيرة ، أمام رب لا يحب دعاء المظلوم ولا يبسى ظلامته ولا يقر ظالماً على ظلمه ، فالإنسان في مثل هذا الحال يفقد العطرسة والجبروتية فإذا انقلب من علته يديه ، فإنه لا ينسى الله قلبه ولا يبسى أنه عدله وإن ملك العالم ، وتذهب من رأسه نشوة الملك ، ويعود إلى نفسه فلا يرى لها فضلاً على أحد . وتساوى عنده القيم ولا يبقى عنده من المقاييس إلا ما أقره الدين . .

( أحمد الهندي : في ظل الوحي ) .

• الركن الأول من أركان الإسلام الصلاة وما الصلاة في حقيقة الأمر إلا أن تعيد مسامك وأعمالك ، خمس مرات في الليل والنهار ، ذكر ما قد آمنت به فإذا استيقظت صباحاً ، مثلت بين يدي ربك طاهراً نظيفاً قبل أن تشتغل بشيء آخر ، ثم أقررت بين يديه بعبوديتك له قائماً وقاعداً ، وراكعاً وساجداً ، واستعنته واستهديته . ووجدت مسامك وبه من ميثاق الطاعة والعبودية ، وأعدت مرة بعد مرة أميتك في بيل رضاه والاعتناء عن غضبه ، وأعدت درس كتابه ، وشهدت بصدق رسالته ، وذكرت يوماً ترجع فيه إلى محكمته لتسئل فيها عن أعمالك ، ثم تنال عليها الجزاء الذي تستحقه

إن الصلاة هي التي لا سفك تدعم أساس إسلامك خمس مرات في كل يوم ، وتعذك للعبادة الواسعة الحقيقية وهي التي تذكرك دائماً بالمعائد التي تنحصر فيها طهارة نفسك ، وارتقاء روحك ، وصلاح أخلاقك وأعمالك قل لي بالله بعد كل ذلك . هل يمكن أن تكون في الديار تربية خير من الصلاة تجعل المرء مسداً حقاً ؟ وهل يمكن أن تكون للإنسان تربية خير من أن يحدد ذكر الله تعالى وخشيته ، واليقين بكونه خيراً بصيراً ، والاعتقاد

بالحضور في محكمته يوم القيامة ، وينفع الرسول عدة مرات في ليله وبهاره ، ويتدرب على القيام بالواجب بعد كل ساعة من يومه وليله ؟ إن هذا الانسان يرجي منه عند ما يشتغل بأمر معاشه ومدخ وجه من المسجد أن يخاف الله ، ويتبع قانونه ، ويتذكر عند كل خطيئة يزيها الشيطان في قلبه . إن الله ناظره ولا يخفى عليه أمر من أموره . أما إذا كان المرء لا يخاف الله ولا يكف يده عن مصيبته ، ومخالفة أحكامه ، حتى مد هذه التربية العالية ، فما ذلك لسقم في أصل التربية ، إنما ذلك لما في نفس هذا الانسان وطبيعته من الفساد والخس والكس .

ثم إن الله قد أكد تأكيداً شديداً ، أن يؤدي المسلمون فريضة الصلاة جماعة ، وافترض عليهم أن يؤديوا صلاة الجمعة في كل أسبوع على الوجه الخاص . فالصلاة جماعة تنشئ الاتحاد والمحبة والاحياء بين المسلمين ، وتجعل منهم كتلة مترابطة . فإنهم عندما يجتمعون ويقتنون لربهم ويسجدون له ، ويركعون معاً . تأتلف قلوبهم ، وينشأ فيهم الشعور بأهم أخوة فيما بينهم . ثم إن الصلاة في جماعة تدرّبهم على طاعة أمير ينتخبه من بين أنفسهم ، وتربّهم على النظام والانضاط والمحافظة على الأوقات ، وتنشئ فيهم المواساة والتعاطف والتراحم والمساواة والاتلاف . فتراه جميعاً غنيهم وفقيرهم ، وكبيرهم وصغيرهم وأعلامهم وأدنامهم يقومون جنباً إلى جنب ، فلا شريف فيهم ولا دنيء ولا رفيع ولا وضيع .

( أبو الأعلى المودودي : في مبادئ الاسلام )

• الصلاة أجل الشعائر الدينية . وأعظم المطاهر الاسلامية ، وأفضل ما يتقرب به العبد الى ربه ، وهي رأس الاسلام وعموده ، وهي الفرق ما بين المسلم والكافر والبر والفاجر . فما حافظ عليها إلا كل سعيد ، وما ضيعها

وحرم منها إلا كل شق عيب .

فرضا الله سبحانه وتعالى فوق سبع سموات ، ومنحها لحبيبه محمد ﷺ في أعلى المقامات . وأكد الله تعالى بها في كثير من آيات القرآن الكريم تأكيداً عظيماً . وحنأ على أذائها وهي ( الركن الثاني للإسلام ) ولها أسرار عظيمة وحكم بالغة . فهي تهدب النفوس وتركي الأرواح وتقوى رابطة الإيمان والمحبة بين العبد وربّه ، وتزيد من أسباب المودة والإخاء بين المؤمنين الذين هم على صلاتهم يحافظون . وتنتهي عن العشاء والمنكر . وتدعو إلى كل خير وبر .

والصلاة خير جامعة للمسلمين . وأقوم درس لتدريب على الجهاد والوقوف في وجه أعداء الله . و خير مثال لتعويدهم الطاعة للقائد وتمريتهم على ضبط أعمالهم وحفظ أوقاتهم . . . . . وتكسب الثبات وتقوى العزيمة وتعرض في النفس حب المحافظة على المواعيد وتذكير العافيين . وتدعو إلى التعارف والتآلف وتنمية لروح التضحية ، ونوطيد دعائم الوحدة الإسلامية ، ( الحاج عباس كزاره )

• في الخدائق يروى عن الشيخ في التهذيب ، بسنده عن - علي عليه السلام - قال : • قال رسول الله ﷺ . إن عمود الدين الصلاة ، وهي أول ما ينظر فيه من عمر ابن آدم ، فإن صححت نظر في عمله ، وإن لم تصح لم ينظر في بقية عمله . .

وفيه عن المشايخ الثلاثة . في الصحيح ، عن معاوية بن وهب ، إنه سئل أبو عبد الله عليه السلام عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم ، فقال ﷺ : • ما أعلم بعد المعرفة أفضل من الصلاة . .

إن الحديثين يبعثهما الخاصة بترحماء لك مكانة الصلاة ومرلتها في دنيا

المسلمين . إن الإسلام لا يقوم إلا بها ، كما أن الحجة لا تقوم إلا بعمودها  
إنها روح الأعمال والمآثر فإن صحت صحت الأعمال ، وإن ردت ردت ،  
فكل ما يأتي به الإنسان لا فائدة فيه إذا لم يأت صاحبها بالصلاة المقبولة ، إن  
إنسانيته لا تثبت إلا بالصلاة لأن الانسانية بالأعمال فإذا كانت الأعمال  
لا تثبت إلا بالصلاة فعنه أن الانسانية لا تثبت إلا بالصلاة

وأما الحديث الثاني : فانه يجعل مرتبة الصلاة بعد مرتبة معرفة الله التي  
لا شيء فوقها ، ولا شك بأن المعرفة قبل كل شيء ، لأنها أول ما يتوجه إليها  
الإنسان في وعيه ، فإذا كانت الصلاة بعدها في المراتل ، كان معناه أن الواجب  
الثاني للإنسان هو الصلاة ، فهي قبل كل شيء من المراضيع الإنسانية ، ولا  
يتقدم الموضوع إلا ما يتوقف عليه ذلك الموضوع ، فالمواضيع الإنسانية كلها  
تتوقف على الصلاة ، إن قبلت قبل ما سواها ، وإن ردت ردت ما سواها ، .  
محمد جمال الهاشمي : الاسلام في صلاته وركاته

..... بل ليست الصلاة المفروضة ، إلا من أصول تلك الفضائل  
الروحية يفصل الإنسان ربه ، خمس مرات أثناء اليوم ، يشخص بقلبه لتلك  
لقوة الجبارة يذكر أنه عبد مخلوق ، سوف يسأل عن كل عمل يقوم به ،  
صغر أم كبر . . . . . فيلتزم العزم من الله تعالى ويشهده على إيمانه ، ويستمد  
من الهداية في أداء واجب الحياة ، يشعر أن هذا الواجب ، شكر صنيل  
جداً ، وصنيل جداً ، أمام عظمة ذلك الخالق ، الذي أسبغ عليه ثوب  
الوجود والحياة ، وأتم عليه نعمته بالهداية والإيمان . . . . . وأي تساوي بين  
الشر كهذا التساوي ، يقف كل مؤمن حسب أحياه لأداء تلك الفريضة الواجبة  
لا فرق بين غني وفقير ، أو حر ومملوك . . .

إذن فالصلاة ليست إلا دوام اتصال بين الروح الانسانية والملائكة الأعلى

من القداسة ، يعترف فيها الجهد اليهوديته وتقصيره ونعمة سيده وآلائه ،  
فهم لعظمته يحصم ، وأداء لشكره يسجد ويركع ، مصلاً بروحه معه ،  
نادماً على ما فرط من دروب ، مثلاً أنه أن يهديه سبيل الحياة . . . ويشع  
نفسه من السمكالات العالية .

### على كوران : عن كتاب أخى المثقف

يتفق لأطباء ، الذكاء على احتياح بدن الإنسان الى الرياضة . إذ  
الرياضة تسبب تحريث العضلات والجوارح ، ونكون سبباً لجودة هضم الطعام  
ولنشاط البدن ، ولذا يرى أصحاب الرياضة أقوياء الجسم ، وقد عيوا لكل  
عصور رياضة خاصة ، ورياضة الرثة ولقصة الهوائية وما إليها ( القراءة )  
تحريك الروح وتلين الأجهزة . ورياضة السمع سماع الأصوات اللذيذة التي  
لا تسبب مساداً . ورياضة العين ، النظر الى الخط الدقيق - أحياناً -  
والنظر الى الأزهار والأوراد وسائر الأشياء الجميلة . وقد ذكروا لكل من  
ليد والرجل كيفية خاصة من الحركة ، لترتاض وتقوى عضلاتها ، وقالوا :  
إن السباق عما يقوى جميع الأعضاء .

والشرع الاسلامي يذب الى تبص هذه الآفهام كالمسابقة بالخيل  
ونحوها بشروط مقررة .

والصلاة المفروضة فيها أنواع الرياضات الجسمية . فكل من قيامها  
وركوعها وسجودها رياضة . والعلم يعترف بكثير من مزايا هذه العبادة فهي  
ذات فعالية ظاهرة في ترويض بدن الجسم ، فقد ثبت أنها تؤثر في تنظيم حركاته  
وترويض عضلاته وتبين عظامه . وهي بالإضافة الى ذلك رياضة للنفس ،  
فتغسلها من الأدراخ الزايسة في روايا قلب ، وتطف الجهار الروحي من  
أوساخ الأمانية ، وتقوم بدور تربوي للأخلاق والمسلكات ، فإن من يقف

كل يوم خمس مرات أمام ( الله ) ويرى روحه متصلاً بعالم البراهمة والقدس لا بد وأن يتأثر بالملكات العاضلة ، ويتخلى شيئاً فشيئاً عن الأخلاق العفنة .  
 إن الأمانة تدحل في قلب من لا يرى فوقه عظيماً ، غير متناهي العظمة والكبر يحجب أفئدة الذين لا يرون أنهم عبيد لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرراً ، ولا موتاً ولا حياة ، والتكالب والتنازع يعدنان طريقاً في روح من لا يدرك أن هناك مودع عادل حكيم . والظلم يجري على أيدي من لا يعترف بأن للكون نظاماً عادلاً يدره حاكم خبير ، فلا يظلم أحداً ، وهو للظالم ممرصاد والصلاة بدورها تقوم بهدم هذه الرذائل ، وتطهر النفس عن هذه الألفاظ ، فهي حين يتلص الشخص بها تسيطر على جسمه وعلى قلبه ، فيتضائل أمام الباري الكبير ، ويتذكر أنه بمرء آمنه ومسمع ، حين يفعل ما يفعل ، فيترع عن الظلم والرفاق والحسد وما إليها ، ولذا يقول القرآن :  
 « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمكر » .

غلام علي : عن مجلة الأخلاق والآداب

إليك يارب أقبلنا مصلينا الحق يحفزنا والشوق يدعو  
 إذا سمعنا اسمك اهترت جوانحنا كأنما الملائكة الأعلى يحيا  
 وإذا تلونا من العرقان فاصله جلت علينا من النعمى أفانينا  
 تريل ما لا لبس الأرواح من طمأ كأنها من نعيم الخلد تسقيننا

\*\*\*

ما لامست من قفار النفس مجدة إلا كستها جي غصاً وسريب  
 وأرسلت في ثيابها أشعتها فأكستها تفاريفاً وتلوينا  
 وفخرت في صحاريها مناعها فأثبتت في بواديها الرياحينا



وأطلقت في معانيها عنادها تشوق مرأى وتطريفاً وتلجياً

° ° °

إليك يارب أحلصنا مناجياً الخوف يدفعنا والحب يحذونا  
إذا سقمنا فنور منك يبرئنا وإن ضلنا فوحي منك يهدينا  
ثنى عليك بما أسديت من نعم فاق ما أثرها أقصى أمانينا  
فلو سكتنا لأبدتها جوارحنا ولو كتمنا لقاتلها مآقينا

° ° °

إليك يارب بجواننا نقدمها عساك تقبل إخبات المناجينا  
صفارنا عن سناك القدس يبعدنا لكن وجهك بالاقبال يديننا  
فما ارتكبنا من الآثام يؤنسنا وما منحت من العمار يفرينا  
ناموسك العدل أغرتنا شرائعه لحسننا مه دستوراً وقابوا  
لو لم تزل لنا ديننا يطهرنا من الشرور لا وحي حك الديننا  
يا طيبها دعوة تحي ضمائرنا إذا دعانا إلى لقياك داعينا

° ° °

و الله أكبر ، إن رنت مدوية على الأثير أجباها ملبينا  
نسمو لديها ، فلا الأموال تشعلنا عن الخشوع ، ولا الأولاد تلهينا  
تحف أجسامنا فيها وأفسنا كأننا قد نفضنا عنها الطينا  
حتى لنسمو فنسى أننا بشر وأننا بكمييع الخلق قانونا

° ° °

هي الصلاة من الأدواء تنقذنا ومن ضلال الهوى والرأى نحمينا  
فيها الشفاء لنا من كل طارقة أعيت إزالتها النطس المداوينا  
في هداها عزاء عن تفاهتنا وفي سناها نجاة من غواشيننا

في ظل دستورها بحيا سواسية مرعيا يستوى فيها وراعينا  
فأكرم الناس عند الله أسرعهم إلى رضاء وإبرعنا عاشوا مقلينا  
وحى السماوات نادتنا هوانفه أهل ترابا إليه مستجيبينا

\* \* \*

يارب إن اختلاف الرأي أضعفنا فب لنا منك إيمانا يقويننا  
وارجع إلى الشرق والإسلام ما صبه واجمع على الطهر والاخلاص وادينا  
إذا دعوناك والآنفس صاعدة إلى علاك أجب الدهر آمينا  
على عبد العظيم : عن مجلة المنصور

### أقوال علماء الغرب وآرائهم

« إننا نستطيع الآن أن نستخلص أصل الدين وأن نضع له تعريفاً :  
فهو صلة وعلاقة معروفة ومرادة ، تنشأ الروح المكرونة بينها وبين القدرة  
الخفية التي تشعر هي أمثالة لها ، وإن مقدوراتهم تحت مشيئتها . فالصلة  
هي الدين في حالة العمل ، أو هي الدين الحق ، ثم يقول : « والدين لا يكون  
شيئاً يستند به إذا لم يكن عملاً حقيقياً ، بواسطة تحاول النفس أن تنحو من  
الهلاك إلى نجاتها إلى أصلها الذي تولدت منه ، وهذا العمل هو الصلاة ، وهي  
كما أعنيها ليست انشغاف بكلمات أو ترديد عبارات . ولكنها الحركة التي  
تقوم بها النفس لتضع نفسها في علاقة شخصية ، واتصال مباشر بالقدرة  
الخفية التي يحس الإنسان وجودها حتى قل أن يستطيع أن يطلق عليها اسماً ،  
حيث لا توجد هذه الصلاة الباطنية فلا يكون هناك دين » .

اجرست سابيه مدرس الفلسفة بجامعة باريس

في كتابه ( فلسفة الدين )

الصلاة وطرق التقدم الثلاث عند محمد ﷺ - ٣٧٣ -

• إن من أهم مقومات اليوم التي عرفت في خلال سنين طويلة من الخبرة والتجريب هو الصلاة ، وأما التي هذا القول بوصف طبيباً ، فإن الصلاة هي أهم وسيلة عرفت إلى الآن لبث الطمأنينة في النفوس و بث الهدوء في الأعصاب .

الدكتور توماس هايسلوب

• أمكن إراء كثير من الأمراض المعدية في وقت قصير مدهش بالنسبة لقصره . ولكن تقطع الطر عن جميع معجزات العلاج التي تمت في دنيا ما هذه ، مارالت هناك معجزات أخرى في إراء المريض ، والأعراض والكسيع والاعشى لا يمكن تعليها ولا ينفع فيها العلاج الطي أو الجراحي أو السيكولوجي أو الاهتزازي . فهناك ألوف الحالات التي لم يجد فيها أشهر الأطباء وأشدهم فطنة أدنى بارقة أمل ، والتي تم فيها مع ذلك شفاء المرضى واستعادتهم الصحة والعقل خلال معجزة من معجزات الصلاة .

الدكتور إدوني غردريك باورز

استاذ الأمراض العصبية بالولايات المتحدة امريكا

• إنها تحدث عن بعض النشاط في أجهزة الجسم وأعضائه ، بل هي أعظم مولد للنشاط عرف إلى يومنا هذا ، وقد رأيت بوصف طبيباً أن كثيراً من المرضى أخفقت العقاقير في علاجهم . فلما رفع الطب يديه عجزاً وتسليماً تدخلت الصلاة فأبرأتهم من علقهم . إن الصلاة كمعدن ( الراديرم ) مصدر للإشعاع ومولد ذاتي لنشاط . ويجب أن نهم أن الصلاة ليست مجرد تلاوة ميكانيكية للأدعية ولكها تسام صوفي يحس فيها الإنسان بالله سبحانه كما يحس

بجراحة الشمس أو كما يحس بعطف صديق . والانسان فيها يقدم نفسه لله . ويقف بين يديه كأنه لوحة من القماش أمام النقاش ، أو قطعة من الرخام أمام المثال . إن الصلاة تخلق ظاهرة غريبة إنها تأتي بمعجزة ، فقد شاهدنا تأثير الصلاة في الحالات الباثولوجية إذ برى كثير من المرضى من أمراض مختلفة متعددة ، كالتهربن البريتوني ، والأخرجة الباردة ، والتهاب العظام ، والجروح القاتحة ، والسرطان وغيره . . . . .

### الدكتور الكسيس كارليل

الحائز على جائزة نوبل في الطب : ورئيس قسم البحوث في

مؤسسة روكفلر بأمریکا

• هذا الفرض المنظم من عبادة الله هو من أعظم الامارات المبيرة للمسلمين عن غيرهم في حياتهم الدينية . فكثيراً ما لاحظ السائحون وغيرهم في بلاد المسلمين ماالكيفية أدائه من التأثير في النفوس ، .

السير توماس أرنولد . في كتاب لعقيدة الاسلامية

• لا يستطيع أحد يكون قد غلط المسلمين أن لا يدهش لأول مرة ويتأثر بمظهر عقيدتهم ، فانك حينما كنت : في شارع مطروق ، أم في محطة سكة حديد ، أم في حفل أكثر ما تألف عيناك مشاهدته ، أن ترى رجلاً ليس عليه أدنى مسحة للرياء ، ولا أقل شائبة من حب الظهور ، يدر عمله الذي يشعله ، ويطلق في سكون ونواضع لأداء صلاته في وقتها المعين . أما صلاة الجماعة فإنه لا يتأتى لأحد يكون قد رأى مرة في حياته مايقرب من خمسة عشر ألف مصل في مسجد يوم الجمعة كلهم مستغرقون في صلاتهم ، وقد بدت عليهم أكبر شعائر التعظيم والخشية في كل حركة من حركاتهم . لا يتأتى لأحد يكون رأى ذلك المشهد أن لا يبلغ تأثيره به أعماق قلبه ، وأن لا يلاحظ

يبصره القوة التي تمتاز بها هذه الطريقة من العبادة عن غيرها .

الاستسقاء لوفروا

خرجت الى الصحراء لارفعه عن نفسي ، راكباً فرساً صالحة ثلاثين عربياً عتطين جيادهم ، وبعد برهة توقفوا عن المسير . . فقد حانت صلاة العصر . فزلوا عن حيولهم ووقعوا صفاً واحداً . . وبهراسهم البهائم ينحنون ويسجدون بحركة منتظمة يكبرون الله . . فاستولى على شعور لا يوصف هو مريح من الحجل والعضب فإن هؤلاء الأعراب الدعاة كانوا على يقين من أنهم أشرف مني بمسأ وأكبر همه . . وما كان أبداع منظرهم وجيادهم تقف على مقربة منهم ، وأعنتها منقاة على الأرض وقد صرت السكينة عديها بمحايها ، وكأنها تولاهم الخشوع من رهبة الصلاة وحشية الله فقد خيل لي وأنا بين أهل البادية أني أرى بعيني لأول مرة في حياتي رجالاً يعدون الله . . . .

كربت هنري دي كاستري في ( كتاب : الإسلام سوامح وخواطراً )  
 ، إن الحركة والإرشادات في الصلاة الإسلامية هي ذات بساطة ولطافة  
 وبساطة لم يسبق لها مثيل من نوعها في صلاة غيرها . كما أنها لا تدعو الوجوه  
 بالتظاهر والتكلف ، ولا العيون بالشحوص الى السماء واستئصال الدموع التي  
 تذكر بالدموع الجليسيرية التي يصطنعها ممثلوا السيما في عصرنا الحاضر .  
 حقاً إن الصلاة الإسلامية حالية من تلك الأمور الشائنة التي حصها المسيحيون  
 بالصور المسيحية مما جعلها في غير جمال ولا جلال ولا وقار . حقاً أن الأقوال  
 والحركة التي في الصلاة الإسلامية هي ذات دلالة على الرزانة والهدوء والاطمئنان  
 وهي حالية من مبالعات الورع وتكلمات الخشوع والتظاهر بذلك مما هو غريب  
 في العبادات . لأن الله سبحانه وتعالى عليم بما في الصدور وهو العي العزيز .

وحركات الصلاة الإسلامية ، فوق تعبيرها التام عما تحمل نفوس المؤمنين من العاطفة النبيلة نحو المولى الكريم ، تقوم للجسم بأعظم مزايا الحركات الرياضية ، فهي مفروضة الأداء خمس مرات في اليوم الواحد . ولم من شيخ كبير ودين سمين يستطيع كلاهما السجود والركوع والوقوف ، دون كبير عناء ولا مشقة مما لا يستطيعه مسيحي في مثل هذه السن أو في مثل هذه الحال . ما لم يكن قد تربص على ذلك من قبل . أضف الى ذلك حكمة الوضوء الذي يسبق كل صلاة ، ففيها للدين انتعاش وصحة وطاقه ، والنظافة من الإيمان .

المستشرق الفرنسي إيتين ديبية : عن سلسلة الثقافة  
 « فإنا نرى يدعو المؤذن جماعة المؤمنين الى أداء أول واجباتهم الدينية الصلاة حتى يذكروا . - مهما كانوا معتمدين في شؤونهم الدنيوية - بحالهم . إنهم يستهلون هذه الشعيرة بتمجيد الله ويختتمونها برفع تحياتهم اليه . إنهم يشعرون بالطمأنينة دائماً في حصرتهم وهم إذ يذلون أنفسهم بالسجود إنما يعبرون عن خضوعهم المطلق للقوة الإلهية إن لكل من الكلمات والأعمال في الصلاة الإسلامية معنى خاصاً . لكنه ليس من العمق بحيث يعجز العنصر الانساني العادي عن استيعابه .

وليس هاهنا مجال شرح هذه المعاني من أجل ذلك يجترى . بالنص ، إن على الصفة الانضباطية لمختلف الحركة التي ترافق الكلمات تساعد على إبقاء أفكار المصلين مركزة وراء عالم الحسد ، وتمكسه من التعبير عن ولائه وتقديم شكره على الهبات الإلهية على أعظم وجه

إن التوجه نحو مكة لذكر العالم الاسلامي دائماً بالمواطن المجيد الذي شهد ولادة هذا الدين التجددى ، وهو مركز مقدس تدور حوله في

جميع الأوقات عرطف المؤمنين ليدية ، وقد اتحدوا كلهم في عبادة  
الإله الواحد

نقد أشار القرآن إلى قيمة الصلاة البالغة الرفعة كوسيلة للسمو  
الأخلاقي وتطهير القلوب فقال : « أس ما أوحى إليك من الكتاب وأتمم  
لصلوة » . إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ،  
المذكورة فاعليرى في كتابها : دفاع عن الاسلام

## الزكاة ونظام التماويه عند محمد ﷺ

قبل أن ندرس موضوع الزكاة نشرف بذكر حديثين يتصلان بموضوعنا اتصالاً مباشراً ، ذكرهما صاحب الوسائل ( قدس سره ) :  
 الأول عن محمد بن بابويه عن أبي الحسين محمد بن جعفر الأسدي عن محمد بن اسماعيل البرمكي . عن عبد الله بن أحمد عن الفضل بن اسماعيل عن معتب مولى الامام الصادق عليه السلام . قال : قال الصادق ( سلام الله عليه ) :  
 « إنما وضعت الزكاة إختباراً للأغنياء ، ومعونة للفقراء ، ولو أن الناس أدوا زكاة أموالهم ما بق مسلم فقيراً محتاجاً ، ولا استحي بما فرص الله له ، وإن الناس ما اعفروا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء ، وحقيق على الله أن يمنع رحمته ممن منع حق الله في ماله ، وأقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق : أنه ما صاع مال في بر ولا بحر إلا ترك الزكاة ، وما صيد صيد في بر ولا بحر إلا ترك التسبيح ذلك اليوم ، وإن أحب الناس إلى الله تعالى أسحاحهم كفاً ، وأسخطى الناس من أدى زكاة ماله ، ولم يحل على المؤمنين بما فرص الله لهم في ماله . . . »

الثاني : عن محمد بن يحيى . عن أحمد بن محمد . عن عثمان بن عيسى . عن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن الله فرص للفقراء



في أموال الأغنياء مريضة لا يعمدون إلا نادائها . وهي الزكاة ، بها حققوا دعاءهم وبها سموا مسلمين .

لقد شرع الله تعالى لعباده مبدأ التعاون وحصره في أمرين اثنين : الأول : التعاون على كل أمر فيه رويحان واكتساب لمحة عباد الله . الثاني : التعاون على كل أمر يراعى فيه انتقاء غضب الله بالانتهاك عما عنه نهى وحرم سبحانه وتعالى بصورة قاطعة التعاون في أمرين اثنين . الأول : كل أمر يكون فيه مخالفة لأوامر الله . الثاني : كل أمر يكون فيه اعتداء على حقوق الغير حيث قال تعالى في الآية ٢ من سورة المائدة : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب » .

هذا هو أساس التعاون الذي رسمه الله لعباده . وترك لهم الحرية في أن يطلقوا لأفكارهم العنان في تحيير ما يرونه صالحاً ومفيداً ، أو أصلياً في العمل من سواء . وجههم نحو ما يراه تعالى من خير ما يبني أن يفكروا فيه من الشؤون التعاونية حيث قال في الآية ١١٤ من سورة النساء : « لا خير في كثير من مجوام إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً » .

ومعلوم أن المراد بالنجوى ما يتحدث الناس به في سرهم ، أو يتفقون عليه ويديتونه في مقاصدهم ليمملوا على تحقيقه . وقد أخبرنا جل وعلى أن الخير في ذلك محصور في أمور ثلاثة .

١ - الأمر بالصدقة وهي تشمل جميع أوجه الخير من بذل المال للفقير ومعونته من يحتاج إلى العون بكل الوسائل وتقرع كربة كل صاحب كربة كما سنفصل ذلك .

٢ - الأمر بالمعروف أى ما فيه خير للناس ومنع للضرر عنهم . وقد فسره الرسول ﷺ . فتو له من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبأساه فإن لم يستطع فبخطبه وذلك أضعف لإيمان ، وهذا داخل فى معنى الصدقة .

٣ - الأمر بالاصلاح بين المتخاصمين بإزالة أسباب الشقاق والنارح ، وتقريب وجهى الطر للتراضى على ما ينعج الجميع ، الخير المشترك والمصلحة العامة . وهو داخل أيضاً فى حكم الصدقة

ولم كانت الصدقة من أهم أعمال الخير قدمها الله تعالى فى الذكر ولم كانت فى ذاتها مما تؤذى المنصدق عليه وتضع من كرامته ، وقد يكون الجهر بالأمر بها والحث عليها أشد إيذاء وإهانة للمعقبين من أياته إياها جهرأ - ولو كان ذلك انهاء مرضاة الله - جعل الله الثجرى بالتعاون على إيتائها حفية للمستحقين من أهل الحياء والكرامة من أهم ما يباحى به الناس وأحرمهم أن الصدقة الحفية أفضل من الصدقة العلنية حيث قال تعالى فى آية ٢٧١ من سورة البقرة : إن تدوا الصدقات فتهماهى وإن تحفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم . وأحرمها الرسول ﷺ أن الصدقة فى الوقع ماهى إلا اب من ثواب فعل الخير الذى يشتمل كل أمر فيه قضاء حوائج الناس ونفريح كربهم ، وعونهم على تحقيق غاياتهم

قال ﷺ : . تصدقوا ولو بتمر ، فإنها تعد من الجائع ، وتطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار ، وقال : . ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيباً ، إلا كان الله أحدها بسبه ويربها له كما يرى أحدكم فضيله حتى تلبس التمرة من أحد ، وقال : . ما أحسن عند الصدقة إلا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته . . وقال : . كل امرئ فى ظل صدقته حتى

يقضى بين الناس ، وقال ﷺ : . « أرض لقيامه ما ماحلا طس المؤمن فإن صدقته نطسه » ، وقال : . « إن الله لا إله إلا هو ليدفع بالصدقة الداء والذيلة والحرق والعرق والخدم والجنون » ، وعد سبعين بآناً من الشر .

وقال الإمام لافر رحمته : « البر والصدقة يفيان العقر ويزيدان في العمر » ، ويدفعان عن صاحبها سبعين ميتة سوء . وقال الإمام لصادق عليه السلام : « داووا مرضاكم بالصدقة وادفعوا اللاء بالدعاء واستزلوا الرزق بالصدقة فإنها تفك من بين لحي سبعين شيطان » ، لئس شيء أثقل على الشيطان من الصدقة على المؤمن ، وهي تقع في يد الرب تعالى قبل أن تقع في يد العبد ، وقال عليه السلام : « باكروا بالصدقة ، فإن اللاء لا يتخطاها » ، ومن تصدق بصدقة أول النهار دفع الله عنه شر ما ينزل من السماء في ذلك اليوم ، وإن تصدق أول الليل دفع الله عنه شر ما ينزل من السماء في تلك الليلة .

كل ذلك كي يستمتع الفقير بماهج الحياة المعقولة وينعم بما هو فوق ضروراته . لأن الحياة لا بد أن تستساع وأن نعم ، وأن تكون مهيحة في غير هزل ولا إسراف . لذلك قرر للمفقر نصاً يعطونه من الزكاة للتوسعة عليهم في الرزق ، لا لجرد الكفاف ، فهم يملكون الكفاف . ذلك أن الاسلام لا يدعركم الكفاف وحده . اما يدعركم المتاع بالحياة . والمتاع فرق الكفاف .

وثمة ناحية أخرى يحطها الاسلام في تقرير الزكاة هي كرامة حسن المال في أيد قيلة من الناس عن التداول والافاق ، كي لا يكون دولة بين الأعياء . ، خمسة هكدا تعطيل لو طيفته . والناس في حاجة الى تداول الأموال العامة . لتسهي الحياة في شتى مظاهرها ، وتضمن الإنتاج في

أوسع مياديه ، وتنهى للعاملين وسائل العمل ، ولإنسانية طريق النشاط .  
وحسن المال عن مستحقه . يطل هذا كله ، فهو حرام في نظر الإسلام لما  
فيه من تعطيل للصالح الخاص والصالح العام  
ذلك عدا أحقاد النفوس ، وتغير القلوب على ذوى الثراء الفاحش  
من المحرومين الذين لا يجدون ما ينفقون ، فهم إما أن يحقدوا ، وإما أن  
تتجاوز نفوسهم وتهاوت وتتضام قيمهم الدائبة في نظر أنفسهم ، فتعزل عنهم  
كراماتهم أمام سطوة المال ومظاهر الثراء ، ونصحون قطعاً آدمية حقيرة  
صغيرة ، لاهم لها إلا إرضاء أصحاب الثراء والجاه

### فريضة الزكاة

والآن فلنتحدث عن الزكاة - الركن الإجتماعي البارز من أركان  
الإسلام - لحديث الزكاة أدخل شيء في نظام التعاون في الإسلام . الزكاة  
حق المال ، وهي عادة من ناحية ، وواجب اجتماعي من ناحية أخرى ،  
فإذا جرينا على نظرية الإسلام في العبادات والاجتماعات قلنا : إنها واجب  
إجتماعي تعدي ، لذلك سماه ( ركاه ) والزكاة طهارة وعاء . فهي طهارة  
للصير والذمة بأداء الحق المفروض . وهي طهارة للنفس والقلب من فطرة  
الشح وغريزة حب الذات . فالمال عزيز ، والمالك حبيب ، فحين يتجود  
النفس به للأحرين ، إنما تطهر وترتفع وتشرق . وهي طهارة للمال بأداء  
حقه وصيرورته بعد ذلك حلالاً ولأن في الزكاة معنى العبادة . بلغ من  
لطاف حسن الإسلام ألا يطلب إلى أهل الذمة من أهل السكتاب أداءها ،

واستبدل بها الحرية ليشتروا في نفقات الدولة العامة ، دون أن تفرص عليهم عبادة خاصة من عبادات الاسلام إلا أن يختاروها .

والزكاة حق الجماعة في علق الفرد ، لتكفل لطوائف مهسا كفايتهم أحياناً وشيئاً من المتاع بعد الكفاف أحياناً ، وبذلك يحقق الاسلام جزءاً من مبدئه العام . . كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم . . ذلك أن الاسلام يكره للناس الفقر والحاجة ، ويحتم أن ينال كل فرد كفايته من جهده الخاص حين يستطيع ، ومن مال الجماعة حين يصجر لسبب من الأسباب .

يكره الإسلام الفقر والحاجة للناس ، لأنه يريد أن يعصمهم من ضرورات الحياة المادية ، ليفرغوا لما هو أعظم ، ولما هو أليق بالإنسانية والكرامة التي خص الله بها بني آدم : . ولقد ذكرنا بني آدم وحملتهم في البر والبحر ، ورزقهم من الطيبات ، وفضسام على كثير من خلقنا تفضيلاً . .

ولقد كرمهم فعلاً بالعقل والعاطفة ، وبالأشواق الروحية الى ما هو أعلى من ضرورات الجسد ، بحيث ينهضوا لحماية المظلوم وإغاثة الملهوف وإجابة المستعين وإدراك المستعيث ، فإذا رأى أحدهم واقعاً في مهلكة أو شدة ويحسد من نفسه القدرة على إنقاذه فلم يملك نفسه إلا أن يقدم في فك غل اللامعه عنه وإعتاقه عن ربقة الداهية وأسر الهلاك والمذلة ، ولا يرى في سبيل ذلك قيمة للأعمال وقدرها للأموال .

جاء في كتاب ( الدين في طور الاجتماع ) عن رجل من السياحين أنه قال : . جرت في السياحة الى بعض الممالك الأوروبية قبل الحرب العامة انقاسية التي فشت في جميع الأقطار . وألست الحياة نوياً جديداً ، فتفتت نفقة وانقطعت وسائل طلب النقد من مملكتي ، وهضعت الحرب طريق الرجوع المستقيم علي ، وتوقف رجوعي على طي طريق بعيد لئلا أقع في حطة الحرب

ومست الحاجة الى هبة كثيرة ، ولم يكن يعرفى في تلك المملكة أحد يعتمد عليه في الاستدانة والاستقراض . فطارأى وحار عقلى في سبيل الخلاص من هذه المهكة ، فدخلت يوماً في مطعم عام لأنعدى ، ولم يكن معى من البقد ثم الطعام ، وعزمت على رهن بعض ثيابى عند مدير المطعم ، فدخلت حديقة المطعم متراًها فيها ، وقد بدت في وجهى من المكشاة والحزن مايقص بأقلبى ، فإذا بفتحة دخلت ونظرت إلى بكرة تعقد ، وقرأت من وجتى ماتراكم في قلبى من الهم والتشويق ، ولم تكن تعرفى ولا أعرفها ، ولما أحست بحاجتى تفقدت مى وألحت حتى بينت ها حالى ، قالت تعد وسيطلبك خادمى وذهبت في سبيلها ، وما تم شعلى حتى جاء الخادم وذهب في اليها ، وأعطنى الفقة الالزمة ، فقلت ها عرفيتى واحداً من البوك المعروفة لأوأدى هذا الوجه بعد أن أعود الى وطنى ، فأت ذلك . وبعد ما ألححت عليها قالت إذا رأيت رجلاً مثلك اليوم فاد اليه ذلك فإنه واصل الى .

وبطير هذه السكتة : إنه لما استقام الأمر لبنى العباس ، طلبوا أسراء بنى أمية ففروا حيارى في المعاور والصحارى منهم (معن بن رائدة) فتسحى عن ماله الموهور . فبدل الثياب ، وركب المسافة وتحشم الصعاب ، فمادى مئادى السعاح من جاء يمن بن رائدة فقد سبق بالنجاح ، له بوره ذهباً وهر حير فائدة ومطلب . فابشر الطلاب في الوادى وتفحصوا في كل واد ، فوحده رجل من الأعراب على نافته بلا حيل ولا ركاب ، في واد قفر وعن امقدرة صفر . فاحذ برمام نافته وأراد جلته الى ميته فسأله عن لسب ووجه جده في الطلب ، فبين له الجعالة وألح عليه بالسرعة والعجالة فبدل له معن عقداً من الدر يساوى ضعف مايدكر ، والتمس انخرج وروح الفرح ، وإحفاء الخبر ونحو الأثر ، فقال له الرجل : يمعن قد سألنا

الافاق تذكر جودك واسيت حاتم بوجودك . فأشذك بالله من ذات يوماً جميع مالك على واعدت وطلائك ؟ فقال لا وحقك وكيف يمكن ذلك فقال . هل ذهبت مذنب الصفه . وذات يوماً نصفه فأجاب بلا ولا حتى بلغ اسؤال الى العشر ودهر عن وجه من لطف البشر ، قال فاستحييت من المعنى الصريح . وعدت لى لعل حذار من المكذب بالنصريح فقال له الرجل . فاعلم أبى لا أملك إلا وعبد الأمير وهذا العقد المير . فغده وحليت سبيلك لتعرف عديلك ، ونرى صفه السحاب فى حال الشدة فصلا عن حار الرجا . قال معى فحلفت من ذات وما رأيت الرجل قط فى هنا . وهكذا .

فبده كليات لمواصف و امر اثر الى يختار بها عالم الإنسان عن عالم الحيوان فهى أعم ل يذهبش لإنسان الباعها الى حديكاد يكرر تحقها . ويزعمها قصصاً موصوعة ، وحكايات بحلفة كلها من آثار عاطفة الأريحية والرفة ، ولا يرجد من آثارها فى عالم الحيوان أثر ، ولا يطلع منها فى سائر مراليد المددة على حبر ، فهى من حصائص 'روح الإنسانى ونفسيته الكبيره' العائرة فى المجد والعظمة ، واشرافة والآهة ، والفصل والكمال

فإذا لم يتوفر لمرع الإنسان من ضرورات الحياة ما يبيع لهم فسحة من الوقت والجهد هذه الأشواق الروحية . ولهذه المجالات الفكرية . فقد سلبوا ذلك التكريم ، وارتكبوها الى مرتبة الحيوان . لابل إن الحيوان ليجد طعامه وشرابه عالياً ، وإن بعض الحية أن ليختل ويتفر ويمرح ، وإن بعض الطيور ليغرد فرحاً بالحياة بعد أن يبال كفايته من الطعام والشراب . فما هو بإنسان وما هو تكريم على الله ، ذلك الذى تشعله ضرورات الطعام وشراب عن التطمع الى مثل ما يتاله الطير والحيوان ، فصلا على ما يجب

الإنسان الذي كرمه الله . فإذا قصي وقته وجهده ثم لم يسر كفايته . فذلك هي الطامة التي تهبط به دركات عما أراد به الله ، والتي تصم الجماعة التي يعيش فيها ، بأنها جماعة هائلة لا تستحق تكريم الله ، لأنها تحالف عن إرادة الله . إن الإنسان خليفة الله في أرضه ، قد استحلطه عليها لينى الحياة فيها ويرقيها ، ثم ليجعلها ناطقة ببيعة ، ثم ليستمتع بجمالها وبصرتها ، ثم ليشكر الله على أنعمه التي أنعم . والإنسان لن يطلع من هذا كله شيئاً ، إذا كانت حياته تنقص في سبيل اللقمة ولو كانت كافية ، فكيف إذا قصي الحياة فلم يجد الكفاية ؟

ويكره الإنسان أن تكون فوارق الطبقات بين الأمة بحيث تعيش منها جماعة في مستوى اتrof ، وتعيش جماعة أخرى في مستوى الشطط . ثم أن تتجاوز الشطط إلى الحرمان والجوع والعري .

هذه أمة غير مسلمة . والرسول يقول ، ( أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعاً فقد رئت منهم ذمة الله ) أو يقول : ( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ) يكره الإسلام هذه الفوارق لما وراءها من أحقاد وأضمار تحطم أركان المجتمع ، ولما فيها من أثره وجشع وقسوة تفسد النفس والضمير . ولما فيها من اضطراب المحتاجين : إما إلى السرقة والعصب وإما إلى الدل وبيع الشرف والكرامة . . . وكلها منحدرات يتجافى الإسلام بالجماعة عنها .

لهذه المعاني شرع الزكاة ، وجعلها مريضة في المال ، وحقاً للمستحقين لا تفضلاً من محرجين ، وجعل لها نصيباً في المال يحمل الواحد من جميعاً يشتركون في أدائها .

أما المستحقون لها فهم كما نص الله عليهم وصرح بهم في القرآن الكريم



جاء في الآية ٦٠ من سورة التوبة : « إنا الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والعاملين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » .

وبذلك تأخذ الزكاة مكانها في الشريعة ، ومكانها في النظام الاسلامي ، لا تطوعاً ولا تفصيلاً من فرصت عليهم . فهي فريضة محتمة ولا ماسة ولا جراً من القاسم الموزع فهي فريضة معلومة . إنها إحدى ضرائب الاسلام تجمعها الحكومة الشرعية الاسلامية بنظام معين لتؤدي مـا خدمة اجتماعية محدودة . وهي ليست إحساناً من المعطي ، وليست ثخاذه من الآخذ . كلا فقام النظام الاجتماعي في الاسلام على التسول ولن يقوم .

إن قوام الحياة في النظام الاسلامي هو العمل - بكل صنوفه وألوانه - وعلى الدولة المسلمة أن توفر العمل لكل قادر عليه ، وأن تمكنه منه بالأعداد له ، وب توفير وسائله ووسائل الجزاء الأوفى عيه . وليس للقادرين على العمل من حق في الزكاة . فالزكاة ضريبة تكافل اجتماعي بين القادرين والعاجزين تنظمها الحكومة الشرعية وتولاها في الجمع والتوزيع . متى قام المجتمع على أساس الاسلام الصحيح .

إن الزكاة فرع من فروع نظام التكافل الاجتماعي في الاسلام . وهذا النظام أشمل وأوسع كثيراً من الزكاة . لأنه يمثل في عدة خطوط تشمل فروع الحياة كلها ، ونواحي الارتباطات البشرية مأكملها . والزكاة خط واحد من هذه الخطوط ، وهي تشمل ما يسمى الآن : بالتأمين الاجتماعي ، والتأمين الاجتماعي مجتمعين . والفرق بين التأمين والصمان ، أن كل فرد في التأمين يؤدي قسطاً من دخله في نظير تأمينه عند عجزه الدائم أو الموقت . أما في الصمان فالدولة هي التي تقوم بهذا من ميزانيتها العامة . بدون أن يشترك

أفراد ذووهم بأداء وسط معين .

والركاء يجمع خمسة عشر ونصف لعشر . وربع العشر من أصل المال حسب أوضاع الأم ال . وذلك مشترك في حصيلتها مدطم أفراد الأمة ثم تنفق في المصروف التي ينتهها الآية الكريمة .

وأول المستحق لهم الزكاة والمساكين والعمر . هم الذين يجدون دور لكفاية ، والمساكين منهم ، ولما كانهم هم الذين يتحملون ولا يبدون حاجتهم ولا يسألون . وإن كثير آخر يؤدون لركاء في عام ، قد يكونون في إمام المسلمين تحتين للركاء تنص ما في أيديهم عن لوفاء بحاجتهم فهي من هذه الناحية صان إجتماعي .

والركاء بطء تأمين ، وصان إجتماعي لطوائف معينة في الأمة . وأيدت أساساً لأطعام لاقتصاد في الدولة لاسلامية . واستت كذلك قواماً للحياة العامة . إنما قوام الخياد تعمل وأربابها .

، والعامين عليها ، بيان لصنف آخر من تدعى لهم لركاة وهم الحياة للركاء ، والكتبات والخراس عليها الذين وكل إليهم أمر لركاة ، وقد أباح الله تعالى هؤلاء أن يأخذوا أمر لركاة من أعمالهم لاصفة أنهم فقراء أو مساكين . والمؤلفة قلوبهم ، وهم طوائف . منهم من دخلوا حديثاً في الاسلام ویراد تثبيتهم عليه ، ومنهم الذين يرجى أن تألف قلوبهم فيسلموا ومنهم الذين أسلموا وشتوا ويرجى تأليف قلوب أمثالهم في قلوبهم ليؤثروا الى الاسلام حين يرون إخوانهم يردقون ويردادون . وهناك خلاف فقهي حول سقرط سهم هؤلاء المؤلفة قلوبهم بعد غنة لاسلام . ولكنهم هم أولاء في هذا الزمان بعد كثير من الخلال نصح أن إعطاء جماعة من الناس على هذا الوجه إما إغاة لهم على اثبات على الاسلام إن كانا يجاريون في

أدراهم لاسلامهم ، كناس في الهدو وغيرها الاق . أو يعرفون من المشركين والمستعمرين على اسكيد الإسلام ، ومنهم في ديار ما كثير . وإما تقريباً لهم من الاسلام كبعض الشخصيات غير المسلمة التي رضى أن يسمع الاسلام بالدعوة له ولذب عنه هها وهناك . يرى هذه الحاجة فتري مظهر الكمال حكمة الله في تدبيره لأمر المسلمين على اختلاف اطروف والأحوال .

• وفي الرقاب ، أي فكها من الرق ، أي أن من أغراض الركاة التعاون على فك الرقاب من الرق ، كإعانه الأرقاء الذين اتفقوا هم وملاكهم على أن يدفعوا لهم شيئاً من المال في بطير عتقهم . ونسبى هذه مكانة شرعية

ومنه تعلم أن الشريعة الاسلامية ماأماحت الرق إلا للضرورة ، ومع أنها أماحت فهي تعمل على تصيق دثرته ثقى الوسائل ، ولا أدل على ذلك من أنها أعدت قسماً من بيت مال المسلمين لإعانة الأرقاء الذين يريدون الخلاص من الرق يتعاقبهم هم وسادتهم على أن يذلوا هم شيئاً من المال ، ويكون ذلك بمثابة شرائهم أنفسهم منهم ، وندت الشريعة الى الملاك أن ييسروا على الأرقاء ، ويهلوا عليهم مهمة العتق . تنليل المال ليس بطوبه منهم ، وحط شيء منه . حتى لا يعجروا عن الأداء

وقد استعرض استاده الحجة ( السيد محمد جواد البربرى ) دام ظله فلسفة الرق في الاسلام ، في الوقت الذي وجه اليه السؤال من قبل ( مجلة النشاط الثقافي ) ورجته أن يكشف انقباب عن سر قبول الاسلام إياه بقوله . . . . غير خاف أن لاسلام لم يتدىء بالرق ، فإن الرق كان شائعاً في الأمم جمعاء ، وكل حالاً من أحوال هيئة الاجتماع في أدوار الانسانية الأولى . معنى أنه كان حادثاً إجماعياً له عرامل طبيعية تقطعه ، يدوم مادامت

تلك العوامل . وقد عده علماء العمران سبباً لرفق النوع الانساني درجة أو درجتين في سلم العمران والمدنية ، فمن حيث أن الانسان محتاج في جميع شؤونته الخاصة به ، المختلفة في أنواعها ، المتباينة في الصعوبة والسهولة الى من يشد أزره ويكون له عوناً في أدائها ، وكانت الاعمال في بعض الأحيان تتحم وجود المعين والمساعد . ولا يمكن وجوده على الكلمة في الغالب صار الأمر محتاجاً الى القوة والنفوذ والسلطة حتى يكون مسموع الكلمة نفذ القول في كل ما يريده من الأعمال والمصالح ، حتى يستقيم له الحال ويصفو منه البال ، ويقوم بما يلزمه من الأعمال على أنهم نظام وأحسن مثل . وقد تعالى الناس قبل الاسلام في تسببهم على الرفق . ولم يراعوا الداية التي من أجلها وجد الرفق ، وارتكبوا من المظالم ما تشعير له الأبدان وبشتغل منه الرأس شيئاً .

وقد جاء الإسلام لاناياً له بالمره ، ولا مبدئياً إياه على تلك الحالة لتعسة بل غير هذه الحالة وحسبها ، وانتقل به الى ما يقتضيه النظام الأصليح للمكون والسكان ، وبنى فيه الصلاح الى الرفق والمسترق . ونظراً الى أن الشارع الإسلامى حكيم يصح الأشياء في مراضعها لم يفاجئ الناس بمجر عادة تأصلت فيهم من القدم ، فإذا ما فوجئ بمجرها دفعة واحدة كثراً المجادلون والمعارضون بن جعلها في طريق فيه مصلحة الطرفين

أما مصلحة الرقيق فإن الإسلام ما أباح الإسترقاق إلا من أسرى الحرب فقط . وكانت الأمم قبل الإسلام تسترق بالحرب وبغير الحرب . ففى تقليل مصادره وحصره مصدر واحد مصلحة الرقيق ، وأيضاً بالإسترقاق تحفظ الأسرى من الصياع ، فإن أسرى الحرب لا يمكن ردهم الى العدو ، إذ يعيش منهم أن يتألوا على الاسلام ، فيحدثون مشككة أخرى ومعضلة ثاية

وتركهم على حالهم من غير كميل لهم قد يؤدي إلى الهلكة من الجوع والعري ويشهد له ما ذكره مر يد وجدى في دائرة معارفه . إن الولايات المتحدة لما حررت رقيقها كان بعضهم يضرب في الأرض ، يلتبس وسيلة للرزق فلا يجدها فيحرر إلى سادته يرجو منهم اعود إلى خدمتهم وكذلك جرى في السودان المصري ، فقد جرب الحكام من الانكليز أن يجدوا لهم رزقاً يعمل يعملوه مستقيين فيه . مكنتين به فلم يمكن وصطروا إلى الاذن لهم إلى خدمة الرق السابقة ، بيد أنها لا تسمح للخدمين ببيعهم والاتجار بهم

والاسلام كان موقفه في تقرير الرقية الحرية بين محدودين : محدود الرد إلى أهاليهم - أعداء الاسلام والمسلمين - ومحدود إهمالهم عند المسلمين لا كغير بكفهم فالأول يوجب قوة الأعداء ويحدث مشكلة الحرب مرة ثانية . وهذا خلاف مصلحة الاسلام والمسلمين . والثاني يؤدي إلى صياعهم وهلاكهم من الجوع والعري ، من بسب العناء والسفاح من المسببات ، ومن المستحيل أن يرصى به الرسول الأعظم الذي نعت رحمة للعالمين فاختار نبي الاسلام عطاءً وسطاً في قبول الرقية ، يوافق النظام الأصح للعالم النشري ، ويتطابق قانون نقاء الأصلح ، وقد تمت معاداة الطرفين ومصلحة الجائسين .

هذا ما يرجع إلى مصلحة الرقيق ، وأما مصلحة غيره وهو من يسترقه فإن إبقاء الرق يعود على المسلمين بالعائدة ، إذا ما قاموا بأداء مصلحة خاصة بأمة من الأمم التي تكفلوا رعايتها ، فإنهم يجدون بالرقيق مساعداً على تقويم أمر معاشهم ، وأيضاً إيقاظه فيه إزهاق للهدو حيث يكثُر به عدد المسلمين والمحاربين هذه هي الحكمة في إبقاء الرق في الاسلام إلى الآن .

والعالمين . . وهم الذين استدانوا لغير مصلحة ، سواء أكان ذلك الدين لإصلاح بين طائفتين ، أو كان لعمل من الأعمال العامة ، كأن

استند الرجل لإنشاء مصنع من المصانع التي تعود على الناس بالخير .  
ويقول المصرون : إن من استند لإصلاح ذات البين يعطى من  
لزكاة لأداء دينه ولو كان عيياً وقد يدل ذلك عند العارفين قسماً مستقلاً عدا  
قسم الفقراء والمساكين ، والمراد أنهم يمطون لعراقتهم في عمل شريف تشجيعاً  
لناس على عمل الخير ، وأنهم إذا أعزموا في ذلك لم يبل لا يصح أن يتركوا  
سور دفع لعراقتهم . ويدخل في ذلك اسم لنداء الدين استندوا في سبيل  
نجاتهم ثم أصبحوا فقراء فإنهم يمطون من الزكاة من ناحية أنهم عارمون في  
غير معصية ، وعن جهة أنهم فقراء .

• وفي سبيل الله . أي طم يطمه الذي يحبه ويرصاه ، كالجهاد وطلب  
العلم وترقية الصاعات والمعارف وغير ذلك من كل ما يرضى الله تعالى ، ويمود  
على الناس بالخير في دينهم وديارهم . دن الله تعالى لا يريد للناس إلا سعادتهم  
في الدارين . كبناء المستشفيات وأحمديات الخيرية التي ترقى الناس في أخلاقهم  
ودينهم وتحفظ عليهم عزهم وكرامتهم . وك تأسيس المدارس والجامعات التي  
ترقى الناشئة تربية إسلامية صحيحة فلا تنكبهم إلى مدارس الدولة تعلمهم كل شيء  
إلا الإسلام . ولا مدارس المدشرين تعدى على طموحتهم وحدائثهم وهم  
لا يمكن أن رد العدوان ذلك سبيل الله الذي يرضيه ويحبه .

• وابن السبيل . : أي أن المسافر يعطى من مال الزكاة ليستعين به على  
سفره ، وإن كان له مال في بلده المستوطن به . ويعطى لسفره .

ومنه تعلم كيف أن لذين بحث الناس على الأسفار بإعدادهم جرماً من  
الزكاة للمسافرين . وقد عرف "عربون قيمة الأسفار" ومقدار تأثيرها عليهم  
في علومهم ومعارفهم وصاعاتهم ، فحسروا بها عناية عظيمة ، وقد حث القرآن  
الكريم على السير في الأرض . فلم يسروا في الأرض فتكون لهم قلوب

يعقلون لها أو آدل يسمعون بها ، وقد أصبح من الأوليات إرباط العالم بفضله ببعض في المصالح والمرافق ، حتى صار كالأمرة الواحدة ، لا سيما بعد تهيئ أمر المواصلات والمحابر ، فالأمة التي تجدد على الإقامة في بلدها ولا تنصر بغيرها من الشعوب لسيفيد من معارفها وعلومها - لا يمكن أن تعيش أو تأخذ منزلها في الحياة ، والفصل الأول في الحديث على الأسفار وصلة العالم بعضها ببعض إنما هو للشرعية الإسلامية التي تكافئ المسافر وتفق عليه ما دام مسافراً ، وتجعل له نصيباً من ثل مال المسلمين .

وفي الآية - ١٠٣ - من سورة التوبة يقول تعالى أيضاً : « حرم من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم » . يشاد منه تعالى الحكمة ذلك الركن الذي أصابعه المسجون ، وهي طهارة نفوسهم من الشح ، والبعد بها عن البخل ، وهو داء دفين في الناس ، إذا استحكم في قوم حرم على مكرات ومصانع لا تقف عند حد جاء في الحديث : « إياكم والشح فإنما هلك من قبكم بالشح ، أمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالقطيعة فقتلوا » ، وأمرهم بالمحور فمجرؤا . وقال ﷺ : « شر ما في الرجل شح هالع ، وجش هالع » . وقال ﷺ : « ثلاث مهلكات شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه » .

وإن أمة من الأمم لا تقوم لها قائمة إذا كانت بحيلة على مصالحها ، شحيحة على طرق الخير فيها ، وإلا فكيف سى فيها المعاهد وتشاد فيها دور الصناعة ، وترقى فيها وسائر العمران مع الشح وكيف ينظم حال الناس ويؤدى بعضهم حقوق البعض ، إذا لم يكن لهم نفوس طيبة ، وقلوب ملؤها القناعة والرضاء .

ولعل من آثار الشح في زماننا هذا إمتلاء دور الحكومة بقضايا

المواريث، والنزاع على الحقوق المدنية، لا سيما بين الأقارب. فكان من حكمة الله تعالى أن يمرّن المؤمن على بذل شيء من ماله لمصالح المسلمين، ليبحث بذلك البذل عرق الشح من نفسه، ويصنع رجلاً صالحاً للحياة، إذا دعى إلى بذل ماله في سبيل الخير أجاب داعي المصلحة، وإذا اشتبك مع بعض أقاربه في تركه حلفها له أبوه أو أحد أقاربه خضع لقسمة الله في المواريث، ولم يلجأ أقاربه لمقاصاته، وتعمف عن الدنيا التي يرتكبها بعض الناس ليصل بها إلى حرمان أخته من ميراث أبيه، كتروير عقود البيع، أو انتحال دين لبعض الناس على أبيه، وغير ذلك مما تأماه المروءة وقد تنتهى المسألة بصره على القصاص أكثر مما كانت تأخذه أخته عن طريق الميراث، بل تنتهى بفقر الطرفين المتقاصين وحرمانهما من مال أبيهما كل ذلك لأن في النفوس شحاً مطاعاً، وعدم رضا بقسمة الله في المواريث.

أجل ترى الواحد من هؤلاء لا تعرف الرحمة إلى قلبه سبيلاً نحو يتم أو فقير، ولو كان من ذوى رحمه، لا بل قد ترى والد أحدهم أو والدته أو أخاه لشقيق في منتهى البؤس يتصور جوعاً وينسكع في الشوارع، قد فعل الجوع فعله في عقله وفي بدنه - وهذا المثلث كأن فيه قد قد من صحر لا تأخذه في قريه المذكور أو قريته ذرة من الرحمة، وكأنه لا صلة بينه وبينه

جاء في كتاب (النهضة الإصلاحية): ولقد أخبرني من لا أشك في حبه أن واحداً من هؤلاء المكثرين في العي له والد من المكثرين في الفقر والبؤس، اشتد الفقر يوماً على هذا الوالد حتى ضاقت الدنيا في وجهه، فخطر على ماله أن يرور ولده - ذلك المثلث الكبير - لعله يعطف عليه ويتذكر أبوته ويرحم شيبته ويرق لخمصته القانلة، فلما أحبر الولد بوجود والده في منزله أسرع إليه - لا يسعفه - ولكن ليأخذ بأذنه ويضغط عليها بما أوتي من قوة



ثم يجده بها إلى عدرح البيت . وهناك قال له : لا أراك هنا بعد اليوم ، فمن ألم  
الرجل بادر بقوله له لا ترائى يا ولدى ، قال ذلك ليترك أدمه ويرايه ألم  
ضعطه عليها .

هؤلاء هم أرباب مئات الألوف عندنا اليوم وهذه أخلاقهم .  
وكا أن من آثار الزكاة تطهير النفوس من الشح ، من آثارها أنها تستل  
من نفوس الفقراء والمعوزين حقهم على أرباب الأموال وحسدكم للأغنياء ،  
فإن الإحسان من شأنه أن يملك القلوب ، ويستعبد النفوس فيصبح العنى محبواً  
لدى الفقير ، والفقير مخلصاً للعنى ، يحرس ماله ، ويدافع عنه ، لأن له نصيباً فيه ،  
فيهمه أن يعمو ويزيد . وإن الناس يقاسون اليوم من شرور الشرعية الممقوتة ما  
لا يقف عند حد ، وسب ذلك أنهم لم يأخذوا بالاشتراكية التي فرضها الإسلام  
بالزكاة ، فكان عاقبة علمهم أن سلط الله عليهم من يقض مضاجعهم ، ويزعمهم  
في حياتهم .

وتطرب بعض الشعوب فاستولى على رؤوس الأموال وجعلها حقاً شائعاً  
للناس ، وأخذ يحارب الاستئثار بالثروة ، وسمى أن ذلك العمل من شأنه أن  
يميت الروح المعنوية في العامل ، ويقضى على غريزة تنارع البقاء والتنافس في  
الحياة وقد فطروا بعد لشور ذلك العمل ، وأخذوا ينظمونه ليصلوا به إلى  
ما يزعمون من سعادة ، وهيئات أن يصلوا إلى شيء مما أرادوا ، فإن السعادة  
فيما شرعه الله . وفي أن يبقى لكل عامل تبيحة ، وتصير الحياة ومرافقها حقاً  
مشاعاً يتنافس الناس فيها ويتارون . نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة  
الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات لينخذل بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة  
ربك خير مما يجمعون .

وجاء في الآية - ١١ - من سرره التوبة : « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإحوائكم في الدين وتفصل الآيات لقوم يعقلون » .  
 في هذه الآية من سورة التوبة أرى الله تعالى أن الأخوة في الدين لا تكون إلا من قوم أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، بعد توبتهم من الشرك ، والذي يؤمن بالله ولا يؤدي ذلك الركن لا يكون أخاً للمؤمنين في دينهم .  
 ولعل في ذلك عبرة لما دعى الزكاة من المسلمين الذين يظنون أنهم باجرون من عذاب الله لجرد صلاتهم ، وإن بحلوا بأهوالهم . ناسين أن الله تعالى يتلقى الناس بأعقاب جزاء من مالهم يؤخذ من أغنيائهم ليرد على فقرائهم ، وأن المؤمن لا يكون صادقة في دعوى الإيمان إلا حيث أدى حق الله في ماله ، كما يؤديه في صلاته وصومه وحججه ، وأن أخيار الناس بالمال فوق احتيازهم بالصلاة . فمن السهل على الرجل أن يؤدي أعمالاً لا تكلفه سوى حركات يتقدم بها كل يوم ، وليس من الرجل أن يبدل مصباً من ماله للفقراء والمساكين ومصالح المسلمين عن طيب نفس ورضا ، ولذلك يجد المصلين وانصاف أكثر من المزكين ، على أن الصلاة التي لا تزهد صاحبها في المال ، ولا ترشده إلى حق الفقراء والمساكين ، ولا تزيه أن ذلك المال هو مال الله يستلطفه فيه . لينظر أيتوم بحقه أم يحل به على المصالح - هي صلاة لا يقيم الله لها ورناً ، ولا يبالي بعمل صاحبها . لأنها صلاة الفقلين والساكين . لا صلاة المؤمنين الكركين . « أرايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ، ولا يحص على طعام المسكين ، فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراؤون ويمتنعون الماعون » .

ومن سنة الله في القرآن الكريم أن يجمع بين الدعوة إلى الصلاة ، والدعوة إلى الزكاة ، ليرى أن الصلاة من شأنها أن تحمل على لركاء ما دامت

قد أدت على وجهها لكامل في صورتها ومعناها ، ولذلك قرن الزكاة بالصلاة في سورة المؤمنين . وأراد أن المؤمنين هم الذين يخشعون في صلاتهم ، وهم الذين يؤدون زكاة أموالهم حيث قال جل وعلا : « قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون . ولذين هم عن المنع معوصون ، والذين هم للزكاة فاعلون . »

هذه هي الزكاة التي يتناول عنها المنقولون في هذا الرمان ، ويلمرونها بأنها نظام تسوّل وإحسان . . هذه هي فريضة إجتماعية تؤدي في صورة عبادة إسلامية . ذلك ليظهر الله بها الخلو من الشح ، وليجدها وشيخة تراحم وتضامن بين أفراد الأمة المسلمة ، تؤدي جو الخفاء الإنسانية ، وتمسح على حراج البشرية ، وتحقق في الوقت ذاته ما يحققه التأمين الإجتماعي والضمان الإجتماعي في أوسع الحدود وتبقى هاصفة العادة التي تربط بين النفس البشرية وحالته ، كما تربط بينه وبين الناس . « فريضة من الله ، الذي يعلم ما يصبح هذه انشورية . ويدبر أمرها بالحكمة . والله عليم حكيم . »

### فوائد الزكاة المعروضة والإصلاح المالي للشر وامتياز لاسلام ذلك على جميع الأدب

ما ذكره الله تعالى من تطهير الصدقة للمؤمنين وتركيتهم بها يشمل أفرادهم وجماعتهم ، فهي تطهر أنفس الأفراد من أرجاس البخل والذمالة والقسوة والآثرة والطمع والجشع ، ومن أكل أموال الناس بالباطل من خيانة وسرقة وعصب ووربا وغير ذلك . فإن الذي ير في بالإيمان على بذل بعض ما في يده أو ما أودعه في خزانة وصدوقه في سبيل انتعاء مرضانه ومعمرة

ذنبه ورفع درجاته ، جدير بأن يبره نفسه عن أخذ مال غيره بغير حق . وهذا التطهير لأهمل الأفراد وتزكيتها بالعلم والعرفان ، والتقوى التي هي مجموع ثمرات الإيمان ، يستلزم تطهير جماعة المؤمنين ( وما يبره عنه في عرف هذا العصر بأهيئة الاجتماعية ) من أرجاس الدائل الاجتماعية التي هي مثار النجاسة والتعادي والبغى والعدوان والفتن والحروب

ذلك بأن الأموال قوام حياة الناس ، وعمادها الذي تقوم به وتنظم ، وقطب الرحى لمعايشهم ومرافقهم العامة والخاصة ، وهم متفاوتون في الاستعداد للكسب والتبذير ، والاسراف ولغيره ، والقصد والتدبير ، والجود والبخل ، والتعاون على البر ، فلا ينفك بعضهم محتاجاً الى بعض في كسب الرزق وفي إنفاقه ، وأشدهم استعداداً لجمع الثروة الدين يعلب على طاعتهم الحرص والبخل حتى على أنفسهم وأولى قرباهم . وهذا يكون بعضهم فتنة - أي إمتحاناً - لبعض ومثلاً للتسارع والتخاصم كما قال تعالى : « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة » أنصربون ؟ ، أي ذلك مقتضى سنته في تفاوت الشرف في الاستعداد والاحلاق والأعمال .

ولما كان الدين مرشداً للنشر إلى تزكية أنفسهم وتقويم أخلاقهم ، ما تصلح به فطرتهم ، ويرتقى به أفرادهم وجماعتهم - شرع الله فيه من الأحكام التعبدية والعملية ما يقيم شر هذه الفتنة ، ويثبدهم بما يترتب على إهمالها من المحنة ، فأوجب على أصحاب الأموال من الصدقات والصدقات ، ما يبدل سيئات الثروة في الاسلام حسنات .

الحق أن الاسلام هو الدين الوسط ، الجامع بين مصالح الروح والجسد للسيادة في الدنيا والسعادة في الآخرة ، فهو وسط بين اليهودية المادية الدنيوية والصرازية الروحية الزهدية ، وإن من مقاصده الإصلاحية في الاجتماع

البشرى هداية الناس إلى العدل والفضل في أمر المال ، ليكتفى الناس شر طمعهم  
الآغنياء ، وذلة الفقراء . وصوص القرآن والسنة في هذا هي العاية القصوى  
في الإصلاح ، وهي هادئة لمراعهم هؤلاء المفتاتين على الاسلام بالحيل والهووى .  
علا عباد المال من اليهود والآخرى في جمعه واستغلاله واستعباد الألو وألوف  
الألو من العمال الفقراء به ، عمله دولة بينهم ، وغلا حصومهم من الاشتراكين  
في مقاومتهم ومحاولة جعل الناس فيه شرعاً ، وجعله يديهم حقاً شائعاً ، فانهى  
هذا العلو ناشيوعية الروسية في عصرها هذا - وهو عصر سنة ١٣٨١ هجرية -  
أن استعبدت أكثر من مائة مليون من البشر تسحرهم في تنفيذ مذهبها كالانعام  
والدواب ، وتبدل حل ما سترعه من ثروتهم في بث الدعاية له في جميع الاقطار .  
ويحشى العقلاء من عاقبة هذا الاسراف ، والعلو من الجانبين حرماً عامة طامة ،  
وفتنة لاتصير الدين طلبوا منهم خاصة .

ولا تمتد الأمم من هذه الفتنة وعواقبها إلا بدين الإسلام - أعنى  
بالتدين به والعمل بأحكامه المالية وغيرها ، ولا يمكن الترامها بالعمل إلا  
بإذعان الدين .

وقد بدأ عقلاء الأخرى يشعرون بالحاجة إلى دين معقول يصح بالترامه  
فساد هذه المدية المادية ، ولن يجدوا حاجتهم إلا في دين القرآن وسنة خاتم  
النبيين - محمد عليه الصلاة والسلام - ، وأحشى ألا يبتدوا إليه إلا بعد البطشة  
الكبرى ، والطامة العظمى . وهى حرب التدمير المنتظرة من تازع البشفية  
والرأسمالية .

وإنى أذكر هنا أهم أصول الإصلاح الاسلامى في المسألة المالية التى  
تبتدئ إلى فكرى وتبدده :

١ - إقرار الملكية الشخصية وتحريم أكل أموال الناس بالباطل .

٢ - تحريم الربا والفهاد .

٣ - منع حمل المال دولة بين الأعياء - أى يتداولونه بينهم من دون أداء ما عليهم من حقوق الفقراء المحمولة من المشرع الإلهي في نظام الإسلام للفقراء في أموال الأعياء ، ولم يكن هذا التداول في عصر من أعصار الشر كما في عصر الطام المالي المتعدي حصره العربية الذي يجربه انهم ، ويعادون لأجله أرباب الأموال .

٤ - الحذر على السفهاء في أمر الهضم حتى لا يصيغوها فيما يصرفهم ويصرف أمتهم .  
٥ - جعل الزكاة المعينة مع العشر في اسقدين ، ولعشر أو نصف العشر في الغلات الاربعة الزراعية اثنى عليها مدار الافوات - وزكاة الانعام معروفة في كتب الحديث والعقده .

٦ - فرض زكاة الروحية والعمودير - أى الآب والام .

٧ - إيجاب كفاية المضطر .

٨ - جعل بدل المال كمارة لبعض الدروب ( ومنها الطهارة وإفساد صيام يوم من شهر رمضان شروضا المعروفة )

٩ - مدح صدقات التطوع والترعيب فيها .

١٠ - مدح الاسراف والسدير ، وإيجل والشح واستقير ، وعده من أسباب الهدم وسوء المصير - أى الأفراد والأمة والمرولة .

١١ - إباحة الرية وانطياب من الرق شرط اجتناب الاسراف والخلاء الموقعين في الامراض والادواء البدنية ، المصيبين للثروة المالية ، المثيرين للحسد والعداوة والمفاسد الاجتماعية ، وهى من أعظم أسباب ترقى الثروة .

١٢ - مدح القصد والاعتدال ، في النفقة على النفس والعيال .

١٣ - تفضيل العني الشاكر على الفقير الصابر ، يجعل اليد العليا خيراً من اليد السفلى ، وأعمال البر تمتدى نفعها إلى الناس أفضل من الأعمال القاصر نفعها على فاعلها ، وجعل الصدقة الحارية من المثوبات الدائمة الباقية .

أرأيت أمة من الأمم تقيم هذه الأركان ويوجد فيها فقر مدقع ، أو غرم موجه ، أو شقاء مفظع ؟

الأمر الثاني من الأمور التي دعا الإسلام المؤمن إلى المناجاة بها سرّاً في الخلوات لإحكام روابط التعاون المشترك بين الجميع : هو الأمر بالمعروف والنهي عن الأمر ، ولذلك . لأن لكل إنسان في نفسه كرامة يحافظ عليها ويأبى أن تمتن فإذا ما نه إلى خطئه وأمر بالافلاخ عنه على ملائ من الناس ربما وجد في هذا عصا صاعدة عليه قد تحمله على الإصرار على خطئه وتعمد المخالفة ، ومن أجل هذا جعل الله من الخير للناس أن يتاجروا بالأمر بالمعروف . وعلم الله تعالى رسوله ﷺ : الوسائل الفعالة لنجاح دعوته ، فأمره باستعمال الحكمة وحسن الأسلوب في الدعوة إلى الحق ، وإذا اقتضى الحال المجادلة والمخاصمة فلنكن أيضاً بوسيلة أفضل وأحسن من وسائل الخصم بل وحتى في حال استعمال القوة يجب أن يكون مدافعاً وأن لا يتجاوز حد المقابلة بالمثل ، على أن من الخير أن يصبر الإنسان على الأذى ويتجاوز عن إساءة المسيء ويحتملها عن طيب نفس وسعة صدر ، إذ يقول تعالى : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ، وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به وإن صبرتم لهو خير للصابرين ، واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ، ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . »

كما به الله رسوله ﷺ إلى أمرهم في الأمر بالمعروف هو أن يكون الأمر عاملاً بما يأمر به ليكون لكلامه أثره الفعال في القلوب حيث يقول :  
 « لذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم » . وصرح سبحانه وتعالى :  
 بمقت من يعمل عملاً ما يأمر به حيث يقول : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مرت ليلة أسرى في مأقوام تقرر ض شفافهم بمقاريص من بار . قلت : من هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال : خطباء أمك الذين يقولون ما لا يفعلون » .

وقد أوجب الإسلام على كل مسلم بذل النصيحة لمن يعرفه ولمن لا يعرفه حيث قال ﷺ : « إن الدين النصيحة » قيل لمن يا رسول الله ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . وقال : جبريل بن عبد الله : « أتيت النبي ﷺ فقلت : أبايعك على الإسلام فشرط على النصيحة لكل مسلم » وقال ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » وروى عنه قوله ﷺ : « إن أول ما دخل القصر على بي إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك . ثم يلقاه من العبد وهو على حاله فلا يحميه ذلك أن يكون أكله وشربه وقصيده ، فلما فعلوا ضرب الله القلوب بعضها على بعض ثم تلى : « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبس ما كانوا يفعلون » . وقوله ﷺ : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أو شك أن يعصمهم الله بعقاب » وقوله : « ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يعبروا عليه ولا يعبرون عليه إلا أصابهم



الله منه بعقاب قبل أن يموتوا ، وقوله : « إن من أعظم الجهاد كلفة عدل عند سلطان جائر » . وقد استعرضنا الموضوع - موضوع البحث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفوائده العائدة للمجتمع في كتابنا - على والأسس التربوية - فراجع .

الأمر الثالث من الأمور التي دعا الإسلام المؤمن إلى المناجاة بها سرّاً في الحلوات الإصلاح بين الناس ، وفي هذا إشارة إلى ما يحتاج إليه المصححون من بذل جهود حكيمة لتقريب وجهة النظر بين المتخاصمين وإقناع كل منهما على أفراد عائلته وما عليه وما تقتضيه المصلحة من توفر حسن النية والتضحية لتصفية القلوب وبناء صرح الود على أساس صحيح

وأول ما ينبغي الاتجاه إليه إصلاح ما بين نفس الإنسان وربّه ، فالنفس مخلوقة جاهلة مفطورة على الإلحاد المطلقة ، والله خالقها ، العليم بما يصلحها ، يريد لها سامية ركية ولدلت دعا إلى كبح جماحها وتنظيم شهوتها وهدايتها إلى ما فيه خيرها وسعادتها ، وهذا دعا المؤمنين إلى احصاء نفوسهم لطاعة أوامرهم واجتنب نواهيهم حيث قال : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فيحكم بما كنتم تعملون » ، ولذا اعتبر الرسول الأعظم ﷺ جهاد النفس هو الجهاد الأكبر وهو أعظم درجة من الجهاد في ميدان القتال لأنه لركن أساسي له ولما يترتب على إصلاح الباطن من إصلاح الظاهر ، ولأن من قدر على إصلاح نفسه فقد يستطيع أن يصح غيره ، ومن عجز عن إصلاح نفسه فهو عجز عن إصلاح غيره أعجز .

ومن أجل هذا حمل الله كل إنسان تبعه ما يصدر عنه من سيئات ، وجعل مهمة الرس محصورة في مجرد التبليغ حيث قال تعالى : « وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين » فأصلح فلا خوف عليهم ولا هم

يخزنون ، وجعل إصلاح ذات البين مساوياً لتقوى الله وطاعته في الأجر والثواب ودليلاً قائماً على صحة الإيمان به ، حيث قال : « فاتقوا الله وأصلحوا ذات يديكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » .

ولقد فرض الله الأخوة العامة بين المسلمين وأمرهم بالعمل لإزالة أسباب العداوة والبغضاء فيما بينهم ، وأوجب عليهم القيام بواجب الإصلاح بمختلف الوسائل ولو أدى الأمر إلى إمتشاق الجسام لرجع الماغى عن غيه وإحضائه للعدل والانصاف وإعطائه الحق من نفسه حيث يقول : « وإن طائفتان من المؤمنين إقتلوا فأصلحوا بينهما فإن فئت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبنى حتى تقيء إلى أمر الله فإن هاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » ، إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أحوالكم واتقوا الله لعلكم ترحمون .

## نظام الحضارة عند محمد ﷺ

أتريدون أن ترجعوا بنا ألف سنة إلى الوراء . . . إلى عهد الخيام ؟  
لقد كان الإسلام صالحاً لأولئك الخفاة الخفاة من الأعراب قبل ألف عام  
وكانت سداخته وبدائته مناسبة للبنة البدوية التي شأ فيها . أما اليوم فهل  
يصلح في عهد المدنية والحضارة الآلية ؟ عصر الطائرات الصاروخية والقنابل  
الهيدروجينية ، وناطحات السحاب . والسبب المحسمة ؟  
إنه دين جامد لا يتفاعل مع الحضارة الحديثة ، ولا مناص من نده  
إذا أردنا أن نتحضر كبقية خلق الله ؟

يقول الأستاذ ( محمد قطب ) : ، تذكرى هذه الشبهة العبية رجل  
انكليزي ( مثقف ) كان في مصر منذ ستين يعمل خبيراً تاسعاً لهيئة الأمم المتحدة  
لرفع مستوى الفلاحين المصريين ، أى لإقناعهم أن الغرب الرأسمالي يحبهم لوجه  
الله تعالى لا لتثبيت دعائم الاستعمار الاقتصادي في هذه البلاد .  
واذ كان مندوباً لهيئة الأمم المتحدة لا يعرفون لغة الشعب الذي يحونه  
كل هذا الحب ، فقد أئدت الحكومة من يقوم بالترجمة بينهم وبين الأهالي  
وكنتم متنبهاً للعمل مع هذا الانكليزي المثقف . .  
وقد كنت صريحاً معه منذ اللحظة الأولى فقلت له : إننا نكرهكم ،  
وسنظل نكرهكم ما دامت جنودكم جائمة في أى بقعة من بقاع الشرق نكرهكم

أنتم وأمريكاكم وحلفائكم أجمعين ، سبب موقعكم من مصر ومن قضية فلسطين ومن كل بلد دنسته أقدامكم مستعمرين .

فنظر إلي الرجل ملياً ثم قال : - هل أنت شيوعي ؟

قلت : كلا ابي مسلم . وأما أعتقد ان الإسلام حير من حضارتكم إلى اسمالية في الغرب ، وخير من الشيوعية في الشرق . وانه أبدع نظام عرفته البشرية حتى اليوم في شموله لكل مناحي الحياة ، ومعالجتها روح التوازن والإعتدال . واستمرت فيما للمناقشة ما يقرب من ثلاث ساعات ، قال لي في نهايتها : ربما كان ما تقول عن الاسلام حقاً . ولكني أكره ان أحرم من ثمرات الحضارة الحديثة . وأحب أن أسافر بالطائرة ، وأستمع في الراديو إلى انغام الموسيقى اقلت مشدوهاً : وما يمنعك من كل ذلك ؟

قال : - أو ليس يقتضى الاسلام أن أراجع إلى الحيام ؟ ١١٩

• • •

إنها شبهة غبية لا يقول بها أحد درس تاريخ هذا الدين . وإلا فأين ومتى وقف الاسلام في طريق الحضارة ؟

لقد نزل الاسلام - فيما نزل - في قوم من الدولع من جفرتهم وغلظة قلوبهم أن يقول فيهم القرآن . . الأعراب أشد كفراً وبهاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله . . فكانت معجزته العظمى أن جعل من هؤلاء العلاط الجفأة أمة من الأدميين ، لا يكتفون بأنهم اهتدوا بهدى الله فارتفعوا من حيوانيتهم إلى آفاق الانسانية الرفيعة . بن أصبحوا هم أنفسهم هداة البشرية يدعرونهم إلى هدى الله . وذلك وحده رهان على ما في هذا الدين من قدرة عجيبة على تحضير الناس وتهذيب النفوس .

ولكن الإسلام لم يكتف بهذا العمل الجبار في داخل النفوس وهو

العمية الحقيقية التي تستأهل الجهد وتستحق التسجيل ، لأنها الهدف الأخير من كل المدييات والحضارات . .

لم يكتف الاسلام بهذا التهذيب العميق للأفكار والمشاعر ، بل ضم اليه كل مظاهر المدنية التي يهتم بها الناس اليوم ويحسبونها لباب الحياة ، فتدنى كل الحضارات التي وجدها في البلاد المفتوحة ، في مصر ، وفارس ، وبلاد الروم ، ما دامت لا تحالف عقيدته في وحدانية الله ، ولا تصرف الناس عن الخير الواجب لعباد الله . ثم تبى كل الحركة العلمية التي كانت لدى اليونان من طب ، وفلك ، ورياضة وطبيعة ، وكيمياء ، وفلسفة ، وظال يضيف اليها صفحات جديدة تشهد تعميق المسلمين في البحث . واشتغالهم الجدى بالعلم ، حتى كانت خلاصة ذلك في الأدلس هي التي قامت عليها نهضة أورما الحديثة وفتوحاتها بالعلم والاختراع

فنى ؟ متى وقف الاسلاف في وجه حضارة بافعة للناس ؟

أما موقف الاسلام من الحضارة الغربية السائدة اليوم فهو موقفه من كل حضارة ساقطة . يتقبل كل ما نستطيع أن نتمنحه من خير ، ويرفض ما فيها من شرور . فهو لا يدعو - ولم يدع قط الى عرلة فكرية أو مادية ، ولا يعادى الحضارات الاخرى معاداة شخصية أو عصرية أو دينية ، لإيمانه بوحدة البشرية واتصال الوشائج بين البشر من جميع الاجناس وجميع الاتجاهات .

وإذن فلا خوف من أن تقف الدعوة الاسلامية دون استخدام ثمار الحضارة الحديثة كما يفهم بعض البلهاء من المثقفين . ولم يشترط المسلمون أن تكون الأدوات والآلات مكتوباً عليها ( بسم الله الرحمن الرحيم ) حتى يقبلوا استخدامها في منازعهم وصالعهم ومزارعهم ومخلف مرافق حياتهم ! وإنما يكفي أن يستخدموها هم بسم الله وفي سبيل الله . والآلة في ذاتها لا يمكن أن يكون لها دين ،

ولا جنس ، ولا وطن ، ولكن الهدف من استخدامها هو الذى يتأثر بأولئك جميعاً . فالمندفع فى ذاته إنتاج شئ لا عنوان له . ولكنك حين تستخدمه لا تكون مسلماً إذا استخدمته فى الإعتداء على الآخرين . فشرط استخدامها فى الاسلام أن يكون دعاً لعدوان أو إحقاقاً لكلمة الله فى الأرض . والسينما فى ذاتها إنتاج شئ كذلك وتستطيع أن تكون مسلماً حين تستخدمها فى عرض المواطن الطيبة والانسانية الرفيعة ، وصراع الأحياء فى سبيل الخير ، ولكنك لا تكون مسلماً وأنت تستخدمها لمرص الأجساد العارية والشهوات العادية ، والانسانية الماطة فى حماة الرديلة ، الرذيلة من كل نوع . حلقة كانت أم فكرية أم روحية . فليس عيب الافلام الناعمة التى تفرق الاسواق هو مجرد استشارة الفرائز الدنيا ، ولكنك تهوين الحياة وخصوصاً فى أهداف تافهة رخيصة لا يمكن ان تكون غذاءاً لبشرية صالحة . وكذلك ان تقف الدعوة الإسلامية دور التفاعل مع الافكار التى تنتجها لبشرية فى أى مكان على الأرض . فكل تجربة بشرية صالحة هى غذاء يجب أن يجربه المسجون ، وقد كان الرسول ﷺ يقول : « ضب العلم فربصة ، والعلم حين يطلق هكذا يشمل كل علم ، وقد كانت دعوة الرسول الى العلم كافة ، ومن كل سبيل .

كلالآخر من وقوف الإسلام فى وجه الحصار ما دامت نفعاً للبشرية . أما إذا كانت الحضارة هى الخمر والميسر ، والدعارة الخلقية ، والاستعمار واستعداد الشر تحت مختلف التحويلات ، فحينئذ يقف الاسلام حقاً فى وجه هذه ( الحصار ) المزعومة ويقيم نفسه حاجزاً بين الناس وبين التردى فى مهاوى الهلاك .

فما أخرج العالم اليوم الى الاسلام كما كان محتاجاً اليه قبل ألف وثلاثمائة عام . فما أخرجته اليه ينقذه من الخرافة ويرفع عقله وروحه من التردى فيها

فما أخرجته إليه يعيد السلم بين الدين والعلم ليعيد الاستقرار إلى الكائن البشرى الذى تمزقه عقائد العرب العاسدة ، فتفصل بين عقله ووجدانه ، وتجاهل بين حاجته إلى العالم وحاجته إلى الله ١ .

ما أحوج العالم للإسلام اليوم ينقذه من هذه الصلالة التى تردى فيها ، ويرد لروحه الأمن والسلام ، ويشعره بمظف من الله عليه ورحمته ، وإن كل معرفة يصل إليها أو خير يصابه إنما هو منحة من الله يحسها له وهو راض عنه - ما دام يستخدمها فى خير المجموع - .

فما أحوجنا إلى الإسلام اليوم . نقف تحت رايته فنظهر أرضنا من دس الاستعمار ، وتستخلص من قبضته الخبيثة أرواحنا وأموالنا وأعراضنا وعقائدها وأفكارها ، لنصير جذيرين باسم الله الذى بعده ، وبدينه الذى ارتضاه لنا .

ما أحوج العالم إلى الإسلام اليوم ، كما كان فى حاجة إليه قبل ألف وثلاثمائة عام ، لينقذه من العبودية للشهوة ، ويطلق طاقة الحيوية إلى إقامتها لعبها ، لتبشر الخير وتصح حديرة بكمها الله ! .

ولا يقول أحد إنها محاولة فاشلة ميئوس من نتائجها ! فمن قبل جربت الانسانية أنها تستطيع أن ترتفع وما حدث مرة يمكن أن يحدث مرة أخرى والبأس هم الناس وقد كان العالم قبل الإسلام مباشرة قد هبط إلى درجة من العبودية للشهوات إلى حد كبير ما هبط إليه اليوم ، بعير فارق كبير سوى تغيير أدوات المناع وكانت روما القديمة لا تقبل دعاة عن باريس ولندن ومدن أمريكا ، وكانت فارس القديمة عارقة فى فرصى خلقية كالتى يصفون بها العالم الشيعى ، ثم جاء الإسلام فدل هذا كله إلى حياة رهيبة فاصدة زاحرة بالنشاط والحركة ، عاملة على الخير معمرة للأرض ، رافعة بالانسانية كلها فى الشرق

والقرب الى التقدم الفكرى والروحى ، ولم يستعصى الشر الذى كان الناس يومئذ عارفين فيه ، على الاصلاح الذى عمل عليه الاسلام .

وظل العالم الاسلامى مصدر الحضارة والنور والخير والتقدم فى العالم كله فترة طويلة لم يشعر فى خلالها انه محتاج الى التذلل الخلقى والموضى والإباحية ، لى يحصل على القوة المادية والتقدم العلمى والفكرى وإنما كان أهله مثلاً رهيبة فى كل ميدان . حتى هبط عن أخلاقه واستعبده الشهوات ، فخرت عليه سنة الله .

وليس هنالك اليوم من يستطيع القيام بالدور الحضارى المرتقب إلا الاسلام ، ولن يستطيع حمل اللواء الحضارة الغد غيرنا - نحن المسلمون - وذلك للأسباب التالية :

أولاً - إتنا تحمل عقيدة من أرقى العقائد التى تساهم فى بناء الحضارات ، فهى عقيدة توحيد من أصنى أنواع التوحيد وأكثره إشراقاً وسمواً وكمالاً ، وهى عقيدة علم تحترم العقل وتدفعه دفماً حثيثاً وراء المجهول ليصبح معلوماً ، وهى عقيدة خلق إنسانى معتدل كريم يتجافى عن الإفراط فى الرحمة والتفريط فى العدالة ، وعن الإفراط فى الحب والتفريط فى الواجب . وهى عقيدة تشريع يهدف إلى اليسر ، ويتوخى المصلحة : مصلحة الفرد ضمن مصلحة المجموع ، ومصلحة المجموع غير مفرط بمصلحة الفرد ، مصلحة الأمة ضمن الإطار الإنسانى ، ومصلحة الانسانية كلها من غير نحو لفضائل الشعوب وخصائص الأمم وقضاء على كرامتها .

ثانياً - إتنا أمم حضارى إيجابى بناءة ، روحانية إلهية تلامس الجندى فى حربه ، والعامل فى مصنعه ، والعالم فى درسه ، والفيلسوف فى بحثه ، والقاضى فى محكمته ، والموظف فى وظيفته ، والرئيس فى رئاسته تلازم كل إنسان



في جده وهزله ، وحركته وسكونه وليله ونهاره ، ويسره وعسره ، وصحته ومرضه ، لا تتمعه في حال عن حال ، بل تنقله من كمال إلى كمال ، وتذكره بالله الذي خلقه والأرض التي درج عليها ، والناس الذين يعيش معهم ، والعالم الذي هو جزء منه في وحدته الكبرى وعوديته لله رب العالمين

ثالثاً - إننا أثبتنا في الماضي قدرتنا على إنشاء مثل الحضارة المرقية ، ومما قيل عن حضارتنا من قبل الخصوم والجاحدين ، فإن أحداً لا ينكر أنها كانت أكثر من الحضارة العربية الحديثة رحمة بالناس ، وسوراً في الخلق ، وعدالة في الحكم ، وإشراقاً في الروح ، واقترباً من المثل الأعلى للإنسان في مختلف عصوره - كما تستمعه من شهادة الخصوم والجاحد لها - وما دما قد استطعنا أن نقيم تلك الحضارة الإنسانية الرائعة في عصور التخلف العلمي والفكري ، فإننا أقدر على أن نقيم مثل تلك الحضارة في عصور التقدم العلمي واكتشاف المجهول من الكون شيئاً بعد شيء .

إننا حين نمسك بزمام الحضارة المرقية لن نتخذ من الوصول إلى الفضاء دليلاً على إيماننا بوجود الله ، ولن نتخذ من الصواريخ - عابرة القارات - ذريعة إلى تهديد الأمم والشعوب لتظل تحت دائرة نفوذنا ، ولن نتخذ من الإذاعة وسيلة للضلل ، ولا من السينما آلة للإعراء ، ولا من المرأة متعة للجسم ، ولا من التقدم الحصارى أداة لاستغلال الشعوب المتخلفة واستثمار خيراتها وإذلال كرامتها .

تلك هي الأسباب أو بعض الأسباب التي نجعلها الأمة الوحيدة التي تستحق حمل لواء الحضارة لإنشاء حضارة جديدة تخفف من شقاء الإنسان ، وتحقق له قسطاً أكبر من الأمن والطمانية والحياة الإنسانية المستقرة .

وإذا رجعنا إلى أصول عقيدتنا ، وحدنا كتابنا المرسل يشير بصراحة

إلى إفرادنا من بين أمم العالم بمجده القيام بالدور الحضارى الذى تتطلبه الإنسانية فى عصرها الحاضر ، لا لامتيازنا عن غيرنا عرقياً أو جنسياً أو فكرياً . فلك حرافة لم يؤمن بها الاسلام يوماً ما . بل لما ذكرناه فى السبيل الأول والثانى عما مفرد به عن غيرنا .

الآية الكريمة التى تقول لنا : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ، إنما تشير ، ذلك الى خصائص عقيدتنا وأخلاقنا التى أهلنا لأن نكون خير أمة أخرجت للناس .

والآية الكريمة التى تقول عما : « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلوة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهى عن المنكر » ، إنما تشير بذلك إلى خصائص حضارتنا التى جعلتها خير حضارة أخرجت للناس .

والآية الكريمة التى تخاطبنا فى كل وقت : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » ، إنما نحمسنا بذلك عبء حمل الرسالة ، رسالة قيادة الناس ودلائهم إلى طريق الحق والخير دائماً وأبداً . لا فى عصر دون عصر ، ولا فى جيل دون جيل .

وإذا كنا قد استجبنا لهذا القدر حملنا اللواء مرة واحدة ، وقدنا الإنسانية إلى مراتع الأمن والهدى والنور ، ثم تركنا اللواء ونهزنا من أداء الرسالة ، فإن هذه الآية الكريمة لنستحث اليوم حطابنا لنحمل اللواء مرة أخرى ونرفع المشعل من جديد لنقذه الشعوب التى تيه اليوم فى ظلمات الخوف والقلق والشهوة والظلم واليأس المميت ، ثم لا نجد مخلصاً من ذلك إلا بالانتحار ، انتحار الأفراد بالأسلحة أو السموم القاتلة ، وانتحار الشعوب بالقبائل الذرية والهيدروجينية . . .

أجل ان هذه الآية الكريمة لتحثنا اليوم على نشر مبادئ الاسلام

وإعلان حصارته وما فيها من خير واسع وتبرير رحيم .

الإسلام الذى يأخذ بالناس إلى حياة روحية راقية بحجاب هذا الرقى المادى . بحيث يحفظ التوازن دائماً بين الحياتين - المادية ، والروحية - ولا يسمح بطغيان إحداهما على الأخرى .

الإسلام الذى هو الحسام الباتر تقطع به أوصال الشهوات ، والحاجز الحصين الذى يحجز الإنسان فى دائرة الواجب والإعتدال . والنور السماوى الذى يشرق على العقول فيسلك على ضوئه وصح الطريق ، والقوة الإلهية التى تشد أزر الإنسان فيبتدى إلى سبيل النصر والمجد .

ومن تأمل قوله عز شأنه . ( ولكم فى القصص حياة يا أولي الألباب ) أيقن عظيم رحمة الله فى خلقه بما شرعه لهم من الأحكام والحدود العادلة الزاجرة . ومن تدبر قوله جنت عظمته فى آية النصاص التى كانت شرعاً لما قبلنا ثم صارت شرعاً اليوم : « وكتبنا عليهم فيها أن لنفوس بالفس . والعين . والعين والأنف بالأنف ، والآذن بالآذن ، والسن بالسن والجروح قصاص ، أدرك حكمة هذه الآية وعلم أن الإسلام هو الدين الاجتماعى الحكيم بقانونه وتعاليمه . وأنه يمتاز بين سائر الأديان بأنه دين العدل والرحمة والرفق والتسامح ، فلم يقن ما قاله السيد المسيح : « وما جئت إلا بسلاماً بل سلاحاً ، ولا ما ورد فى التوراة : « إذا أدخلك ربك فى أرض لتملكها فقاتلهم حتى تفنيهم عن آخرهم ولا تأخذك بهم رأفة . »

الإسلام بعقائده وعبادته ، ومثله وقيمه ، قد بحث الحياة فى العواطف الجامدة . واليقظة فى القلوب الهامدة ، وحرك حواس الخير فى الإنسان لتتسع نفسه للعلاقات الحسنة . والصدقات الطيبة ، والمعاشرة بالمعروف ، وإبه إلى جانب هذا حارب الظلم ، وألغى حتى لا تهدر كرامة أحد ، ولا

تنتهك حرمة إسان ولا يشعر ضعيف بهوان ، ولا يحس فقير بضياح ، ولا يؤخذ مال بغير حق .

وله أراد أن يقيم أطهر حياة وأنظفها على وجه الأوص :  
حياة لا شرك فيها ولا وثنية . .

بل فيها التوحيد الخالص ، والعبادة لله الذى تغزو له الوجوه .  
حياة لا ظلم فيها ولا استبداد .

بل فيها حق ، وعدالة ، وحرية ، وإنهاء .  
حياة لا جمل فيها ولا أمية .

بل فيها علم ومعرفة وحكمة .

حياة لا رفث فيها ولا فسوق

ولكن فيها طهارة ، وطلاقة وعفاف

حياة لا حسد فيها ولا حقد .

بل فيها محبة وتعاون ، وتأزر ، وتناصر .

حياة لا سرف فيها ولا ترف .

بل فيها بدل وكرم ، وإيثار .

حياة لا نمر فيها ولا قار

بل فيها كدح وعمل ، وطلب لما أحل الله .

هذا هو الاسلام الذى تقدمه للناس فى عصر العلم والإكتشاف الذرى .

تقدمه فى كتابنا ( الجواهر الروحية ) ونحن فى المعهد العلمى الاسلامى ( الجف الاشرف ) فى سنة ١٣٨١ هـ ونأمل من بعددع الاسلام أن ينصفه ولا يتجاوز الحقيقة فيما يكتب أو يقول .

وليس هذا هو رأينا الخاص ، وإنما هو رأى علماء العرب الذين درسوا

الاسلام ووقعوا على حقائمه فليستمع القارىء إلى ما كتبه المصنفون منهم: ومن العسير أن نذكر هنا كل ما قاله الباحثون الغربيون عن مبادئ الاسلام، واما نذكر ما تيسر لنا وسهل علينا

يقول - جولدريهر - : « إنه إذا أردنا الانصاف ينبغي أن نؤمن بأن في منهج الإسلام قوة صالحة ، توجه الانسان نحو الخير وإن الحياة المتفقة مع التعاليم الاسلامية ، حياة أخلاقية لا غبار عليها ذلك . . . أنها تتطلب الرحمة نحو جميع مخلوقات الله ، والوفاء بالعهود والمحبة والاحلاص ، وكف غرائز الأنانية ، إلى هذه المضائل التي أخذها الاسلام من الديانات التي اعترف لأصحابها بالرسالة . »

ويقول المؤرخ الشهير المعاصر - هـ . ج . ولز - في كتابه ( معالم تاريخ الإنسانية ) في صدد بحثه عن تعاليم الاسلام : « إنها أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم ، وأنها لتفتح في الناس روح الكرم والسماحة ، كما أنها إنسانية السمة ، بمكنة التنفيذ ، فإنها خلقت جماعة إنسانية يقل ما فيها مما يغمر الدنيا من قسوة وظلم اجتماعي عما في أية جماعة أخرى سبقتها . . . إلى أن يقول عن الاسلام : إنه مليء بروح الرفق والسماحة والأخوة . إن الاسلام ساد لأنه كان خير نظام اجتماعي وسياسي ، استطاعت الأيام تقديمه ، وهو قد انتشر لأنه كان يحسد في كل مكان شعوراً تسلب وظلم وتحوف ولا تعلم ولا تنظم ، كذلك وجد حكومات أنانية سقيمة لا إتصال بينها وبين أي شعب إصالة . كان ( الاسلام ) أوسع وأحدث وأنظف فكرة سياسية أتخذت سمة النشاط الفعلي في العالم حتى ذلك اليوم وكان يهب بين الانسان نظاماً أفضل من أي نظام آخر . »

ويقول - ليودوروش - : « ولقد وجدت في الاسلام حل المشكلتين

الذين تشغلان لعالم طراً : الأولى قول القرآن : « إنما المؤمنون أخوة » فهذا أجمل مبادئ الاشتراكية ، والثانية فرص الركاة على كل دى مال ، .  
ويقول - سنت جون هيبى - فى كتابه ( أيام عربية ) : « لقد اجتدبى الاسلام ، منذ أيامى الأولى فى اهد ، إذ تأثرت بما فيه من ساطة فى تناول حقائق الحياة الخائدة وفلسفتها . . . . . » ويقول . « واعتقدت أن الإسلام على هذه الطريقة هو المذهب الذى يستطيع الانسان أن يتقبله قبولاً حسناً ويؤمن به إيماناً صادقاً كوكيل موجه للحياة والسلوك ، وإن مقاييسه الدينية تنسجم مع الحاجات الأساسية للبشرية ، كثر من أى دى آخر » ويقول : « أجل لقد وجدت فى الاسلام وفى الجزيرة العربية نظاماً إجتماعياً سهلاً وسيطاً ، يتفق مع جميع مقتضيات الحياة الاسابية . »

ويقول المستشرق المعروف « ماسيدون » :

« . . . وللإسلام ماض بديع من تعاون الشعوب وتفاهمها ، وليس من مجتمع آخر له مثل ما للإسلام من ماض كله النجاح فى جمع كلمة مثل هذه الشعوب الكثيرة المتباينة على ساط المساواة فى الحقوق والواجبات . »  
ويقول مؤلف « قصة الحصار » ( ول ديورانت ) .

« وإذا ما حكنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر فى الناس فلما : إن محمداً كان من أعظم عظماء التاريخ ، فقد أحد على نفسه أن يرفع المستوى الروحى والأخلاقى لشعب ألق به فى دياجير الهمجية حرارة الجور وجذب الصحراء ( يقصد بذلك العرب ، مع أن دعوة الرسول مجت فى رفع المستوى الأخلاقى والروحى والاجتماعى للعرب وغيرهم كما يعترف المؤلف نفسه فى آخر كلامه عن الحصار الإسلامية ) وقد نجح فى تحقيق هذا العرص بما حالم يداه فيه أى مصلح آخر فى التاريخ كله ، وفى أن يجد إنساناً غيره حقق كل

ما كان يحرم به ، وقد وصل إلى ما كان يتبعه عن طريق الدين  
وقال في موضع آخر :

« ولما نجد في التاريخ كله مصلحاً فرض على الأغنياء من الصرائب ما  
فرصه عليهم محمد ﷺ لإعانة الفقراء ، وكان يحص كل موطن بأن يخص من  
ماله جزءاً للفقراء ، وإذا مات رجل ولم يترك وصية فرض على ورثته أن  
يخصصوا بعض ما يرثون لأعمال البر . »  
ويقول في مكان آخر :

« والقرآن يبعث في النفوس الساذجة ( البريئة السليمة لقطرة ) أسهل  
العقائد وأقلها عموضاً ، وأبعدها عن التقيد بالمراسم والطقوس ، وأكثرها  
تحرراً من الوثنية والكهنوية ، وقد كان له أكبر الفضل في رفع مستوى  
المسلمين الأخلاق والنقاء . وهو الذي أقام فيهم قواعد النظام الاجتماعي  
والوحدة الاجتماعية وحصلهم على أنواع القواعد الصحية وحرر عقولهم من  
كثير من الخرافات والأوهام ، ومن الظلم والقسوة . وحسن أحوال الأرقاء ،  
وبعث في نفوس الأدلاء لكرامة والدة ، وأوجد بين المسلمين ( إذا استثنينا  
ما كان يقترفه بعض الخملاء المأخزين ) درجة من الاعتدال والبعد عن  
الشهوات لم يوجد لها نظير في أية بقعة من بقاع العالم يسكنها الرجل الأبيض  
ولقد علم الإسلام الناس أن يواجهوا صعاب الحياة ، ويتحملوا قيودها ،  
بلا شكوى ولا ملل . وبعثهم إلى التوسع توسعاً كان أعجب ما شهدته التاريخ  
كله ، وقد عرف الدين وحدده تحديداً لا يجد المسيحي ولا اليهودي ( الصحيح  
العقيدة ) ما يعمه من قبوله ، وقال : في خلال بحثه عن الحصار الإسلامية  
في الأندلس :

« كان حكم العرب بعمدة وبركة قصيرة الأجل على الرراع من أهل البلاد

ذلك أن الفانحين لم يقفوا على الصياغ التي كبرت فوق ما يجب والتي كان يملكها القوط الغربيون ، وحرروا دقيق الأرض من عبودية الإقطاع .  
ويحتم المؤلف حديثه عن الحضارة الإسلامية بقوله :

« لقد ظل الإسلام خمسة قرون ( على الأقل ) من عام ٧٠٠ م إلى ١٣٠٠ م يترعم العالم كله في القوة والنظام ، وبسطة الملك وجميل الطباع والخلق ، وفي ارتفاع مستوى الحياة ، وفي التشريع الإنساني الرحيم ، والتسامح الديني والآداب ، والبحث العلمي ، والعلوم والطب ، والفلسفة الخ . »  
وقالت الدكتورة ( لوراميشيا فاعليري ) وهي تتحدث عن الفتوحات الإسلامية وآثارها .

« لقد قوصت حضارتان ورعزع ديان ، فإذا بفيض جديد من حياة عذمة يتدفق في عروق تلك الشعوب الخائرة القوى . لقد تجلى أمام عيون العالم المندعش دين جديد بسيط سهل ، يحاطب القلب والعقل جميعاً وأقيم شكل جديد من أشكال الحكومة كان أسمى إلى حد بعيد - في خصائصه ومبادئه الأخلاقية - من تلك المعروفة في ذلك العصر . »

وبدأ الذهب الذي كان محبواً في صناديق السراة ينتقل إلى أيدي الفقراء . مستهلاً نظاماً من التداول السليم كرة أخرى ، وفي ظل من حكومة تسيرها مثل عينا ديمقراطية أمينة وجد الرجال المتقفون البارعون الأدباء تشجيعاً من النظام الجديد . فاستطاعوا أن يبلغوا أسمى المناصب العامة .

ومن الممكن القول في اطمئنان ، أن البلاد المفتوحة عرفت - على الرغم من بعض الحالات المحتومة النادرة التي تجاوز فيها الجدد حدودهم أثناء الفتح - عهداً من الرخاء والازدهار ، وشهدت غنى لم تشهده آسيا منذ قرون طويلة ، وإلى هذا فقد نعمت حياة الشعوب المغلوبة وحقوقها المدنية وأحوالها بدرجة



من الحماية تقارب تلك التي نعم بها المسلمون أنفسهم . (١) .

ويقول - مسترجع - في كتابه ( حيثما يكون الإسلام ) . . . ولكن الإسلام ما زال في قدرته أن يقدم للإنسان خدمة سامية جليلة ، فليس هناك أية هيئة سواء يمكن أن تمنح مباحاً بهراً في تأليف الأجاس البشرية المتسافرة في جبهة واحدة أساسها المساواة ، والجامعة الإسلامية العظمى في أفريقيا والهند ، واندونيسيا ، بل تلك الجامعة الصغيرة في الصين ، وتلك الجامعة الضئيلة في اليابان . اثنين كاهما أن الإسلام ما زالت له القدرة التي تسيطر كلية على أمثال هذه العاصر المحففة الأحاسيس والطلبات . فإذا ما وضعت منارات دول الشرق والغرب لعظمى موضع الإسلام . . . لا بد من الإلحاح إلى الإسلام لحسم النزاع . .

ويقول - بر بادشوا - وهو من أعظم مشاهير كتاب العالم ومفكرها :  
 « إن العالم أحوح ما يكون إلى رجل في تعكير محمد . هذا الذي أدى وضع دينه دائماً موضع الاحترام والاحلال . فإيه أفري دين على هضم جميع المدينيات ، حالداً حلود الأبد ، واتى أرى كثيراً من بني قومي دحوا هذا الدين على بيته . وسيجد هذا لدين بحاله الفسيح في القارة - يعنى أوروبا - عقب هذه الحرب . وإذا أراد العالم النجاة من شروعه فعليه بهذا الدين ، أنه دين السلام والتعاون والعدالة في ظل شريعة متمدية محكمة لم تنس أمراً من أمور الدنيا إلا رسمته وورنته بغير أن لا يعطأ أبداً . وقد ألفت كتاباً عن محمد ولكنه صودر لخروجه على تقاليد الالجمين . . عن مجلة الصباح .

وكتب البطريرك السطوري - يشوع ياف الثالث - رسالة وبعث بها إلى المطران - سيمان - رئيس أساقفة فارس يقول فيها بعد أن صور حرته لنحول

كثير من المسيحيين الفر من إلى الاسلام : « وإب العرب الذين منحهم الله سلطان الدنيا يشاهدون ما أنتم عليه وهم يدكم كما تعلون حق العلم . ومع ذلك فهم لا يحاربون العقيدة المسيحية ، بل على العكس يعطفون على ديننا ويكرمون قسنا وقديسي الرب ، ويحودون بالفضل على الكنائس والأديار ، فلماذا إذن هجر شعبك من أهل مرو - عقيدتهم من أجل هؤلاء العرب ، ولماذا حدث ذلك أيضاً في وقت لم يرعهم فيه العرب - كما يصرح أهل مرو أنفسهم - على ترك دينهم ، بل هم تعهدوا لهم أن يبقوا عليه آمناً مصوناً إذا هم إقتصروا على أداء جزء من تجارتهم إليهم » ( توماس أرنولد ) ص ١٠١ ، ١٠٢

وكتب - ميك - في كتابه « قبائل نيجيريا الشمالية » يقول : « إن الاسلام لم يترك أثراً عميقاً في التركيب الخنسي لهذه الشعوب غرب . بل انه جاء بحضارة جديدة أتاحت للشعوب الرحيمة طامعاً حصارياً متميزاً لا يزال واضحاً حتى اليوم ، مؤثراً في نظمهم السياسية والاجتماعية ... ذلك أن الاسلام حين الحصاره الى القبائل المتبررة ، وجعل من المجموعات الوثنية المعزلة المتفرقة شعوباً ، وجعل تجارتها مع العالم الخارجي ميسورة ، فقد وسع آفاقهم ، ورفع من مستوى الحياة بخلق مستوى اجتماعي أرقى ، وحلح على أنواعه الكرامة والحرية واحترام الذات واحترام الآخرين . لقد أدخل الاسلام من القراءة والكتابة ، وحرم الخمر وأكل لحوم البشر والأخذ بالنار ، وغير ذلك من العادات الوحشية ، وأتاح للنزحي السوداني الفرصة لأن يصبح مواطناً حراً في عالم حر . »

وليس من شك في أن هذا الاعتراف الصريح الذي ذكره - ميك - في كتابه ، يقف بجانب الاسلام في دعوته انه دين مادي تهوى اليها النفوس من كل جانب ، لا دين سيف مصلت على رقاب الصغهاء ليرغمهم على اعتناقه عبوة

وقهراً كما يقول المتعصبون ضد الاسلام .

ويقول - سيرت - آر. لند - في كتابه ( الدعوة الى الاسلام ) : « يمكننا أن نحكم من اصلات الودية التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب بأن القوة لم تكن عاملاً حاسماً في تحويل الناس الى الاسلام فمحمد نفسه قد عقد صلحاً مع بعض القبائل المسيحية ، وأخذ على عاتقه حمايتهم ومنحهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية ، كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم وتفوزهم القديم في أمن وطمأنينة . »

ويقول أيضاً : « ومن هذه الأمانة التي قدمناها آنفاً عن ذلك التسامح الذي بسطه المسلمون الطاهرون على العرب المسيحيين في القرن الأول من الهجرة . واستمر في الأجيال المتعاقبة استطيع أن يستلخص بحق أن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الاسلام ، إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة . وان العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على التسامح . »

ويقول في ص ٥٣ : « ولما بلغ الجيش الاسلامي وادي الأردن ، وعسكر أبو عبيدة في - خل - كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب يقولون : « يا معشر المسلمين أتم أحب اليانا من الروم ، وان كانوا على ديننا . أتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا . »

وفي ص ٥٤ يقول : « وهكذا كانت حالة الشعير في بلاد الشام لما ان الغزوة التي وقعت بين سنتي ٦٣٣ ، ٦٣٩ م والتي طرد فيها العرب جيش الروم من هذه الولاية تدريجاً ولما حضرت دمشق المثل في عقد صلح مع العرب سنة ٦٣٧ ، وأتمت بذلك السلب والنهب ، كما صحت شروطاً أخرى ملائمة ، لم تتوان بسائر مدن الشام في أن تسبح على منوالها . فأبرت - حصن ومنيع

وبعض المدن الأخرى معاهدات قد أصبحت بمقتضاها نائمة للعرب ، بل سلم بطريق بيت المقدس هذه المدينة بشروط مائلة . وإن خوف الروم من أن يكرههم الامبراطور الخارج على الدين على اتناع مذهبه ، قد جعل الوعد الذى قطعه المسلمون على أنفسهم بمنحهم الحرية الدينية أحب إلى نفوسهم من ارتباطهم باندولة الرومانية . وبأية حكومة مسيحية . ولم تكن انحاز الأولى التى أثارها زول جيش فانح في بلادهم تبتدد حتى أعقبها تحمس قوى لمصلحة العرب الفاتحين .

هذه رافة لإسلام بالمسيحيين وغيرهم ، شهادة رجال - المسيح - في حين أن محاكم التفتيش في أسبانيا كانت مقصورة رأيا القضاء على المسلمين قبل كل شيء . وقد استخدمت فيها أشنع ألوان التعذيب التى عرفت في التاريخ ، من إحراق المسلمين أحياء ، ونزع أطرافهم ، سمن أعينهم ، ونقطيع أوصالهم لإكراههم على ترك دينهم واتناع مذهب مسيحي معين

فهل لقي المسيحيون في الشرق الإسلام شيئاً من ذلك طول مقامهم هناك ؟ والمجائر تقام اليوم للمسلمين في كل بلد أوربي ، أو واقع تحت سيطرة الأوربيين في يوغسلافيا ، وألبانيا ، وروسيا ، وفي الشمال الأفريقي ، والصومال ، وفي الهند والملايو ، مرة باسم تطهير الصفوف ، ومرة باسم إقرار الأمن والسلام ، ولكننا نترك كل هذا وبأخذ مثلاً واحداً له دلالة الخاصة ، وهو - الحبشة - . سكانها خليط من المسلمين والمسيحيين ، وأقل الناس تقديراً يقدر المسلمين بـ ٣٥ ٪ من مجموع السكان ، بينما يقدرهم آخرون بـ ٦٥ ٪ فلنأخذ أقل التقديرين ١

ليس في الحبشة مدرسة واحدة حكومية تدرس الدين الإسلامى لتلاميذها المسلمين . ولا مدرسة واحدة تعلم اللغة العربية . أما المدارس التى

يفتحها المسلمون على نفقتهم فإن الحكومة تظل تفرض عليها من الضرائب والمصايفات ما يؤدي إلى إغلاقها في آخر الأمر وتيئس غيرهم من القيام بمحاولة جديدة وهكذا يقتصر الأمر هناك بالنسبة للمسلمين على الكتايب . وإلى عهد قريب - إلى ما قبل العزو الايطالي - كان المسلم الذي يستدير من مسيحي حشى ويمجز عن الوفاء بدينه يصبح رقيقاً للحشى يشتري ويبيع ويعذب بمعرفة الدولة .

وبطبيعة الحال ليس في وظائف الحكومة ولا وزاراتها واحد مسلم ليقوم بتمثيل ثلث السكان . فهل رأى المسيحيون في العالم الاسلامي شيئاً من ذلك في تاريخهم ؟ أم يرضون الماملة بالمثل ! والشيوخ الذين فعلوا الاعايل الوحشية البهيمة بالمسلمين في فقاريا - بلد الاسلام - من هدم المعابد والمساجد والمعاهد العلمية الاسلامية . وقتل الرجال ودمع الاطفال وهتك الاعراض حتى أجبروهم على الدحول في جربهم - حزب الصلال والتمرد - ورفض ما هم عليه من الاسلام ، ومنعوم من ذكر محمد في كل مناسبة ، ومنعوم من السفر لأداء فريضة الحج ، ومن مواسم الزيارات لأئمتهم ، وحر موم من حق الملك أو التصرف ، أو تجمع الثروات . فهل شاهد المسيحيون مثل ذلك من المسلمين في بلاد الاسلام ؟ أيام حكومتهم ، وهل حر موم من حق التصرف في ثرواتهم ؟ وهل سمعوا المسلمين يقولون - كما يقول الشيوعيون - إن الكيان الحقيقي للإنسان هو كياه الاقتصادى ؟ .

على أننا لا نوافق الشيوعيين في أن كيان الانسان هو كياه الاقتصادى فحسب . ونضيف اليه كياه المعنوى والروحى .

إن الشيوعيين يبتشون في كل طائفة فيمنونها بأمنية خاصة . فهم يبتشون بين العمال فيقولون لهم . اتبعونا وسنملككم المصانع . وبين العلاحين فيقولون

لهم : اتبعونا وسنملككم الأرض . وبين حريمي الجامعات والمدارس المتعطلين فيقولون لهم اتبعونا وسنمنحكم عملاً يراى مؤهلاً لكم . وبين الشباب المحروم من الجنس فيقولون لهم : اتبعونا وسنشئ لكم مجتمعاً حراً يصنع فيه من يشاء ما يشاء بلا تدخل من القانون ولا اعتراض من التقاليد . ثم يحلون بجماعة المسيحيين فيقولون لهم اتبعونا وسنحطم لكم هذا الاسلام الذى يفرق بين الناس على أساس العقيدة . .

كبرت كلمة نخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً . ليس الاسلام هو الذى يفرق بين الناس على أساس العقيدة . وهو الذى يمنحهم كل الحقوق الحيوية بلا تفریق . وإما هو يجمع بينهم على أساس الاساية ، ثم يتركهم بعد ذلك كامل الحرية فى اعتناق العقيدة التى يريدونها ، رضاء الاسلام من بحمايته وتحت رعايته

ولمى لأعلم أن الكل العيارى من المسيحيين أحرص على مثلهم المسيحية الرفيعة ، وأحرص على روايتهم التاريخية مع المسلمين ، وأحرص على مصالحهم المتشابهة من أن يستمعوا لدس الدسائس أو وسوسة الشياطين .

## نظام الاقتصاد عند محمد ﷺ

سلياً لكم أن الإسلام يشتمل على جميع الأسس الصالحة للحياة وأنه دين الأجيال كافة ومجتمعات كافة . ولكن الفقه الإسلامى فى المسائل الاقتصادية قد تعطل فى القرنين الأخيرين على الأقل ، سبب إنكسار العالم الإسلامى . فلماذا لا يأخذ الإسلام عقيدة تهذب الصغار وتنطق الأفكار ، وأخذ الشيوعية نظاماً اقتصادياً بحثاً لا صلة له بأى شيء آخر فى نظام الدولة وكيفان المجتمع . فكأن بذلك قد حافظوا على أخلاقنا وتقاليدها وعاداتنا ، وأخذوا بأحدث النظم فى عالم الاقتصاد ؟

شبهة خبيثة يأمب بها الشيوعيون منذ عهد غير بعيد . فقد كانوا بدأوا بشاغلهم فى الشرق بمحاربة الإسلام جهرة ، وإداعة الشبهات حولها . فلما وجدوا ذلك قد زاد المسلمين تمسكاً بإسلامهم لجأوا إلى هذا الباب الماكر ، فقالوا : إن الشيوعية لا تتعارض مع الإسلام . فهى فى صميمها عدالة إجتماعية ، وكفالة من الدولة لكل أفراد الشعب . فهل يكره الإسلام العدالة الاجتماعية ؟ نفس الطريقة الماكرة التى إتبعها الاستعمار العربى من قبل بدأوا بمهاجمة الإسلام ، فتنبه المسلمون ونيقظروا . ولم يكن ذلك هو المطلوب فنجأوا إلى الطريق الآخر . وقالوا للناس : أن العرب لا يهجمه سوى إدخال - الحضارة - فى الشرق . فهل الإسلام يكره الحضارة وهو أبو الحضارة ؟ تستطيعون أن تظفروا مسلمين

- أى تصلوا وتصوموا وتقيموا الشعائر - وتأخذوا في ذات الوقت بالحصارة العربية . وكانوا يعلمون علم اليقين أنه حين يأخذ المسلمون بهذه الحصاره فلن يطلوا مسلمين ، وستطوئهم تلك الحصاره لزائفة في أجيال قبية فإذا هم على غير وعى منهم مستعدون . وكذلك كان . . ونشأت أجيال لا تعرف الاسلام بل تعرف منه بلا هدى ولا بصيرة ولا كتاب مبر

واليوم يكرر الشيوعيون نفس الخدعة فلتطلوا أيها المسلمون في إسلامكم - تصلون وتصومون وتقيمون الشعائر - ولن تتعرض لعقائكم . كل همتنا هو إدخال الشيوعية الاقتصادية ، هي قطعة من صميم الاسلام تبلورت على يد عداء أوربا وشعر بها . فلتقبلوها مطمئنين ، وإلهم ليعلمون علم اليقين أن المسلمين إن أخذوا بالشيوعية من يطلوا مسلمين ، وستطوئهم الشيوعية في سنوات قليلة ( فحن في عصر السرعة ) إيداهم على غير وعى منهم منحرفون عن الاسلام منسلخون .

ولنضع بين يديك قصة قصيرة نموذجاً ، لنعلم كيف تؤثر العلوم العربية بأبناء المسلمين ونستويهم من حيث لا يشعرون أو يشعرون :  
يحظر على نالي قصة جاءت في كتاب ( عادت الأسلس ) ما ملخصها .  
« إن القائد ( برآقا ) قال ( الأدفوش ) في روما في الفاتيكان . وجاء أيضاً معها دوق فينيزيا . فقال له الأدفوش : ( اعلم أيها لطل أن البابا قد استدعى مارومات أوربا وشاورهم في استرجاع ملكة أسبانيا من العرب فلتكن مساعداً لنا . فقال برآقا : إن الأسد لا يصاد إلا بالمكر والخديعة ، وقد يستعين الصيادون بالخنز ولا يفيل الحديد إلا الحديد .

فقال دوق فينيزيا إن جيوش البارومات تسحقهم سحقاً في أقل من لمح البصر . فقال البرآقا : إن العرب يحاطون على دينهم وعلى حريمهم ، ولقد



تفى القبيلة كلها بحافظة على اشرف ، ولكن هم قوم كرام صادقون يأبون الكذب فهم يحدعون بسبوة بالطواهر المموهة ، فاجعلوا يديكم وبينهم معاهدة على حرية الدين والتعليم والتجارة ، فوده بفتح له هاءكم طريقاً بها ينشرون التحاليم بين أطفالهم فإن لم يتبعوا دينكم فهم على الأقل يهملون دينهم فيفقدون تلك الحماية الدينية التي تحببهم في الحرب . فأما حرية التعليم فإنها تولد لهم علان شؤم عليهم لأنهم يكونون مشغولين بحب معلمهم وينصدون عن عجة وطنهم فأما حرية التجارة فهي التي تصضع شيئاً فشيئاً تمسكهم بأزيئهم فضلاً عن تجارة اخر فهي الآن محرمة فتن شاعت بينهم أقدموا على المكدرات بلا مالات ، وفقدوا النخوة والشرف وصغفت منهم العقول والجسوم ونشأ بينهم الشر وساءت حاشم وارتبكت شؤوبهم فسدوا بالاعنام ، ولا تدس باحضرة الدوق أن التابق في لئمة وابدح والإسراف في الشهوات وإهمال سير الآباء والجدود من أقوى أسباب إحطاط الممالك القوية ، وهكذا فعلوا .

ونظير هذه القصة مارواه الصلاح الصفدى في شرح قصيدة لامية العجم . أن المأمور لما هادن حاكم ( قبرص ) كتب يضرب منه حرية كتب ليونان ، وكانت مجموعة عنده في بيت لا يطهر عليه أحد . فجمع الحاكم خراصه من ذوى الرأي واستشارهم في ذلك . فكلهم أشار بعدم تجهيزها اليه إلا بطريقا واحداً قال جهن لها اليهم ، فادخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها وأوقعت بين علمائها . وصح ما توقعه البطريق الداهية ، فإن المسلمين خطبوا هذه العلوم بما ورثوه من كتب وسنة . ثم فهمرا دينهم على صراء هذه العلوم الوافدة وما تضمنته من آراء كاسدة .

فهل يفهم هذا المنتقدون أم إنهم قوم يحدعون لا يفقهون ما يقولون . فإذا أردنا أن نطق المبدأ الاقتصادي الشيوعى ، فأمرنا حينئذ دأثر بين

أمرس . إما أن يظل محتفظين بكيانها السياسي مستقلا عن مركز التوجيه الشيوعي في موسكو . وإما أن ينوب كيانا كله في روسيا . وهذه مشكلة ( تيتو ) ما تزال ماثلة للأذهان : فيو علافا تطبيق الشيوعية في بلادها كاملة . ومع ذلك فقد قامت بينها وبين روسيا المنازعات والخصومات ، لأنها أتت أن تصبح قطعة ذرّة في كيان روسيا . ووضعنا نحن أسوأ من وضع ( تيتو ) إذا طبقا الشيوعية في بلادنا اذ يتعين علينا أن ننضم لروسيا في صراعها الجبار مع الغرب ، وإلا فلن نستطيع حماية إقتصادنا الشيوعي من اعتداء الرأسمالية عليه الأمر الثاني : الدوبان في كيان روسيا فلا يهملنا مسلمين ، فقد أراد الله لهذه الأمة المسلمة أن تتميز . ولا ندوب في كيان أحد ، لأنها هي كيان مستقر لا يشبه أحدا من العالمين . كيان من صنع الله وتوجيه ورعايته . كيان إقتصادي واجتماعي وفكري وروحي لا يمكن أن تحتلط معاملة في كيان آخر . وحرام على المسلم أن يلحق كيانه ويذوب في كيان غير إسلامي

لا يجوز ونحن نملك مبادئ إقتصادية صحيحة متميزة ذاتها ، أن نلحق كيانا ونأخذ بمبادئ غيرنا ، لأن مادتنا الاقتصادية أفضل وأصح للحير واليك اليان إن للإسلام فكرة إجتماعية ونظاما إقتصاديا قائما بذاته ، قد يلتقي مصادفة ببعض مظاهر الرأسمالية أو الشيوعية . ولكنه على وجه التأكيد شيء آخر غير الرأسمالية والشيوعية . يجمع كل مزايهما دون أن يقع في أخطأتهما وانحرافتهما نظام لا يبالع في الفردية الى الحد العيص الذي يقوم في الغرب ، والذي يعتبر الفرد هو الأساس ، وهو الكائن المقدس الذي تصان حرياته ، ولا يجوز للجمع ان يقف في سبيله . فتشأ هناك الرأسمالية القائمة على أساس حرية الفرد في استغلال الآخرين . ولا يبالع في الاتجاه الجماعي الذي يقوم في شرق أوروبا ، ويعتبر المجتمع هو الأساس ، والفرد ذرة تائهة لا كيان له بمفرده ،

ولا وجود له إلا في داخل القطيع ، فالمجتمع وحده هو صاحب الحرية وصاحب السطان ، وليس للفرد أن يحتج عليه أو يطالبه بحقوقه ، وهماك تنشأ الشيوعية القائمة على سلطان الدولة المطلق في تكليف حياة الأفراد . وإما هو نظام وسط بين هذا وذاك يعترف بالفرد ويعترف بالمجتمع ويؤذن بهما فيمنح الفرد قدراً من الحرية يحقق به كياه ولا يطعن به على كيان الآخرين ، ويمنح المجتمع - أو الدولة ممثلة المجتمع - سلطة واسعة في إعادة تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية كما خرجت عن توارثها المشود وكل ذلك على أساس الحب المتبادل بين الأفراد والطوائف ، لا على أساس الحق والصراع الطبقي لدى نقيم عليه الشيوعية فسفتها الطرية وتطبيقاتها العملية وهذا النظام الفريد لم يحى به الاسلام نحت صعط الضرورات الاقتصادية ولا نتيجة لاحتكاك المصالح المصارعة ، وإما أنى به تطوعاً وإشياء ، في وقت لم يكن العالم كله يقيم ورماً للعامل الإقتصادى أو يعرف شيئاً حقيقياً عن العدالة الإجتماعية كما نفهمها اليوم ولا يزال هذا النظام إلى هذه اللحظة نظاماً تقدماً بالنسبة للرأسمالية والشيوعية ، وهما آخر ما عرف العالم الحديث في عالم الاجتماع والاقتصاد ، وإن المطالب الأساسية ، التي نادى بها (كارل ماركس) واعتبر الدولة مسؤولة عن تحقيقها ، فأحدث بذلك ثورة عظمت في التاريخ : (وهى العدا والمسكر والاشاع الجنسي) لى بعض بما قاله الإسلام قبل ألف وثلاثمائة عام ! يقول نى الرحمة نى الإسلام الكريم (محمد ﷺ) : « من كان لنا عاملاً ولم تكن له روجه فليخذ روجه ، وليس له مسكن فليخذ مسكناً ، وليس له خادم فليخذ خادماً ، وليس له دابة فليخذ دابة . كل ذلك من بيت المال فيلم بكل المطالب الأساسية ، التي نادى ماركس ويريد عليها ، ويجعلها تكليفاً على الدولة لكل من ولى لها عملاً ، وهو نص

يشمل كل موقف في الدولة الحديثة ، كما يشمل الصناع والعمال حين تؤمم الصناعات الكبرى ، وهو اتجاه يتفق مع توجيهات الاسلام .

أجل بين الرأسمالية الطاغية والشيوعية المطلقة ينهض نظام الاسلام الاقتصادي طريقاً وسطاً فيه خير الجانبين . وليس فيه شروها ، فهو يبيع الملكية ويحترمها ، ولكنه يحارب الربا والاسغلال . وهو يدعو إلى التجارة ، ولكنه يعارض الاحتكار . ويبيع بحالاه التنافس والروح والكسب ولكنه لا يرضى بالسحت ولا بالمال الحرام . ولا يباع في التمتع بلطيفات وخيرات الرزق ، ولكنه يحارب الترف والجشع . ويدعو إلى الرزء والتكافل الواجب ، ولكنه يحارب البطالة والكسل والاستجداء . خير اقدره على العمل وهو لا يمنع أن يكون بعض الناس أجراء عند بعض . ولكنه يحرم عس حقه أو غاظته فيه ، أو إرهابه وامتصاص دمه ثم تركه بعد ذلك حصباً ، وهو أجير أ يضمن لكل عاجز معدم مطالب حياته في مال الاغنياء أو في بيت المال .

وهذا النظام هو الذي سميته اشتراكية الاسلام ، أو الاشتراكية الاسلامية . واقد كتب كاتون مسلمون عن هذه الاشتراكية ما يعد أساساً صالحاً لفهم مبادئها وتفصيل قواعدها . ومن عجب أن الدين لا يفهمون الاسلام ، والدين يحقدون عليه قد يطول منهم الحديث عن الاشتراكية قديماً وحديثاً بما لها وما عليها ، ثم يحرصون على تجنب الحديث عن اشتراكية الاسلام القويمة ، بما يدل على الجهل أو على خث الطوية .

ولسا الآن سبيل المقارنة بين اشتراكية الاسلام وإشتراكية سواء من المذاهب والدعوات ، ولكننا نريد أن نمول إن اشتراكية الاسلام حين تطبيقها تكون أقوى أثراً وأيسع ثمراً وأعفق تأثيراً من غيرها ، لأن غيرها نظم وصعوبة شرعية ليس لها من القداسة في نفوس أبايعها ما لاشتراكية أمر بها الله سبحانه

فصارت أوامر إلهية يعتقد المسلم أن تنفيذها تنفيذ لمشية الله ولأمر الله ويعتقد أنه إذا لم يفعلها كان محل غضب الله وعقابه . ثم إن اشتراكية الاسلام تمتاز بالرحمة والتلطف والتدرج ، بينما تمتاز الإشتراكية الوضعية بالعنف والارغام . يقول شوقي - مشيراً الى اشتراكية الاسلام في همزيتها ، وهو يحاطب الرسول الأعظم محمد عليه الصلاة والسلام :

لو لا دعاوى القوم والعلواء	الإشتراكيون أنت إمامهم
وأحرف من بهص الدواء الداء	داويت مثدأ وداووا طمرة
ومن السموم النافعات دواء	الحرب في حق لديك شريعة
لا مة ممنوعة وجهاء	والبر عندك دمة وعريصة
حتى التقي الكرماء والحلاء	جاءت فرحت الركاة سبيله
فاكل في حق الحياة سواء	أصغت أهر العقر من أهل العي
ما اختار إلا دينك الفقراء	فلو أن أنساناً تخير مة

ولابد أن تؤخذ الركاة من جميع مواردها التي شرعت فيها ، من المال والزرع والتجارة والحيوان وغيره . ولا تعطى إلا لمستحقيها حتى لا تكون وسيلة لانتشار البطالة والانكال ، لأن من واجب الامة لاسلامية أن يحسن أنساؤها اجمعين ، الإكتساب والاحتساب ، أن يكون الشخص منتجاً كاسباً راجحاً من عمله وسعيه ، لا يكسل ولا يقط ما دام قادراً ، من يواصل العمل والدأ فيه ، ويكون مع هذا محتسباً (أي متبرعاً متطوعاً ببعض ماله) . ولتتحلى الأفراد بهاتين لصفتين ، الإكتساب والاحتساب ، لأرتقي المسلمون درجات فوق درجات . ويجب على المسلمين أن يحاربوا الفقر باسم الدين . ورحم الله أباً در حين يقول : « إذا ذهب الفقر الى بلد قال له الكعبر حذني معك » . ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام : « لو كان الفقر رجلاً لقتله » . ويقول الرسول

الاعظم محمد عليه السلام ، الفقر سواد الوجه في الدارين ، وأن يجاربوا الكسل والصعب والتخلف في ميادين الحياة المادية باسم الدين ، وأن يجاربوا الشح والكنز ومنع الزكاة باسم الدين ، وأن يجاربوا الاتكال على الزكاة أو الصدقة ما دامت هناك قدرة على العمل باسم الدين ، وأن يحسوا الموازنة بين الروح والمادة باسم الدين ، فيعلموا أن صاحب المادة السوى لا يعجز عن أن يكون صاحب روح قوى ، بل أن الضعف المادي قد يؤدي إلى ضعف الروح فهناك كثير من الباطنيين والمصلحين يقررون أن أكثر الرذائل منشؤها من حلل النظام الاقتصادي ، فالسرفقة يسببها فقر أو جشع ، وجرائم العش والاختلاس رذائل اقتصادية في كثير من الأحيان ، بمعنى أن الفقر والحاجة هما اللذان يدفعان غالباً إلى إقتزاف تلك الجرائم ، فلو أرلنا الفقر والحاجة - وأرلنا معهما الترف والشح - اقضيا على كثير من أسباب هذه الجرائم التي تهدد المجتمع ، وقفت في عضد الأمة !

ولا يكر أن للمال الكثير آفات على الحياة الشريفة ، ترتعد منها فرائض أهل العصيلة والكمال الدين يصلون الكفاف من الرزق مع حفظ الحرية والشرف على امتلاك دواعي الترف والسرف ويطرون إلى المال الرائد عن الحاجة الكمالية أنه بلاء في بلاء ، أي أنه بلاء من حيث التعب في تحصيله ، وبلاء من حيث القلق على حفظه ، وبلاء من حيث الافتكار بعمائه ، وأما المكتسبي فيه مطمئناً مستريحاً آمناً بعض الأمن على دينه وشرعه وأخلاقه . وحيث أن البحث يستدعي أكثر من هذا الموجز ، ويفتقر إلى إسهاب غير محل ، فقد أثرنا أن نسطر كلمة لفضيلة الشح كاعظم البطلى فقد استعرض الموضوع من شتى نواحيه وأعطاه صورة مكررة في كتابه (الاسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة) .

## الاقتصاد الاسلامي

يقوم الاقتصاد الاسلامي على أسس ثلاثة :

— ١ —

### المصلحة الشخصية

لأن واقع الانسان أنه لا يعمل إذا لم تكن له مصلحة شخصية تدفعه نحو العمل .

وقد لاحظ الاسلام هذا الواقع فأباح للإنسان تملك ثمار كسبه ونتيجة سعيه المسمى بملكية الفردية أو الملكية الخاصة ، وسنطه عليها بنسب صرف فيها كيف يشاء ، وحددها بمبدأين أساسيين لاستقامة النظام وتحقيق المصلحة العامة وهما :  
١ - أداء الضرائب التي فرضها عليه كالحبس والزكاة ونحوهما ، فركز بذلك أسس الصيام الاجتماعي التي تسعى الدول الرافقة إلى تحقيقها ، وكأنها بذلك محسنة متفصلة ، بينما جعلها القرآن حقاً صريحاً واجباً يؤدي ( والدين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ) .

وهذه الحقوق عبادة مالية يتعدى معها إلى المسلمين عامة وفيها إصلاح لأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية .

وأدائها مع تحريم الربا وأكل المال ما لباطل وتيسير القرض المحتاج إليه يقطع دابر الشيوعية التي شقق ملايين الناس بها .

هذا مضافاً إلى أنه أطلق فكرة التضامن الانساني على لسان رسوله الأكرم ( ص ) : « الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إليه أنفعهم لعيالهم » .

ب - تحريمه كل شراء من طريق غير مشروع ، كيلا يكون دولة بين الأعياء منكم .

فقد حرم كل عمل يضر به الفرد غيره أو يجلب بسببه ضرراً خفياً أو مادياً أو صحياً على المجتمع بأسره . وسأذكر لك بعض الشواهد على ذلك .

١ - إنه حرم الخمر وباق المسكرات تحريماً قاطعاً وكذا بيعها وشراؤها .

٢ - القمار

٣ - البغاء

٤ - مهنة الرقص وآلات اللهو .

٥ - الغش ونقص الميزان

٦ - الياصيب

٧ - الاحتكار

٨ - بيع الغرر

٩ - الربا وأمثاله من الاشياء التي تعود على المجتمع بنوع من أنواع الضرر .

وإنك إذا نظرت في كتب الاقتصاد الاسلامية المصطلح عليها بين الفقهاء

بـ ( المكاسب والتجارة ) وتدبرت فيها فسترى فهرساً طويلاً لطرق المعاش

المحرمة ، كما إذا لاحظت الواقع فستجد أنها نفس الوسائل الخسيسة التي يستغلها

الناس اليوم في ظل النظام الرأسمالي الجشع ومنها أصبحوا من الذين يشار إليهم

بـ ( المليونير ) .



والاسلام قد حرم كل هذه الوسائل ويلزم الانسان أن لا يكتسب المال إلا بالوسائل التي يسدى بها خدمة حقيقية نافعة لميره من أساء جنسه ، فيحصل بذلك على أجرته بالعدل والانصاف . كما أن الأموال التي اكتسبها الانسان بالطرق المباحة وإن اطلق له حرية التصرف فيها غير أن هذه الحرية محصورة بين حدى الافراط والتفريط . ويبان ذلك انه يلزم الانسان أن لا ينفق ما اكتسبه من الأموال بالطرق المشروعة إلا في الطرق المشروعة ، ولهذا وضع حدود الانفاق بين البخل والتبذير ليعيش الانسان عيشة راضية ، وأن لا يبذل أمواله في أبواب المجون والخلاعة فإذا أصبح الانسان ضمن هذه الحدود والقيود بعد مدة من الزمن دائراً واسعاً فلا بأس عليه في نظر الاسلام بل بما ذلك من إنعام الله عليه وإكرامه له . وهذا هو الطريق الذى تكفل به السعادة البشرية لما ثبت لدى علماء النفس من التفاوت بين استعدادات الأفراد الفطرية وهى ظاهرة طبيعية حتى في اخاد ، وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعتاب وزرع وبحيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونقص بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون .

والشيوعية التي تريد أن تساوى بين المجدد والحامل حتى في نتائج السعى لإكراهها وقسراً لا يتابعها الاسلام بل يخالفها في ذلك تمام المخالفة .

لأنها تريد أن تحول التفاوت الفطرى إلى المساواة غير الفطرية ، وأقرب نظام للفطرة البشرية هو الذى يتيح العرص لكل إنسان حتى يبدأ بسيره في حلبة المعاش في المحل الذى أعده الله له والحانة التى فطره عليها ، فمن ساعده الخط - مثلاً - وأصبح يملك الطائرة فله أن يسير على طائرته ومن لم يحصل إلا على حمارة فاليركب حماره . ومن كان رجله عطل كالعرح وشبهه يسير حسب إمكانه .

ولا يضمن الإسلام لصاحب الطائرة حقه الثابت في طيارته الى انتهاء

السير . كما لم يمنع الأعرح من الحصول على السيارة والطيارة في مرحلة من مراحل سيره .

وكذلك لا يحسن من قانون اجتماع بأن يبرء الجميع - صاحب الطائرة وصاحب الحمار والأعرح - بالإتهام من محل واحد وعلى حالة واحدة حتى الانتهاء من غير انفصال أبداً لا يجوز ذلك في منطق العدل تنادياً . وإما النظام العادل هو ما يبقى فيه السير ممكناً لكل واحد فلنبدأ سيره بالعرج أن يحصل على طائرة في أثناء سيره إذا بذل جهده وكفائته - وساعده احط على ذلك - من دون المساوت لمن بدأ سيره بطائرته وأضاعها خلال سيره بإسرافه وعداوته حتى صار عاجراً لا يسير إلا سير الأعرح - هذا ما أقره الاسلام لكي يترك باب الناس مفتوحاً أمام الكدح وأمام استخدام القوى الفكرية والفنية ليتقدم بالناس أشواطاً للامام .

## — ٢ —

### المنافسة

لأن بواعث النفس لترقية شؤون الحياة تابعة لقانون ندرة السلع المعضلة التي يسمى كل فرد لحيازتها فإذا بطل هذا القانون يتساوى الكل في جميع الأشياء من غير فرق بين ذك وغي ، ومجدد وخامل ، صانع معي الحياة والتقدم .

والايمان المتحرر يربأ نفسه عن الرحمة بعد التهديد ، واحود بعد التطور ويحب الظهور بالمظهر اللائق كجه في الحصول على السلع المفضلة . وقد قرر علماء الاقتصاد بأن ذلك ليس من آيات الوهن أو علامات السقم في الفطرة البشرية بل هو دلائل على عظمتها وكرامتها

فإن الطبقة السفلى في الجبل إن أقف حاجات من لطيفة العيب والهمج أقف حاجات من البربر ، ولبربر أقف حاجات من الأمم المتقدمة بالنسبة إلى .

### أ - مظهر البلاد

ب - برع المحصولات التي تخرجها تربتها

ج - رسمها الجغرافي وحال حواها . فإن لكل إقليم صفات خاصة تهيء في نفوس أهله - جماعات وأفراد - استعداداً فطرياً لأشياء خاصة .

وقالوا : إن تعدد الحاجات وانتشارها إنما يكون في الغالب من ثلاثة

### أ - التشبه أو المحاكاة

ب - العادة

ج - الإرث

فالتشبه هو الذي يدفع الشعوب المسحطة حين تتصل بالشعوب الراقية إلى أن تستعير من طبيبات أحوالها ما تستنصه لمعيشتها ، فإن كان ذلك تولدت منه العادة الدائنة وهذه العادة يزيد بها النوارث فتتأصل في النفوس تأصلاً يهيء لأصحابها إنهم أصبحوا لا يستعنون عن أشياء قد كانوا في غنى عنها ، وقد صربوا أمثلة لذلك بما نستخدمه اليوم من أثاث ورياض في البيوت وسمع متنوعة اللسان كالجورب والأحذية والماديل ، والأصناف الكثيرة في التغذية والكتب وأدوات الموسيقى . . . مما يحصل للاسان تدريجاً .

والعوامل المؤثرة في تكوين العادة - كما ورد لها علماء الاجتماع هي .

- أ - الاحساس - أى الشعور بالحاجة إلى شيء معين كالجوع والظمأ .  
 ب - الرغبة - وهى التى تلى الاحساس كالرغبة فى الأكل والشرب .  
 ح - العمل - وهو الذى يحدث استجابة للرغبة كتناول الطعام والماء .  
 د - النتيجة - ( الاشباع ) وهى الحصول على الشيء المطلوب كالشبع والارتواء .

وقد قال علماء الاقتصاد لى يقتحم الإنسان مصاعب العمل لابد له من منافس يدفعه نحو الحد والتفوق ، ولا وسيلة لذلك إلا اطلاقه فى جو من المزاوجة الحرة التى أقرها الاسلام بين هدى ، لا ضرر ولا ضرار ، والمزاوجة تحتاج الى الاساس الثالث وهو :

### - ٣ -

#### الحرية

ضمن حدود معترف بها - وهذه الحرية المحبودة شرط لأن فقدانها يكبت المنافسة ويثبط النشاط ولا يحقق المنفعة الشخصية التى تستلزم إلغاء المصلحة العامة .

لأن اعمل المصلحة الشخصية يترتب عليه فناء الفرد ، وفناء الفرد يترتب عليه فناء المجموع .

فالفرد إذن هو الحلية الاولى فى بناء المجتمع ، وحرية الشخصية هى

الساعد الذى تقوم به المصلحة العامة ، لأن المصلحتين فى القدر الضرورى مهيما متلازمان ولا يمكن لطام حيوى أن يهمل القدر الضرورى منهما . وهذه معادلة فذة تقوم على فلسفة انسانية عميقة ، لأن مصلحة الفرد التى تنافى مصلحة الجماعة لا تحسب فى صالحه . ومصلحة الجماعة التى تسحق كرامة الفرد لا تعد من خير المجموع فى شيء .

ولهذا جعل الإسلام كرامة الفرد مصلحة بمثابة كرامة المجموع ومصلحته ولم يستر وراء ما ينعت بـ ( المصلحة العامة ) لهظم حقوق الفرد وكبت حريته واغتيال سعادته ، تلك الخديعة التى تدرع بها هتار وموسولوى وستالين وبقية الدكتاتوريين لحماية جبروتهم باسم المصلحة العامة . وقد عرفت بأنه لا تعارض بين المصلحتين بل هو شيء واحد يتجراً عند الضرورة فيتقدم الأهم على المهم فربما كانت مناوأة المجتمع للفرد هى الشر الذى نزيله ، أو تمنى له الزوال . كما يقال إن عمل الفرد موقوف على التجارب بينه وبين المجتمع يقال كذلك إن عمل المجتمع موقوف على التجارب بينه وبين الافراد .

إذن فلا صير على المجتمع فى إطلاق حرية الفرد المقيدة بمراعاة المصلحة العامة ، وفى التنافس طريق للتقدم .

وإقرار حق الملكية الفردية يحقق العدالة بين الجهد والجزاء فضلاً عن مساهمته للفقرة واتقافه مع الميول الاصلية فى النفس البشرية ، تلك

الميل إلى بحسب الإسلام لما ألف حساب في إقامة نظام المجتمع ، وفي الوقت ذاته يتفق مع مصلحة الجماعة باغراء الفرد على بذل أقصى طاقة يملكها للتقدم أشواطاً للأمام . والعدالة تقضى بأن يلي الطعام أشواق الفرد ويرضى بميله - الحدود التي لا تنصر الجماعة - جراء ما بذل هذا الفرد من طاقته وجهده وعرق جبينه وكدح فكره وكبد أعصابه .

والعدل أكبر قواعد الإسلام والعدالة الاجتماعية لا تكون دائماً على حساب الفرد . فهي للفرد كما هي للجماعة متى ما أردنا أن نسلك طريقاً وسطاً ونحقق العدالة في جميع صورها وأشكالها في الحياة الاقتصادية التي التي عالجها الإسلام خير علاج كما يعرفه كل من درس قواعده الأساسية الثلاثة :

- ١ - طرق حيازة الثروة وحدودها .
- ٢ - كيفية التصرف وحدوده .
- ٣ - كيفية توزيع الحقوق على أهلها .

## ٥ -

والكتب الفقهية منضمة للنصوص الشرعية أن تدرس كلها من جميع نواحيها وجوابها لا من زاوية واحدة بعين الحقد وبداغ الانقام بل من كل زاوية بعين التدبر ، ولانصاف من أعطاها قسطاً من التفكير ودرسها دراسة الناقد البصير علم بأن هناك عصرين يكونان التشريع الإسلامي :  
أولهما عصر العبادات : وهي التي تشمل في العبادات أنواعها العقلية

والروحية واسبدية .

وتأثيرها الممثلة في الناس في حياتهم مضطرون الى تعايش ، ولا تقف  
بها المعاملات عند حدود البيع والشراء وما إليها ، بل هي شاملة تمتد الى  
العلاقات بشئ ألوائها والروابط في مختلف أنواعها  
وستجزم بأن الأحكام شرعية في مختلف أنواعها (من عقائد وعبادات  
ومعاملات وعقوبات ) ما شرعت إلا لتحقيق مصالح الانسانية وإقرار العس  
بين أفرادها وإقامة النظام وتأسيس قواعد السلام في العالم  
أما تحقيق مصالح الانسانية فان مصلحة أى فرد أو مجتمع يتكون  
من عناصر ثلاثة :

- ١ - الأمور الضرورية التي لا تقوم حياة الفرد أو المجتمع إلا بها .
  - ٢ - الحاجات التي لا تيسر الحياة وتخلو من العسر والحرع إلا بها .
  - ٣ - الأمور الحماية التي لا تكمل الحياة وتم إلا بها
- وقد تكفل الاسلام كل واحد من هذه العناصر الثلاث بنوعين من

الأحكام :

- أ - الأحكام التي توجهه وتحققه .
  - ب - الأحكام التي تصونه وتحفظه .
- ولهذا تكفل مصالح الانسانية كلها على السواء ، لأن الناس في عرف  
الاسلام كلهم من رجل واحد وظلته هذه تضم الحياة - من مبدئها إلى  
نهايتها - لا تعرف بفرق اللون والوصع الاجتماعي والطبق ، ولا يتفاضل  
الناس إلا بالتقوى - أى بعمل الخير وترك الشر مطلقاً - فهي الميزان الرئيسى  
الذى يجب أن يورن به الناس في نظر القرآن وأهداف الاسلام الثلاثة :

- ١ - تحرير العقل من رق الإستعباد حيث دعا الى الدليل والتفكير الحر .
- ٢ - إصلاح الفرد نفسياً وخلقياً حيث شرع نظاماً يوجه الفرد إلى مراقبة خالقه ومحاميه نفسه .
- ٣ - إصلاح الحياة الاجتماعية بصورة يسود فيها الأمن والعدل بين الناس وصيانة الحريات الخاصة بالأفراد والحقوق العامة بالجماعة .



## الدين حياة الشعوب

ما وجد الانسان نفسه في هذا الوجود كأنما حياً ، وهيكل محسوساً وشاعراً مدركاً ، إلا ووجد الدين سائداً عليه منفرداً في صميمه ، قائماً بوجدانه حياً بحياته ، مسوطاً بنحمة ودمه . عناية عظمى ونعمة كبرى وحكمة ماهرة لا يحيط بها الوصف ولا يأتي عليها البيان

لم ترل للأديان السيادة في هذا الكون حتى في أظلم عصوره وأوحش ظلماته ، حقاً كانت أم باطية ، صحيحة وقعت أم فاسدة ، وكيف كان أو يكون فإننا نجد في دلالة العقول وبرهنة الحقيقة . أن العناية لا تزال مصروفة الى صالح هذا الخلق الضعيف القوى ، العاجز القادر ، الجهول العالم ، الملك الكريم ، الوحش البهيم .

ما فتأت تلك العناية التي أرزته من حزانة الخفاء وكتم العدم ، تعمل في تديره وتسمى في صالحه ، فترسل اليه من ملكوتها وخاصة رجالا لها والمتخرجة على روح تعاليمها ، سفرة بررة بأيديها صحف مطهرة ، من كل طيب دوار يطبه ، خير يجره ، مسيطر على قومه بطاسم بدائهم وأخوانهم ، واقف على كامن غلظهم وحفيات دخائلهم وغور مهالكهم ، مكين من سبر أعماق جروحهم وطيات جوارحهم ، قد أحصر مرأهم وأحى مواسمهم ، عرف

المرص والمراح فيها العدة والعلاج ، وجعل نفسه وفقاً على تلك العاية ورهناً لذلك الغرض .

كل باطر في جوهر ياب الأديان نظرة مجردة ، معسكر في أصولها بفسكرة سبينة ، يجردها على اختلافها وتشعباتها ترمى الى عاية واحدة ومقصد واحد ، يجردها وإن تباعدت متقاربة . ويدل أنها وإن اختلفت متفقة متصالحة على تنازعها متلائمة على تنافرها .

لا أريد أن أعيد عليك ما أفصحت عنه الصحف ، وشرته لك الكتب ، وأنبأت به الباحثون والمقيمون والجهادة المصلحون . من أن عاية الشرايع والافصد الجوهري من الأديان ، ما هو إلا لث الفصيلة وكسح الرذيلة واسحفظ على حياة هذه الروح ، لإلهية الماردعة هي ياك كما هي مودعة في أخيك .

أريدك بياباً أن هذه الفحة الإلهية التي أنت بها حي ، بل أنت بها إنسان ليست هي وحدها وريسة الله عندك وأمانته لديك ، بل هي سواء وروح أخيك التي هي شعة من دوح وشطية من لوحك وسلالة من يبروعك وفصيلة من قطيعك . فبها جوهرتان في يدك وأنت بهما مطالب وعنهما معاً مسئول .

ليس الغرض من الأديان والشرايع إلا سعادة هذه الأرواح وصونها من أن تزهق ظلماً أو أن توسع هضماً أو تبقى سادية هاملة تعيسة جاهلة محرومة من كرامة العلم وشرى المعرفة ، بل لتعيش سعيدة وتحيا حياة كريمة وتنقل الى عيش أهي ومقام أسي كما لا تزال تنقل بها العناية من عالم الى خير منه ومن مكان الى أفصح منه ، من العدم الى الوجود ، من الصلب الى الرحم ، من الرحم الى هذا الفضاء العسيح والمكون الواسع وعادها تنتقل

الى ما هو أوسع منه وأهى وأسمى وأسى

ما الأدان والنرايع إلا وسائق ، ذرايع لتهديب البشر من الشر  
وطبهم على خير . وأن يعيش الانسان مع أخيه الانسان بالسلم والمواذعة  
والحسن والحمارة ، وإن تنوعت حلدتهم وختلفت مذارعهم ، قال قصت هم  
البواعث والدواعى دعوة أحدهم غيره إلى ما هو عليه من يعتقد صوابا  
ويراه لنفسه ولغيره صلاحاً . فليكن دعاؤه عن خالص نصيحة وشفقة  
صحيحة ودافع حنان ورحمة ، قولاً لياً وبشراً بياً ومجادلة ( كما أمر الله )  
بالتى هى أحسن . وباحته أعود ثباً فأقول ما قلته أولاً :

الدين بعد معرفة صامتك وما أرادك وماك هو أن ترى كل روح  
هى روحك ولكى فى غير جسدك فاعمل لروحك ما تحب أو دَع  
ولو أردت أن أحرى فى هذه الخلية لأبى من كل دين وشرعة  
تشاهد أو شواهد على أن هذا هو جوهرها المجرد وحقيقتها الصائبة وصالتها  
المشودة وعيتها المقصودة ، والذى لا توغر إلا اليه ولا تدل إلا عليه ،  
لوفيت واستوفيت واستكفيت وما استكفيت ، ولكن لا أريد أن أطيل  
عنيك بما هو جلى لديك إن لم تكن محيطاً بكنهه فما أحطت به منه مقبح لك  
ودليس على ما سواه . وإنما أريد أن أقف معك على صفاء هذا المنهل  
الرائق والمورد العذب الفائق .

من أن الدين هو الراحة الكبرى والعمدة العظمى وأعظم لوازم  
الإنسانية وأهم ما يجب سطباع الشريعة .

إن الدين سياح العمران وحصن الحياة ومعقل الأمم وإن الحياة  
لا تطيب لأحد إلا به ، ولو قبض السموات بيمينه والأرض بشماله ، لما  
أعماه ذلك عن الدين شيئاً وإن قبض عن الدين فقد قبض على راحة الأبد

وسعادة الشائنين ، ولو كان في أياب المقر وبين لهوات البلا .

الدين هو النظام الوحيد للمجتمع الانساني وهو الكافل لسعادة البشر .  
ولو تمسك كل فرد بالدين لارتفعت المشاجرات واعتدل اساس فالدين يوحده  
صغوف الملأ ، ويقوم المعوج .

الدين يأمر بالعدل والإحسان . . إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء  
ذی القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر . .

الدين يأمر برد الأمانة الى أربابها . إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات  
الى أهلها . .

الدين يأمر بالحكم أن يحكموا بالعدل . . وإذا حكمتم بين الناس أن  
تحكموا بالعدل . .

الدين يأمر بالإتحاد . . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . .

الدين ينهى عن التفرقة . . ولا تازعوا ففشلوا وتذهب ربكم . .

الدين يأمر بالتعاون . تعاونا على البر والتقوى . .

وهكذا يحسم الدين الجنايات ويكاهم أقسام الاختلافات للأطعمة .

فلو قطعت يد السارق . السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما . . وقتل القاتل

قصاصاً . . ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب . . وصب المفسد ،

إعما جزاء الدين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن

يقتلوا أو يصلبوا . . الى أمثال تلك الأحكام من المئات لا شق العدل وظهرت

الإلفة والمحبة والتعاون . وكان للناس العيش الهنيء والسعادة الباهرة في هذه

المنشأة مضافا الى الفوز والصح والرقي في الدار الآخرة .

أصف الى ذلك أن للقوة والقانون تأثيرين عظيمين في صيانة النظام ،

ولكن في العلم أما في السر فلا يصار النظام ولا يحترم القانون إلا براءع

قلبي ، ولا يمثل هداشي . كالدين .

فيك التراب أيها القاتل : الدين أفيون الشعوب ، (١) تلك قولة  
الرجل اليهودي - كارل ماركس - ودعاه الشيوعية في الشرق الاسلامي يرددونها  
وراءه يريدون تطبيقها كذلك على الاسلام . وهل يتحدع عاقل بمفترياته  
وأعاليظه . فيتهم أن الاسلام - وهو في قائمة الأديان - وعى مزور كما  
يدعيه بكل صلافة .

إن الاسلام أسمى من أن ناله عبقرية ماركس ومقلديه ، وإن تلفيقاتهم  
لهي أوهس من أن تمس الأديان العابرة بسوء ، فضلا عن الاسلام ( نظام  
الحياة الأبدى ) .

فهل كان دين ابراهيم عليه السلام أفيونا يوم نهض بجمعه الزهيد يزلزل عرش  
طاغية زمانه نمروذ ؟ وهل كان دين موسى عليه السلام أفيونا يوم هب بعيد بي  
اسرائيل ليحررهم ، ويقوص بهم سلطان جبار عصره فرعون ؟

وهل كان دين عيسى عليه السلام أفيونا يوم نهض بمسوى قومه عن مهاوى الشره  
والحرص والتسكالب والتساحر على الحطام ، الى قمة التعاون والمحبة والسلام ؟

ثم هل كان دين القرآن وشرع محمد عليه السلام أفيونا يوم استل من  
الجزيرة رجالا جعلهم أبطالا بي هم للانسانية مجدها ، وأقام على أقباض  
الجهل والوحشية ثقافتها وحضارتها ، وطار بهم حتى جعلهم يطاؤون أشمخ  
قلاع الظلم والاستعباد لا تقوى أمبراطورية في العالم . ذلك كله في زمن  
لا يتجاوز ربع القرن ،

بحس لا يطلب من أحد أن يحزم بما يقول قل أن يتبين الحقيقة ، وإنما

(١) عن كتاب كارل ماركس تأليف هري لوفافر ، ترجمة محمد عيناقي

نشر دار صادر طبعة بيروت ١٩٥٩ ص ١٦ و ١٧ .

يريد منه أن لا يسرع الى الإنكار واتهام الناس في عقيدتهم لمجرد عجزه عن ادراك الواقع ، وأن يقف موقفاً حيادياً لا يثبت ولا ينفي ، وأن يحكم على ما يسمع بأنه خبر يحتمل الصدق والكذب حتى يأتيه اليقين .

إن العالم العاقل الذي يعلم أن ما حوِّى عنه أكثر مما اطلع عليه ، وأن ما يعرف ليس بشئ. إذا فوّرن تعلم غيره ، وأن ما أنكره أو قصر عقله عن إدراكه ومعرفة هو أقوى وأوضح ثبوتاً من ، جوده عند من هو أكبر منه عقلاً وأعظم علماً وأوسع اطلاعاً وأكثر تجرداً وهدأ عن التقليد والمحاكاة . فعلى العالم الخبير أن يفتش وبقب ويرجع الى الدين في مباحثه الأولى ويدرس كتبه امدسة لتتجلى له الحقائق ويضع له الصواب .

إن الدين هو التحفة السامية لأهل الأرض ليس يحبرن أن يحبوا عبثاً ، ويريدون أن يمشوا عيشة فيها العزة والكرامة ، عيشة فيها الرضا والسعادة ، عيشة لم يساورها قلق ولم يطف بها طائف من البؤس والشقاء . فالأمة التي تفقد الكرامة لا يكون لها وجود محترم ولا كيان مرموق ولا صولة ترهب .

الأمة التي يدب فيها القلق والريب تكثر فيها الإقلاعات وتدلج فيها الثورات وتتفجر فيها البراكين .

الأمة التي تنادي بالبؤس والشقاء وتتغذى بالجوع والفقر ، فهي الموت أقرب منها للحياة وللمدم أقرب منها للوجود جاء الدين ليقدد الانسان الذي يريد أن يحيى حياة فيها حصائص ، ويريد أن يخلد بكل ما للخلود من معنى رفيع ،

ومن العريب أن يقال إن الدين يبر معاكساً للحياة بل يسير ويأخذ بيد الانسان في مجاهل الحياة ومتاهاتها ، ليلعب السعادة التي يظلم الى ربها .

وغريبة عرائب ما يدور على السنة حض الشء من الشبهة اليوم :  
إن الدين لم يعد شيئاً من الكيمياء والعيان ، ولم يقدم للمجتمع اكتشافات  
كالعزوب والاسلكى وغير ذلك وإن المكشفين والمخترعين ، ( كنيوتن )  
و ( هرتز ) و ( أدسون ) و ( دالامبر ) ، قدموا إلى العالم اكتشافات هامة  
ومخترعات مفيدة ووسعوا في العلم . وفتحوا آدهان اساس ، وسحروا  
الطبيعة ، فأفادوا علومهم وسقيهم وخرصهم . فأى اكتشاف قدمه أحد  
الأنبياء ، وأى مأكلة اخترعها أحد الأوصياء فيصغر في أنظارهم الأنبياء  
( سلام الله عليهم أجمعين ) ، فيصغر الدين فيرونه فارغاً حالياً من كل مادة مفيدة ،  
فيعدونه رحرافاً ، أو للاءاً ماعاً عن التقدم .

يعظمون المكشفين أيما تعظيم ، فإذا ذكر أحد الأنبياء سحروا وتبسموا  
تبسم ارداء وتوهين . كل ذلك لأنهم ينتظرون من الأنبياء معادلات كيميائية  
ودسائير فيزيائية ، أو معادلات نفاسية ، أو دستور الكسوف في الملك  
العالمى ، أو معادلات الحركة في الميكانيك الرياضى ! .

ما قيمة المخترعات نجاه ما أحدثه الأنبياء من خوارق العادة وقواهر  
الطبيعة فإن المخترعات التى جاء بها المخترعون تقع بمطاوعة جواهر الطبيعة  
والمماشاة معها في كل حين . ولهذا تحتاج إلى استخدام المواد الطبيعية والاستعانة  
بالسن الكونية بعد الامتحان والتجربة والاختبار الطويل ، ولاجل ذلك  
تجىء في مادتها ضعيفة جداً ، ثم تتدرج مترفقة بأسباب طول التجارب والاختبار  
إلى أن تصل إلى درجة الكمال . بخلاف ما جاء به الأنبياء من المعجز المدهش  
الخير للعقول .

و نصرت لك مثلاً بضياء الشجرة لموسى عليه السلام وضياء انكهرباء . فإن  
في خلق الله الور من جانب الطور - الذى هو جبل حجرى مظلم بطبعه ، ومن

شأنه الكثافة والظلمة - حتى أصبح أضواء من الكهرباء بدور تفكير ولا إهمال ولا إحتياط وتجربة . بل مع الإشارة ( نكر ) والإرادة السريعة . فأتت تلك الأحجار ، وتلك الشجرة نتيجة أعظم مما أنتجه الكهرباء الصاعى الذى تعاونت الأفكار والعقول والأيدى الصاعدة والأشعة العاملة عليه ، وتعاضدت التجارب والإختبارات عليه . وتلك النتيجة الكامنة فى سرعة لمع الطرف قد نحيلها الكليم موسى عليه السلام بارأ أشدة نوقدها ولمعائها وتلألاً ضياءها وسناها ، حتى أوهمت النار المعادة ذات الإحراق لمعدة للإصطلاء والإقتباس فلما دنا منها وقاربها ظهر له أنها أنوار ربانية وأشعة إلهية أفاضها على تلك الأرجاء واخترعها من تلك الأحجار المظلمة ، وانها لبست بحذوة يصطلى فيها ، بل هى لمعة يهتدى بها ، فهى أنوار للإرشاد لا يران للوقود . يردى أن يورك من فى اسار ومن حولها ، لبست بذات وهج حاد ولا شواطىء حار . وآية ذلك وبرهانه نصار اشجرة المتوقدة فيها النار .

ورهان ثانى وآية أخرى : إلقاء شعاع من أشعة تلك الأضواء ولمعة من لمعات تلك الأنوار القيت على يده اللججاية فلم يجد لها من النار اطمينية ، ولا احتراق لها الساطع . فأدخل يدك فى جيبك نخرج بيضاء من غير سوء . وحيث لم تصر تلك الأشعة والأنوار ، ولم تفعل ما تفعله الكهرباء الخائفة للسموس المذهبة للأرواح التى ترهقها بأدى عماسة ، ثقت أنها إفاضة مسكونية وقدرة إلهية قهرت طبيعة الجرم المظلم فأضاء وأنار وأشرق على الأمكنة والبقاع مسافة بعيدة المدى بلا سلك ولا عمود ولا محرك ولا مولد لأنها صنعتة . كى فىكون .

والأشعة الكهربائية والأنوار الصناعية لا يشك عاقل أنها مأخوذة من أحجار صقيلة شفافه وجواهر مشعة ذات قوة كهربائية ، وبالتلطيف والإستخدام



الشاق ولكلفة العظيمة ، وبعد التفكير الطويل وإعمال العقل وإجهاد النفس والتجربة والإحتبار ، وتحملها لعناء في التطبيق في كيفية توليد القوة الكهرمائية ومدى تأثير تيارها وإيصاها بواسطة أسلاك وأدوات الإشعاع (السلات) وحياتها متوقفة توقفاً ذاتياً على الموجب والسالب ، أو الحادث والدافع ، وما يسمونه الحار والبارد ، فلو احتس هذا الشرط فقد أصل العمل ، ولو اختلف ترتيبه أيضاً يفسد وسائر الشروط ، فان اتصال الاسلاك أيضاً شرط فلو لم يتصل فلا قوة ، كما ان اللبلة عدما يفقد معها الصياء . هذا شئ يعرفه اليوم سائر الناس .

ونور طور سماء الخارج من شجرة حضراء لم تولده ما كينة ولا آلة ، وسرى في أرجاء تلك البقعة بلا سلك ولا أبواب ولا لبلة ولا سالب فيه ولا موجب ، ولم يحرق يد موسى كما يحرق الكهرمان لاسمها ، ولم يموت سلك الكهرمان من مسه . وهكذا جاءت معجزات نبينا محمد ﷺ كإظهار النور على سوط الطفيش لدوسى وكفه ، وعلى حين آخر من أممائه فلق بذي النور ، وأمثال ذلك . وكل هذه المعاجز لم تستخدم الطبيعة ولم تستعن بالنواميس بل جاءت قاهرة لها .

وإذا قست الأعجوبة الأخرى : إلقاء الكلام على الشجرة في خطاب موسى ، إلى أبا الله فاحلح بديك ، ، وما تلك بيمبك ، هذا كلام يخرج من شجرة خرساء من طبيعتها عدم النطق ولو بألف عملاق لا تنطق ، ولو تعاونت البشرية من أدناها إلى أقصاها ومن عابرها إلى حاضرها أن يجعلوا من شجرة نطقاً مفهوماً وكلاماً متميزاً بجوهره عن سائر الكلام ما استطاعوا ولا قدروا لاهم عاجزون عن قهر الطبيعة ، وأقصى ما تصل إليه قدرتهم التمشي مع الطبيعة في التلطيف والمطاوعة لها في التسليم .

وقد اعترف الفلاسفة أن للكلام شروطاً لا يمكن أن تكون دونها  
أحرى أن الفلاسفة درسوا طبائع الأشياء فوجدوا فيها حواصاً ، وعرفوا  
بالعلم جواهرها أصيبه استجرارها منها إذا استخدمت وانظم بعضها إلى بعض  
تأليف خاص حدث منها أشياء تبهى العقول ، ويستفاد منها إيصال الكلام  
الجميل ، فاستخدموها بعد تجاوب واحتيار رماً طويلاً لا قوا بسبه كل عناء  
وتحملوا في سببه كل صعوبة ، ولم يتمكنوا من إحداث الكلام وإنشاء الاصوات  
إلا مع الاستعانة بالآليات الطبيعية . وتكليم الشجرة لموسى عليه السلام وإيجاد  
الكلام فيها لم يكن نألة ولا وسية ، كما يحصل في التلفون والراديو ، فلها  
تؤديه بلهظ نطق الناطق . فالتلفون نجده الآلة وتؤديه إلى آلة أخرى  
بواسطة ذلك . والراديو تجده الموجات الاثرية بواسطة لآتين في محطة  
الاداعة ومركز الإبلاغ ، والكل مفتقر إلى السالب والموجب . وما في  
الفرد غراف من كلام محفوظ في الاسطوانة ، فهو اسطة قوة جوهرية . فالقوة  
الجوهرية والسلكية والاثيرية والآليات ، هذه كلها صنائع مستخدمة . وقد  
كانت موجات الهواء تنفذ بالاصوات إلى أمد بعيد ، وهو المسمى بالصدى .  
وليس في تكليم موسى موجة اثيرية ، ولا سلك ، ولا ارة مغناطيسية  
ولا اسطوانة ، ولا كل شيء صناعي فهي قاهرة للطبيعة لا سائرة معها ، (١) .  
وقد اخترع سليمان عليه السلام قبة من زجاج يدحرج فيها المتحاصمان ، فالحق ترى  
صورته يضاء لمساءة والمبطل ترى صورته سوداء مظلمة . وجاء آدم بالمرأة  
التي يرى فيها من هو بأقصى العالم . فاب آدم لما تكاثروا ولده وانتشروا على  
الأرض وبعثوا عنه . فكان يشاق إلى رؤية أحدهم فلا يمكنه الوصول إليه  
فشكى ذلك إلى الله فنزل عليه جبرئيل بمראה ، فكان بعد ذلك إذا اشتاق إلى

رؤية أحدهم تأتي إلى المرات في طرفها فتراه على حالته التي هو فيها ولو كان في أقصى العالم . وجاء أحدهم بالأجوبة التي كانت عند الإسكندر يحملها الجيش معه في الحروب فكان الجيش يأكل منها ولا ينقص ما فيها . على كثرة جيش الإسكندر الذي كان يعطى عين الشمس . وجاء أحدهم بقعة من ابور فإذا شك رجل بوجهه السوء فإذا كانت رابية يأتي إلى تلك لفة فيرى فيها صورة بوجهه مع الرائي مرتسمة هناك إلى كثير من أمثال ذلك . ( ١ ) ويكفي في التدليل على ذلك ساطع سيمار . وعروح النبي محمد ﷺ إلى السماء .

ومن حجة ثانية أن هؤلاء المعترضين على الأنبياء عليهم السلام قاتهم . أب الإنسان مركب من نفس وبدن . فكما أن للبدن أمراضاً وحاجيات كذلك للنفس أمراض وحاجيات . و من حاجيات البدن ترجع إلى قوايين ثابتة مستقرة يصل إليها الإنسان بالاحتياط والحكمة والمشاهدة عاجلاً وآجلاً . فإن الخاصية المرددة من قبل الله تعالى في الأجسام ثابتة لا تتغير بل يتغير بها الإنسان عن طريق الفحص والتسمع . والتجربة والصدفة .

فالمخترع كما ذكرنا - لا يأتي بشيء جديد بل يفتش عن خواص وقوايين أودعها الله في هذا الكون يتجارب ويحاكمات . وعقل منحه الله تعالى إياه ، ولولا العقل والمحاكمات والاستنتاج والاستقراء لما قوى على ذلك

وبالعقل يمتاز الإنسان على الحيوان . وترد نظرية داروين التكاملية وتفتد سفسطة الحلقة المفقودة .

من يستطيع مخترع أن يأتي بخاصية غير ما أودعه الله في الأجسام . كلا فالاختراعات أمور مادية ناشئة لا تتغير فيها يصل إليها الإنسان باحتياناته ولا حاجة إلى شيء على الناس الدساتير الغير يابوية والكيميائية والدليل على

(١) عن كتاب نزهة الخاطر للمؤلف .

ذلك وصول الانسان بنفسه الى كثير منها نتيجة قوى أو دعاء الله تعالى فيه . ولا يعلم هل تقدم الانسان نتيجة هذه الاكتشافات روحياً وأخلاقياً أم تقهقر ؟ وهل استعادت الانسانية وقطعت بذلك أشواطاً في الكمال النفسى والسمو الاخلاقى أم لا ؟ .

فالأنباء (سلام الله عليهم أجمعين) بعثوا لاصلاح النفس وتهذيب الروح لأن الانسان إنسان بنفسه ، انسان بروحه ، وإن أمراض الروح أعقد من أمراض البدن ، وإن معالجتها أصعب من معالجة أمراض البدن . وإن وصفات الأخطاء تعالج الأذى لو صادفت نفس المريض ونفس الشروط ، وكان التشخيص صحيحاً . إلا أن الوصفات الروحية تؤثر في كل نفس حسب قاسية تلك النفس ، فهي مشتركة مرتبة .

إنما ثلاثة أشخاص مصابين بالملازيا ، فإبهم يعالجون بوصفة واحدة عاجلاً أو آجلاً ولكن لو أعطى لنفس هؤلاء الثلاثة دساتير روحية وطبقوها لا يصلون إلى نفس النتيجة ، وكل يصل إلى غير ما وصل إليه الآخر لو عذرة أمر النفس وصعوبته ، وعدم دخول النفس تحت قوانين ثابتة مطردة سهلة التناول . الأنبياء (عليهم السلام) بعثوا ليعالجوا ما لا يصل الانسان بنفسه إلى طريق معالجته ، بعثوا ليعالجوا أمراض النفس

بعثوا ليقرروا دساتير روحية بها يتكامل الانسان ويعرج من دور الطفولة والهيمنة الوحشية ، فيكون انساناً كاملاً بن أعلى من الإنسان . بعثوا ليحرروا النفس الانسانية مما تلوثت به من دنس ورجس وخبث ولؤم .

بعثوا ليقرروا الآداب التي لو عمل بها الانسان كان جديراً بأن يحل في (جنة عرشها السموات والارض) .

عشوا ليعلموا الحرام والحلال وذلك أن النفس الإنسانية تتردى وتدنس بالحرام ، وتركوا ويظهر بالحلال .  
عشوا ليعرفوا آداب المعاشرة والاجتماع . عشوا ليعلموا للإنسان ماله وما عليه ليحاسب نفسه ويقف عند حده .

فالأنبياء يحاطبون النفس ، لأن هدفهم تكامل النفس . وما جاء في تعاليمهم (صلوات الله عليهم) مما يتعلق بالدين من المأكل والمشرب إنما هو من باب اللطف ، أو لأن ذلك أثراً حساً في تكامل النفس

وقد يدعى أن شأناً يحصل من سياسي فتح الأمصار وبين نبي هدى الناس سواء السبيل ، في حين أن ذلك السياسي لم يعمل إلا في تعمير المعدة والأعضاء والنبي يعمل في تعمير النفوس والأرواح ، وما قيمة عمران عمران تفسد فيه الروح .  
الأنبياء عشوا ليعلموا على الناس المثل العليا التي بها يكال الروح والسعادة الأبدية ، ولكي يكونوا قوة صالحة .

إن بعض الأنبياء علموا الناس من باب اللطف من الصنائع والعلوم ما به يدفع الشر ويحلب الخير . فإن داود عليه السلام علم أساس صناعة الدروع لتقيهم بأس العدو وإن إدريس عليه السلام في العمران والانداع في هندسة البناء وإن النبي محمد (ص) سئل عن مسائل عدة في فروع مختلفة لا علاقة لها بالدين فأجاب عنها بوحى من الله دوماً تمكيراً . وإن علياً عليه السلام سئل عن مسائل رياضية صعبة ومسائل في الفيزياء والفلك والحيوان والنبات فجز عنها الناس حلها بصورة مرتجلة . وإن الإمام الصادق عليه السلام أمل على تلميذه جابر بن حيان الكوفي حماسة رسالة في ألف ورقة عن الخواص الكيميائية والطبيعية

وكان الكيميائيون من قبله - ككحالدس يريد بن معاوية المتوفى سنة ٨٥ - يروون عن علي عليه السلام موازين الصناعة .

دلى على ما يعتقد هو أعظم أهل زمانه ، حتى في علوم لا تمت إلى الدين  
بصلة ، تميزاً له عن سائر الناس وتفصيلاً له عليهم .  
فمن أراد الحياة الأبدية ، حياة رفيعة متصلة بالتكامل الأبدى ، حياة  
ليس فيها خوف ولا حرر ، حياة فوق حدود التصور والخيال ، فليعتمد إلى  
تطبيق تعاليم الدين ليس كيف يحل يوماً بعد يوم ، وكيف ترفع نفسه  
عن حصيص المادة - اثراً إلى أرواح الملائكة ، ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم  
ولا هم يحزنون ، (١)

## حصارة عادة عفيفة وحصارة جائرة مستهتره

تريدون أن نحجر أفكارنا وشاعرنا ، فنقف عند أوصاف لم تعد  
اليوم مقبولة ولا منطبقة مع الحياة الحديثة ، وتقاليد وضعت لأجيال غير  
هذه الأجيال ، واستفدت أغراضها ، وأصحت اليوم رجعية تفوق التقدم  
وقيداً يعوق الإطلاق ؟

أما ترالون تصرون على تحريم الربا ، وهو ضرورة إقتصادية لا عى  
عنها في العالم الحديث ؟ وتصرون على جمع الزكاة وتوزيعها في محل جبايتها ،  
وهي بذائية لا تتفق مع نظام الدول الحديثة ؟ فضلاً عن أنها تشرع الفقراء  
من أهل القرية أو المدينة أن فلاها من الأثرياء ، هو الذي يحسن إليهم ،  
فيظلون أذلاء له خاضعين لسلطانه ؟

وتصرون على تحريم الخمر والميسر . والإختلاط بين الجنين ،  
والرقص المشترك ، واتخاذ الخليلات والخلان ، وذلك كله ضرورة اجتماعية  
في العصر الحديث لا يمكن الإستعناء عنها ولا وقفها ، لأنها - تطور - لابد  
أن يأخذ طريقه ؟

أف لكم . أية رجعية تنادون بها أيها المسلمون !

\* \* \*

وهذا الذي يقولونه صحيح من جانب ، وخطأ ومغالطة من جانب آخر . صحيح أن الاسلام يحرم الربا ، ولكن ليس صحيحاً أن الربا ضرورة اقتصادية ، وفي العالم اليوم نظريتان اقتصادية . ان لا تقوم ان على الربا هما : النظرية الاسلامية ، النظرية الشيوعية ، على اختلاف ما بينهما في الأصل والاتجاه .

كل المسألة أن الشيوعية قد وجدت القوة التي تنفذ بها نظامها واقتصادياتها ، والاسلام لم يجمع قوته بعد ، ولكنه في طريقه الى القوة . وهو صائر اليها بحكم طبائع الاشياء ، وبحكم جميع الدلالات الكامنة في الصراع القائم اليوم في مختلف بلاد العالم ، وهي دلالات توحى كلها ببعث اسلامي جديد .

وحيث يحكم الاسلام فسوف يقيم اقتصادياته على غير الربا ، فلا تعجزه ضرورة اقتصادية كما أقامت الشيوعية نظامها على غير الربا ، فلم تعجزها هذه الضرورة الوهمية .

ليس الربا إذن ضرورة لا ماص منها للعالم الحديث ، وإنما هو ضرورة فقط في العالم الرأسمالي ، لأن الرأسمالية لا يمكن أن تقوم بدونه . ومع ذلك فكبار الاقتصاديين في العرب الرأسمالي من أمثال الدكتور - شاخت - ينددون بنظام الربا ، ويقولون : إن تبيخته الحتمية على الأجيال هي تركيز الثروة في أيدي فئة قليلة من الناس ، وحرمان المجموع منها رويداً رويداً ، ووقوع الملايين - تبعاً لذلك - في العبودية لهذه الفئة الصغيرة المالكه للثروة .



ونحن نرى مصداق ذلك في الرأسمالية الحالية بعير حاجة الى تعمق في دراسة الاقتصاد .

وقد كان من معجزات النظام الاسلامي أنه حرم الربا - والإحتكار - وهما دعائما الرأسمالية ، قبل ظهور الرأسمالية عما يقرب من ألف عام ، لأن الله الذي وضع هذا الدين يرى الأجيال كلها في وقت واحد - ويعلم - وهو العليم الخبير - ما يؤدي اليه الربا من كوارث في عالم الاقتصاد ، فضلا عما يثيره بين طوائف الأمة من الإحن والأحقاد - إذ هو القوة الهدامة في المجتمع الانساني ، ومن أهم الأسباب التي تسبب الفساد والخلل في الحياة المعنوية والمادية . ومن ثم لا يكاد كل من أوزرته بأم العقل يتردد في الإعتراف بوجوب تحريمه ، وأنه ليس بشيء معقول ، ولا يقتضيه العدل ، ولا يحتاج اليه الانسان في اقتصادياته . إلا أن حرمة لا تقوم على هذه الأسباب السلبية لحسب ، بل السبب الحقيقي فيها أن الربا شيء صار قطعاً ، وأنت مضرتة بالانسانية شديدة جديدة جداً من وجوه إيجابية عديدة ، نستعرض حملة منها حتى لا يبقى عند كل ذى عقل مجال للرب في حرمة هذا الشيء الحديث .

### ( مصادر الربا من الناحية الأخلاقية والروحية )

علينا أن نتناول هذا المبحث أولاً من الناحية الاخلاقية والروحية ، فان الاخلاق والروح هما جوهر الانسانية وملاك أمرها فكل شيء إذا كان يصرفنا في صميم هذا الجوهر ، جدير بالحرص ولا يصلح لائن نأخذ به أبداً ولو كانت

فيه مداخل كثيرة من أى ناحية أخرى . فإذا نظرنا فى الربا وجرأناه تجزئة نفسية نرى لنا لأول وهلة أن الربا لا يبدأ فيه العمل الدهنى كله - من رغبة الاسباب فى جمع المال الى مختلف مراحل حياته الاقتصادية - إلا منطبعا بتأثير الأثرة والحب وصيق الصدر ، وتحجر القلب والعودية للبال والتكالب على المسادة وما إليها من الصفات لرديلة الأخرى ، ثم لا ينفك يجرى هذا العمل تحت تأثير مثل هذه الصفات ويؤصلها فى الانسان على قدر ما يتقدم ويتطوع من مراحل السجاح فى تجارته الربوية . ولكن - بالعكس من ذلك - إذا نظرت فى الشؤون المالية القائمة على الزكاة والصدقات ، وجدت العمل الدهنى كله - معذ أن ينوى الانسان أداء الزكاة والصدقة الى أن يؤديها فعلا لا يحصل إلا منطبعا بصفات الكرم والسجاء والإيتار والمواساة والمناسحة وسعة القلب ورعاية الصدر وعلاوة وما إليها من الصفات الشريفة الأخرى ثم لا تزال تنشأ وتتأصل هذه الصفات فى الانسان ما سلك هذا الطريق فى حياته وهل فى الدنيا رجل لا يشهد له قلبه أن الأولى من هاتين المجموعتين شريفة المجموعة للصفات الخلقية ، وأن الأخرى خيرها .

( مضار الربا من الناحية المدنية والاجتماعية )

وعلى أن نطرح الآن فى هذه المسألة من الناحية المدنية والاجتماعية . لا يكاد يختلف إثنان فى أن المجتمع الذى يتعامل أفراده فيما بينهم بالأثرة ، ولا يساعد فيه أحد غيره . إلا أن يرجو منه فائدة - راجعة -

على نفسه ويكرن فيه عزز أحد ما وصيقه وفقره فرصة يعتنمها غيره للتمول والإستثمار . وتمكون مصلحة الطلقات العسية المورسة فيه ماضية لمصلحة الطلقات المعدمة لا يمكن أن يقوم وبطل قائماً مل هذا المجتمع على قواعد محكمة أبدأ . ولابد أن يبقى أحرأؤه مائة الى ألفكك والتشتت في كل حين من الأحيان .

ثم إذا عاوت على هذه الرضعية الأسباب الأخرى أيضاً ، لا تلبث هذه الأجراء تتحارب وتشاك فيما بينها ولكن بالعكس من ذلك ، إن المجتمع الذى يقوم بأؤه على التعاون والتكافل ، ويتعامل أعضأؤه فيما بينهم بالكرم والسعاء . ولا يكاد يحس فيه أحد . أن أحداً من إخوانه فى حاجة الى مساعدته . إلا سارع الى الأخذ بيده ، وعامل فيه الأغنياء إخوانهم الفقراء بالإعانة منطوعين . أو بالتعاون العادل على الأقل ، لابد أن تنشأ ونمو سعداً عواطف انتحاب والتناصح والتناصر فى قلوب أفراد مشر هذا المجتمع ، ونبقى أجراءؤه متكافة منسادة فيما بينها . ولا تنطرق اليه عوامل التسارع والتصادم الداخلى أبدأ ، وأن يكون أسرع كذلك الى الرقى والكمال والإزدهار من المجتمع الأول .

وقس على ذلك ما تتصل به مختلف أمم الأرض وشعوبها من العلائق الدولية فيما بينها ، فانه من المستحيل إذا عاملت أمة أمة مجاورة لها بالمعطف والكرم وسعة القلب والمواساة كلها نزلت بها مارلة من الدهر ، أن تلقى منها الجواب على رهاها بشيء غير الشكر والحب والإخلاص .

ولكن إذا عاملت هذه الأمة جاراتها بالأثرة والقسوة وضيق القلب ، واستعنت مصائبها وشدائدتها ، فعند تال بذلك متفعة مادية كبيرة بصورة المال ولكن لا يمكن بحال أن يبقى لها فى قلب جاراتها شيء من عواطف الحب

## والصدقة والإخلاص .

وهل أتاك حديث إنكلترا ؟ إذ طببت من أميركا بعد الحرب العالمية الأخيرة أن تعقد معها اتفاقية دين كبير يعرف باتفاقية « رتين وود » ، وبيان ذلك : أن إنكلترا كانت تريد من أميركا - وقد كانت حليفها في الحرب - أن تمنعها بالقرض بدون شيء من الربا ، ولكن أميركا ما رصيت بذلك وأبت أن تقرضها إلا بالربا ، واضطرت إنكلترا - لمشاكلها العديدة - أن ترضى كرهاً بأداء الربا .

وأما الأثر الذي تركه ذلك في الشعب الإنكليزي فلك أن تعرف مداه من المكتبات والخطب التي رمتها أعلام الساسة والصحفيين الكبار من الإنكليز في ذلك الزمن . فان مما قاله اللورد ( كيرز ) الراحل وهو يلقي خطبته في دار الشيوخ بعد رجوعه من أميركا ، بعد عقد هذه الاتفاقية باعتباره ممثلاً للشعب الإنكليزي فيها : « لا أستطيع أن أسي أد الدهر ذلك الحزن الشديد والألم المرير الذي قد لحق في من معاملة أميركا إياي في هذه الاتفاقية ، فهاها أنت أن تقرضنا شيئاً إلا بالربا » .

وكان مما قاله المستر ( تشرشل ) وهو ممن لا يحصى حبه لأميركا وميلهم إليها : « إني لأتوجس حلال هذا السلوك العجيب المنى على الأثرة وحب المال الذي عاملتنا به أميركا ، خسرواً من الأحطار . والحق أن هذه الاتفاقية قد تركت أثراً سيئاً جداً فيما بيننا وبين أميركا من العلاقة » .

وقال الدكتور ( دالتي ) وزير المالية في ذلك الزمن ، وهو يعرض هذه الاتفاقية على البرلمان لنيل مصادقته عليها : « إن هذا العهد الثقيل الذي عرّح به من الحرب وهو على ظهوره ، جائرة عجيبة جداً لناها على ما عانينا في هذه الحرب من الشدائد والمشاق والتضحيات لأجل الغاية المشتركة ، وبدع

للمؤرخين في المستقبل أن يروا رأيهم في هذه الجائرة الهذلة في نوعها ، أنفسهم من أميركا أن تقرصنا قرصاً حسناً ولكنها قالت لنا جواهاً على هذا : ما هذه بسياسة عمية .

فهذا هو الأثر الفطري لربا وما يعقبه من رد الفعل النفسى الذى لابد أن يظهر على كل حال ، سواء أتعاضت به الأمم أو الأفراد فيما بينهم . ما كان أهل انكثرا يعترفوا - ولا هم يعترفون اليوم - بأب المراهبة شيء مستقبح في المعاملات الشخصية ، وإذا أردت أن تستقرص من رجل منهم بدون الربا ، ضحك منك ورماك بالسفاهة قائلاً : ليس هذا من طرق التجارة العملية . ولا يكره لما لقيت بلاده من أمة صديقه لها معاملة ( طريق التجارة العملى ) صاح ورفع صوته بالعويل وشهد أمام الدنيا أن الرب شيء يشق القلوب ، ويسبى الى ما بين الناس من الروابط والعلائق .

لذلك ترى القرآن قد نهى عن كثير من المنكرات ، وشدد الوعيد في بعضها ، ولكن الكلمات التى جاء بها لإعلان حرمة الربا أشد وأكدر من الكلمات التى أوردها للنهى عن سائر المنكرات والمعاصي . ومن ثم أيضاً قد أكد النبي ﷺ النهى عن مراوطة الربا ، وسمى سعيها متصلاً فى القضاء عليه فى الدولة الإسلامية المثالية .

قال ﷺ : « الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن يسكح الرجل أمه . » ولعن ﷺ « الربا وآكله وباعه ومشتريه وكاتبه وشاهديه . » ويعتبر أمير المؤمنين على عليه السلام « آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه فى الورر سواء . » وينص صادق أهل البيت عليه السلام « على أن الربا أشد عقوبة من الرنا فى المحارم . »

وايست هذه الأحكام تطالب بالقضاء على نوع خاص من الربا

- أى ربما امرأين - وتدع باب سائر أنواعه مفتوحاً على مصراعيه ، بل الذى ترى إليه هذه الأحكام فى حقيقة الأمر أن تستأصل شأفة أخلاق الرأسمالية ، وعقبة الرأسمالية ، ونظام الرأسمالية ، استئصالاً كلياً ، وتقيم مكانها نظاماً يكون فيه الكرم مكان لبحس ، والمواساة والتكافل مكان الأثرة وحب الذات ، والزكاة مكان الربا ، حتى لا يفضى الأمر الى تولد حالات يحس الناس لمقاومتها حاجتهم الى إقامة محطات التعاون الاجتماعى ، وشركات التأمين والأموال الاحتياطية - أحياناً - الى اللجوء الى نظام الشيوعية غير العطرى .  
فليس إذن إلا من حماقتنا - أنفستنا - وضعفنا وسوء طالعنا أن قد انتثر عقد الاسلام ، وتدند نظامه للأخلاق والاجتماع والاقتصاد ، واستولت علينا الرأسمالية بويلاتها ، ولم تعد فيها مؤسسة أو مظلمة تعنى بجمع أموال الزكاة وإنفاقها فى طرقها الصحيحة .

\*\*\*

أما الزكاة فهى حق للمقرء يؤديه المكلف العلى بتشكليف من الله وواضع التشريع .

ولكن الشبهة هنا هى بحرية الزكاة - أى نوديعها فى مكان جبايتها - .  
ويصحبك الانسان من بلاهة ( المثقفين ) حين يرون النظام الواحد يأتى من العرب ( المتحضرين ) فيفتحون أفواههم عجا وإعجاباً بآخر ( تطورات ) الحضارة - والنظام ذاته يأتى من طريق الاسلام فيسكون رمز التناحر والاحتطاط . والحمد !

آخر تطورات النظام الإدارى فى أميركا هو اللامركزية الكاملة .  
فالقرية وحدة اقتصادية وسياسية واجتماعية مستقلة فى حدود ترابطها بالمدينة وبالولاية . ثم بالحكومة المركزية للولايات المتحدة . وهى هذه الوحدة

المستقرة نجى اصبر ... التى يفرصها المجلس القروى بسبب معيصة ، ثم تنفق  
فى ذات القرية فى شؤون تعميمها وصحتها ووسائل مواصلاتها وخدماتها  
الإجتماعية . فإذا فصلت منها فصلة أرسلتها ( الحكومة ) للمدينة أو  
الولاية . أما إذا احتاجت فهمى تستمد من هناك . وهو نظام جميل فى ذاته  
لأنه يورع العمل . لا ينفصل به كاهل الحكومة المركزية ، لئلا لا يمكن أن  
تعرف حاجات الوحدات الصغيرة أو تقوم بها كما يعرفها ويقوم بها أهلها  
المحليون . والمتفقون مما يهلون لهذا النظام ويكبرون ...

والإسلام المأخوذ قد امتد إلى هذا النظام قبل ألف وما يقرب من  
أربعة عام . فجعل حماية الصرائف محلية ، وحمل صرفها بحياً كذلك ،  
فإذا فصلت منها فصلة أرسلت إلى بيت المال العام ، وإذا قصرت أحد ها  
من بيت المال .

هذا هو المبدأ الذى قرره الإسلام لحسن توزيع العمل وإقامة  
اللامركزية فى نظام الحكم .

وهو الذى يندد به المتفقون . لأنه تأخر وانحطاط !  
وإذا كان فى رغبة القارىء أن يقف على فلسفة مشروعية الزكاة  
وأهميتها الإجتماعية فليرجع إلى مبحث لركة من هذه الحلقة .

فإذا طبقنا الإسلام فى المجتمع الحاضر ، فلن نصنع أكثر من إقامة  
وحدات صغيرة تقوم بشؤون نفسها فى حدود ارتباطها بمراكزها الإقليمية ،  
وبالدولة وبالعالم الإسلامى ، وبالعالم الواسع كله فى حماية المطاف . ويكون  
بذلك تقديمين سابقين فى التطور لكل أهم الأرض التى تعجب المتفقين

\* \* \*

وأما الحر والميسر والإحتلاط بين الجدسين لتحقيقه يحرمها الإسلام ،

ويصر على تحريمها مهما ندد به التقدميون والتقدميات ١

والجدل في أمرها قد يطول . ولكننا نأخذ المسألة من أقرب طريق  
ويكفي من أمر الحر أن تقوم في فرسا الداعرة التي لا تفيق . امرأة  
- مائة في البرلمان - تطالب بتحريم الحر ١١ يكفى ذلك لرد على المحمورين  
والمحمورات في عصر المدينة الحديثة ١

ولست أجد في نفسى في الواقع احتراماً للحر . ولكى أعلم أنها  
انعكاس لمجتمع مريض أو فرد مريض .

فالمجتمع الذى تشد فيه وادى الطبقات فتعيش طبقة في الترف الفاجر  
الذى يبلد الحس فيحتاج الى مشططات صناعية . وطبقة في الحرمان الكافر  
الذى يحتاج الى معييات يهرب بها الانسان من الواقع الذى يعيش فيه .  
والمجتمع الذى يحجر مشاعره الصراع على اقامة العيش أو يضى عليه الكآبة  
طنين الآلات المزجج المكرر الوتيرة ، والجلسة الطويلة المملة على المسكاتب  
وراء الجدران .

هذا المجتمع يلجأ للحر وغيرها من انحرافات ليعلق لنفسه في الأحلام  
علماً آخر حالياً من الشقاء . ولكن هذا كله لا يبرر وجودها .

إن وجودها دليل على المرض . وحين حرّم الاسلام الحر لم يسقط  
من حسابه ( المبررات ) التى تدفع اليها . بل عمل على إزالة هذه المبررات  
أولاً ، ثم قرر تحريمها بعد ذلك .

فنتعلم المدينة الحديثة من الاسلام كيف يعالج أمراض النفوس بالتنظيم  
الاقتصادى والاجتماعى والعسكرى والروحى والحسدى . . . قبل أن تفتح  
فها بانتقاد الاسلام .

واليسر لا يرضى عنه أحد إلا الفارغون والفارغات من التأفهي ، فانه



يبتل في أسر رمان مسعاة الانسان التي صرفها في اقتناء المان والثروة والوجاهة في أزمنة طويلة فيذهب به المال ، وربما تبهره العرص والعصر والجاه ، فان تقمّر وغلب وأحرز المسال أداه ذلك الى إبطال السير المعتدل في الحياة ، والتوسع في المصلاهي والفجور ، والمكسل والتبطؤ عن الاشتغال بالمكسب واقتناء مواد الحياة من طرفها المشروعة . وإن كان هو المعلوم أداه فقدان المال وحبية السعي الى العداوة والغصاء لقميره الغالب ، والحسرة والحنق .

وهذه المماسد وإن كانت لا تطهر الأذهان الساذجة البسيطة ذاك الطهور في السائد الفيل والمرّة والمرتين ، لكن السائد يدعو الى الغالب ، والقليل يهدي الى الكثير . والمرّة نمر الى المرات ، ولا تلبث إن لم تمنع من رأس أرشيع في الملا ، ونسرى الى المجتمع فتعود لوى همجية لا حكومة فيها إلا للعواطف انطاغية والأهواء المردية . ولا محتاج الى إطالة الحديث



أما الذي يشور بشأنه الجدل فهو مسألة لاحتلاط يقولون الى متى سظل متأخرين ؟ الى متى سنقف في سبيل المدنية والتقدم ؟

« فتحي » مدن مدنية فر نسا هناك يقف العاشقان في الطريق العام متعانقين متشابكين ، مستعرقين في قبلة عميقة لذيذة ، فلا يكدر صغورهما الاطاع من دعاة الفضيلة ، ويقف عسكر الج ايس بحميمهما من حركة المرور أن تزججهما قبل الانتهاء من هذه المدنية الفنية الخمية التي يهتف بها المتجددون ، والويل كل الويل لمن يطر اليهما نظرة استنكار ، فانه يبره وحده بالاردراء والاحتفال ! « فتحي » كذلك مدينة أميركا القوم هناك صرحاء مع أنفسهم لا يداورون ولا يناقون عرفوا أن المجلس ضرورة ( بيولوجية ) فاعترفوا بالضرورة

ونسروا - بلها ، ومحوها رعاية المجتمع واهتمامه . فلكل فتى صديقة ، ولكل فتاة صديق . يحرران معاً ويدخلان معاً ، ويتروهان معاً ترهات حلوية يقتصيان فيها الضرورة ، ويتحصان من ثعلها على الجسم ولعس والأعصاب فيطلقان في العداة شيطانين مقبلين على عملها بالشراوالاشراح فيبتحان، ويبتحان وتتقدم الأمة كلها الى الأمام .

وفرنسا هي التي خرحت راكمة دلية عند أول صرة وجهها اليها الألمان لانهقص معدتها واستمدادها الحر في فقط . ولكن لا نها أمة لا كرامة لها تذود عنها . أمة عرفت في الثمواب الهانطة ، واستمرقتها لمتاع الجنس ، غفقت على عمائر باريس العاخرة . ومرافصها الفاجرة أن تحطمها القنابل ، ويدمرها القتال .

فهل هذا هو الذي يدعونا اليه المثقفون ؟ أم أنهم قوم مخدوعون ، يقولون ما لا يفقهون ؟

وأمركا التي تحايل المغفلين في الشرق أخرى إحصاء في إحدى المدن هناك فظهر أن ٣٨ / ٠ من فتيات المدارس الثانوية حالي ١ ونقل السنة بين طالبات الجامعة لأنهن أكثر تجربة وأخبر باستخدام مواقع اخر ١ . فلهن هذا ما يدعوا اليه المثقفون ؟ أم أنهم قوم مخدوعون . يقولون ما لا يفقهون ؟

يقول الاستاذ ( الحوماني ) في كتابه ( دين وتدين ) مج ٢ :  
 « أذكر ، وأنا في أمريكا ، شكالي بعض أماننا المهاجرين من تصرف روحته الامريكية وأنها تتركه أحيانا مع أولاده منها وتستجيب لدعوة صديق عدة أيام في زهرة حارج البلدة التي يةطنها ولما عانتها محسولا أن أقصر عليها حقوق الروح أنت أن تفهم أبدا كيف يسوع له مرافقة صديقه والرهة

حصارة عادلة عفيفة . وحصارة جائرة مستهتره . - ٤٦٩ -

معه ، ثم لا بدوع لها هي أ — ترافق صديقها وتتره معه . أليست هي إنساناً مثله ؟ .

ولقد عذرتها أن لا تقبم ، لأن طرار الحياة في قومها هو هذا التحرر فللمرأة أن تستجيب لأي شاب تطمأ للرفض في مسارح اللهو ولو وضع يده على نضجها وصعط صدره صديها وكلاهما يفرح منه العطر ، ثم لا يرون في ذلك حرجاً لأن لرفض عديم من الصون اخيلة وكيف يكون الخيل قبيحاً ؟؟ ويحق للمرأة أن تستقبل صديقها في بيت زوجها وتصرف اليه فتحلوه في قاعة الإستقبال ، سيما يقوم زوجها بعملها في المطبخ أو في غرفة الأطفال ، ثم لا ترى ولا يرى أحد منهما في ذلك شيئاً من الخرق لطام المجتمع . فليس عليها حق لزوجها إلا أن تصاحبه فقط وأن لا تصاحبه غيره . ومن لهذا الزوج المالكين بإثبات ذلك وهي في رهنها مع صديقها حيث لا يعلم إلا الله مكان تلك الزهرة ؟؟

ومن أخلاق هذا العصر السباحة عارية ، فلقد شهدت ذلك ورأيت المرأة بين الرجال مجردة من كل ما يستر جسدها ما عدا عصواً واحداً لو كان جميلاً لما صترته .

ويقول أيضاً إن أحد المماحرين لعرب في أمريكا نقل لي : . أنه كان إذا هاجر إليها معروفاً بالاسم حتى مرَّ بعض الشوارع قرأت امرأة من شبها كما المفتوح تستسلم لكلها على السرير دون أن تحب بلهاجير التي تمر هذا الشاب المفتوح ، ودون أن يسكر عليها من المارة أحد هذا الإجرام الخفي رعماً منهم أن الحرية للعرد مقدسة في نظر المدينة الى هذا الحد .

فهل هذا ما يدعو اليه المثقفون اليوم ؟ أم أنهم قوم مخدوعون ، يقولون ما لا يفقهون ؟

إن التحضر من ثقله الجنس على الأعصاب هدف صحيح ، والاسلام يولي عنايته . لأنه يعلم - قبل أن يكتشف الأمريكان ذلك - أن اشتغال المحرومين مسائل الجنس يعظمهم عن قدر من الإنتاج ، ويحسبهم في ميدان الصروة فلا يرتفعون إلا ريثما يعودون فيهبطون .

ولكن الهدف الصحيح يدعى أن تتخذ له الوسائل الصحيحة . وتلويث المجتمع كله وإطلاق فتياه وفتياته كالبهائم ينزو بعضهم على بعض ليس هو الطريق الصحيح . ولا يرضاه الاسلام لأنه يدعو الى الدر والمكرامة . يريد الاسلام أن يظهر جو المجتمع ويثبه من كل معربات الفحشاء والمسكر يريد أن يرفع المرأة الى مستوى رفيع لا مثيل له في حضارة من حضارات العالم .

وهؤلاء الذين ينتقدون الاسلام ، ينتقدونه لا عن فهم وإيمان ، وإنما هو مجرد شهوة في التهجيم عليه .

هذه نظرة خاطئة عمياء ، فلتنسط في موضوع المرأة قليلا ، ونسمع لكل ذى حس وشعور حتى أن يحوض معنا .

إن بين مقاصد الاسلام ، ومقاصد الحضارة اعرية - كما ذكرنا غير مرة - لبونا بعيداً ورفقاً شاسعاً جداً . ومخطئ من يخطئ بين اخطأ من يريد أن يفسر أحكام الاسلام بوجهة نظر العرب ؛ ذلك بأن ما عند الغرب من المقياس لأقدار الأشياء وقيمها ، يختلف عنه مقياس الاسلام كل الاختلاف . فإدى يكبره العرب ويعده غاية الحياة الانسانية ، هو في عين الاسلام من الترافقه والمناسبات . وإن ما يهتم به الاسلام ويعظم شأنه هو عند الغرب من سقط المتاع . لذلك كل من قال بصحة المقياس الغربي فلا بد أن يرى جميع ما في الاسلام واجب لترميم والإصلاح . وإذا مضى يفسر أحكام الاسلام

ويشرحها جاءها بحرفة عن معانيها ، ثم لم يوفق في تطبيقها على الحياة العملية حتى في صورتها المخرفة ، لما يعترض سبيله الى ذلك من أحكام القرآن ونصوص السنة لينة . فخرى يمثل هذا الرجل ، قل أن ينظر في جزئيات الماهج العمية . أن يتأمل المقاصد التي قد أتحدت للوصول اليها تلك الماهج ، وينظر هل هي صالحة للقبول أم لا . وإن هو لم يكن يوافق تلك المقاصد نفسها فأى غناء يعنيه البحث في الماهج التي نمارس لتحقيق تلك المقاصد ؟ ولماذا يكلف نفسه مسح لك الماهج ونحريتها ؟ أليس من الأجدر به والأصلح له أن يهجر الدين الذي يحطى بمقاصده ؟ وأما إذا كان ينفق مع تلك المقاصد ، فلا يبقى البحث بعد ذلك إلا فيما يتخذ لتحقيقها من الماهج ، هل هي صحيحة أم لا ؟ وهذا البحث يمكن طيه بكل سهولة . ولكن هذه الطريقة لا يتبعها إلا ذوو المروءة والكرم ، وهم قليلون ، وأما المافقون الذين هم بطبيعتهم أخس ما خلق الله وهذا الذكور ، فلا يحذرهم إلا أن يدعوا لعالمهم بشيء ويؤمنوا في الحقيقة بشيء آخر .

ولكن - واأسفاه - .

إذا كان هناك من هو جدير بأن يأخذ بيد الإنسانية الخائرة بين طرفي الإفراط والتفريط ، ويهديها سواء السبيل ، فهو المسلم وحده الذي عنده مفاتيح جميع معضلات الحياة الاجتماعية

ولكن من سوء نصيب الإنسانية أن الذي كان بيده المصباح المير في هذا الظلام الخالك ، أصيب هو نفسه بالعمى فجعل يحبط في سيره حبط عشواء . وبدل أن يهدي غيره من حق الله ما رآل - ولا يزال - يمشى وراء كل معتسف ، ويتبع كل فاقق .

إلى جملة الأحكام الخاصة بالمرأة في الشريعة الإسلامية ، - والتي

يقولون عنها إنها أحررت المرأة عن سير الرقي في الحضارة والمدنية - هي في الحقيقة مشتملة على أهم أجزاء قانون الإجتماع الاسلامي ، فإذا وصفت هذه الأحكام موضعها الصحيح في نظام ذلك القانون بكامله ، ثم تأملها أحد فيه أنارة من البصيرة النظرية السليمة لم يثبت أن يعترف بأنها الصورة الوحيدة المعكسة التي تضمن القصد والإعـدال في الحياة لإجتماعية ، وأن هذه المجموعة من الأحكام إن عرصب على العالم مصدرة في الحياة العملية بروحها الحقيقية الصحيحة ، لم تولد الدين المسكونة إلى هذا المنع للسلام ، تنتمس فيه الدواء لأدوائها لإجتماعية ، بل أن نمرمه أو تطفى عليه - ولكن من لك هذا الأمر ؟ فإن الذي كان حرياً به لا يزال هو نفسه صريع المرض منذ زمان .

هل تستطيع معي أن تلقى نظرة على تاريخ الإجتماع الانساني - وكما شاهد - بأن وجود المرأة في هذه الدنيا كان عنوان الدله والخزى والإثم . فكان من العار والهجة للأب أن تولد له بنت . وكانت قرابات الختن تعد من القرابات الساقطة الردلة حتى عبد الهنود لا تزال كلمتا ( الحو ) و ( الختن ) تستعملان إلى هذا اليوم بمعنى الشتم والسب . تبعاً لذلك التصور الجاهلي وراح عند بعض طوائف العرب وأدليات عاديّاً من هذا العار .

وقد ظل النساء ورعمااء الديانات - دح الجهلاء - يحنون ويماقشون على طول القرون . في أن المرأة هل هي إنسان أو غير إنسان ؟ وهل قد حباها الله روحاً أم لا ؟ وكانت الديانة الهندوكية قد سدّت أبواب التعظيم على المرأة والديانة البوذية لم يكن فيها سبيل للنداء لمن اتصل بامرأة . وأما النصرانية واليهودية . فكانت المرأة هي مصدر الإثم ومرجعه فيهما وكذلك اليونان لم يكن لنداء الخدر عندهم علم ولا حضارة ولا ثقافة ولا حقوق مدنية وكانت المرأة التي تتمتع بكل ذلك في المجتمع هي المومنة ليس غير . وعلى

مبه كانت الحال في لروم وفارس والصين ومصر وما عداها من مراكز  
الحصارة الإنسانية . فكانت العبودية والسيكومية والمقت المدام الذي كان قد  
لارم المرأة على طول القرون . فقد عفا من نفسها الشعور بالكرامة وعز  
النفس . فكانت هي نفسها قد نسيت أن لها في هذه الدنيا حقاً تستحقه أو  
مكافأة إجتماعية لها أن تتمتع بها ، بل كان لرجل يعد من حقه أن يظلم المرأة ،  
وهي تعد من واجبا أن تصبر على ظله . وكان قد ركز في نفسها من شعور  
العبودية ما يجعلها تصح بأن تدعو نفسها أمة لزوجها ، وتؤمن بأن الروح  
معبوداً لها وإلهاً .

والذي جاء وأحدث في هذه الأوضاع إنقلاباً عظيماً ، لا من الجهة  
القانونية والدملية حسب ، بل من الجهة العسكرية أيضاً ، هو الدين الإسلامي  
الحنيف . فهو الذي أصلح من عقلية الصنفين - الرجل والمرأة - كليهما .  
ثم هو الذي بعث في الدهر الانساني تصور عر المرأة وكرامتها وحقوقها .  
فكل ما نسمع به اليوم من كلمات حقوق المرأة وتعليم الأناث ومهنة النساء  
هو دوى صدى الاسلام لانقلاب الذي صدع به النبي محمد ﷺ والذي  
بدل من مجرى الفكر الانساني للأبد .

فمذا الذي هو الذي علم الدنيا أن المرأة انسان كالرجل . . . خلقكم من  
نفس واحدة وخلق منها زوجها . . . وأنه لا فرق بين المرأة والرجل عند  
الله تعالى . بل رجال نصيب ثما كنفيرا وللنساء نصيب بما اكتسبن . . . وأن  
درجات الإرتقاء الروحي التي يستطيع أن يالها الرجل بالإيمان والعمل الصالح  
هي ميسورة للمرأة أيضاً . وإذا كان الرجل يستطيع أن يرتقى الى مقام  
( حيث الثمار ) فلا شيء يمنع المرأة أيضاً من أن تبتغ في الكمال الروحي مبلغ  
( أم سلمه ) ، . فاستجاب لهم ربهم أن لا يصيب عمل عامل منكم من ذكر

أو أثق ، بعضكم من بعض . . . ومن يعمل من الصالحات من ذكر وأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا . .  
ثم أن محمداً ﷺ هو الذى بيحه الرجل ، وفي الوقت نفسه أشعر المرأة بأرب المرأة على الرجل مثل ما للرجل على المرأة . . . ولهن مثل الذى عليهن . .

وهو الذى أنهى المرأة من قرار الدلة والعار ، ورفعها الى مقام العز وهو الذى آذن الوالد بأن وجود الإساءة في بيتك ليس بعار أو مخزاة لك ، بل أنت إداريتها وعرفت لها حقها ، استحققت الجنة . فقال ﷺ :  
« من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أباهن هكذا وصم أصابعه ، .  
« ومن ابتلى من الهبات شيء فأحس أبهن ، كثر له سترأ من النار . .  
وكذلك هو الذى علم لروح أن الروحة الصالحة أكبر نعم الله عليك في هذه الدنيا . « خير متاع الدنيا المرأة الصالحة ، . « حبيب إلى من الدنيا الدساء والطيب وجعلت قرعة عبي في الصلاة . « ليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة . .

ثم هو الذى وصى الإبر بأن أحق خلق الله بإكرامه وتعظيمه وحسن معاملته بعد الله والرسول هو أمه . « سألت رجلا : يا رسول الله من أحق بحسن صحابي ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبوك ، « إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات . .

وأيضاً هذا النبي ﷺ هو الذى بين للإنسان أن شدة العواطف ورقة الإحساس والنزوع الى التطرف ، كل ذلك من فطرة المرأة التي قد فطرها الله عليها . وليس ذلك بعار للأئمة بل هو ميزتها وجمالها . وكل ما يمكن



أن تصيبه منها من دفع ، فاست عصيه إلا بأن تدعها على فطرتها ذلك . وإذا حاولت أن تجمعها صفة مستقيمة كالرجل كسرتها . المرأة كالصنع إن أفتتها كسرتها ، وإن تركتها استتعت بها .

وكذلك ابن محمد عليه السلام هو المصالح الأول - وفي الحقيقة المصالح الآخر - أدى بدل من عقلية الرجل ، بل من عقلية المرأة نفسها ، بالسة للمرأة . وبعث فيهم مكان عقبتهم الجاهلية عقبة معتدلة صحيحة لا تصدر عن العواطف بل تقوم على العم والعقل المحض . ثم انه عليه السلام لم يكتف بالاصلاح الداخلي بل مهدد الأسباب لمحافظة على حقوق المرأة ، ومنع عدوان الرجال عليهن بقوة القانون . وأحدث فيهن من الوعي ما يعرف به حقوقهن الشرعية ويستعين بالقانون على الحفاظ عليها .

وفي ذات النبي عليه السلام كانت النساء قد وجدن لأنفسهن نصيراً مشفقاً ، وواجباً . كن يشكين اليه أدنى اعتداء الرجال عليهن بلا حرج . وكان أرواحهن يحذرون أن يندر منهم اليهن ما يشكينه الى النبي ، وقد روى عن ابن عمر قال : كما تنق الكلام والامساك الى سائنا على عهد النبي عليه السلام هبة أن ينز فيا شيء . فلما توفي النبي عليه السلام تكلموا وانسطوا . وقد ورد أن النبي عليه السلام كان قد أمر أن لا تضرهوا إمام الله . فحاشا عمر الى ابي وقال : يا رسول الله قد ذئرت النساء على أرواحهن . فخص النبي في ضرهن . وكان الرجال طالما كطعوا لغيط في أنفسهم ، فصرمت ذلك اليوم سمعون امرأة في بيوتهن . فلما كان الغد ازدحمت النساء على باب النبي ، فدعا الناس لخطب : لقد طاف اللية بآل محمد سمعون امرأة ، كل امرأة تشتكي زوجها ، فلا تجدون أولئك حياركم .

هذا لاصلاح النبي والقانوني هو الذي نالت المرأة نصله في المجتمع

الاسلامى مكانه سامية يخلو من نظيرها كل مجمع آخر في هذا العالم .  
 فالمرآة المسلمة ميسورها أن تسمو في النواحي المادية والفكرية والروحية  
 الى أعلى مدارج امر والرفق الى استطيع أن يلعبها الرحن في الدين والديا .  
 وليس كونها امرأة ليحول بها وبين توئها أى مرتبة من مراتب الشرف .  
 وإن الدنيا تحلف وراء الاسلام في هذا الأمر ، حتى في هذا القرن العشرين .  
 ولم يرتق الفكر الانسانى بعد الى ما ارتقى اليه الاسلام ، فكل ما قد أعطاه  
 العرب المرأه لم يعطه إياها من حيث هى امرأة ، بل أعطاه كل ذلك بعد  
 أن حردما من الطمع الأنوى ، وصيرها رجلا أو شبه رجل . أما المرأة  
 بذاتها ، فلا تزال في عينه خلقاً ميبساً في الحقيقة ، شأنها في عصور الجاهلية  
 الأولى . فليس لربة البيت وزوجة الرجل وأم الأولاد ، - وبكلمة أخرى -  
 ليس للمرأة الدافية على طبيعتها وحقيقتها من عز أو شرف عنده حق في هذا  
 الزمان . وإعنا الشرف والكرامة كلها لذلك - لرجل - المؤث الذي يكون  
 في بنية جسده امرأة ، وفي وصية عقله وفكره رجلا ، ويعمر للتمدن  
 والإجتماع عمل الرجال . فدهى أنه ليس ذلك منهم تكريماً للأوثى . بل  
 هو تكريم للرجولة .

ومن البرهان الواضح على شعور المرأة النفس في الغرب نقصها وتحلفها  
 أنها تدس لباس الرجال بكل حر على حين لا يحظر بهال أحد من الرجال أن  
 يخرج من بيته في لباس المرأة .

ومن السبة والعار عند ملايين من النساء أن تكون إحداهن زوجاً ،  
 بينما لا يحجل رجل من كونه زوجاً ، وإلب الداء يعتزون بممارسة أعمال  
 الرجال ولا يعتز أحد من الرجال بأعمال نسوية خالصة كتدبير المنزل  
 وتربية الأطفال .

لذلك من الحق لدى لا يمكن أن يرد ، أو يكابر فيه . أن العرب لم يكرم المرأة من حيث هي امرأه . ولدى غير الاسلام هو الذى قد أكرمها وعظم شأنها . واصفاً بإياها ، وصعباً لعضري ، ورفع ذلك مقام الأئمة بالمعنى الصحيح .

والتمدد الاسلامى يصح كلا الصنفين موصيه الطبعى - الرجل موصع لرجل ، والمرأة مكان المرأة - ويستخدمه للأعمال التى قد أعدته الفطرة لها . ثم يبيى له فرص الرزق والنجاح على حد سواء واضعاً يده فى مكانه . وذلك أن الذكورة والأرثية عند الاسلام من الأجراء اللازمة للإساية ، وسواء أهميتها تعمير المدن . وكل ما يؤدى من الخدمات فى دائرته ، هو مفيد لتمدن على السواء ، وجدير بالتقدير نفسه . ولا فصيلة للذكورة ، ولا ذل فى الأئمة . وكما أن عز الرجل ورقبه ونجاحه هو فى أن يبقى على رجلية ويقوم بواجبات رجال ، كذلك عز المرأة ورقبها ونجاحها ، فى أن تطن إمرأة وتؤدى واجبات النساء .

ومن شأن التمدد الصالح أن يضع المرأة فى دائرة عملها الطبعى ثم يعطيها كل الحقوى ، ويكرمها ويمطم شأنها ويشحن مواهبها الكاملة بالتربية والتعليم ، ويفتح أمامها سبل الرقى والنجاح فى دائرة عملها تلك .

هذه بعض الخواطر والإطلاعات مقتسة من الشريعة الإسلامية السمحاء سائرة على صورتها ، رسمناها فى ( الجوهر الروحانية ) فى فترة من الحياة ، لعل الله ينفع بها ويهدى .

وما تشاءون إلا أن يشاء الله ،

## التصويب

ص	ح	س	ص
ليستخرجوا	ليستخرجوا	١٦	١٠
المجددة	المجددة	٥	١٦
فهيها	فهيها	٢	٣٧
إلا	إلى	٦	٤٠
عطمة	عطمة	٤	٤٩
عل	عل	٤	٨٣
رائحتها	رائحتها	١١	٩٦
الشر	الشر	٥	١١٤
كرهه	كرهه	٢	١٢٠
أن يمكن	أن يمكن	٩	١٦٠
عليهم	عليهموا	٧	١٩٨
تفوقوا	تفوقوا	١٢	٢٣١
الحدود	الحد	٩	٢٣٢
وحرب	وحرب	١٧	٢٣٧
أقطعها	قطعها	١٣	٢٤٣
خندق	خندق	٧	٢٥٤
للقائل	للقائل	١١	٢٥٩
وتوطدت	وتوطدت	٢٠	٣١١
اشترك	اشترك	٤	٤٠٠
عن المسكر	عن الأمر	٨	٤٠١
يمنع	يمنع	٢٠	٤١٧
السرعة	السرعة	١١	٤٢٦
وفي	وهي	٢١	٤٦٤

## محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٥	كلمة العلامة السيد محمد صادق بحر العلوم
٨	كلمة المؤلف
١٠	في بدء الطريق
١٣	( حديث الراهب ومولد النبي ﷺ )
١٤	أبرهة والفيل والطير الأيايل
٢٠	تفكير عبد المطلب وحرره وسروره
٢٤	آيات شعرية لرشيد سليم الخوري في مولد النبي ﷺ
٢٦	( جنود من حياة محمد ﷺ )
٢٧	اختيار الله لنبيه محمد ﷺ
٢٩	محمد وغار حراء
٣١	مقاومة قريش لمحمد ﷺ
٣٢	تحكيم قريش لمحمد في وضع الحجر
٣٤	ما كان يلاقيه محمد من العناء
٣٧	لم تكن دعوة محمد تنمضي على العقول
٣٨	سلاح محمد هو تنبيه العقول
٤٠	محمد يلجئ أحداً على الاسلام
٤٢	شخصية محمد ﷺ

الموضوع	الصفحة
خلق النبي محمد ﷺ	٤٦
دهنية النبي محمد ﷺ	٥٣
( محمد على لسان الآلوهية )	٥٨
إطرء الله عليه محمد ﷺ من عدة نواحي	٦١
إختصاص الله عليه محمد ﷺ من عدة نواحي	٦٢
إحاطة الله عليه محمد ﷺ بالخلال والبطمة من عدة نواحي	٦٥
( أسلوب نشر الدعوة عند محمد ﷺ )	٦٩
سوره راءه وما يتلقها من أمور نشر الدعوة	٧١
كتاب النبي محمد ﷺ الى هرقس	٧٥
كتابه الى الحضارت الفساق	٧٨
كتابه الى كسرى	٧٩
كتابه الى المقوقس	٨١
كتابه الى صاحب البجامة	٨٣
كتابه لأمير البحرين	٨٣
كتابه الى ملكي عمان	٨٤
نظم تشريع الدعوة في سورة براءة	٨٦
النصائح بعد التشريع	٩٤
عدم إكراه أهل الكتاب على الاسلام	٩٦
انتصاري يعترفون بوحود الله لكن يحالون المسالمين في مسألتين	٩٨
الحفاظة على ما سنه الله للشهور من أحكام	١٠١

الموضوع	الصفحة
التهيؤ للقتال دائماً والاستعداد في كل وقت	١٠٣
إجابة داعي الله إلى الجهاد في سبيله بالنفس	١٥
تعليق على سورة براءة	١٠٦
( السور الخلقى عند محمد بن عبد الله )	١١٤
من اعتدال الحكمة والشجاعة والهمة والعدل تصور الأخلاق الحية	١١٨
الدين حسن الخلق	١٢٠
أمانة من بقا نصا الحدية	١٢٣
الفلسفة الخلقية وتعريفها	١٢٧
موضوع الفلسفة الخلقية	١٢٨
أعلم الأخلاق نظري أم عملي	١٣٠
وسيلة تقويم الخلق	١٣٥
( الأهداف الاجتماعية عند محمد بن عبد الله )	١٤٠
العلاقات الاجتماعية	١٤٥
الكرامة الانسانية	١٤٦
العدالة	١٥١
العدالة القارية	١٥٢
العدالة الاجتماعية	١٥٦
طرق علاج الفقر من براحي كثيرة	١٥٩
العدالة الدولية	١٦٢
التعاون الاساسي	١٦٤
الرحمة والمودة	١٧١

الصفحة	الموضوع
١٧٥	الرأفة بالحيوان
١٧٧	المصلحة ودفع الفساد
١٨١	الحفاظة على النفس والعقل
١٨٢	الحفاظة على الفل
١٨٤	الحفاظة على الدين والمال
	( نظام الوحدة عند محمد ﷺ )
١٨٨	يحتوى هذا البحث على خمسة فصول : الفصل الأول
٢٠٣	الفصل الثانى
٢١٥	الفصل الثالث
٢٣٠	الفصل الرابع
٢٤٧	الفصل الخامس
٢٦٣	( نظام القتال عند محمد ﷺ )
٢٦٥	دحض افتراء من زعم أن دين الاسلام إنما قام بالسيف
٢٦٦	حروب محمد ﷺ كلها دفاعية
٢٦٦	حال العرب قبيل الاسلام
٢٦٧	مقاومة المشركين للدعوة الاسلامية
٢٧٢	إضطراب المسلمين الى الحرب
٢٧٣	أسباب غزوة بدر
٢٧٦	أسباب غزوة أحد
٢٧٧	أسباب غزوة الخندق
٢٧٧	أسباب فتح مكة



الصفحة	الموضوع
٢٨٢	أسباب غزوة حنين
٢٨٢	حرب اليهود
٢٨٦	حرب النصارى
٢٩٠	حرب الفرس
٢٩٢	الغاية من الحرب في الاسلام
٢٩٣	الدين قالوا إن الاسلام انتشر بالسيف قوم محطون
٢٩٥	الاسلام دين القوة
٢٩٩	سماحة الاسلام في الحرب
٣٠٠	دوافع الحرب
٣٠١	سير الحرب
٣٠٣	تأثير الحرب
٣٠٦	ملاحظة لابد منها
٣٠٩	الاسلام والسلام
٣١٥	مرارنات وشهادات
٣٢٨	( الصلاة وطرق التقدم الثلاث عند محمد ﷺ )
٣٢٩	الصلاة حجر الرأية
٣٣٠	الانسان يسمو غاية السمو
٣٣١	تحليل النصوص
٣٣٣	خطوة الانسان الاولى نحو التقدم
٣٤٧	أقوال وآراء في الصلاة
٣٧٠	نعمة الشعر في الصلاة

الصفحة	الموضوع
٢٧٢	أقوال علماء الغرب وآرائهم في الصلاة
٢٧٨	( الركة ونظام التعاون عند محمد ﷺ )
٢٨٢	فريضة الزكاة
٢٨٣	نكته في العاطفة الانسانية
٢٨٤	نكته أخرى في العاطفة وكرم النفس
٢٨٧	المستحقون للزكاة
٢٨٩	فلسفة الرق في الاسلام
٢٩٤	قساوة ولد مع والده
٢٩٧	فوائد الركة المفروضة والاصلاح المالى للنشر
	( نظام الحضارة عند محمد ﷺ )
٤٥	الأستاذ محمد قطب والانكليزى
٤٧	موقف الاسلام من الحضارة الغربية الدائنة اليوم
٤٨	احتياج العالم الى الاسلام اليوم احتياجه اليه قل ألف سنة
٤١٤	الاسلام يريد أن يقيم أظهر حياة على وجه الأرض
٤١٥	إعتراف المستشرقين بحضارة الاسلام
٤٢٣	الشيوعيون يتخذون العالم
	( نظام الاقتصاد عند محمد ﷺ )
٤٢٥	شبهة خبيثة يلعب بها الشيوعيون
٤٢٦	كيف تؤثر العلوم العربية بأبناء المسلمين
٤٢٦	قصة القائد بر آقا مع الأذفونش

الموضوع	الصفحة
صفة المأمون لما هادن حاكم قبرص	٤٢٧
مشكلة ( تيتو ) ماثلة في الأدغال	٤٢٨
إن الإسلام فكرة اجتماعية ونظاماً اقتصادياً	٤٢٨
أبيات شوقي في الاشتراكية الإسلامية	٤٣١
يحب على المسلمين أن يحاربوا العقر باسم الدين	٤٣١
الاقتصاد الإسلامي يقوم على أسس ثلاثة	٤٣٣
النسبة الشخصية	٤٣٣
المنفعة	٤٣٦
الحرية	٤٣٨
الكتب الفقهية متضمنة للتفصيل شريطة أن تدرس	٤٤٠
( الدين حياة الشعوب )	٤٤٣
تكذيب من قال ( الدين أفيون الشعوب )	٤٤٧
من كان الدين أفيون الشعوب في زمن أراهم الذي رلزل عجمه	٤٤٨
الزهيد عرش مرود	...
أم في زمن موسى عليه السلام أم في زمن عيسى عليه السلام أم في زمن محمد عليه السلام	٤٤٧
على القاهم الخير أن يفتش ويرجع الى الدين في منابعه الأولى	٤٤٨
غريبة الغرائب ما يدور على السنة بمص النشـ حول الأنبياء	٤٤٩
وأنهم لم يحترعوا شيئاً	...
ضياء الشجرة وموسى بن عمران عليه السلام	٤٤٩
الأضواء الساطعة من يد موسى عليه السلام	٤٥٠
طور سيناء ونوره المتلألئ	٤٥١

الموضوع	الصفحة
ما جاء على يد الأنبياء مما هو فوق مستوى العقول	٤٥٢
الأنبياء متجهون نحو تربية النفس	٤٥٣
( حضارة عادلة عفيفة ، وحضارة جائرة مستهقرة )	٤٥٧
الاسلام في معرض النقد للغربيين ، وهذا النقد صحيح من	٤٥٨
جانب وخطأ من جانب	٤٥٨
مضار الربا من الناحية الأخلاقية والروحية	٤٥٩
مضار الربا من الناحية المدنية والاجتماعية	٤٦٠
ما سببه الربا بين أميركا وانكلترا من التآمر	٤٦٢
مذكرات رجال السياسة من انكلترا في ذلك	٤٦٢
لم يشدد القرآن على المسكرات والمعاصي مثل ما شدد على الربا	٤٦٣
بعض ما ورد من الأحاديث الموهولة في الربا	٤٦٣
الزكاة وصحك الانسان من بلاهة المتقنين	٤٦٤
الخمر والميسر والاحتلاط بين الجنسين	٤٦٥
إذا كانت هذه المفاصد مدنية فلنحى مدنية فرنسا وأميركا	٤٦٧
الامتناد الخوماني يتحدث عن خلعة النساء في أميركا	٤٦٨
الذين ينتقدون الاسلام ينتقدونه لا عن فهم وإيمان	٤٧٠
مقاصد الاسلام ومقاصد الحضارة الغربية	٤٧٠
من كان جديراً أن يأخذ بيد الانسانية الى الفضيلة هو بنفسه	٤٧١
مترد في الرذيلة	٤٧١
حالة المرأة عند الاثمم	٤٧٢
الذي أحدث إنقلاباً عظيماً في رقي المرأة هو الاسلام	٤٧٣

الموضوع	الصفحة
النبي هو الذي علم الدنيا أن المرأة إنسان كالرجل	٤٧٣ . . .
الآيات والروايات الواردة في تمظيم المرأة . تقديرها	٤٧٤ . . .
محمد هو الذي يدل من عقيدة الرجل ومن عقيدة المرأة	٤٧٥ . . .
المرأة ميسورها أن تسمو ما يسمو به الرجل	٤٧٦ . . .
من لحق الذي لا يمكن رده إن العرب لم يكرم المرأة	٤٧٧ . . .
التصويب	٤٧٨ . . . . .
محتويات الكتاب	٤٧٩ . . . . .





سيصدر قريباً للمؤلف

شرح

رسالة الحقوق

للإمام زين العابدين عليه السلام







LIBRARY  
OF  
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 074487784